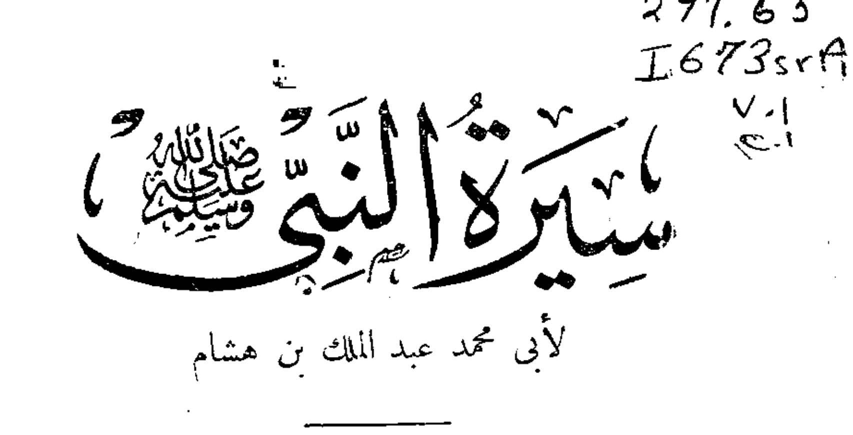


لأبي محمد عبد الملك بن هشام

راجع أصولها ، وضبط غريبها ، وعلق حواشيها ، ووضع فهارسها

محمد محيي الدين عبد الحميد

المدرس في كلية اللغة العربيـــة
بالجامع الأزهر

الجزء الأول

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعـــة حجازى بالقـــاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠



إهداء الكتاب

إلى حضرة صاحب الفضيلة

شيخ الاسلام وإمام المسلمين الأستاذ الأكبر

الشيخ « محمد مصطفى المراغى »

أنت يامولاى قَبَسٌ من نور النبوة يستشرفه المصلحون ، ولهم فى يُمْنِ نَقِيبَتِكَ وشرف نفسك وحُبِّك الخيرَ وقُوَّة يقينك بالله تعالى آمالٌ جِسَامٌ ؛

وهذا كتاب جمعه مؤلِّفُه فى سيرة أفضل المجاهدين فى سبيل الله والحقِّ ، وضَمَّنه صفحةً من صَفَحَات الخلود التى عادت على العالم كله بالخير والبركة ، وفيها المَثَلُ الصَّحيحُ من أمثلة الكِفاح الدائب والجِلاد ؛

فَأْذَنْ لى يا مولاى أن أقدمه إليك ؛ فإنى لأرجو أن يكون ذلك فألاً حسنا ؛ فعسى الله أن يُكَلِّلَ أعمالك فى سبيل خير الإسلام والمسلمين بالنَّجَاح الذى كَلَّلَ به أعمال صاحب الرسالة سَيِّدِنا محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ؟

المخلص

محمد محيى الدين عبد الحميد

المدرس فى كلية اللغة العربية

صفر الخير من عام ١٣٥٦

مايو من عام ١٩٣٧

تقديم الكتاب

بقلم حضرة صاحب العزة

الدكتور محمد حسين هيكل بك

لا يكاد يخلو كتاب من كتب التاريخ التى وضعها العرب والمستعربون من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم . كان ذلك دأبهم منذ بدأوا التدوين فى النصف الأخير من عهد الأمويين وفى عهد العباسيين . ولقد سار المتأخرون من المؤرخين سيرتهم ونهجوا نهجهم . ذلك بأن هؤلاء وأولئك كانوا يضعون كتباً للتاريخ العام منذ الخليقة . وطبيعى أن يكون شخص الرسول الكريم وعهده أجل ما يقفون عنده من عهود التاريخ ومن الرجال الذين كان لهم فى كل العصور الأثر الخالد .

وقليلون هم الذين أرخوا عصراً خاصا . وقليلون كذلك هم الذين وقفوا جهودهم على سيرة صاحب الرسالة الاسلامية وعهده . لذلك كان أكثر الذين كتبوا السيرة كجزء من التاريخ العام يكتفون بالنقل عمن سبقهم دون بحث أو تمحيص . والذين وقفوا فى حدود السيرة قد اكتفوا بذكر الروايات المتعددة ، المتناقضة أحيانا ، دون أن ينقدوها أو يميزوا صحيحها ويكتفوا به . هذا مع أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم — كما قال الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى فى تقديم كتاب (حياة محمد) — : كسائر سير العظماء ؛ أضيف إليها ماليس منها ، إما عن حب وهوى وحسن قصد ، وإما عن سوء قصد وحقد .

والمرجع الأول لكتاب السيرة بعد القرآن الكريم هو هذا الكتاب الذى بين يدى القارىء . فسيرة ابن هشام أقدم كتب السيرة عهداً . لم يسبق صاحبه إلى كتابة السيرة كاملة غير محمد بن إسحاق . وسيرة ابن إسحاق فقدت لولا أن ابن هشام قد دون منها فى كتابه أكثرها . ولعلنا لو رجعنا إلى الطبرى والواقدى وأخذنا مادوناه عن ابن إسحاق وأضفناه إلى مادونه ابن هشام لاجتمع لنا من كتاب المؤرخ الأول للنبى العربى معظمه إن لم يكن كله .

وقد حرص ابن هشام على أن يذكر كل ماوقف عليه من الروايات المتصلة

بالسيرة بعد أن مهد لهـا بموجز من التاريخ العام وما يتصل منه بها . و بلغ من حرصه ذلك أنه يذكر الخبر الواحد مكررا عدة مرات لينسبه فى كل مرة إلى مصدره من المحدثين أو الرواة . على أنه يجمع فى كثير من الأحيان ما ذكره هؤلاء وأولئك فى خبر واحد إذا لم يكن بين الروايات خلاف يحول دون إدماج بعضها فى بعض . وهو يذكر من التفاصيل ما لا يعنى التاريخ الحديث به ، وإن عنى المؤرخون بالرجوع إليه . فهو يذكر أسماء من شهدوا المواقع سواء منهم الأشخاص ذوو المكانة والخطر ومن لا خطر لهم ، وسواء منهم من أبلوا فى الموقعة ومن لم يرد لهم ذكر أثناء وطيسها . وهو يروى ما قيل من الشعر فى الحوادث المختلفة منسوبا إلى أصحابه ويطيل فى ذلك ما شاء . على أنه يشير فى أحيان كثيرة إلى عدم صحة النسبة . فهو من هذه الناحية مرجع مفيد لمن أراد الوقوف على مختلف الأقوال والروايات والعلم بما قيل من الشعر فى مختلف المناسبات .

وقد طبعت سيرة ابن هشام فيما مضى غير مرة . طبعها المستشرق «وستنفلد» بجتنجن سنة ١٢٧٤ هجرية . وطبعت بعد ذلك بمصر طبعات مختلفة ، مستقلة حينا ، وعلى هامشها كتاب غيرها حينا آخر . وقد امتازت طبعة وستنفلد بدقة ضبطها ، والعناية بتصحيحها ، ووضع فهارس لهـا . لكن هذه السيرة ككثير من الكتب القديمة تستعصى على قرائها لأكثر من سبب . ومن بين هذه الأسباب غموض المعنى لكثير من الألفاظ أو اشتباهه لانطواء اللفظ الواحد على معان عدة . وهذا أمر عنيت الطبعة التى بين يدى القارىء اليوم بتلافيه . فقد ضبط غريبها وعلق حواشيها ووضع فهارسها الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد المدرس فى كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر . وأيسر ذلك شرح ألفاظها غير المألوفة لقارىء اليوم ، ومنه الاشارة إلى بعض روايات لم يذكرها

ابن هشام ولكنها وردت فى كتب متأخرة . على أن الشيخ محمد محي الدين قد حرص على أن يجتزىء من هذه الروايات بالقليل ؛ لأن أكثر ما ذكر من الروايات فى كتب المتأخرين تأثر بالاسرائيليات التى دست على الحديث وعلى السيرة ، فصار تمحيصها عملا دقيقا يحتاج إلى زمن و إلى علم بالطريقة التاريخية على النحو العلمى الحديث ، و إلى استقصاء كتب السيرة ومقارنة ماجاء فيها بما ورد فى كتب المعاصرين من أهل البلاد المختلفة ؛ وهذا جهد مستقل لم يجعله شارح هذه السيرة بغيته .

ولست أقصد من هذا التقديم إلى الافاضة فى الحديث عن سيرة ابن هشام ؛ فليس بين الذين يعنون بما كتب عن السيرة فى عهود الاسلام الأولى من لا يعرف أقدم هذه السير : فقد توفى ابن هشام فى سنة ٢١٣ ، وقيل فى سنة ٢١٨ ، للهجرة . فهو قد كتب السيرة إذاً فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الهجرى . ولقد كانت الحياة الاسلامية مضطربة حين ذاك بالثورات القائمة بين الأمويين والعباسيين و بين العباسيين وخصومهم . وكانت الأحاديث الموضوعة تذاع بالألوف وعشرات الألوف . وكان البخارى وغيره من جامعى الحديث يعملون لتمحيصه . فاذا تأثرت سيرة ابن هشام بأحوال العصر فى هذه الشئون فذلك طبيعى . لكن مؤلفها لم يرد أن يقف مما كتب غير موقف الراوى تاركا التمحيص للزمن ولمن يعنون به من بعده .

و إن قوما ما يزالون فى عصرنا هذا يأبون التمحيص فى أمر السيرة و يريدون أن يقفوا على كل رواية دون مقارنة الروايات أو معرفة راجحها من مرجوحها . وإن قوما كذلك ليعنون اليوم بالتدقيق فى كل ما كتب عن السيرة ليصلوا جهد المستطاع إلى الصحيح منها . وهؤلاء وأولئك تفيدهم قراءة سيرة ابن هشام أجزل الفائدة وتلذهم أعظم اللذة :

وإخراج هذه السيرة فى ثوب من الطباعة العصرية الأنيقة على النحو الذى أخرجت به فى هذه الطبعة بعض مايبسر لمحبى الاطلاع عليها تحقيق الغرض من هذا الاطلاع والاستفادة منه في يسر ومن غير مشقة .

لذلك كانت هذه السيرة جديرة بأن تلقى غاية العنـاية بها ليمحصها من شاء وليقف على رواياتها المختلفة من لايؤمن بقواعد النقد العـــــلمى الحديث ومن لا يسيغها .

ودراسة السيرة النبوية الـكريمة ذخر لذاتها . فما بالك بدراستها فى كتاب أبى محمد عبد الملك بن هشام الذى ولد بمصر ومات بها .

محمد حسين هيكل

مقدمة

فى تأريخ كتابة العلوم الاسلامية

وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة

بقلم

محمد محيي الدين عبد الحميد

الأستاذ فى كلية اللغة العربية

بالجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه .

وبعد ، فقد انقضي العصر الأول كله والمسلمون لا يكتبون شيئاً من العلم ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ فقد كتب ماسمعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ولم يكن ذلك منهم اتفاقا ، ولا صرفتهم عنه شواغل وإن تكن شواغلهم حينذاك كثيرة ، وإنما كان ذلك أمراً قد قصدوه وفكروا فيه وأعملوا له الروِيَّةَ والنظر ؛ ذلك بأنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لاتكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فَلْيَمْحُه ، وَحَدِّثُوا عنى ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » [2] وإذا كانوا لا يكتبون حديث رسول الله ولا شيئاً مما يروونه عنه إلا القرآن فَهُمْ أشدُّ انصرافا عن كتابة غير ذلك من فتاوى الصحابة وخطبهم وأخبارهم ووقائعهم فى العدو ، وهم عن جميع ذلك أشد بعدا ، وسبب آخر كان يدعوهم إلى ترك الكتابة والتدوين ، ذلك أنهم كانوا يخافون أن يختلط بعض مايكتبونه بالقرآن ؛ فيدخل فى كتاب الله تعالى الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ماليس منه

(١) روى البخارى عن أبى هريرة قال : « ما من أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عنه منى ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ؛ فانه كان يكتب ولاأكتب » وقد قيل : إن بعض العلماء قد دون بعد ذلك صفحات من العلم ، ولكنا لسنا من ذلك على ثبت صحيح .

(٢) هذا حديث ـ رواه مسلم فى صحيحه (ج ٢ ص ٣٩٣ طبع بولاق)

ومع أنهم لم يكونوا ليكتبوا شيئا غير القرآن فقد صرفوا هممهم ، و بذلوا غاية وسعهم وعنايتهم لتتبع أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله ، ولم يتركوا شيئاً مما يتصل بذلك إلا حفظته ذاكرتهم ، ووعته قلوبهم ، ورونه ألسنتهم ، و وهبهم الله تعالى صبراً على طلب ذلك عند أهله ، والبحث عنه ، مع حافظة واعية ، ونفس صافية ، و بصيرة نافذة ، وقلب متدبر ، وذهن يصل إلى قرارة مايلقى إليه ، و يتفهم المراد مما يسمع ، و يعى حقيقة ماوقع له .

انقضى على هذه الحال عصر الصحابة كلهم رضى الله عنهم ، وصدر من عصر بنى أمية ، بل أكثر عصر بنى أمية ، فلما أفْضَتِ الخلافة فى آخر القرن الأول (عام تسع وتسعين من الهجرة) إلى أمير المؤمنين الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ابن مروان فكر فى الأمر ، ورأى كثيراً من العلماء الذين رَوَوْا حديث رسول الله وأخباره ، وَوَعَوْا علوم المسلمين ، يموتون من غير أن يخلِّفُوا شيئاً من مَرْوِيَّاتهم واجتهاداتهم التى أفْنَوْا فيها أعمارهم ، وأضاعوا فى تحصيلها أكثر أوقاتهم ، وخشى إن دام الحال على ذلك أن تضيع علوم المسلمين ، وتذهب أخبار رسولهم ، ثم قد يكون ذلك سبباً فى الكذب والوضع إذا بعد العهد وطال الزمن ، ورأى مع ذلك أن حجة الصحابة التى كانوا يحتجون بها للنهى عن كتابة الحديث ، وهى الخوف من اختلاط ما ليس من القرآن به ، قد زالت ، وأصبح القرآن محفوظا فى الصدور ، مرويا فى المصاحف ، ثابتا فى جميع الأمصار ، بل رأى أن الأمر قد صار إلى عكس ما كان عليه فى زمن الصحابة ، فلو أنهم سكتوا عن الكتابة كما سكتوا من قبل لذهب العلم وضاعت ثقة المسلمين — إذا طال الزمن — بمايروى لهم منه

وحينئذ كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن حزم — وهو شيخ من شيوخ المحدثين وكبارهم ، وهو شيخ مَعْمَر والليْثِ والأوزاعى ومالك وابن إسحاق وابن أبى ذِئْب — وكان ابن حزم نائب عمر بن عبد العزيز فى الامرة

والقضاء على المدينة ، كتب إليه يقول : « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فانى خفت دُرُوسَ العلم وذهاب العلماء ، وَلاَ تَقْبَلْ إلا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولْتُفْشُوا الْعِلْمَ ، ولْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ من لاَ يَعْلَمُ ، فان العلم لاَ يَهْلِكُ حتى يكون سِرًّا »[1] وأمر عمر بن عبد العزيز أيضاً محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى — وهو أحد أئمة المسلمين ، وعالم الشام والمدينة ، وشيخ مالك وابن أبى ذئب ومعمر والأوزاعى والليث — بتدوين حديث رسول الله ، فَدَوَّن له فى ذلك كتابا

وبدأت حينئــذ حركة التدوين والتصنيف ، وقد بدأت كما ترى بتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان العالم يجمع ما يرويه من الحديث فى كتاب ، غير متقيد بتمييز الموضوعات وضم ما يندرج منها تحت مسألة واحدة أو مسائل متشابهة فى باب على حدة ، وربما صنف أحدهم كتابا من الحديث فى باب واحد من أبواب التشريع[2] وكانت أخبار رسول الله منذ ولادته إلى وفاته بَعْضَ ما عُنى المحدثون بروايته ، كما كانت بَعْضَ ما عُنِىَ العلماء بتدوينه على أنها جزء من الحديث ،

ثم جاء بعد ذلك وقت رتب فيه المحدثون كتبهم ، ونَسَّقُوا تصانيفهم فكانوا يضمون الأحاديث التى يستدل بها على شيء واحد أو على مسائل يجمعها شيء واحد تحت باب واحد ؛ فباب للوضوء ، وباب للصلاة ، وباب للزكاة ، وباب للحج ، وباب للنكاح ، وهلم جرا ، وكان من بين هذه الأبواب باب

---

(١) انظر صحيح البخارى (ج ١ ص ٣١ طبع بولاق)

(٢) روى الحافظ ابن حجر أنه روى عن الشعبى أنه قال : « هذا باب من الطلاق جسيم » وساق فيه أحاديث فقد كان السابق إلى جمع الأحاديث الواردة فى باب واحد

لأخبار النبي صلى الله عليه وسلم يذكرون فيه ما يروونه عن ولادته ورضاعه وما بعدهما إلى بعثته ، ثم يُفَصِّلُون أحواله بعد البعثة فى مكة من دعوة قريش إلى الدين وصبره على إيذائهم له ولأصحابه ، ويفصلون كذلك أخباره فى غزواته وجهاده وبَعْثِهِ الرُّسُلَ ، وغير ذلك ؛ وخصوا ذلك الباب باسم « المغازي والسير »

ثم جاء بعد ذلك دور من أدوار التصنيف كتبت فيه « المغازى والسير » فى مؤلفات خاصة ، وتوفر عليها جماعة من العلماء ؛ وكانوا يقدمون بين يدى أخبار النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من القول فى أخبار الجاهلية كأخبار جرهم ودفن زمزم وحديث قُصَيّ بن كلاب وجَمْعِهِ قريشاً ، ونحو ذلك مما هو شرح لأخبار آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأحوالهم وأحوال من عاصرهم

وقد كان أولَ من كتبوا فى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عُرْوَةُ بن الزبير ابن العوام ، وهو رجال من أشرف قريش نسبا ؛ فأبوه الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، ومن معاصريه أبان بن ذى النُّورَيْن الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وشرحبيل بن سعد أحد موالى الأنصار ، ووهب بن مُنَبِّه ، وهؤلاء الأربعة من علماء القرن الأول من الهجرة ، وقد مات أولهم فى أخريات هذا القرن ، وبقى الثلاثة بعده حتى سلخوا من القرن الثانى قليلا ، إلا شرحبيل ابن سعد ؛ فانه قد حَطَمَ ربع القرن الثانى

ثم جاء من بعد هؤلاء الأربعة طبقة أخرى ، كان أشهر من كتب من علمائها فى سيرة النبي ثلاثة رجال ، وهم عاصم بن قَتَادة المدنى الأنصارى الظفَرِى ، ومحمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزُّهْرِيّ المكى ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، وهو ابن أبى بكر بن حزم الذى

كتب إليه عمر بن عبد العزيز يأمره بتدوين حديث رسول الله ، كما أخبرناك من قبل ؛

ثم جاء بعد هذه الطبقة طبقةٌ أخرى كان أشهر رجالها الذين صنفوا فى هذا الفن موسى بن عقبة المدنى مولى الزُّبَيْرِيِّينَ المتوفى فى سنة إحدى وأربعين ومائة ، ومعمر بن راشد مولى الأزد البصرى اليمنى المتوفى فى سنة خمسين ومائة (ويقال : مات فى عام ١٥٣) ومحمد بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مَخْرَمَةَ بن المطلب ابن عبد مناف ، وهو مؤلف أصل هذه السيرة التى بين أيدينا الآن ، وسنتحدث عنه حديثا مستفيضا فى الترجمة التى نفردها له بعد ذلك إن شاء الله تعالى ، ومحمد ابن عمر بن واقد الواقدى مولى بنى هاشم (ويقال : إنه مولى بنى سهم بن أسلم) المتوفى فى أخريات العقد الأول من القرن الثالث

ثم جاء من بعد هؤلاء محمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى ، وهو راوية الواقدى الذى ذكرناه فى أعيان الطبقة السابقة ، وزياد بن عبد الله البَكَّائى وهو راوية ابن إسحق صاحب أصل هذه السيرة

وجاء من بعد ذلك أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى البصرى المصرى المتوفى فى أخريات العقد الثانى من القرن الثالث أو أوائل العقد الثالث منه ، وهو الذى انتهت إليه سيرة ابن إسحاق ووقف عنده علمها ، وإليه اليوم تنسب ، حتى لم يعد أكثر الناس يعرفها إلا باسم « سيرة ابن هشام » وسنعلم مبلغ أثره فيها متى أفضى بنا القول على هذا الكتاب

وقد ضاعت مصنفات الطبقتين الأولى والثانية ممن ذكرنا فى هذه الكلمة وعدا الزمن عليها فيما عدا عليه من علوم المسلمين ومصنفاتهم ، فلم يعد لنا من هذه الكتب إلا اسمها الذى تجده فى بعض مؤلفات المتقدمين ، وبعض نُقُولٍ عنها تجدها منتثرة فى أثناء مصنفات من جاء بعدهم من العلماء كالطبرى وابن

سعد والواقدى والبَلاَذُرِىّ ، ولولا هؤلاء الأعلام لما علمنا عن تصانيف هاتين الطبقتين شيئا ولا بلغنا من علمهم قليل ولا كثير

فأما الطبقة الثالثة ، فهذا الكتاب الذى نعانى إخراجه اليوم أحد ثمرات رجل من رجالها ، هو محمدبن إسحق ، وإن لم يكن هو المُؤَلِّفَ الذى وضعه محمد ابن إسحاق ، وقد بقى لنا من مصنفات هذه الطبقة أيضا كتاب المغازى الذى صنفه محمد بن عمر الواقدى(١) وأما كتب موسى بن عقبة ومعمر بن راشدفقد لحقت بآثار الطبقتين السابقتين ، والأمرلله الواحدالقهار

فكتاب السيرة الذى نقدمه اليوم للقارئين أقدم أثر وصل إلى أيدينا من آثار علماء الاسلام فى هذا الفن الاسلامى الجليل ، وهذه وحدها ميزة كافية للتوفر عليه ، والمبالغة فى العناية به ، وإحلاله المحل الذى يليق له من الثقة بهوالاعتماد عليه ، صَنَّفَهُ مؤلفه الأول محمدبن إسحاق بن يسار فى أول عهد الخلفاء العباسيين وَهذَّبَهُ مهذبه بعد تأليفه بنصف قرن أو يزيدقليلا ، وهى المدة التى بين وفاتيهما ؛ لأنه يرويه عن مؤلفه بواسطة رجل واحدهو زياد الْبَكَّائِىُّ كما علمت

وليس من شك عندنا ولا عند أحد من الناس أن الكتاب الذى وضعه ابن إسحق أكبر من هذا الكتاب الذى بين أيدينا اليوم وأكثر جمعا ، وبخاصة فى أخبار الجاهلية التى تسبق بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنا لانشك فى أن ابن هشام قد حافظ على عبارة ابن إسحاق فيما أبقاه من الكتاب لم يغير منها كلمة ، والدليل على ذلك تَلْمَسُهُ واضحا فى أنه يذكر لك العبارة ثم يُرْدِفُهَا

---

(١) أخبرنى بعض الاخوان أنه معنى فى هذه الايام بتحقيق هذا الكتاب والتثبت من نسبته إلى صاحبه وضبطه وشرحه ، فاذا هيأ الله له إتمام ذلك كان قد أسدى إلى العلم فضلا عظيما

بقوله : (قال ابن هشام) ثم يذكر تصويبا للفظ وقع فى عبارة ابن إسحاق خطأ ، أو يشرح كلمة غامضة ، أو يذكر رواية أخرى تخالف رواية الأصل ، أو يستشهد على استعمال أسلوب أو لفظ ، أو نحو ذلك مما تقف على مثال له فى كل ورقة من الكتاب ، وهو يبين لك فى بعض الأحايين أنه أسقط فى هذا الموضع كلاما أو أبياتا أو خبرا ، ويذكر لك ماحمله على ذلك ، كأن يقول : « تركنا هنا كلاما لأنه أفحش فيه » أو « تركنا من هذه الكلمة أبياتا لأنه أفحش فيها » وهذا كثير فى الأشعار التى يرويها ابن إسحاق بعد الغزوات ، وليس مايتركه ابن هشام من الشعر خاصا بما قاله المشركون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما ادعى ذلك بعض من يدعى التحقيق من أهل هذا العصر ، بل هو يترك فى كثير من الأحايين من شعر شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هجوا فيه المشركين ؛ لأنه وجد فيه من الاقذاع فى الهجاء مايصرفه عن عن روايته (انظر الجزء الثانى ص ٣٨٥ و ٣٨٧ من هذه المطبوعة) (١) وهذا أمر من الأمور التى أكبرنا شأنها وعظم عندنا من أجلها ابن هشام ؛ فانك ترى من ذلك روح الانصاف والعدل ؛ فكما يحذف من شعر المشركين لأن قائليه قد أقذعوا فيه يترك كذلك من شعر أصحاب النبي لأنهم أقذعوا فيه ، فَلْيُهَوِّن على أنفسهم أولئك الذين يرمون علماء المسلمين بالتعصب والعصبية ، وبأنهم نقصوا الأخبار من أطرافها وحذفوا ماقيل فى الرسول كثيرا ، وليعلموا أن المسلمين كانوا أحب الناس للنصفة ، وأكثرهم تقديرا للعلم ، وأعلاهم كعبا فى بناء صروح الانسانية الكاملة ، وأقدر العالمين على تناسى الاحقاد وانتباذ الضغائن حينما يعمدون إلى تدوين العلم وشرح مسائله .

---

(٢) وانظر كذلك (الجزء الثانى ص ٣٧٢ و ٤٠٥ من هذه المطبوعة) فقد ترك أبياتا لأن الاقذاع من المشركين بعكس الأول

وقد ترك ابن هشام مما كتبه ابن إسحاق قسما كبيرا لم يكن فى كتابته غناء ولا نفع ، ولا هو فى جملته وتفصيله مما يحتاجه الناس أو تقوم على صحته الأدلة العلمية ، وذلك حديث ماقبل إسماعيل بن إبراهيم من بدء الخليقة ، وحديث أبناء إسماعيل على التفصيل ، وأخبار ليست من سيرة النبى فى شىء ، ولا هى مؤدية فى جملتها وتفصيلها إلى شىء من ذلك ، وترك كذلك أشعارا لم يجد أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وإن كان قد أبقى من هذ النوع كثيرا ، غير أن الاعتذار عنه أمر قريب ، فهو حين يذكر شعرا من هذا النوع ينبه بعد روايته أو قبلها بأنه لم ير أحدا من أهل العلم بالشعر يثبتها لمن نسبت إليه ، وتجد ذلك كثيرا فى الشعر الذى يذكر بعد الغزوات ، ونحن نترك لك ابن هشام نفسه يحدثك عن مبلغ أثره فى سيرة ابن إسحاق ، فقد قال [1] : « وأنا — إن شاء الله — مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن وَلَدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده وأولادهم لأصلابهم الأولَ فالأولَ من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة ؛ للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتارك بعض ماذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشىء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه ؛ لما ذكرت من الاختصار ، وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذِكْرُهُ ، وبعض لم يُقِرَّ لنا الْبَكَّائِىُّ بروايته ، وَمُسْتَقْصٍ — إن شاء الله تعالى — ماسوى ذلك منه ؛ بمبلغ الرواية له والعلم به » اهـ كلامه بحرفه

(١) انظر الجزء الأول (ص ٢) من هذا الكتاب

وهذا عمل يستحق الحمد والثناء ، وهو وحده مجهود ليس بالقليل ، وهو مع جلالته وما يحتاجه من الجهد ليس كل ماصنع ابن هشام فى سيرة ابن إسحاق ، بل هو يتجاوز ذلك إلى تحقيق الأعلام ، وذكر أوهام ابن إسحاق ، وما وقع له من الروايات التى تخالف مارواه صاحب الأصل ، سواء فى ذلك أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها ، ويعلق على عبارات السيرة تعليقات من اللغة والنقد تدل على سعة اطلاع وكبير فضل ، وإن لم يكن نقده الذى وجّهه إلى ابن إسحاق أحيانا مما يشبع نَهْمَةَ الذين يطلبون التحقيق العلمى ، والتأكد من صحة الروايات ، ولسنا نشك فى أن ابن هشام لو أراد ذلك لما استعصى عليه ؛ فقد كانت طرق النقد الدقيقة وبحث أحوال الرواة قد وضع المحدثون مبادئها وشرعوا فى ترتيب أصولها ، ذلك بعض صنيع ابن هشام فى سيرة ابن إسحاق ؛ فلا جرم صارت نسبة السيرة إليه ليست من اغتصاب آثار السلف وانتحالها ، ولم يعد لنا أن نعد على العلماء عَدَّهم هذا الكتاب من تصانيف ابن هشام

وقد لقيت هذه السيرة من نباهة الذكر مالم يلقه كتاب آخر من كتب السيرة ، سواء فى ذلك الكتب التى شاركتها فى زمان التأليف والتى جاءت بعدها ، وقد كانت ولاتزال إلى اليوم من أمهات المراجع لتأريخ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ كما لقيت من عناية العلماء بشرح حوادثها وأبياتها والتعليق على أحاديثها وتخريجها وضبط كلماتها الشىء الكثير ، كما لقيت من إقبال أهل العلم على قراءتها ماهى جديرة به ، وبحسبك أن تعلم أنها قد طبعت فى أوربا مرة وفى مصر مرارا وأنك تبحث الآن عن نسخة فلا تجدها بعد البحث الطويل

ولقد كان من سوالف الأقضية أنى عُنيت منذ سنين بقراءة هذا الكتاب ، وصححت كثيرا مما أصابه من التحريف ، بالرجوع إلى نسخ كثيرة منه وإلى كثير من كتب السيرة والتأريخ التى تنقل عبارة ابن إسحاق بحروفها كالطبرى ،

وانتفعت فى هذا الباب بكتاب « معجم البلدان » لياقوت ؛ فانه يذكر فى الكلام على الأماكن التى وردت فى السيرة عِبارَةَ ابن إسحاق ويبين مافيها من الخلاف، ويضبط ذلك كله ، وستقف على ذلك فى مواضعه من التعليقات ، وانتفعت بغيره مما أشرت إليه فى كثير من التعليقات ، انتفعت أحيانا بشروح هذا الكتاب ، وبشرح الزرقانى على «الشمائل المحمدية» الذى يذكر كثيرا عبارة ابن إسحاق ويضبط فى الغالب حروفها ، وكان من الضرورى أن أكتب عليه تعليقات تبين هذا العمل وتذكر مراجعه ، وبقى الكتاب فى مكانه عندى مدة طويلة ، ثم رغب إلىّ الحاج مصطفى بن محمد صاحب المكتبة التجارية أن آذن له فى أن يطبع الكتاب عن نسختى ، ويطبع معه ما كتبت من تعليقات وتصويبات ، وأن أقوم بمراجعة ذلك ، فتردَّدْتُ طويلا ، واعتذرت له بكثرة أعمالى ومشاغلى الدراسية ، وما زال يلحف فى طلب ذلك حتى أجبته إلى ما رغب فيه ، وحينئذ رجعت إلى نسختى وراجعت ما كنت كتبته وعاودت الرجوع إلى أصول ذلك ، فربما زدت شيئا لم أكن — حين قراءتها — أرى الحاجة تدعو إليه ، وربما أسقطت من تعليقاتى بعض ما كنت قد كتبته . وكان أهم ما صنعته فى المقابلة الأخيرة أننى قارنت بعض نسخ الكتاب ببعض ؛ فما وجدته من خلاف : فان كان بزيادة كلمة أو أكثر وكان إثبات هذه الزيادة لا يغير الأسلوب أثبتُّ هذه الزيادات بين قوسين معقوفين هكذا [ ] وإن كانت الزيادة تغير الأسلوب تركتها ونبَّهْتُ عليها فى التعليقات ، وإن كان الاختلاف بتغيير لفظ بلفظ أو عبارة بعبارة أثبَتُّ أقرب اللفظين إلى المعنى المراد ، ونَبَّهْتُ على النسخة الأخرى فى الشروح والتعليقات ، ولَكَمْ كنت أرجو أن يكون من عملى الذى قمت به لخدمة الكتاب المقارنة بين رواياته المختلفة ، وبحثها من الجهة العلمية ، وبيان إمكان

ثبوتها أو تعذره ، ولـكنى لم أجد من وقتى ما أستطيع أن أؤدى فيه هذا العمل الجليل ؛ فتركت هذا إلى وقت آخر أرجو أن يكون قريبا

وبحسبي اليوم أنى ضَبَطْتُ آيات القرآن الكريم ، ودَلَلْتُ على موضعها من المصحف الذى قامت بطبعه ونشره الحكومة المصرية ؛ فوضعت قبل كل آية أو آيات رقم السورة والآية أو الآيات ، وضبطت أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وماورد فى الكتاب من الشعر ، ولم أترك من ذلك كله كلمة إلا ضبطتها ضبطاً كاملا ، وضبطت بعد ذلك غريب الكلمات والمشكل من الأعلام ثم شرحت الشعر كله ، وشرحت غريب السيرة ، وأنا أرجو — بعد ذلك كله — أن أكون قد أسديت إلى الكتاب خدمة أنال بها مثوبة الله تعالى ورضوانه وشفاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

وإن أنس لا أنس صنيع أخى الأستاذ الشيخ محمد على النجار أحد علماء الجامع الأزهر فقد تفضل فأعارنى نسخته التى عُنى بقراءتها ومقابلتها على عدة نسخ وقضى فى ذلك وقتا ليس بالقصير ، فكانت إحدى النسخ التى رَاجَعْتُ عليها أصول هذه المطبوعة ؛ فجزاه الله تعالى عنى وعن المنتفعين بهذا الكتاب خير الجزاء

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ، وَمَا يَخْفَى عَلَى ٱللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلاَ فِي ٱلسَّمَاءِ ......

رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ .....

كتبه أبو رجاء

محمد محيي الدين عبد الحميد

المدرس فى كلية اللغة العربية فى الجامع الأزهر

ترجمة الامامين الجليلين

أبى عبد الله محمـــد بن إسحاق بن يسار

وأبى محمد عبد الملك بن هشام

ابن إسحاق

هو أبو عبد الله (ويقال : أبو بكر [1]) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار (ويقال : ابن كوتان) المؤلِّفُ الثَّبْتُ الحافظ المتفنن ، عمدة من أتى بعده ، وأوحد من عاصره جمعا لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث مغازيه ، حتى قال فيه الزهرى : « لايزال بالمدينة علم جم ما كان فيهم ابن إسحاق » وقال فيه الأمام الجليل محمدبن إدريس الشافعى : «من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق » وقال فيه أبومعاوية : « كان ابن إسحق من أحفظ الناس ، وكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر جاء فاستودعها محمد بن إسحاق وقال : احفظها علىّ ، فان نسيتُهَا كنت قد حفظتها على » وقال فيه عبدالله بن فايد : « كنا إذا جلسنا إلى محمد بن إسحاق فأخذ فى فَنٍّ من العلم قضى مجلسه فى ذلك الفن »

أصله ومنشؤه ورحلته

كان يسار بن خيار جدُّ [2] محمد بن إسحاق مَوْلًى لقيس بن مَخْرَمَةَ [3] ابن المطلب بن عبد مناف من أصل فارسى ، أُسر فى عام اثنى عشر من الهجرة ، فى عين التمر — وهى بلدة قريبة من الأنبار غربىّ الكوفة ، يُجْلَب منها

---

(١) قال الخطيب البغدادى (ج ١ ص ٢١٤) : « محمد بن إسحاق .... يكنى أبا بكر ، وقيل : أبا عبدالله » اهـ وروى (فى ص ٢١٦) روايات متعددة يثبت بعضها أن كنيته أبو بكر ، ويثبت بعضها أن كنيته أبو عبد الله

(٢) وفى بعض روايات الخطيب البغدادى (ج ١ ص ٢١٦) أن الذى كان مولى هو أبو جده خيار

(٣) وفى رواية للخطيب عن مصعب بن عبد الله أن ولاء يسار كان لعبد الله ابن قيس بن مخرمة

القَسْبُ والتمر إلى سائرالبلاد ، وهما بها كثير — وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه قد غزاها فى هذا العام ، فافتتحها عنوة فسبى نساءها وقتل رجالها ، وكان من سَبْى هذه الموقعة سيرين أم محمد بن سيرين ، ويَسَار جدمحمدبن إسحق ، وحمران مولى أبان بن عثمان بن عفان ، فلما قدم خالد المدينة بأسراه — وكان أول سبى دخل المدينة من العراق — صار ولاء يسار إلى قيس بن مخرمة وعاش فى المدينة .

وفى المدينة ولد محمد بن إسحاق عام خمس وثمانين على الراجح ، وفيها نشأ حتى أدرك سن الشباب ، وفيها لقى كثيراً من العلماء الذين أخذ عنهم كالقاسم ابن محمد بن أبى بكر ، ونافع مولى ابن عمر ، وابن شهاب الزهرى ، ومحمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وأبان بن عثمان بن عفان ، وعبد الله ابن هُرْمُز

وفى عام (١١٥) من الهجرة رحل إلى الأسكندرية فلقى فيها كثيرا من أساطين علمائها ، مثل يزيد بن أبى حبيب ، وعبيد الله بن أبى جعفر ، والقاسم بن قزمان ، وعبيد الله بن المغيرة

ثم رحل بعد ذلك إلى نواح كثيرة : فرحل إلى الرى والكوفة والجزيرة والحيرة

ثم رحل إلى العراق ، وطابت له فيها الحياة ، فاطمأن إلى البقاء بها ، وفيها اتصل بأمير المؤمنين أبى جعفر المنصور (١) وصنف كتاب السيرة بأمره لابنه ، قال الخطيب (٢) البغدادى : « دخل محمد بن إسحق على المنصور وبين يديه

---

(١) فى بعض روايات الخطيب أنه دخل على المهدى ، ثم أنكرها ، وقال : لعل الراوى أراد المنصور وبين يديه المهدى

(٢) الذى فى الأصل « دخل محمد بن إسحاق على المهدى وبين يديه ابنه » ثم

ابنه المهدى ، فقال له : أتعرف هذا ياابن إسحاق ؟ قال : نعم ، هذا ابن أمير المؤمنين ، قال : اذهب فصنف له كتابا منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا ، فذهب فصنف له هذا الكتاب ، فقال : لقد طولته ياابن إسحاق ، اذهب فاختصره ، فذهب فاختصره ؛ فهو هذا الكتاب المختصر ، وألقى الكتاب الكبير فى خزانة أمير المؤمنين » اه

أقوال العلماء فيه

كان علماء عصر ابن إسحاق فى شأنه فريقين : فكان أحد الفريقين يطريه ويثنى عليه ، ويصف علمه وحفظه وحسن حديثه ، وكان الآخر يشنع عليه ويزرى به وينقص من شأنه ، وكان على رأس الفريق الثانى إمام المدينة مالك بن أنس وهشام بن عروة بن الزبير ، وكان من الفريق الأول سفيان الثورى ، وابن شهاب وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وإبراهيم بن سعد ، وابن المبارك ، وقد ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد شيئا كثيراً من أقوال الفريقين فيه ، وذكر بعض السبب فى تجريح بعض العلماء له ، فارجع إليه إن شئت فلسنا نريد أن نطيل عليك ، ولكنا مع هذا لا نضن بذكر لمحة عاجلة نبين فيها سبب هذه العداوة ونتائجها :

كان محمد بن إسحاق قد روى حديثا عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبى بكر ، وكانت فاطمة بنت المنذر زوج هشام بن عروة بن الزبير ، فغاظ ذلك هشاما وأخذ يطعن على ابن إسحاق ويكذبه؛ يريد بذلك أن ينفى أنه رأى امرأته ، فكان يقول : « ألعدو الله الكذاب يروى عن امرأتى ؟ وأين رآها ؟ » وكانت هذه الحملة من هشام غير مرضية ولا مقبولة، ولا كان للغيرة التى ألهبت صدر هشام عليه

قال : « قال أبو بكر : هكذا قال الراوى : دخل ابن إسحاق على المهدى وبين يديه ابنه ، وفى ذلك عندى نظر ، ولعله أراد أن يقول : دخل على المنصور وبين يديه المهدى ابنه ؛ لأن ذلك أشبه بالصواب » اه

أصل ، وأى شيء فى أن يروى رجل عن امرأة ، ومثل ذلك يقع كثيرا فى ذلك العصر ؟ أفلم يسمع رواية المسلمين عن أمهات المؤمنين ، على أن رواية ابن إسحاق نفسه عن فاطمة بنت المنذر لاتثير شكا ولا تبعث فى نفس أحد ريبا ، فانها كانت تكبره بسبعة وثلاثين سنة ، حتى قال الأمام أحمد بن حنبل فى تخطئة هشام فيما قاله « وما ينكر هشام ؟ لعله جاء فاستأذن عليها فأذنت له »

وأما حنق مالك بن أنس رضى الله عنه على ابن إسحاق فقد كان له سببان ؛ فقد كان ابن إسحاق يجرح مالكا فى نسبه ؛ ويزعم أنه مَوْلىً من موالى بنى تَيْم بن مُرّة ، وقد كان بعد ذلك يطعن في علم مالك ، روى الخطيب البغدادى[1] قال : « قال ابن إدريس : قلت لمالك بن أنس ـ وذكر المغازى — قال ابن إسحاق : أنا بَيْطَارُها ، فقال : قال لك أنا بَيْطارها نحن نفيناه من المدينة » وحدث الخطيب أيضا عن عبد الله بن نافع[2] أن ابن إسحاق كان يقول : « ائتونى ببعض كتب مالك حتى أبين عيوبه ، أنا بيطار كتبه » اه فكان هذان الأمران سببا فى أن ينطلق لسان مالك رحمه الله فينال من عرض ابن إسحاق ويجرحه ، وكم كنا نتمنى أن يكون شأن علماء هذه الأمة التى شرفها الله تعالى بالشهادة على الأمم جميعا ، وآتاها من العلم مالم يؤت أحدا من الناس ، على غير هذا الشأن الذى رأيت منه مثالا فى عرض حياة ابن إسحاق ، ولكن أراد الله ولا راد لارادته أن يدب إلينا داء الأمم فتفشو فينا بعض الهنات منذ القدم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

وفاة ابن إسحاق

وقد اختلف الرواة فى تحديد الزمن الذى توفى فيه ابن إسحاق ، وقد ساق[3]

(١) انظر الجزء الأول (ص ٢٢٣)
(٢) انظر الجزء الأول (ص ٢٢٤)
(٣) انظر الجزء الأول (ص ٢٣٢ ، ٢٢٣)

الخطيب البغدادى روايات عدة على أن وفاته كانت سنة خمسين ومائة ، كما ساق روايات أخرى تدل على أن وفاته كانت فى سنة إحدى وخمسين ، أو اثنتين وخمسين ، أو أربعة وخمسين ؛ ورجح ابن تغرى بردى أن وفاته فى سنة إحدى وخمسين ومائة ، قال [1] : « وفيها توفى محمد بن إسحاق بن يسار ، على قول ، وهو الأصح » اه

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وجزاه الله تعالى عن سنة رسوله التى قضى حياته فى طلبها والانقطاع لها أحسن الجزاء

(١) انظر النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٦)

ابن هشام :

هو أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى المُعَافِرِيُّ (وقيل الذُّهْلِي [1]) المشهور بحمل العلم وروايته ، المتقدم فى علم النحو والنسب ، الْبَصْرِىُّ الْمِصْرِىُّ

أصله من البصرة ، وبها وُلِد ، وفيها درج ونشأ ، ثم رَحَلَ إلى مصر والتقى فيهـا عالم قريش غيرمدافع الامام محمد بن إدريس الشافعى ، وتناشدا من أشعار العرب الشىء الكثير

وقد روى ابن هشام سيرة ابن إسحاق عن الحافظ المتقن أبى محمد زياد بن عبد الله بن الطفَيْل البكائى العامرىُّ الكوفى المتوفى فى عام ثلاث وثمانين ومائة من الهجرة ، وكان زياد أَتْقَنَ من روى السيرة عن ابن إسحاق [2] ، وقد كان ابن هشام يقدر إتقان زياد حقَّ قدره ، وليس أدل على ذلك من قوله : « وأنا تارك أشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يُقِرَّ لنا البكائى بروايته » اه

وصنف ابن هشام — سوى تهذيبه سيرة ابن إسحاق — كتابا فى أنساب حمير وملوكها ، وكتابا فى شرح ماوقع فى أشعار السير من الغريب [3]

قال ابن خلكان : « وابن هشام هذا هو الذى جمع سيرة رسول الله صلى

---

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٣٦٥)

(٢) انظر النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١١١)

(٣) انظر ابن خلكان فى المكان السابق ذكره ، وقد ذكر أصحاب دائرة المعارف الاسلامية له كتابا فى قصص الأنبياء وملوك عرب الجنوب اسمه «التيجان» ونقول : هو مطبوع فى الهند

الله عليه وسلم من المغازى والسير لابن إسحاق وهذبها ولخّصها ، وهى السيرة الموجودة بأيدى الناس المعروفة بسيرة ابن هشام » اه

وقال السيوطى فى بغية الوعاة (ص ٣١٥) : « أبو محمد عبد الملك بن هشام البصرى النحوى نزيل مصر ، مهذب السيرة النبوية ، سمعها من زياد البكائى صاحب ابن إسحاق ونقحها وحذف من أشعارها جملة » اه

وقد توفى رحمه الله فى مصر بالفسطاط ، وللعلماء فى تاريخ وفاته خلاف فمنهم من يذكر أنه توفى لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة ومائتين ، ومنهم من يذكر أنه توفى فى سنة ثلاث عشرة ومائتين

رحمه الله تعالى ، وأسبغ عليه فضله ورضوانه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكى : من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى آدم عليه السلام [1]

نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام [النحوى][2] : هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (واسم عبد المطلب شَيْبَةَ) بن هاشم (واسم هاشم عَمْرو) بن عبد مَنَاف (واسم عبد مناف الْمُغِيرَةُ) بن قُصَىٍّ [واسم قصى زيد][2] بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَىٍّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (واسم مدركة عامر) بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أُدّ [ويقال أُدَدَ][2] بن مُقَوِّم بن ناحور بن تَيْرَح بن يَعْرُب بن يَشْجُب بن

(١) روى عن عروة بن الزبير أنه قال «ماوجدنا أحدا يعرف مابين عدنان وإسماعيل» وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لايعرفون » وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال « إنما ننتسب إلى عدنان ، ومافوق ذلك لا ندرى ماهو » وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوزه ، بل قد روى من طريق ابن عباس أنه لما بلغ عدنان قال « كذب النسابون » مرتين أو ثلاثا . وقد كره مالك وجماعة من العلماء أن يرفع الرجل نسبه إلى آدم ، من قبل أن هذا كله من باب التخرص والظنون التى لايمكن أن يوثق بها ، ثم إن هـذه الأسماء المذكورة قد اختلف فيها وفى ضبطها اختلافا كبيراً

(٢) زيادة فى بعض نسخ الكتاب

نابت بن إسمعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح (وهو آزَرُ) بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن إرْفَخْشَذبن سام بن نوح بن لَمْك بن مَتُّوشَلَخَ بن أخنوخ (وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون ، والله أعلم ، وكان أول بنى آدم أُعْطِى النبوة وخَطَّ بالقلم) بن يَرْد بن مَهْليل بن قَيْنَن بن يَانِش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائى ، عن محمد بن إسحق المطلبى ، بهذا الذى ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى آدم عليه السلام ، وما فيه من حديث إدريس وغيره

قال ابن هشام : وحدثنى خَلَّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدوسى ، عن شيبان ابن زهير بن شقيق بن ثور ، عن قتادة بن دعامة أنه قال : إسمعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح (وهو آزر) بن ناحور بن أسْرغ بن أرغو ابن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن مَتُّوشلخ ابن أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام: وأنا ـ إن شاء الله ـ مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسمعيل ابن إبراهيم ومن وَلَدَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم من وَلَدِهِ وأولادهم لأصلابهم: الأوّلَ فالأولَ من إسمعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسمعيل على هذه الجهة ؛ للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم فيه ذِكْرٌ ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه ؛ لما ذكرت من الاختصار ، وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يَشْنُعُ الحديث به ، وبعض يسوء بعضَ الناس ذِكْرُه ، وبعض لم يُقِرَّ لنا البكائي بروايته ، ومُسْتَقْصٍ — إن شاء الله تعالى — ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به

سياقة النسب من ولد إسمعيل عليه السلام

أبناء إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحق المطلبي ، قال : وَلَدَ إسمعيلُ بن إبراهيم عليهما السلام اثنى عشر رجلا : نابتا (وكان أكبرهم) وقيذر ، وأذبل ، ومبشا ، ومسمعا ، وماشى ، ودمَّا ، وأذر ، وطيما ، ويطور ، ونبش ، وقَيْذُمَا ، وأمهم رَعْلَة بنت مُضاض بن عمرو الجرهمى ؛ قال ابن هشام : ويقال : مِضَاض ؛ وجرهم : ابن قحطان (وقحطان أبو اليمن كلها ، وإليه يجتمع نسبها) بن عابر بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح

قال ابن إسحق : جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالخ ، ويقطن هو قحطان ابن عيبر بن شالخ

قال ابن إسحق : وكان عُمْرُ إسمعيل — فيما يذكرون — مائة سنة وثلاثين سنة ، ثم مات رحمة الله وبركاته عليه ، ودفن فى الحِجْرِ مع أمه هاجر ، رحمهم الله تعالى

قال ابن هشام : تقول العرب هاجر وآجر ، فيبدلون الألف من الهاء ؛ كما قالوا : هراق الماء وأراق الماء ، وغيره ، وهاجر : من أهل مصر

وصاة النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر

قال ابن هشام : حدثنا عبدالله بن وهب ، عن عبد الله بن لهيعة ، عن عمر مولى غُفْرَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اللهَ اللهَ فِي أَهْلِ الذِّمَّةِ أَهْلِ الْمَدَرَةِ السَّوْدَاءِ السُّحْمِ الْجِعَادِ ؛ فَإِنَّ لَهُمْ نَسَباً وَصِهْراً » قال عمر مولى غفرة : نَسَبُهُمْ أَنَّ أُمَّ إسمعيل النبي صلى الله عليه وسلم منهم ، وصِهْرُهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تَسَرَّر فيهم ، قال ابن لهيعة : أُمُّ إسمعيل هَاجَرُ من أمِّ العرب قَرْيَةٍ كانت أمام الْفَرَمَا من مصر ، وأُمُّ إبراهيم (١) مارِيَةُ سُرِّيَّةُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم التى أهداها له المقوقس من (٢) حَفْن من كورة أَنْصِنَا

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ثم السلمى ، حدثه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْراً فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً » فقلت لمحمد بن مسلم [الزهرى] : مَا الرَّحِمُ التى ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم ؟ فقال : كانت هَاجَرُ أُمُّ إسمعيل منهم

قال ابن هشام : فالعرب كلها من ولد إسمعيلَ وقَحْطَانَ ، وبعض أهل

---

(١) هو إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) « حفن » قال ابن الأثير : هى بفتح الحاء وسكون الفاء والنون ، قرية من صعيد مصر ، ولها ذكر من حديث الحسن بن على مع معاوية اهـ ؛ وحديث الحسن الذى أشار إليه ذكره أبو عبيدة فى كتاب الأموال . ومغزاه أن الحسن بن على خاطب معاوية فى أن يضع الخراج عن أهل حفن حفظا لوصية رسول الله بهم ورعاية لحرمة الصهر . وأنصنا ـ بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الصاد ـ مدينة فى صعيد مصر ينسب إليها كثير من أهل العلم



اليمن يقول : قَحْطَانُ من ولد إسمعيل ، ويقول : إسمعيل أبو العرب كلها

قال ابن إسحق : عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وطَسْمٌ وعِمْلَاق وأُمَيْم بنو لَاوَذ بن سام بن نوح ، عَرَبٌ كُلُّهُمْ

فولد نابت بن إسمعيل يَشْجُبَ بن نابت ، فولد يشجب يَعْرُبَ بن يشجب ، فولد يعربُ تيرحَ بن يعرب ، فولد تيرحُ ناحورَ بن تيرح ، فولد ناحورمقوم بن ناحور ، فولد مقوم أُدَدَ بْنَ مقوم ، فولد أددُ عدنانَ بن أدد

قال ابن هشام : و يقال عدنان بن أدّ

قال ابن إسحق : فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام ؛ فولد عدنان رجلين : مَعَدَّ بْنَ عدنان ، وعَكَّ بْنَ عدنان

قال ابن هشام : فصارت عكٌّ فى دار اليمن ، وذلك أن عكًّا تزوج فى الأشعريين ، فأقام فيهم ، فصارت الدار واللغة واحدة ، والأشعريون : بنو أشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ويقال : أَشْعَرُ نَبْتُ بن أدد ، ويقال : أشعر بن مالك ، (ومالك مذحج ابن أدد بن زيد بن هميسع) ، ويقال : أشعر بن سبأ بن يشجب

وأنشدنى أبو محرز خلفٌ الأحمرُ وأبو عبيدة لَعَبَّاسِ بن مرداس أحد بنى سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان يفخر بعَكّ : —

وَعَكُّ بْنُ عَدْنَانَ الَّذِينَ تَلَقَّبُوا * بغَسَّانَ حَتَّى طُرِّدُوا كُلَّ مَطْرِدِ

وهذا البيت فى قصيدة له

وَغَسَّان : ماء بسَدِّ مَأْرِب باليمن ، كان شِرْبًا لولد مازن بن الأَسْد ابن الْغَوْث ، فسمُّوا به ، ويقال : غَسَّان ماء بالْمُشَلَّل قريبٌ من الْجُحْفَة ، [1] والذين شربوا منه فسموا به قبائل من ولد مازن ابن الأسد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، قال حسان بن ثابت الأنصارى (والأنصار : بنو الأوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسْدِ بن الغوث) : —

إمَّا سَأَلْتِ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُجُبٌ * الْأَسْدُ نِسْبَتُنَا وَالْمَاءُ غَسَّانُ [2]

---

(١) نقل ياقوت فى معجم البلدان هذين القولين فى بيان موقع غسان عن ابن إسحاق مؤلف الأصل كما هنا مع اختلاف يسير ، ثم زاد بعد ذلك « وقال نصر : غسان ماء باليمن بين رمع وزبيد ، وإليه تنسب القبائل المعروفة » اه

(٢) فى المعجم « الأزد نسبتنا والماء غسان » بالزاى فى قوله « الأزد » وكلاهما صحيح ، فانه يقال « الأسد » بالسين ، و « الأزد » بالزاى ، وهما بفتح فسكون ، وقبل هذا البيت قوله : —

يَا بِنْتَ آلِ مُعَاذٍ إِنَّنِي رَجُلٌ   مِنْ مَعْشَرٍ لَهُمُ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانُ
شُمِّ الْأُنُوفِ لَهُمْ عِزٌّ وَمَكْرُمَةٌ   كَانَتْ لَهُمْ مِنْ جِبَالِ الطودِ أَرْكَانُ

وتنسب هذه الأبيات الثلاثة لسعد بن الحصين جد النعمان بن بشير ، كما تنسب لحسان .

وهذا البيت فى أبيات له

فقالت اليمن وبعض عك ، وهم الذين بخراسان منهم : عك بن عَدْنان (١) بن عبد الله بن الأسد بن الغوث ، ويقال : عُدْثَان [بن الديث (٢)] بن عبد الله بن الأسد بن الغوث

أبناء معد ابن عدنان

قال ابن إسحق : فولد معد بن عدنان أربعة نفر : نِزَارَ بن معد ، وقُضَاعة بن معد (وكان قضاعة بِكْرَ معد الذى به يُكْنَى فيما يزعمون) وقُنُصَ بْنَ معد ، وإياد بن معد ؛ فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ (وكان اسمُ سبأ عَبْدَ شمس ، وإنما سمى سبأ لأنه أول من سبأ فى العرب) ابن يشجب بن يعرب بن قحطان

قضاعة

قال ابن هشام : فقالت اليمن : وقضاعة : قضاعة بن مالك بن حمير ،

(١) هكذا ضبطه قوم منهم الجوهرى ، وذكر الخشنى فى الشرح عن أبى على الغسانى ، والسهيلى عن الدار قطنى عن ابن الحباب أنه « عك بن عدثان» بضم العين المهملة وبعد الدال ثاء مثلثة — وقال فى القاموس :«وعك ابن عدثان — بالثاء المثلثة — ابن عبد الله بن الأزد ، وليس أخا معد ، ووهم الجوهرى » اه وهذا الذى ذكر المجد أنه من أوهام الجوهرى هو الذى صرح به ابن إسحاق فى صدر كلامه ، وقال ابن منظور : « وعك بن عدنان أخو معد ، وهو اليوم فى اليمن ، هذا قول الليث ، وقال بعض النسابين : إنما هو معد بن عدنان ، فأما عك فهو ابن عدثان — بالثاء — وعدثان بالثاء من ولد قحطان ، وعدنان بالنون من ولد إسماعيل » اه وارجع إلى شرح القاموس ففيه ذكر جمهرة من العلماء قالوا عك بن عدنان كالجوهرى والليث

(٢) الديث : هو بكسر الدال وآخره ثاء مثلثة ، ووقع فى نسخة الخشنى بالراء المهملة وضبطه بالشكل مفتوحا ، وهو خطأ ، وقد ذكر بعضهم أنه الذئب - بذال معجمة بعدها همزة فباء موحدة - وانظر التاج ، وسقط هذا الأب من بعض النسخ ، كما سقط من كلام المجد فى القاموس

وقال عمرو بن مرة الجهنى (وجهينةُ : ابن زيد بن ليث بن سَوْد بن أسلم بن إلحاف بن قضاعة) : —

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْهِجَانِ الْأَزْهَرِ * قُضَاعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِمْيَرِ
النَّسَبِ الْمَعْرُوفِ غَيْرِ الْمُنْكَرِ * فِي الْحَجَرِ الْمَنْقُوشِ تَحْتَ الْمِنْبَرِ

قال ابن إسحق : وأما قُنُصُ بن معد فهلكت بقيتهم فيما يزعم نُسَّابُ معد ، وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة

النعمان بن المنذر ملك الحيرة من ولد قنص بن معد

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُصِ بن معد (قال ابن هشام : ويقال : قَنَص)

جبير بن مطعم يذكر لعمر نسب النعمان

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن شيخ من الأنصار من بنى زريق ، أنه حدثه ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أُتِيَ بسيف النعمان بن المنذر دعا جُبَيْرَ بنَ مُطْعِمِ بن عَدِيِّ بن نوفل بن عبد مناف بن قُصَيٍّ (وكان جبيرٌ من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذتُ النسب من أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب فسلَّحَهُ إياه) ثم قال : مِمَّنْ كان ياجُبَيْرُ النعمانُ بْنُ المنذر ؟ فقال : كان من أشلاء قَنَص ابن معد

سائر العرب يزعمون أن النعمان من لخم

قال ابن إسحق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلا من لَخْم من ولد ربيعة بن نصر ، فالله أعلم أى ذلك كان

نسب لخم

قال ابن هشام : لخم : ابن عدى بن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد ابن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال :

لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ ، ويقال : ربيعة بن نصر بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر ، وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن

أمر عمرو بن عامر فى خروجه من اليمن وقصة سد مأرب

أمر مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن ، فيما حدثنى أبو زيد الأنصارى ، أنه رأى جُرَذاً يحفر فى سد مأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضيهم ، فعلم أنه لابَقَاءَ للسَّدِّ على ذلك ، فاعتزم على النقلة من اليمن ، فكاد قومه ، فأمر أصغر ولده إذا أغْلَظَ عليه ولَطَمَه أن يقوم إليه فيلطمه ، ففعل ابنه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقيم ببلدٍ لَطَمَ وجهى فيه أصغرُ ولدى ، وَعَرَضَ أمواله ، فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتنموا غَضْبَةَ عمرو ، فاشتروا منه أمواله ، وانتقل فى ولده وولد ولده ، وقالت الأَزد : لانتخلف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم وخرجوا معــــه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان ، فحاربتهم عك ، فكانت حربهم سجالا ، ففى ذلك قال عباس ابن مرداس البيت الذى كتبنا ، ثم ارتحلوا عنهم، فتفرقوا فى البلدان : فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ، ونزلت الأوس والخزرج يثرب ، ونزلت خُزاعة مَرًّا ، ونزلت أزدُ السراةِ السراةَ ، ونزلت أزْدُ عُمَانَ عُمَانَ ، ثم أرسل الله تعالى على السد السيلَ فهدمه ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٣٤ : ١٥-١٦) (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ)

والعرم : السد ، واحدته عَرِمة ، فيما حدثنى أبو عبيدة ، قال الأعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل [بن قاسط] بن هِنْبِ بن أفْصَى بن جَدِيلَةَ بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معَدّ (قال ابن هشام : ويقال أفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلَة) ، واسْمُ الأعشى مَيْمُونُ بن قيس بن جَنْدَل بن شَرَاحِيلَ بن عَوْف بن سَعْدِ بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة (١) : —

وَفِى ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِى أُسْوَةٌ * وَمَأْرِبُ عَفَّى عَلَيْهَا الْعَرِمْ
رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ * إِذَا جَاءَ مَوَّارُهُ لَمْ يَرِمْ
فَأَرْوَى الزُّرُوعَ وَأَعْنَابَهَا * عَلَى سَعَةٍ مَاؤُهُمْ إِذْ قُسِمْ
فَصَارُوا أَيَادِىَ مَا يَقْدِرُو * نَ مِنْهُ عَلَى شُرْبِ طِفْلٍ فُطِمْ

وهذه الأبيات فى قصيدة له (٢)

---

(١) الذى فى شرح ديوان الأعشى لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب أنه « ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة » وفى شرح القصائد العشر للخطيب التبريزى أبى زكريا يحيى بن على أنه « ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة » بزيادة قيس بين ضبيعة وثعلبة عما فى شرح الديوان ، وكلاهما يخالف ما فى الأصل عن ابن هشام فيمن بعد شراحيل

(٢) الأبيات فى الديوان (ص ٣٤) ويروى فى الأول « ومأرب قفى » ويروى « نفى » وفى الثانى « إذا جاءه ماؤهم » ويروى الرابع هكذا : —

فَطَارُوا سِرَاعاً وَمَا يَقْدِرُو   نَ مِنْهُ بِشُرْبِ صَبِىٍّ فُطِمْ

ويروى بين ثالث ماهنا ورابعه بيت آخر ؛ وهو هذا : —

فَطَارَ الْقُيُولُ وَقَيْلَاتُهَا   بِيَهْمَاءَ فِيهَا سَرَابٌ يَطِمُّ

وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي ، (واسم ثقيف قَسِيٌّ بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) : —

مِنْ سَبَأ الْحَاضِرِينَ مَأْرِب إذْ * يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا

وهذا البيت في قصيدة له ، وتروى للنابغة الجعدي ، واسمه قيس بن عبد الله أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن

وهو حديث طويل منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار

رؤيا ربيعة بن نصر أحد ملوك اليمن وتأويل سطيح وشق إياها

قال ابن إسحق : وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا هالته وفَظِعَ بها ، فلم يَدَعْ كاهنا ولا ساحراً ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هَالَتْنِي وَفَظِعْتُ بها ، فأخبروني بها وبتأويلها ، قالوا له : اقْصُصْهَا علينا نُخْبِرْكَ بتأويلها ، قال : إني إنْ أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ؛ فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فان كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيح وشقٍّ فانه ليس أحد أعلم منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه

نسب سطيح وشق

واسْمُ سطيح رَبِيعُ بْنُ ربيعة [بن مسعود] بن مازن بن ذئب بن عدي ابن مازن غسان ، وشق : ابن صعب بن يشكر بن رُهْمِ بن أفْرَكَ بن قيس[1] ابن عبقر بن أنمار بن نزار ، وأنمار : أبو بجيلة وخَثْعَم

قال ابن هشام : وقالت اليمن : وبجيلة بنو أنمار بن إراش بن لحيان

---

(١) وفي بعض النسخ قسر

ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال : إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث ، ودار بجيلة وخثعم يمانية

سطيح بين يدى ربيعة بن نصر

قال ابن إسحق : فبعث إليهما ، فقدم عليه سطيح قبل شق ، فقال له : إني قد رأيت رُؤْيَا هَالَتْنِي وفَظِعْتُ بها فأخبرنى بها ، فانك إن أصبتها أصبت تأويلها ، قال : أفْعَلُ ، رَأَيْتَ حُمَمَةً ، خَرَجَتْ مِنْ ظُلُمَة ، فَوَقَعَتْ بأرْضِ تَهمَة ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلُّ ذَاتِ جُمْجمَة[1] فقال له الملك : ما أَخْطَأْتَ منها شيئاً يا سطيح ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحْلِفُ بما بين الحَرَّتَيْنِ من حَنَش ، لتَهْبِطَنَّ أرْضَكُمُ الحَبَش ، فَلَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إلَي جُرَش . فقال له الملك : وأبيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظٌ مُوجعٌ فمتى هو كائن ؟ أَوَ فِي زمانى هذا أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين ، قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يُقْتَلون ويخرجون منها هاربين ، قال : ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم بن ذى يزن ، يَخْرُجُ عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن ؛ قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع ؛ قال : ومن يقطعه ؟ قال : نَبِيٌّ زَكِىٌّ ، يأتيه الوَحْىُ من قبل العَلِيِّ ؛ قال : وممَّنْ هذا النبى ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر ؛ قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، يَسْعَدُ فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون؛ قال : أحَقٌّ ماتخبرنى ؟ قال : نعم، والشَّفَق والْغَسَق ، والفلق إذا

---

(١) الحممة : هى القطعة من النار ، وهى الفحمة أيضا . وظلمة : يعنى من جهة البحر . وأرض تهمة : واسعة متطامنة . والجمجمة : الرأس

شق بين يدى ربيعة بن نصر

اتسق ، إنَّ ماأنبأتك به لحق . ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح ؛ وكتمه ماقال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان . قال : نعم ، رأيت حُمَمَة ؛ خرجت من ظُلُمَة . فوقعت بين رَوْضَة وأَكَمَة ، أكلت منها كُلُّ ذات نَسَمَة ؛ قال : فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا وأن قولهما واحد ؛ إلا أن سطيحاً قال : وقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة ؛ وقال شق : وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة ؛ فقال له الملك : ماأخطأت ياشق منها شيئاً فما عندك فى تأويلها ؟ قال : أَحْلِفُ بما بين الحرتين من إنسان ، لَيَنْزِلَنَّ أَرْضَكُمُ السُّودَانُ ، فَلَيَغْلِبُنَّ على كل طَفْلَةِ الْبَنَانِ ، وَلَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إِلَي نَجْرَانَ ؛ فقال له الملك : وأبيك ياشق إن هذا لنا لغائظ مُوجِعٌ فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذوشان ، ويذيقهم أشد الهوان ، قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : غلام ليس بِدَنِيٍّ ولا مُدَنٍّ ، يخرج عليهم من بيت ذِى يَزَنْ [فلا يترك أحدا منهم باليمن] . قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مُرْسَل يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تجزى فيه الوُلاَة ، ويُدْعَى فيه من السماء بدَعَوَات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الْفَوْزُ والخيرات ، قال : أحق ما تقول ؟ قال : إى وَرَبِّ السماء والأرْض ، وما بينهما من رَفْع وخَفْض ، إنَّ ما أنبأتك به لحقٌّ ما فيه أمْضٌ

قال ابن هشام : أمض يعنى شكا ، هذا بلغة حمير ، وقال أبو عمرو : أمض : أى باطل

ربيعة بن نصر يهاجر إلى العراق

فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالا ، فجهز بنيه وأهلَ بيته إلى

العراق بما يُصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور ابن خُرَّزاذَ ، فأسكنهم الحيرة ، فمن بقيَّةِ ولد ربيعةَ بنِ نصرٍ النعمانُ ابن المنذر ، فهو — فى نسب اليمن وعلمهم — النعمانُ بن المنذر بن النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ، ذلك المَلِكُ

قال ابن هشام : النعمان بن المنذر بن المنذر ، فيما أخبرنى خلف الأحمر

استيلاء أبى كرب تبان أسعد على ملك اليمن ، وغزوه إلى يثرب

حسان بن تبع الآخر يملك اليمن

قال ابن إسحق : فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلْكُ اليمن كله إلى حسان بن تُبَانَ أسْعَدَ[١] أبى كرب (وتبان أسعد : هو تبع الآخر) ابن كُلى كَرِبَ بن زيد (وزيد : هو تبع الأول) بن عمرو ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرِّيش

قال ابن هشام : ويقال الرائش

قال ابن إسحق : ابن عدى بن صيفى بن سبأ الأصغر بن كعبٍ كَهْفِ الظُّلْمِ بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيْمَن بن

(١) «تبان أسعد» قال السهيلى : «اسمان جعلا اسما واحدا ، وإن شئت أضفت كما تضيف معد يكرب ، وإن شئت جعلت الاعراب فى الاسم الآخر ، وتبان : من التبانة ، وهى الذكاء والفطنة . يقال : رجل تبن وطبن» اه وقال المجد فى القاموس : « وتبان كغراب أو كرمان ، ويكسر ، لقب تبع الحميرى ، يقال له : أسعد تبان » اه ، وفيه : « وتبن كفرح تبنا (بفتح فسكون) وتبانة ، فهو تبن ككتف : فطن دقيق النظر ، كتبن تتبينا» اه

الْهَمَيْسَعَ بن الْعَرَنْجَج ، والعرنجج : حمير بن سبأ الأكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان

قال ابن هشام : يشجب بن يعرب بن قحطان

قال ابن إسحق : وتُبَانَ أَسْعَدَ أبو كرب الذى قدم المدينة وساق الْحَبْرَيْنِ من يهود [المدينة] إلى اليمن وعَمَّرَ البيت الحرام وكَسَاه ، وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر

قال ابن هشام : وهو الذى يُقَالُ له : —

لَيْتَ حَظِّى مِنْ أَبِى كَرِبٍ * أَنْ يَسُدَّ خَيْرُهُ خَبَلَهْ (١)

قال ابن إسحق : وكان قد جعل طريقه — حين أقبل من المشرق — على المدينة ، وكان قد مر بها فى بَدْأَته ، فلم يَهِجْ أَهْلَهَا ، وَخَلَّفَ بين أَظْهُرِهِمْ ابْنًا له ، فقُتِلَ غِيلَةً ، فقدمها وهو مُجْمِعٌ لاخرابها واستئصال أهلها وقَطْعِ نخلها ، فجمع له هذا الحى من الأنصار ، ورئيسهم عَمْرُو ابن طَلَّةَ أخو بنى النجار ثم أحد بنى عمرو بن مبذول ، واسم مبذول : عامر بن مالك بن النجار ، واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر

قال ابن هشام : عَمْرُو ابن طَلَّةَ : عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار ، وطَلَّةُ : أمه ، وهى بنت عامر بن زُرَيْق [بن

---

(١) قال السهيلى : «قال البرقى نسب هذا البيت إلى الأعشى ، ولم يصح ، قال : وإنما هو لعجوز من بنى سالم أحسبه قال فى اسمها جميلة ، قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع ، فدخل سرا ، فقال لقومه : قد جاء تبع ، فقالت العجوز البيت» اه ، والخبل فى هذا البيت — بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة — هو الفساد ، تتمنى أن يكون خيره مكافئا لفساده .

عامر بن زُرَيْق] (١) بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَمَ بن الخزرج

سبب قتال تبع أهل المدينة

قال ابن إسحق : وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار — يقال له أحمر — عَدَا علي رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم ، فقتله ، وذلك أنه وجده فى عَذْقٍ له يَجُدُّه (٢) ، فضربه بمنجله (٣) ، فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أَبَرَه (٤) ، فزاد ذلك تُبَّعًا حَنَقاً عليهم ، قال : فاقتتلوا ، فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويَقْرُونَه (٥) بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام ، فبينا تُبَّعٌ علي ذلك من قتالهم إذ جاءه حَبْرَانِ من أحبار يهود من بنى قريظة (وقريظة والنضير والنَّجَّام وعمرو — وهو هَدَل (٦) — بنو الخزرج بن الصريح بن التَّوْءمَان بن السبط بن اليسع ابن سعد بن لاَوِيّ بن خير بن النَّجَّام بن تنحوم بن عازر بن عزرى بن هرون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوِيّ بن يعقوب — وهو إسرائيل — بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم) عالمان راسخان

---

(١) زيادة فى بعض نسخ الكتاب

(٢) « عذق » العذق — بفتح فسكون — النخلة ، فان كسرت العين كان اسما للكباسة ، وقوله « يجده » معناه يقطعه

(٣) المنجل — بكسر الميم وسكون النون بعدها جيم مفتوحة — حديدة يقطع بها الزرع .

(٤) أبر النخل — من باب نصر وضرب — أصلحه ، ومثله أبره تأبيرا

(٥) قرى الضيف يقريه — من باب ضرب — أضافه

(٦) هدل — بفتح الهاء والدال جميعا ، وقيل : هو بفتح فسكون — ذكره السهيلى

فى العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك لا تفعل ، فانك إن أبيت إلا ما تريد حِيل بينك و بينها ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : هى مُهَاجَرُ نَبِيٍّ يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان ، تكون دَارَه وَقَرَارُهُ ، فتناهى عن ذلك ، ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة ، واتبعهما على دينهما ؛ فقال خالد بن عبد الْعُزَّى بن غَزِيَّةَ بن عمرو [بن عبد] (١) ابن عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طَلَّةَ :

أَصَحَا أَمْ قَدْ نَهَى ذُكَرَهْ * أَمْ قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرَهْ(٢)
أَمْ تَذَكَّرْتَ الشَّبَابَ ، وَمَا * ذِكْرُكَ الشَّبَابَ أَوْ عُصُرَهْ(٣)
إِنَّهَا حَرْبٌ رَبَاعِيَةٌ * مِثْلُهَا أَتَى الْفَتَى عِبَرَهْ(٤)
فَاسْأَلَا عِمْرَانَ أَوْ أَسَداً * إِذْ أَتَتْ عَدْواً مَعَ الزُّهَرَهْ
فَيْلَقٌ فِيهَا أَبُو كَرِبٍ * سُبَّغٌ أَبْدَانُهَا ذَفِرَهْ(٥)

---

(١) زيادة فى بعض النسخ

(٢) ذكره — بضم الذال وفتح الكاف — جمع ذكرة — بضم فسكون — وهى ضد النسيان . والوطر — بفتحتين — الحاجة

(٣) عصر الشىء : وقته ، وهو بفتح فسكون أو بضمتين كما هنا أو بضم فسكون

(٤) « رباعية » بفتح الراء والباء بعدها عين مكسورة ثم ياء مثناة خفيفة — أراد بذلك أنها شديدة ، فضرب سن الرباعية مثلا ، يعنى أنها ليست صغيرة ولا فوق ذلك قليلا ، بل هى كبيرة

(٥) الفيلق : الجيش . وسبغ : جمع سابغ ، وهو الكامل الوافى ، والأبدان :

ثُمَّ قَالُوا : مَنْ نَؤُمُّ بِهَا ؟ * أَبَنِي عَوْفٍ أَمِ النَّجَرَهْ(١)
بَلْ بَنِي النَّجَّارِ إِنَّ لَنَا * فِيهِمُ قَتْلَى وَإِنَّ تِرَهْ(٢)
فَتَلَقَّتْهُمْ مُسَايِفَةٌ * مَدُّهَا كَالْغَبْيَةِ النَّثِرَهْ(٣)
فِيهِمُ عَمْرُو بْنُ طَلَّةَ مَلَّـ * ـى الْإِلٰهُ قَوْمَهُ عُمُرَهْ(٤)
سَيِّدٌ سَامَ الْمُلُوكَ ، وَمَنْ * رَامَ عَمْراً لَا يَكُنْ قَدَرَهْ(٥)

وهذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حَنَقُ تُبَّع على هذا الحى من يهود ، الذين كانوا بين أظهرهم ، وإنما أرادهلاكهم فمنعوهم منه حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال فى شعره : —

حَنَقاً عَلَى سِبْطَيْنِ حَلَّا يَثْرِباً * أَوْلَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ(٦)

قال ابن هشام : الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع ؛ فذلك الذى منعنا من إثباته

جمع بدن ، وأراد بها هنا الدروع ، يريد أن دروع هذا الجيش سابغات . ذفرة — بفتح الذال وكسر الفاء — فائحة الريح ، يريد : أن لهم ريحا ظاهرة .

(١) أراد بالنجرة بنى النجار

(٢) الترة بكسر التاء وفتح الراء المهملة — الثأر ، وقد حذف خبر إن لدلالة الأول عليه ، أى : وإن لنا ترة

(٣) « مسايفة » هم حملة السيوف ، ويروى أيضاً بفتح الياء ، فهو حال مثل قولهم : كلمته مشافهة وبعته مقابضة ، والغبية : الدفعة من المطر ، والنثرة : المنتثرة التى لا تمسك ماءها

(٤) « ملى الاله قومه عمره » أى : أطال لهم عمره حتى يتمتعوا به

(٥) « سام » يروى فى مكانه « سامى »

(٦) البيت من قصيدة طويلة ، وقبله — وهو مطلعها — قوله :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا * كُحِلَتْ مَآقِيهَا بِسُمِّ الْأَسْوَدِ

تبع يقدم مكة فيطوف بالبيت ويعظمه ويكرم أهله

قال ابن إسحق : وكان تُبَّعٌ وقومه أصحابَ أوثان يعبدونها ؛ فتوجه إلى مكة ، وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفَانَ وأَمَجَ (١) أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ، فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندُلُّكَ على بيت مال داثرٍ أغْفَلَتْهُ الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلُّون عنده ، وإنما أراد الهذليون هَلاَكه بذلك ؛ لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبَغَى عنده ، فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحَبْرَيْنِ فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ، مانعلم بيتا لله اتّخذه فى الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت مادَعَوْكَ إليه لتهلكَنَّ وَليهلكَنَّ مَنْ معك جميعا ، قال : فماذا تأْمُرَانِنِي أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده مايصنع أهله : تَطُوفُ به ، وتعظمه ، وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده ، وتذل له حتى تخرج من عنده ، قال : فما يمنعكما أنتما

ومنها فى ذكر ذى القرنين الأكبر الملقب بالصعب : —

وَلَقَدْ أَذَلَّ الصَّعْبُ صَعْبَ زَمَانِهِ وَأَنَاطَ عُرْوَةَ عِزِّهِ بِالْفَرْقَدِ
لَمْ يَدْفَعِ الْمَقْدُورَ عَنْهُ قُوَّةٌ عِنْدَ الْمَنُونِ وَلاَ سُمُوُّ الْمَحْتِدِ

(١) عسفان — بضم فسكون — منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل : بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ، وقيل : قرية جامعة بها نخيل ومزارع ، وهى حد تهامة ، وهى على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وأمج بفتح الهمزة والميم جميعا — بلد من أعراض المدينة ، وقيل : واد يأخذ هو وغران من حرة بنى سليم ويفرغان فى البحر . انظر فى المادتين معجم ياقوت

من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لَكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نَصَبُوها حوله ، وبالدماء التى يُهَرِيقُونَ عنده ، وهم نجسٌ أهْلُ شرك ، أو كما قالا له ، فعرف نصحهما وصدق حديثهما ، فقرب النَّفَر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ، ونحر عنده ، وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام ، فيما يذكرون ، ينحر بها للناس ، ويُطْعِم أهلها ، ويسقيهم العسل وأرِىَ فى المنام أن يكسو البيت فكساه الْخَصَف [1] ثم أرِى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الْمَعَافِر [2] ، ثم أُرِى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الْمُلاَء والْوَصَائل [3] وكان تُبَّع ، فيما يزعمون ، أولَ من كسا [4]

---

(١) الخصف ـ بفتح الخاء والصاد جميعا ـ ومثله الخصاف ـ بكسر الخاء جمع خصفة ، وهى كساء غليظ جدا ، أو هى شقة تعمل من الخوص أو ليف النخل .

(٢) المعافر ـ بفتح الميم ـ أراد بها الثياب المعافرية ، قال فى القاموس :ـ « ومعافر : بلد وأبو حى من همدان لا ينصرف ، وإلى أحدهما تنسب الثياب المعافرية ، ولا تضم الميم » اه

(٣) الملاء ـ بضم الميم ـ جمع ملاءة ، وهى الريطة ، وهى الملحفة ، والوصائل : جمع وصيلة ـ بفتح الواو ـ وهى الثوب المخطط اليمانى

(٤) وفى هذا يقول تبع : —

وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الذى حَرَّمَ اللَّـــهُ مُلاَءً مُنَضَّداً وَبُرُودَا
فَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْراً وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدَا
وَنَحَرْنَا بالشِّعْبِ سِتَّةَ أَلْفٍ فَتَرَى النَّاسَ نَحْوَهُنَّ وُرُودَا
ثُمَّ سِرْنَا عَنْهُ نَؤُمُّ سُهَيْلاً فَرَفَعْنَا لِوَاءَنَا مَعْقُودَا

قال السهيلى بعد رواية هذه الأبيات : « قال القتبى : كانت قصة تبع قبل الاسلام بسبعمائة عام » اه

البيت وأوصى به وُلاَتَه من جُرْهم ، وأمرهم بتطهيره ، وأن لايُقْرِبوهْ دَمًا ولا مَيْتَةً ولا مِئْلاةً [١] وَهى المحائضُ [٢] وجعل له بابا ومفتاحا ، فقالت سُبَيْعة بنت الأجَبّ [٣] بن زَبِينة [٤] بن جذيمة بن عَوْف بن نصر بن مُعاوية ابن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سَعْد بن تَيم بن مُرَّة بن كعب لُؤَى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كِنانة ، لابْنٍ [٥] لها منه يقال له خالد ، تُعَظِّم عليه حرمة مكة ، وتَنْهَاه عن البغى فيها ، وتذكر تُبَّعا وتَذَلُّلَه لها وما صنع بها : — [٦]

---

(١) المئلاة - بكسر الميم وسكون الهمزة - هى خرقة الحائض ، وهى أيضا خرقة النائحة ، وجمعها مآل ، مثل مكنسة ومكانس ، وفى حديث عمرو ابن العاص : « إنى والله ماتأبطتنى الاماء ولاحملتنى البغايا فى غبرات المآلى » نفى عن نفسه الجمع بين سبتين : أن يكون ابن زنى ، وأن يكون محمولا به فى بقية حيضة

(٢) المحائض : جمع محيضة ، وهى خرقة الحيض ، وأنت ترى أن الأنسب أن يقول : وهى المحيضة ؛ لئلا يلزم تفسير المفرد بالجمع

(٣) قال السهيلى : « الأحب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب ، وأبو عبيدة يقوله بالجيم » اه

(٤) زبينة ، قال السهيلى : « بالزاى والباء والنون : فعيلة من الزبن ، والنسب إليها زبانى على غير قياس ، ولو سمى به رجل لقيل زبنى على القياس قاله سيبويه » اه ، وانظر كتاب سيبويه (ج ٢ ص ٦٩)

(٥) هذا الجار والمجرور متعلق بقوله « فقالت سبيعة »

(٦) قال السهيلى : « وإنما قالت بنت الأحب هذا الشعر فى حرب كانت بين بنى السباق بن عبد الدار وبين بنى على بن سعد بن تيم ، حين تفانوا ولحقت

أَبُنَيَّ ، لَا تَظْلِمْ بِمَكَّةَ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرْ
وَاحْفَظْ مَحَارِمَهَا ، بُـنَيَّ ، وَلَا يَغُرَّنْكَ الْغَرُورْ
أَبُنَيَّ ، مَنْ يَظْلِمْ بِمَكَّةَ يلْقَ أَطْرَافَ الشُّرُورْ
أَبُنَيَّ ، يُضْرَبْ وَجْهُهُ * وَيَلُحْ بِخَدَّيْهِ السَّعِيرْ
أَبُنَيَّ ، قَدْ جَرَّبْتُهَا * فَوَجَدْتُ ظَالِمَهَا يَبُورْ (١)
اللهُ آمَنَهَا وَمَا * بُنِيَتْ بِعَرْصَتِهَا قُصُورْ (٢)
وَاللهُ آمَنَ طَيْرَهَا * وَالْعُصْمُ تَأْمَنُ فِي ثَبِيرْ (٣)
وَلَقَدْ غَزَاهَا تُبَّعٌ * فَكَسَا بَنِيَّتَهَا الْحَبِيرْ (٤)
وَأَذَلَّ رَبِّي مُلْكَهُ * فِيهَا فَأَوْفَى بِالنُّذُورْ
يَمْشِي إِلَيْهَا حَافِياً * بِفِنَائِهَا أَلْفَا بَعِيرْ

طائفة من بنى السباق بعك ، فهم فيهم ، وهو أول بغى كان فى قريش » اه
فهذا قول آخر غير الذى ذكره ابن إسحق واتبعه عليه ابن هشام

(١) «يبور» مضارع من البوار ، وهو : الهلاك ، وماضيه بار ، ومنه قوله تعالى : (وكنتم قوما بورا) أى : هلكى

(٢) العرصة ـ بفتح العين وسكون الراء ـ كل بقعه واسعة ليس فيها بناء

(٣) العصم ـ بضم فسكون ـ جمع أعصم ، وهو الوعل ، قيل له ذلك لأنه يعتصم بالجبال ، وثبير ـ بفتح الثاء ـ جبل بمكة

(٤) بنيتها ـ بفتح الباء الموحدة وكسر النون وتشديد الياء المثناة ـ أرادت بها الكعبة ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة . والحبير ـ بفتح الحاء المهملة ـ ضرب من الثياب الموشية

وَيَظَلُّ يُطْعِمُ أَهْلَهَا * لَحْمَ الْمَهَارِى وَالْجَزُورْ[(١)]
يَسْقِيهِمُ الْعَسَلَ الْمُصَـ * فَّى وَالرَّحِيضَ مِنَ الشَّعِيرْ[(٢)]
وَالْفِيلُ أَهْلَكَ جَيْشَهُ * يُرْمَوْنَ فِيهَا بِالصُّخُورْ
وَالْمُلْكُ فِي أَقْصَى الْبِلَا * دِ وَفِي الْأَعَاجِمِ وَالْخَزِيرْ[(٣)]
فَاسْمَعْ إِذَا حُدِّثْتَ وَافْـ * ـهَمْ كَيْفَ عَاقِبَةُ الْأُمُورْ

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لاتعرب

تبع يدعو أهل اليمن إلى دينه

ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده و بالحَبْرَين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن .

اهل اليمن يحاكون تبعا إلى النار

قال ابن إسحق : حدثنى أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القُرَظى ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طَلْحَة بن عُبَيْد الله يحدث ، أنَّ تُبَّعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حِمْيَر بينه و بين ذلك ، وقالوا : لاتدخلها علينا وقَدْ فارقْتَ ديننا ، فدعاهم إلى دينه ، وقال : إنه خير من دينكم ، فقالوا : فحاكمنا إلى النار ، قال : نعم ، قال : وكانت باليمن — فيما يزعم أهل اليمن — نارٌ تحكم بينهم فيما يختلفون فيه : تأكل الظالم ، ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم

---

(١) المهارى ـ بكسر الراء وسكون الياء هنا ، ويقال فيها : المهارىّ بتشديد الياء ، والمهارى بفتح الراء ـ وهى الابل العراب النجيبة

(٢) الرحيض ـ بفتح الراء ـ المغسول ، فعيل بمعنى مفعول ، وتقول : رحضت الثوب ، إذا غسلته ، والمراد المنق .

(٣) قال أبو ذر : «وقولها وفى الاعاجم والخزير : الخزير : أمة من العجم ، ويقال لهم : الخزر أيضا ، ومن رواه الجزير ـ بالجيم ـ فيحتمل أن يكون جمع جزيرة يبلاد العرب » اه ووقع مصحفا فى أكثر نسخ الأصل « الحذير »

وما يتقربون به فى دينهم ، وخرج الْحَبْرَانِ بمصاحفهما فى أعناقهما مُتَقَلِّدَيْهَا حتى قعدوا للنار عند مَخرَجها الذى تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حَادُوا (١) عنها وهابوها ، فَذَمَّرَهُم (٢) من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غَشِيَتْهُم ، فأكلت الأوثان وما قَرَّبوا معها ، ومَنْ حمل ذلك مِنْ رجال حمير ، وخرج الْحَبْرَان بمصاحفهما فى أعناقهما تَعْرَقُ جباههما لم تَضُرَّهُمَا ، فأصفقت (٣) عند ذلك حمير على دينه فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن

النار تأكل الاوثان والقرابين

قال ابن إسحق : وقد حدثنى مُحَدِّثٌ أن الْحَبْرَيْن ومن خرج من حمير إنما اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا رَدَّها ، ودنا منها الحبران بعد ذلك ، وجعلا يَتْلُوَان التوراة وتَنْكُص (٤) عنهما ، حتى رَدَّاها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأَصْفَقَتْ (٣) عند ذلك حمير على دينهما ، والله أعلم أى ذلك كان

رئام بيت من بيوت اليمن المعظمة يهدمه الحبران

قال ابن إسحق : وكان رِئَام (٥) بيتا لهم يعظمونه ، وينحرون عنده ، ويكلَّمُونَ [منه] إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبع : إنما

---

(١) « حادوا عنها » أى : مالوا عن طريقها الذى خدت فيه ، و « هابوها » خافوها

(٢) « ذمرهم » حضهم وشجعهم

(٣) « أصفقت » اتفقت وأجمعت . وفى حديث عائشة « فأصفقت له نسوان مكة » قال ابن الأثير : « أى اجتمعت إليه ، ويروى فانصفقت له » اهـ

(٤) « تنكص » أى : ترجع على عقبها ، وفى بعض النسخ « تنكل » والمعنى واحد .

(٥) رئام ـ على وزن كتاب ـ مأخوذ من رأمت الأنثى ولدها ترأمه

هوشيطان يفتنهم بذلك ، فخَلِّ بيننا و بينه ، قال : فَشَأْنَكُما به ، فاستخرجا منه — فيما يزعم أهل اليمن — كلبا أسْوَدَ ، فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم — كما ذُكِر لى — بها آثار الدماء التى كانت تُهَرَاق عليه .

ملك حسان بن تبان أسعد

فلما ملك ابنهُ حَسّان بن تُبَانَ أسْعَدَ أبى كرب سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق ـ قال ابن هشام : بالبحرين ، فيما ذكر لى بعضُ أهل العلم — كرِهَتْ حمير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرَّجْعَةَ إلى بلادهم وأهلهم ، فكلَّمُوا أخا له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : اقتل أخاك حَسَّانَ ، ونُمَلِّكُكَ علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك ، إلا ذَارُعَيْنٍ [1] الحميرى ؛ فانه نهاه عن ذلك ، فلم يقبل منه ، فقال ذُورُعَيْنٍ : —

قتل عمرو أخيه له

أَلاَ مَنْ يَشْتَرِى سَهَراً بِنَوْمٍ   سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ[2]
فَإِمَّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ   فَمَعْذِرَةُ ٱلْإِلٰهِ لِذِى رُعَيْنٍ

رئمانا ورئاما ، إذا عطفت عليه ورحمته ، فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسونها فى عبادته

(١) « ذو رعين» رعين : تصغير رعن ، وهو أنف الجبل ، ورعين أيضا جبل باليمن ، وإليه ينسب ذو رعين

(٢) أصل نظم هذا البيت هكذا : ألا أمن يشترى سهرا بنوم سعيد ، بل من يبيت قرير عين هو السعيد ، فحذف همزة الاستفهام بعد ألا ، وحذف حرف الاضراب بعد خبر المبتدأ الأول ، وحذف خبر المبتدأ الثانى ، فأما حذف همزة الاستفهام فله نظائر كثيرة ، منها قول امرىء القيس : ـ

ثم كتبهما فى رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عمرا ، فقال له : ضع لى هذا الكتاب عندك ، ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسان ، ورجع بمن معه إلى اليمن ، فقال رجل من حمير : —

لَاهِ عَينَا الَّذِى رَأَى مِثْلَ حَسَّا نَ قَتِيلاً فِى سَالِفِ الأَحْقَابِ (١)

قَتَلَتْهُ مَقَاوِلٌ خَشْيَةَ الْحَبْـ ـسِ غَدَاةَ قَالُوا لَبَابِ لَبَابِ (٢)

مَيْتُكُمْ خَيْرُنَا ، وَحَيُّكُمُ رَبٌّ عَلَيْنَا وَكُلُّكُمْ أَرْبَابِى

---

* أَحَارِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيضَهُ *

أراد أترى ، ومثله قول عمر بن أبى ربيعة : -

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى وَإِنْ كُنْتَ دَارِيَا

بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الْجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ

وأما حذف الخبر فان الأمر فيه أسهل من ذلك لدلالة خبر المبتدأ الأول عليه

(١) قوله « لاه » أراد « لله » فحذف لامين : أولاهما لام الجر ، والثانية أولى اللامين من كلمة « الله » وهى لام التعريف ، وهذا الحذف يجرى فى هذه الكلمة دون غيرها ، لكثرة دورها على الألسنة ، ومثله قول ذى الاصبع العدوانى : .

لَاهِ ابْنُ عَمِّكَ لَا أُفْضِلْتَ فِى حَسَبٍ

عَنِّى وَلَا أَنْتَ دَيَّانِى فَتَخْزُونِى

(٢) « المقاول » هم الأقيال ، والأقيال : جمع قيل ، وأصله بفتح القاف وتشديد الياء ، ثم خفف فصار ساكن الياء ، مثل سيد وميت وهين ولين الأصل فى جميعها التشديد ، وقد تخفف . والقيل : هو الذى يلى الملك فى المرتبة عند حمير ، وقال أبو ذر : « المقاول : الذين يخلفون الملوك إذا غابوا » اه

قال ابن إسحق : وقوله «لَبَابِ لَبَابِ» لا بأس لا بأس ، بلغة حمير[١]

قال ابن هشام : ويروى لِبَابِ لِبَاب

عمرو يقتل كل من أمره بقتل أخيه

قال ابن إسحق : فلما نزل عمرو بن تبان اليمنَ مُنِـع منه النوم ، وسُلِّط عليه السهر ، فلما جَهَدَه ذلك سأل الأطبَّاء والحُزَاة[٢] من الكُهَّان والعَرَّافين عما به ، فقال له قائل منهم : إنه ، والله ، ماقتلَ رجلٌ قطُّ أخاه أوذا رَحِمِه بَغْياً على مثل ماقتلت أخاك عليه إلاَّ ذَهَب نومه وسُلِّط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حَسَّانَ من أشراف اليمن ، حتى خَلَصَ إلى ذى رعين ، فقال له ذو رعين : إن لى عندك بَرَاءَةً ، فقال : وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دَفَعْتُ إليك ، فأخرجه ، فاذا فيه البيتان ، فتركه ورأى أنه قد نصحه ، وهَلَكَ عمرو فمرج[٣] أمر حمير عند ذلك ، وتفرقوا

ذو رعين ينجو من القتل بسابق نصحة

لخنيعة يثور على ملك اليمن

فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لَخْنيعَةَ

(١) قال أبو ذر : « ويقال : لباب كلمة فارسية معناها القفل ، والقفل أي الرجوع » اه

(٢) الحزاة — بضم الحاء — جمع حاز ، مثل قضاة وغزاة ورماة وبناة ؛ والحازى : الذى ينظر فى النجوم ويقضى بها . والعرافون : ضرب من الكهان يزعمون أنهم يعرفون من الغيب مالا يعرف الناس

(٣) مرج أمرهم : اضطرب وقلق ، ولم يبق له قرار

يَنوفَ ، [1] ذو شَنَاتِر [2] ، فقتل خيارهم ، وعَبث بِبُيوت أهل المملكة منهم ، فقال قائل من حمير للخنيعة : —

تُقَتِّلُ أَبْنَاهَا وَتَنْفِي سَرَاتَهَا   وَتَبْنِي بِأَيْدِيهَا لَهَا الذُّلَّ حِمْيَرُ
تُدَمِّرُ دُنْيَاهَا بِطَيْشِ حُلُومِهَا   وَمَا ضَيَّعَتْ مِنْ دِينِهَا فَهُوَ أَكْثَرُ [3]
كَذَاكَ الْقُرُونُ قَبْلَ ذَاكَ بِظُلْمِهَا   وَإِسْرَافِهَا تَأْتِي الشُّرُورَ فَتَخْسَرُ

وكان لَخَنِيعَة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط ؛ فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه فى مَشْرُبَةٍ [4] له قد صنعها لذلك ، لئلا يَمْلِكَ بعد ذلك ، ثم يطلع من مَشْرُبته تلك إلى حَرَسِه ومَنْ حضر من جُنْده قد أخذ مسواكا فجعله فى فيه ، أى : ليعلمهم أنه قد فرغ منه ، حتى بعث إلى زُرْعَةَ ذى نُوَاس بن تُبَانَ أسعَدَ أخى حَسَّانَ ، وكان صبيا صغيرا حين قُتِل حَسَّانُ ، ثم شَبَّ غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعَقْلٍ ؛ فلما أتاه رسوله عرف مايريد منه ، فأخذ سكينا حديدا لطيفا ، فخَبَأه بين

---

(١) قال أبو ذر « قال ابن دريد : المعروف لخيعة بغير نون ، مأخوذ من اللخع ـ بفتحتين ـ وهو استرخاء اللحم » اه أقول : وفى القاموس مادة شنتر « وذو الشناتر اسمه لختيعة ، لقب به لأصبع زائدة له » فذكره بالتاء مكان النون ، وهو تصحيف كما يتبين مما هنا عن ابن دريد ، وفى القاموس أيضا مادة لخع « اللخع محركة استرخاء الجسم ، وذو الشناتر لخيعة بن ينوف من حمير » اه فزاد كلمة (بن) كما ترى

(٢) قال أبو ذر : « الشناتر : الأصابع ، بلغة حمير ، واحدها شنتر » والذى فى القاموس أن الواحد شنترة

(٣) فى بعض النسخ « فهو أكبر »

(٤) المشربة ـ بضم الراء أو فتحها ـ الغرفة المرتفعة

قدمه ونعله ، ثم أتاه ، فلما خلا معه وثب إليه ، فواثبه ذو نواس ، فوجأه حتى قتله ، ثم حَزَّرأسه ، فوضعه فى الـكُوَّة التى كان يُشْرف منها ، ووضع مسوا كه فى فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذَا نُوَاسْ ، أرَطْبٌ أم يَبَاس (١) ؟ فقال : سَلْ (٢) نَخْمَاس ، استرطبان ذو نواس استرطبان لاباس (٣) .

قال ابن هشام : هذا كلام حمير ، ونخماس : الرأس ، فنظروا إلى الـكُوَّة فاذا رأس لخنيعة مقطوع ، فخرجوا فى أَثَر ذى نواس حتى أدركوه ، فقالوا : ماينبغى أن يَمْلِكنا غيرك ؛ إذ أرحتنا من هذا الخبيث

ملك ذى نواس

فَمَلَّكُوه ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فـكان آخِرَ ملوك حمير [وهو صاحب الأُخْدُود] (٤) وتَسَمَّى يوسف ، فأقام فى ملـكه زمانا

وبِنَجْرَان بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الانجيل ، أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له عبدالله بن الثامر ، وكان موقع أصل ذلك الدين بنَجْرَانَ ، وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك

---

(١) يباس : يابس ، أو يبيس ، ضد الرطب

(٢) يروى بنون وخاء ، وبتاء وحاء مهملة

(٣) لانشك فى أن هذه العبارة محرفة ، وأن صوابها ماجاء فى الأغانى قال : « كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة ، وقد لاط به ، قطعوا مشافر ناقته وذنبها ، وصاحوا به : أرطب أم يباس ؟ فلما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقة له يقال لها السراب ، قالوا : ذا نواس ، أرطب أم يباس ؟ فقال ستعلم الأحراس ، است ذى نواس ، است رطبان أم يباس » وإلا فما هذا الـكلام القلق الذى فى الأصل ؟ وما التعلل بأنه لغة حميرية لانعرفها ؟ وهل هو إلا تحريف النساخ ! !

(٤) هذه زيادة فى بعض النسخ

الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين — يقال له فَيْمِيُون [1] — وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه ، فدانوا به .

فيميون ينشر النصرانية بنجران

قال ابن إسحق : فحدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس ، عن وهب ابن منبه اليمانى أنه حدثهم ، أن موقع ذلك الدين بنجْرَان كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم — يقال له فَيْمِيُون — وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا فى الدنيا مُجَابَ الدعوة ، وكان سائحا ينزل بين القُرَى لايُعْرَفُ بقريةٍ إلاخرج منها إلى قرية لايعرف بها ، وكان لايأكل إلا من كسب يديه ، وكان بَنَّاءً يعمل الطين ، وكان يعظم الأحد فاذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا ، وخرج إلى فَلَاَة من الأرض فصلى بها حتى يمسى ، قال : و كان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح ، فأحَبَّه صالح حبا لم يُحِبَّه شيئا كان قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فَيْمِيُون ، حتي خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع وقد اتبعه صالح ، وفَيْمِيون لايدرى ، فجلس صالح منه مَنْظَرَ العين مستخفيا منه ، لايحب أن يعلم بمكانه ، وقام فَيْمِيُونُ يصلى ، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه التِّنِّينُ (الحية ذات الرؤوس السبعة) فلما رآها فَيْمِيُونُ دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها ، فخافها عليه

(١) قال السهيلى : « ويذكر عن الطبرى أنه قال فيه قيمؤون ـ بالقاف وشك فيه ، وقال القتبى فيه : رجل من آل جفنة من غسان ، جاءهم من الشام فحملهم على دين عيسى عليه السلام ، ولم يسمه ، وقال فيه النقاش : اسمه يحي وكان أبوه ملكا فتوفى ، وأراد قومه أن يملكوه عليهم بعد أبيه ، ففر من الملك ولزم السياحة » اهكلامه ، قال أبو رجاء : وقد ذكر ياقوت فى مادة (نجران) هذه القصة ومابعدها عن ابن إسحاق وغيره بتوسع

فعِيلَ عَوْلُهُ (١) فصرخ : يافَيْمِيُون ، التِّنِّينُ قد أقبل نحوك ، فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى ، فانصرف ، وعرف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه ، فقال [له : يا] فيميون ، تَعْلَمَ والله أنى ما أحببت شيئا قطُّ حُبَّكَ ، وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت ، فقال : ماشئت ، أمرى كما ترى ، فان علمتَ أنك تقوى عليه فنعم ، فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به الضُّر دعا له فشُفى ، وإذا دُعى إلى أحد به ضر لم يأته ، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شأن فَيْمِيُونَ ، فقيل له : إنه لايأتى أحدا دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ؛ فعمد الرجل إلى ابنه ذلك ، فوضعه فى حجرته ، وألقى عليه ثوبا ، ثم جاءه فقال له : يافَيْمِيُونُ ، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عمَلاً ، فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه ، فأشارِطك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل فى بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ؛ ثم انْتَشَطَ (٢) الرجلُ الثوب عن الصبى ، ثم قال له : يا فَيْمِيُونُ ، عَبْدٌ من عباد الله أصابه ماترى فَادْعُ الله له ، فدعا له فَيْمِيُونُ ، فقام الصبى ليس به (٣) بأس ،

---

(١) « عيل عوله » قال أبو ذر : « أى غلب على صبره ، يقال : عاله الأمر ، إذا غلبه » اه

(٢) « انتشط الرجل الثوب » أى : كشفه بسرعة

(٣) قال السهيلى : « ذكر الطبرى قصة الرجل الذى دعا لابنه فشفى بأتم مما ذكرها ابن إسحق ، قال فيميون حين دخل مع الرجل وكشف له عن ابنه : اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك فى نعمتك ليفسدها عليه ، فاشفه وعافه وامنعه منه ، فقام الصبى ليس به بأس ، فتبين من هذا أن الصبى كان مجنونا ، بقوله دخل عليه عدوك — يعنى الشيطان — وليس هذا فى حديث ابن إسحق » اه كلامه

وَعَرَف فَيْمِيُونُ أنه قد عرِف ، فخرج من القرية، واتبعه صالح ، فبينماهو يمشى فى بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : يافَيْمِيُونُ، قال : نعم ، قال : مازلت أَنْظُرُك [1] وأقول : متى هُوَ جاء ؟حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تَبْرَحْ حتى تَقُومَ عَلَىَّ فانى مَيِّتٌ الآن ، قال : فمات ، وقام عليه حتى واراه ، ثم انصرف ، وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب ، فَعَدَوْا عليهما ، فاختطفتهما سَيَّارة [2] من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنَجْران ، وأهل نَجْرَانَ يومئذٍ على دين العرب : يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد فى كل سنة ، إذا كان ذلك العيد عَلَّقُوا عليها كلَّ ثوب حسن وجدوه ، وحُلِيَّ النساء ، ثم خرجوا إليها فَعَكَفُوا عليها يوما ، فابتاع فَيْمِيُونَ رجلٌ من أشرافهم ، وابتاع صالحا آخرُ ، فكان فيميونُ إذا قام من الليل يتهجَّد فى بيت له أسكنه إياه سيِّدُه يصلى استسرج [3] له البيت نورا حتى يصبح ، من غير مصباح ، فرأى ذلك سيده ، فأعجبه مايرى منه ، فسأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فَيْمِيُونُ : إنما أنتم فى باطل ، إن هذه النخلة لاتضر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلٰهى الذى أعبده أهْلَكَهَا ، وهو الله وحده لاشريك له ، قال : فقال له سيده : فافعل ، فانك إن فعلت دخلنا فى دينك وتركنا مانحن عليه ، قال : فقام فَيْمِيُونُ فتطهَّر وصلى ركعتين ، ثم دعا الله

(١) أى : أنتظرك

(٢) «سيارة» هى جماعة من الناس يسيرون بالتجارة ، وفى الكتاب العزيز فى قصة يوسف عليه السلام : (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام)

(٣) « استسرج » أى : أضاء فصار كالسراج

عليها ، فأرسل الله عليها ريحا فجعفتْها[1] من أصلها ، فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض ، فمن هنالك كانت النصرانية بنجْران فى أرض العرب

أمر عبد الله بن الثامر

قال ابن إسحق : فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، وحدثنى أيضا بعض أهل نجران عن أهلها ، أن أهل نجران كانوا أهْلَ شرك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قراها — قريباً من نَجْرَانَ ، ونَجْرَانُ القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد — سَاحِرٌ يُعلّم غلمان أهل نجران السحْرَ ، فلما نزلها فَيْمِيُونُ — ولم يسموه لى باسمه الذى سماه به وَهْبُ ابن منبه ، قالوا : رجل نزلها — ابتنى خَيْمَةً بين نجران و بين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نجران يُرْسِلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث إليه الثَّامِرُ ابْنَهُ عَبْدَ الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب الْخَيْمَة أعجبه ما يَرَى منه من صلاته وعبادته فجعل يجلس إليه ويسمع منه ، حتى أسلم فوحَّدَ الله وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الاسلام ، حتى إذا فَقُهَ فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه إياه ، فقال [له] : ياابن أخى ، إنك لن تحمله ، أخشى عليك ضعفك عنه — والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان — فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوَّفَ ضَعْفَه فيه عمد إلى قِدَاحٍ فجمعها ؛ ثم لم يُبْق لله اسماً يعلمه إلا كتبه فى قِدْحٍ ؛ لكل اسم قدْحٌ ؛ حتى إذا أحصاها

عبد الله يختلف إلى فيميون يتعلم منه

(١) « جعفتها من أصلها » أى : قلعتها وأسقطتها

أوقد لها نارا ؛ ثم جعل يقذفها فيها قِدْحًا قِدْحًا ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف [به] فيها بقِدْحِهِ ، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء[1] فأخذه ثم أتى صاحبه فأخبره بأنه قد علم الاسم الذى كتمه ، فقال : وماهو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع قال : أى ابْنَ أخى ؛ قد أصبته ، فأمسِكْ على نفسك ؛ وما أظن أن تفعل ، فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نَجْرَانَ لم يلق أحدا به ضر إلا قال : يا عبدَ الله ، أتُوَحِّدُ الله وتدخل فى دينى وأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البـــلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحِّد الله ويُسلم ويدعو له فيُشْفَى ، حتى لم يبق بنَجْرَان أحدٌ به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ؛ ودعا له فعوفى ؛ حتى رفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه ، فقال : أفْسَدْتَ على أهل قريتى وخالفت دينى ودين آبائى ، لأمَثِّلَنَّ بك ، قال : لاتقدر على ذلك ، قال : فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيُطْرَحُ على رأسه ، فيقع إلى الأرض ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياهٍ بنجران بُحُورٍ لايقع فيها شىء إلا هلك فيُلْقَى فيها ، فيخرج ليس به بأس ؛ فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر : إنك — والله — لن تقدر على قتلى حتى توحِّد الله فتؤمن بما آمنت به ، فانك إن فعلت ذلك سُلِّطْتَ علىَّ فقتلتنى ، قال : فوحَّدَ الله تعالى ذلك الملكُ ، وشهد عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصًا فى يده فشجَّه شجَّةً غير كبيرة ، فقتله ، ثم هلك الملك مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ماجاء به عيسى [ابن مريم] صلى الله عليه وسلم من الانجيل وحكمه ، ثم أصابهم مثل ماأصاب أهل دينهم من الأحداث ؛ فمن هناك كان أصل النصرانية بنَجْرَان [والله أعلم بذلك] .

عبد الله يدعو إلى دين الله بشفاء أهل الضر

عبد الله بين يدى ملك نجران

---

(١) فى نسخة « لم تضره شيئا »

قال ابن إسحق : فهذا حديث محمد بن كعب الْقُرَظِيّ و بعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أى ذلك كان

ذو نواس يدعو أهل نجران الى اليهودية

فسار إليهم ذو نُوَاسٍ بجنوده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخَيَّرَهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل ، فَخَدَّ لهم الأُخْدُودَ ، فحَرَّقَ من حرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومَثَّل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، ففى ذى نواس ذلك وجنده أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم (٨٥ : ٤—٨) : (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)

تفسير الأخدود

قال ابن هشام : الأُخْدُود : الْحَفْرُ المستطيل فى الأرض كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه أخاديد ، قال ذُو الرُّمَّةِ (واسمه غيلان بن عقبة ، أحد بنى عَدِيِّ بن عبد مناف بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر) :—

مِنَ الْعِرَاقِيَّةِ اللاَّتِي يُحِيلُ لَهَا * بَيْنَ الفَلاَةِ وَبَيْنَ النَّخْلِ أُخْدُودُ (١)

يعنى جَدْوَلاً ، وهذا البيت فى قصيدة له ، قال : ويقال لأَثَر السيف والسكين فى الجلد وأَثَرِ السَّوْطِ ونحوه : أُخْدُودٌ ، وجمعه أخاديد

قال ابن إسحق : ويقال : كان فيمن قتلَ ذو نواس عَبْدُ الله بن الثامر رأسهم وإمامهم (٢) .

(١) « يحيل لها » قال أبو ذر : « معناه يصب لها ، يقال : أحال الماء فى الحوض ، إذا صبه ، والجدول : النهر الصغير شبه السانية » اه كلامه

(٢) وقد سمعت قبل ذلك فى رواية محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران ما يفيد أن مقتل عبد الله بن الثامر كان قد حدث فى عهد ملك قبل ذى نواس ، وفى الطبرى ما يفيد ذلك أيضا

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أنه حُدِّث، أن رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حفر خَرِبَةً من خَرِبِ نَجْرَانَ لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله ابن الثامر تحت دَفْنٍ منها ، قاعدا واضعا يده على ضربة فى رأسه ممسكا عليها بيده ، فاذا أُخِّرَتْ يَدُهُ عنها تَنْبَعِثُ دَماً [(١)] وإذا أُرسلت يده رَدَّها عليها فأمسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه « ربى الله » فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبَرُ بأمره ، فكتب إليهم عمر رضى الله عنه « أنْ أَقِرُّوهُ على حاله ، ورُدوا عليه الدَّفْنَ الذى كان عليه » ففعلوا

دوس ذو ثعلبان يفر من ذى نواس ويستنجد بقيصر

قال ابن إسحق : وأفلت منهم رجل من سبأ ، يقال له دَوْسٌ ذو ثُعْلُبَانَ [(٢)] ، على فرس له ، فسلك الرَّمْلَ ، فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قَيْصَرَ ملكَ الروم ، فاستنصره على ذى نُوَاسٍ وجنوده ، فأخبره بما بلغ منهم ، فقال له : بَعُدَتْ بلادك منا ، ولكنى سأكتب لك إلى ملك الحبشة ؛ فانه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره ، والطلب بثأره ، فقدم دَوْسٌ على النجاشى بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة ، وأَمَّرَ عليهم رجلا منهم يقال له أرياط ، ومعه فى جنده أبْرَهَةُ الأشرم ، فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوسٌ ذُو ثُعْلُبَانَ ، وسار إليه ذو نواس فى حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به

النجاشى ينصر دوسا بسبعين ألفا

---

(١) « تنبعث دما » هو كذلك فى أكثر النسخ ، وفى نسخة « تثعب الدم » وفى أخرى « تثعبت دما » وقال أبو ذر « قوله فتثعبت دما » أى : سالت ، والثعب : الموضع الذى يخرج منه الماء من الحوض

(٢) قال المجد فى القاموس : « وذو ثعلبان ـ بالضم ـ من الأذواء » اه

و بقومه وَجَّهَ فرسه فى البحر ، ثم ضربه ، فدخل به فخاض به ضَحْضَاحَ البحر حتى أفضى به إلى غَمْرِه (١) فأدخله فيه ، وكان آخر العهد به ، ودخل أرياط اليمن فملكها ، فقال رجل من أهل اليمن ، وهو يذكر ماساق إليهم دوسٌ من أمر الحبشة : —

* لاَ كَدَوْسٍ وَلاَ كَأَعْلاَقِ رَحْلِهْ *

فهى مثل باليمن إلى هذا اليوم ؛ وقال ذو جَدَنٍ الحميرى : —

هَوْنَكِ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمْعُ مَافَاتَا ... لاَتَهْلِكِى أَسَفًا فِى إِثْرِ مَنْ مَاتَا (٢)

أَبَعْدَ بَيْنُونَ لاَ عَيْنٌ وَلاَ أَثَرٌ ... وَبَعْدَ سِلْحِينَ يَبْنِى النَّاسُ أَبْيَاتَا (٣)

بَيْنُونُ وسِلْحِينُ وغُمْدَانُ : من حصون اليمن التى هدم أرياط ، ولم يكن فى الناس مثلها ، وقال ذو جدن أيضا : —

---

(١) الضحضاح من الماء : الذى يظهر منه القعر ، وقد يستعار لغير الماء كقول النبي صلى الله عليه وسلم فى عمه أبى طالب حين سئل عنه فقال : « هو فى ضحضاح من النار ، ولولا مكانى لكان فى الطمطام » وفى النهاية لابن الأثير « الطمطام فى الأصل : معظم ماء البحر ، فاستعاره هنا لمعظم النار ، حيث استعار ليسيرها الضحضاح ، وهو الماء القليل الذى يبلغ الكعبين » اه والغمر - بفتح الغين وسكون الميم - هو الماء الكثير

(٢) « هونك » قال أبو ذر : « معناه ترفقى وليهن هذا الامر عليك ويروى هونكما ، وهو أصح فى الوزن » اه ، قلت : من رواه هونكما قال * هونكما لن يرد الدمع مافاتا * وعجيب من أبى ذر رحمه الله أن يزعم أن هذه الرواية أصح مما أثبتناه فى الأصل من جهة الوزن ، مع أن أمرهما فى الصحة سواء

(٣) « بينون » قال السهيلى : « بينون وسلحين : مدينتان خربهما أرياط وبينون : بين عمان والبحرين » اه

دَعِينِي لاَ أَبَالَكِ لَنْ تُطِيقِي[١] لَحَاكِ اللهُ قَدْ أَنْزَفْتِ رِيقِي[٢]
لَدَى عَزْفِ ٱلْقِيَانِ إِذِ ٱنْتَشَيْنَا وَإِذْ نُسْقَى مِنَ ٱلْخَمْرِ الرَّحِيقِ
وَشُرْبُ ٱلْخَمْرِ لَيْسَ عَلَيَّ عَاراً إِذَا لَمْ يَشْكُنِي فِيهَا رَفِيقِي
فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ لاَيَنْهَاهُ نَاهٍ وَلَوْ شَرِبَ الشِّفَاءَ مَعَ النَّشُوقِ[٣]
وَلاَ مُتَرَهِّبٌ[٤] فِي أُسْطُوَانٍ يُنَاطِحُ جُدْرُهُ[٥] بَيْضُ ٱلْأَنُوقِ[٦]
وَغُمْدَانُ[٧] الَّذِي حُدِّثْتِ عَنْهُ بَنَوْهُ مُسْمَكاً[٨] فِي رَأْسِ نِيقِ[٩]

---

(١) أى : لن تطيقى صرفى بالعذل عن شأنى

(٢) أكثرت على من العذل حتى أيبست ريق فى فى ، وقلة الريق تنشأ غالبا من الروع والخوف ، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش

(٣) المراد أنه لو شرب كل دواء يستشفى به لما دفع ذلك عنه الموت ، وكذا لو استنشق كل نشوق ما أبعد ذلك الموت عنه ، وفى بعض الأصول « مع السويق »

(٤) أى : ولادعاء مترهب يدعو لك ، فهو معطوف على « ناه »

(٥) جدر - بضم فسكون - جمع جدار ، وهو مخفف جدر ، بضم الجيم والدال

(٦) الأنثى من الرخم ، يقال فى المثل « أراد بيض الأنوق » إذا أراد مالا يوجد ، لأنها تبيض حيث لايدرك بيضها من شواهق الجبال

(٧) هو الحصن الذى كان لهوذة بن على ملك اليمامة

(٨) « مسمكا » أى : مرتفعا ، كقوله :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

(٩) « نيق » بكسر النون - هو الجبل ، ورأسه : أعلاه

بِمَنْهَمَةٍ [١] وَأَسْفَلُهُ جُرُونٌ [٢] وَحُرٌّ [٣] الْمَوْحَلِ [٤] اللَّثِقِ [٥] الزَّلِيق
مَصَابِيحُ السَّلِيطِ [٦] تَلُوحُ فِيهِ إِذَا يُمْسِى كَتَوْمَاضِ الْبُرُوقِ
وَنَخْلَتُهُ الَّتِى غُرِسَتْ إِلَيْهِ يَكَادُ الْبُسْرُ يَهْصِرُ [٧] بِالْعُذُوقِ
فَأَصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَاداً وَغَيَّرَ حُسْنَهُ لَهَبُ الْحَرِيقِ
وَأَسْلَمَ ذُو نُوَاسٍ مُسْتَكِيناً [٨] وَحَذَّرَ قَوْمَهُ ضَنْكَ الْمَضِيقِ

وقال [عبد الله] [٩] ابن الذئبة الثقفى فى ذلك ، قال ابن هشام : الذئبة أمه ، واسمه : ربيعة بن عَبْدِيَاليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَمَ ابن قَسِيٍّ : —

لَعَمْرُكَ مَا لِلْفَتَى مِنْ مَفَرْ مَعَ الْمَوْتِ يَلْحَقُهُ وَالْكِبَرْ

(١) المنهمة : موضع الرهبان ، والراهب يقال له النهامى
(٢) روى بالباء ، ومعناه الحجارة السود
(٣) بضم الحاء وهو خالص كل شىء
(٤) من الوحل — بالتحريك — وهو الطين الرقيق ، وفعله وحل بالكسر — أى : وقع فى الوحل
(٥) اللثق هو أن يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق ومنه قول بعض الفصحاء : غاب الشفق ، وطال الأرق ، وكثر اللثق ، فلينطق من نطق
(٦) السليط : دهن الزيت
(٧) أى : يميل بها ؛ والعذوق : جمع عذق ـ بكسر العين — وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب ، أو جمع عذق — بالفتح — وهو النخلة
(٨) خاضعا ذليلا
(٩) زيادة فى بعض النسخ ، وسيذكر ابن هشام أن اسمه ربيعة ؛ فتكون هذه الزيادة خطأ

لَعَمْرُكَ مَا لِلْفَتَى صُحْرَةٌ (١) لَعَمْرُكَ مَا إِنْ لَهُ مِنْ وَزَرْ (٢)
أَبَعْدَ قَبَائِلَ مِنْ حِمْيَرٍ أُبِيدُوا صَبَاحاً بِذَاتِ الْعِبَرْ (٣)
بِأَلْفِ أُلُوفٍ وَحُرَّابَةٍ كَمِثْلِ السَّمَاءِ (٤) قُبَيْلَ الْمَطَرْ
يُصِمُّ صِيَاحُهُمُ الْمُقْرَبَاتِ (٥) وَيَنْفُونَ مَنْ قَاتَلُوا بِالذَّفَرْ (٦)
سَعَالِيَ (٧) مِثْلُ عَدِيدِ التُّرَابِ تَيَبَّسُ مِنْهُمْ رِطَابُ الشَّجَرْ

وقال عَمْرو بن مَعْدى كرب الزُّبَيْدِى ، فى شىء كان بينه وبين قَيْس ابن مَكْشُوح المُرَادِى ، فبلغه أنه يتوعده ، فقال يذكر حمير وعِزَّهَا وما زال من مُلْكِها عنها : —

أَتُوعِدُنِى كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنٍ بِأَفْضَلِ عِيشَةٍ ، أَوْ ذُو نُوَاسِ

---

(١) صحرة — بضم الصاد وقد تفتح — أى : نجاة ، ولعل أصلها مأخوذ من لفظ الصحراء وهو المتسع من الأرض

(٢) الوزر : الملجأ ، ومنه اشتق الوزير ؛ لأن الملك يلجأ إليه فى الرأى

(٣) « ذات العبر » أى ذات الحزن ، يقال : عبر الرجل ، إذا حزن ، ويقال : لأمه العبر ، كما يقال : لأمه الثكل ، وقد سموا الداهية « ذات العبر »

(٤) الحرابة : أصحاب الحراب ، وقوله « كمثل السماء » أراد أنها سوداء لاسوداد السحاب وظلمته قبيل المطر

(٥) المقربات : الخيل العتاق التى لاتسرح فى المرعى ، بل تحبس فى البيوت استعدادا للعدو

(٦) بريحهم وأنفاسهم الكريهة ينفون من قاتلوا ، وهو كناية عن فرط وصفهم بالكثرة ، وعندنا أن أفضل من هذه الرواية «ويتقون — الخ» — بالتاء والقاف — ويقال : تقى يتقى ، مخففان من اتقى يتقى

(٧) السعالى : جمع سعلاة ، وهى الساحرة من الجن ، والمعنى على التشبيه

وَكَائِنْ كانَ قَبْلَكَ مِنْ نَعِيمٍ وَمُلْكٍ ثَابِتٍ فِى النَّاسِ راسِى (١)
قَدِيمٍ عَهْدُهُ مِنْ عَهْدِ عَادٍ عَظِيمٍ قَاهِرِ الْجَبُرُوتِ قَاسِى (٢)
فَأَمْسَى أَهْلُهُ بَادُوا وَأَمْسَى يُحَوَّلُ مِنْ أُنَاسٍ فِى أُنَاسِ

نسب زبيد ومراد

قال ابن هشام : زُبَيْدٌ : ابن سَلَمة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مَذْحِج ، ويقال : زُبيد بن مُنَبِّه بن صعب بن سعد العشيرة ، ويقال : زبيد بن صعب [بن سعد] ومراد : يُحَابر بن مَذْحِج

السبب الذى من أجله قال عمرو ابن معدى كرب هذا الشعر

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة قال : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سَلْمَانَ بن ربيعة الباهلى (وباَهِلَةُ : ابن يَعْصُر بن سَعْد بن قَيْس ابن عَيْلان) وهو بأَرْمِينِيَةَ ، يأمره أن يفضل أصحاب الخيل العِرَابِ (٣) على أصحاب الخيل الْمَقَارِف ، (٤) فى العطاء ، فعرض الخيل ، فمر به فرس عمرو بن معدى كرب ، فقال له سَلْمَان : فَرَسُك هذا مُقْرِفٌ ، فغضب عمرو فقال : هَجِينٌ عَرَفَ هَجِيناً مِثْلَه ، فوثب إليه قَيْس فتوعده ، فقال عمرو هذه الأبيات

قال ابن هشام : وهذا الذى عَنَى سطيحٌ الكاهنُ بقوله : « لَيَهْبِطَنَّ أَرْضَكُمُ الْحَبَشُ ، فَلَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إِلَى جُرَشٍ » والذى عنى شِقٌّ الكاهنُ بقوله : « لَيَنْزِلَنَّ أَرْضَكُمُ السُّودَانُ ، فَلَيَغْلِبُنَّ عَلَى كُلِّ طَفْلَةِ الْبَنَانِ ، وَلَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إِلَى نَجْرَانَ » (٥)

---

(١) الراسى : الثابت المستقر ، يقال : رسا الشىء ، إذا ثبت
(٢) القاسى : الشديد ، مأخوذ من القساوة ، وهى الشدة
(٣) الخيل العراب : التى أبوها وأمها عتيقان
(٤) المقارف : جمع مقرف ، وهو ما كان أبوه هجينا وأمه عتيقة
(٥) أنظر حديث سطيح (ص ١٢) وحديث شق (ص ١٣) من هذا الجزء

أبرهة يغلب أرياط على أمر اليمن

قال ابن إسحق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أَبْرَهَةُ الحبشى ، حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم ثار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنَّكَ لاتَصْنَعُ بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا ، فأبْرُزْ إلى وأَبْرُز إليك ، فأينا أصاب صاحبَهُ انصرف إليه جُنْدُه ، فأرسل إليه أرياط : أنْصَفْتَ ، فخرج إليه أَبْرَهَة ، وكان رجلا قصيرا لحيما ، وكان ذَادِينٍ فى النصرانية ، وخرج إليه أرياط ، وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفى يده حربة له ، وخَلْفَ أبرهة غلامٌ له ، يقال له عَتَوْدَةُ (١) ، يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربةَ فضرب أَبْرَهَةَ يريد يافوخه (٢) فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فشَرَمَت (٣) حاجبه وأَنْفَهُ وعَيْنَه وشفَتَه ، فبذلك سمى أبرهة الأشرم ، وحمل عَتَوْدَةُ على أرياط من خلف أَبْرَهَة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، ووَدَى أبرهةُ أرياطَ (٤)

النجاشى يغضب على أبرهة ثم يرضى عنه ويوليه أمر اليمن

فلما بلغ ذلك النجاشىَّ غضب غضبا شديدا ، وقال : عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ، ثم حلف لايدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويَجُزَّ ناصيته ،

(١) العتودة فى الأصل : الشدة فى الحرب ، وبها سمى هذا .

(٢) اليافوخ : وسط الرأس ، ويجمع على يآفيخ ، ومنه حديث على رضى الله عنه « وأنتم لهاميم العرب ، ويآفيخ الشرف » استعار للشرف رؤسا وجعلهم وسطها وأعلاها ، وقال العجاج : —

* ضَرْبٌ إذَا صَابَ اليَآفِيخَ حَفَرْ *

(٣) « شرمت حاجبه — الخ » أى : شقته

(٤) « ودى أبرهة أرياط » أى : أعطى لقومه ديته

فحلق أبرهةُ رأسَه، وملأ جرابا من تراب اليمن ثم بعث به إلى النجاشى، ثم كتب إليه: أيها الملك، إنما كان أرياطُ عَبْدَكَ، وأنا عَبْدُكَ، فاختلفنا فى أمرك، وكُلٌّ طاعتُهُ لك، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة، وأضْبَطَ لها، وأسْوَسَ منه، وقد حلقتُ رأسى كلَّه حين بلغنى قَسَمُ الملك، وبعثت إليه بجراب ترابٍ من أرضى ليضعه تحت قدميه، فيبر قسمه فىّ

فلما انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه، وكتب إليه: أن اثبُتْ بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى، فأقام أبرهة باليمن

أبرهة يحاول صرف العرب عن الحج إلى مكة

ثم إن أبرهة بَنَى القُلَّيْسَ (١) بصَنْعاءَ؛ فبنى كنيسة لم يُرَ مثْلُهَا فى زمانها بشىء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشى: إنى قد بنيتُ لك، أيها الملك، كنيسةً لم يُبْنَ مثلُها لملك كان قبلك، ولست بمُنْتهٍ حتى أصرف إليها حَجَّ العرب

تفسير النسأة والنسى.

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى غضب رجلٌ من النَّسَأَة، أحدِ بنى فُقَيْم بن عَدِىّ بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر (والنَّسَأَةُ: الذين

(١) القليس - كقبيط - الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف إليها حج العرب؛ وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه القلانس؛ لأنها فى أعلى الرأس، ذكره السهيلى، ثم قال: «وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة، وجشمهم فيها أنواعا من السخر، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب؛ من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام — وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ، وكان فيه بقايا من آثار ملكها - فاستعان بذلك على ما أراده فى هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها؛ ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنوس، وكان أراد أن يرفع فى بنائها حتى يشرف منها على عدن» اه كلامه بحروفه

كانوا ينسؤن الشهور على العرب فى الجاهلية ، فيحلون الشهر من الأشهر الحُرُم ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ؛ ويؤخرون ذلك الشهر (١) ففيه أنزل الله تبارك وتعالى (٩ : ٣٧) : (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ)

قال ابن هشام: ليواطئوا: ليوافقوا، والمواطأة : الموافقة ، تقول العرب : واطأتك على هذا الأمر ؛ أى : وافقتك عليه ، والايطاء فى الشعر : الموافقة ، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد ، نحو قول العجاج (واسم العجاج : عبدالله بن رؤبة ، أحد بنى سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميم ابن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار) :—

* فِي أَثْعُبَانِ الْمَنْجَنُونِ الْمُرْسَلِ (٢) *

ثم قال :

* مَدَّ الْخَلِيجِ فِي الْخَلِيجِ الْمُرْسَلِ (٣) *

---

(١) كان نسيئهم للأشهر على ضربين : أحدهما : ماذكره من تأخير شهر المحرم إلى صفر مثلا ، لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات ، والثانى : تأخيرهم الحج عن وقته ، تحريا منهم للسنة الشمسية ؛ وكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما أو أكثر حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته

(٢) الأثعبان : مايندفع من الماء من مثعبه ، أى : مجراه ، والمنجنون بفتح فسكون — هو الدولاب التى يستقى عليها ؛ ويقال المنجنين أيضا . وهى مؤنثة

(٣) الخليج : هو النهر الصغير يخرج من النهر الكبير ، ويطلق على الحبل أيضا

وهذان البيتان فى أرجوزة له *

أول من نسأ الشهور ومن قفا أثره

قال ابن إسحق : وكان أولَ من نسأ الشهور على العرب : فأحلَّتْ منها ما أحَلَّ ، وحرمت منها ما حرم ؛ القَلَمَّسُ (وهو حُذَيفة بن عَبْد ابن فُقَيم بن عَدِىٍّ بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة) ثم قام بعده على ذلك ابنه عُبَّادُبن حذيفة ثم قام بعد عبَّادٍ قَلَعُ بن عباد، ثم قام بعد قَلَعٍ أُمَيَّةُ بن قلع ، ثم قام بعد أمية عَوْفُ بن أمية ، ثم قام بعد عوف أبو ثُمَامَة جُنَادَةُ بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الاسلام

وكانت العرب — إذا فرغت من حجها — اجتمعت إليه ؛ فحرَّم الأشهر الحرُمَ الأربعة : رجبا ، وذا العقدة ، وذا الحجة ، والمحرم ، فاذا أراد أن يحل منها شيئا أحل المحرم فأحلوه ، وحرم مكانه صفر فحرموه ؛ ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم ، فاذا أرادوا الصَّدَرَ (١) قام فيهم فقال : اللهم إنى قد أحْلَلْتُ لهم أحد الصَّفَرَ يْنِ الصَّفَرَ الأوَّلَ ، ونَسَأْتُ الآخر العام المقبل ؛ فقال فى ذلك عُمَيْرُ بن قيس جَذْلُ الطِّعَانِ (٢) أحد بنى فراس بن غَنْم [بن ثعلبة] بن مالك بن كنانة يفخر بالنَّسَأةِ على العرب : —

(١) « الصدر » بفتح الصاد والدال جميعا — هو اسم بمعنى الرجوع وأصله فى الماء ، تقول : صدر عن الماء ، إذا كان قد ورد ثم رجع عنه ، يريد إذا أرادوا الرجوع من مكة إلى بلادهم

(٢) الذى ذكره أبو عبيدة أن « جذل الطعان » لقب علقمة بن فراس ابن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة قاله أبو ذر ، وقال السهيلى : وكان عمير هذا من أطول الناس ، وسمى جذل الطعان لثباته فى الحرب كأنه جذل شجرة واقف ، وقيل : لأنه كان يستشفى برأيه ويستراح إليه كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل تحتك به ، ونحو منه قول الحباب : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، وقول الأعرابى يصف ابنه : إنه لجذل حكاك ومدره

لَقَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ أَنَّ قَوْمِي   كِرَامُ النَّاسِ أَنَّ لَهُمْ كِرَامَا(١)
فَأَيُّ النَّاسِ فَاتُونَا بِوِتْرٍ   وَأَيَّ النَّاسِ لَمْ نُعْلِكْ لِجَامَا(٢)
أَلَسْنَا النَّاسِئِينَ عَلَى مَعَدٍّ   شُهُورَ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامَا

قال ابن هشام : أول الأشهر الحرُم المحرمُ

رجل من كنانة يحدث فى القليس

قال ابن إسحق : فخرج الكنانى حتى أتى القُلَّيْسَ فَقَعَدَ فيها

قال ابن هشام : يعنى أحدث فيها

قال ابن إسحق: ثم خرج فلحقَ بأرضه ، فأُخبر بذلك أبرهة ، فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة ، لما سمع قولك «أصْرِفُ إليها حَجَّ العرب» غضب فجاء فقعد فيها ، أى : أنها ليست لذلك بأهل ، فغضب عند ذلك أبرهة وحلف لَيَسِيرَنَّ إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه ، وفَظِعُوا به ، ورأوا جهاده حقًّا عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله

أبرهة يسير ليهدم البيت ومعه الفيل

لكاك ، واللكاك : الزحام » اه كلامه ، قلت : والجذل بكسر الجيم أو فتحها كما نص عليه المجد

(١) « أن لهم كراما » هذا علة لكون قومه كرام الناس ، فمحل المصدر المنسبك من أن واسمها وخبرها جر بحرف تعليل محذوف ، وأراد أن لهم آباء كراما أو أخلاقا كراما ، وأصل الكلام : أن قومى كرام الناس بأن لهم أخلاقا كراما

(٢) «فاتونا بوتر» الوتر : طلب الثأر ، يريد لم يستطع أحد من الناس أن يفلت منا إذا طلبناه بثأر لنا عنده ، وقوله «لم نعلك لجاما» أى : لم نقدعهم ونكفهم كما يقدع الفرس باللجام ، تقول : أعلكت الفرس لجامه ، إذا رددته من نشاطه فعلك اللجام

ذو نفر من أشراف اليمن يجاهد أبرهة

الحرام ، فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم — يقال له له ذُو نَفْرٍ — فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فَهُزِمَ ذو نَفْرٍ وأصحابه ، وأُخِذَ له ذو نفر فأُتى به أسيرا ، فلما أراد قتله قال له ذونَفْرٍ : أيها الملك ، لاتقتلنى فانه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده فى وثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما ، ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عرض له نُفَيْلُ بن حبيب

الخثعميون يجاهدون أبرهة

الخثعمى فى قبيلَىْ خَثْعَم : شهران ، وناهس (١) ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة ، وأُخذ له نفيل أسيرا ، فأُتى به ، فلما هَمَّ بقتله قال له نفيل : أيها الملك ، لاتقتلنى فانى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يدَاىَ لك على قبيلى خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فخلَّى سبيله ، وخرج به

مسعود بن معتب وأبرهة

معه يَدُلُّه ، حتى إذا مَرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف ، فى رجال ثقيف (واسم (٢) ثقيف قَسِىُّ بن النبيت بن منبه بن منصور بن يَقْدُمَ بن أفصى بن

(١) هما قبيلا خثعم ، وخثعم فى الأصل اسم جبل سمى به بنو عفرس ، لأنهم نزلوا عنده ، ويقال قبائل خثعم ثلاث : شهران ، وناهس ، وأكلب ، غير أن أكلب عند أهل النسب هو ابن ربيعة بن نزار ، ولكنهم دخلوا فى خثعم وانتسبوا إليهم

(٢) قد سبق لابن هشام ذكر نسب ثقيف ، فانظره فى ص١١) من هذا الجزء تجده؛ كما سيأتى له فى (ص ٤٨) تعليقا على ماذكره ابن اسحاق ههنا .

نسب ثقيف دُعْمِيِّ بن إياد [بن نزار] بن معد بن عدنان ، قال أمية بن أبي الصلت الثقفي : —

قَوْمِي إِيَادٌ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمٌ أَوْ لَوْ أَقَامُوا فَتَهْزَلَ النَّعَمُ[1]
قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَمِيعاً وَالْقِطُّ وَالْقَلَمُ

وقال أمية بن أبي الصلت أيضا : —

فَأَمَّا تَسْأَلِي عَنِّي لُبَيْنَى وَعَنْ نَسَبِي أُخَبِّرْكِ الْيَقِينَا
فَإِنَّا لِلنَّبِيتِ أَبِي قَسِيٍّ لِمَنْصُورِ بْنِ يَقْدُمَ الْأَقْدَمِينَا

قال ابن هشام : ثقيف : قَسِيُّ بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ؛ والبيتان الأولان والآخران في قصيدتين لأمية

قال ابن إسحق : فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد — يعنون اللات — إنما تريد البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه ، فتجاوز عنهم

اللات والللات : بيت لهم بالطائف ، كانوا يعظّمونه نحوَ تعظيم الكعبة

قال ابن هشام : وأنشدني أبو عبيدة النحوي لضِرَار بن الخطاب الفِهْرِيّ : —

وَفَرَّتْ ثَقِيفٌ إِلَى لَاتِهَا بِمُنْقَلَبِ الْخَائِبِ الْخَاسِرِ

(١) «أمم» بفتح الهمزة والميم ـ القريب . والنعم ـ بفتحتين أيضا ـ الابل وقال بعض أهل اللغة : النعم كل ماشية أكثرها إبل

وهذا البيت فى أبيات له

قال ابن إسحق : فبعثوا معه أبا رِغَالٍ يدله على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغَالٍ حتى أنزلها المُغَمّس(١) ، فلما أنزله به مات أبو رِغَالٍ هنالك ، فرَجَمَتْ قَبْرَهُ العربُ ، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمُغَمّس(١)

الاسود بن مقصود يغير على مكة

فلما نزل أبرهة المُغَمّسَ بعث رجلا من الحبشة — يقال له الأسود ابن مقصود(٢) — على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم ، فأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمَّتْ قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به ، فتركوا ذلك

أبرهة يرسل حناطة الحميرى الى أهل مكة

و بعث أبرهة حُنَاطَةَ الحميرىَّ إلى مكة ، وقال له : سَلْ عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إنى لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فان لم تعرَّضوا لنادُونَهُ بحرب فلا حاجة لى فى دمائكم ، فان هو لم يُرِدْ حربى فأْتِنِى به ، فلما دخل حُنَاطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم [بن عبد مناف بن قصى] ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله مانريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيتُ الله الحرام ، و بيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أو كما قال ، فانْ يَمْنَعْهُ منه فهو بيته وحرمته ، و إن يُخَلِّ بينه و بينه فوالله ماعندنا دفع عنه . فقال حناطة : فانطلق معى إليه ، فانه قد أمرنى أن آتيه بك . فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر

حناطة وعبد المطلب بن هاشم

(١) « المغمس » - بالكسر على صيغة اسم الفاعل ؛ ويروى فيه الفتح - وهو موضع بطريق الطائف على ثلثى فرسخ من مكة

(٢) فى بعض النسخ « ابن مفصود » بالفاء الموحدة

عبد المطلب وذو نفر

فسأل عن ذى نَفْرٍ — وكان له صديقا — حتى دخل عليه وهو فى مَحْبِسِهِ ، فقال له : ياذا نَفْرٍ ، هل عندك من غَنَاء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نَفْرٍ : وما غَنَاء رجل أسير بيدَىْ ملك ينتظر أن يقتله غُدُوًّا أَوْ عَشِيًّا ؟ ماعندى غَنَاء فى شىء مما نزل بك ، إلا أن أُنَيْسًا سائسَ الفيل صديقٌ لى ، وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأُعَظِّم عليه حقَّك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخيرٍ إن قدر على ذلك ، فقال : حسبى ، فبعث ذو نَفْر إلى أُنَيْسٍ فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش ، وصاحب عِير مكة ، يطعم الناس بالسهل ، والوحوشَ فى رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير ، فاستأذِنْ له عليه ، وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفْعَلُ

أنيس يستأذن لعبد المطلب على أبرهة

فكلم أنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك ، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عِيرِ مكة ، وهو يطعم الناس فى السهل ، والوحوشَ فى رءوس الجبال ، فأْذَنْ له عليك فليكلمك فى حاجته ، قال : فأذن له أبرهة

عبد المطلب بين يدى أبرهة

قال : وكان عبد المطلب أوْسَمَ الناس ، وأجْمَلَهُمْ ، وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجَلَّه وأعظمه ، وأكرمه عن أن يُجْلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ، فقال له ذلك الترجمان ، فقال : حاجتى أن يَرُدَّ علىَّ الملكُ مائتى بعير أصابها لى ، فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كُنْتَ أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زَهِدْتُ فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لاتكلمنى فيه ؟ قال له عبد المطلب : إنى أنا رَبُّ الابل ، وإن للبيت رَبا سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك

وكان — فيما يزعم بعض أهل العلم — قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حُناطةَ يَعْمَرُ بْنُ نُفَاثَةَ بن عدى بن الدُّئل بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة — وهو يومئذ سيد بنى بكر — وخُوَيْلِدُ بْنُ واثلة الْهُذَلى — وهو يومئذ سيد هذيل — فعرضوا على أبرهة ثُلُثَ أموال تهامة، على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم ، والله أعلم أ كان ذلك أم لا ، فرد أبرهة على عبد المطلب الابل التى أصاب له

عبد المطلب يأمر قريشا بالجلاء ويستنصر الله

فلما انصرفوا عنه انصرف عبدُ المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتَّحَرُّزِ فى شَعَفِ الجبال والشعاب ، تَخَوُّفاً عليهم من مَعَرَّة الجيش (١) ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحَلْقَة باب الكعبة ،وقام معه نَفَر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة : —

لَاهُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ يَمْـ*ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلَالَكْ (٢)
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالَكْ (٣)
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَقِبْـ*ـلَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَالَكْ

قال ابن هشام : هذا ماصح له منها

---

(١) «التحرز» بالراء المهملة ـ التمنع ؛ ويروى «التحوز» بالواو ـ وهو أن ينحاز إلى جهة ويتمنع بها ، و« شعف الجبال» رءوسها ، و«الشعاب» المواضع الخفية بين الجبال ، و«معرة الجيش » شدته

(٢) « فامنع حلالك » الحلال ـ بكسر الحاء ـ جمع حلة ، وهى جماعة البيوت وربما أريد بها القوم المجتمعون لأنهم يحلون فيها ؛ ويروى « فامنع رحالك»

(٣) «محالهم» المحال ـ بكسر الميم ـ القوة والشدة

قال ابن إسحق : وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى : —

لَاهُمَّ أَخْزِ الْأَسْوَدَ بْنَ مَقْصُودْ   الْآخِذَ الْهَجْمَةَ فِيهَا التَّقْلِيدْ(١)
بَيْنَ حِرَاءَ وَثَبِيرٍ فَالْبِيدْ   يَحْبِسُهَا وَهْيَ أُولَاتُ التَّطْرِيدْ(٢)
فَضَمَّهَا إِلَىٰ طَمَاطِمٍ سُودْ   أَخْفِرْهُ يَارَبِّ وَأَنْتَ مَحْمُودْ(٣)

قال ابن هشام : هذا ماصح له منها ، والطماطم : الأعلاج(٤)

قال ابن إسحق : ثم أرسل عبدالمطلب حَلْقَةَ باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعَفِ الجبال فتحرّزوا فيها ينتظرون ماأبرهةُ فاعلٌ بمكة إذا دخلها

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهَيَّأ فيله ، وعَبَّى جيشه(٥) وكان اسم الفيل محمودا ، وأبرهة مُجْمِع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن ، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْلُ بن حبيب [الخثعمى] حَتَّى قام إلى جنب الفيل ، ثم — الفيل يمتنع من السفير الى مكة

(١) «لاهم» أى : اللهم ، و «الهجمة» القطعة من الابل . قال بعضهم : هى مابين الخمسين إلى الستين ، و «التقليد» القلائد

(٢) «حراء وثبير» جبلان بمكة ، والبيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء

(٣) «أخفره» أى : انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه ، يقال : أخفرت الرجل ، إذا نقضت عهده وذمامه ، والهمزة فيه للأزالة ، أى : أزلت خفارته ، أى : ذمامه ، كأشكيته إذا أزلت شكايته ، بخلاف خفرته أخفره : فانه بمعنى أجرته وحفظته ؛ فهاهنا يضبط بقطع الهمزة وفتحها ، لئلا يصير الدعاء عليه دعاء له

(٤) «الاعلاج» جمع علج ، وهو الرجل من كفار العجم وغيرهم ، ويجمع أيضا على علوج . وواحد الطماطم طمطمانى

(٥) الأكثرون على أنه يقال : عبى جيشه ، بالألف غير مهموز ، ويقال : عبأ متاعه ، بالهمز ، ومنهم من حكى عبأ جيشه

أخذ بأذنه فقال : ابْرُكْ محمود أو ارجع راشدا من حيث جئت ، فانك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصْعَدَ فى الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فضربوا رأسه بالطَّبَرْزِين ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم فى مَرَاقِّه فبزغوه بها ليقوم فأبى (١) ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، ووجَّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجَّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجَّهُوه إلى مكة فبرك (٢) ، فأرسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثالَ الْخَطَاطِيفِ والْبَلَسَان ، (٣) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجرٌ فى منقاره ، وحجرانِ فى رجليه ، أمثال الحمص والْعَدَس ، لاتصيب منهم أحدا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ليدلَّهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل — حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته : —

عقاب الله لاصحاب الفيل

أَيْنَ الْمَفَرُّ وَالإِلٰهُ الطَّالبْ * وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبْ

قال ابن هشام : قوله « ليس الغالب » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال نفيل أيضا : —

---

(١) «الطبرزين» آلة معقفة من حديد ، و«المحاجن» جمع محجن ، وهى عصا معوجة وقد يجعل فيها حديد ، و«المراق» أسفل البطن ؛ و« بزغوه» أى : أدموه ؛ ومنه قيل لمشرط الحجام مبزغ ، لأنه يسيل الدم

(٢) المعروف أن الفيل لا يبرك ؛ فالمراد هنا أنه امتنع عن السير

(٣) « الخطاطيف » طيور سود ؛ واحــــدها خطاف ـ بزنة رمان و«البلسان» لم يذكره صاحب القاموس بما يصلح ههنا ؛ وذكر ابن الأثير حديث ابن عباس « بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان » ثم قال : « قال عباد بن موسى :أظنها الزرازير »اه وفى رواية أبى ذر « البلشون »

أَلاَ حُيِّيتِ عَنَّا يَارُدَيْنَا * نَعِمْنَا كُمْ مَعَ الإِصْبَاحِ عَيْنَا (١)
رُدَيْنَةُ ، لَوْ رَأَيْتِ فَلاَ تَرَيْهِ * لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا (٢)
إِذًا لَعَذَرْتِنِي وَحَمِدْتِ أَمْرِى * وَلَمْ تَأْسَىْ عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا (٣)
حَمِدْتُ اللهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا * وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ * كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مَهْلِكٍ ، على كل مَنْهَل (٤) ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً (٥) : كلما سقطت أنملةٌ أتبعتها منه مدة تَمُثُّ (٦) قيْحًا ودماً ، حتى

---

(١) « نعمنا كم » أراد نعمنا بكم . و «عينا» تمييز محول عن الفاعل . وأصل الكلام : نعمت عيننا بكم ، فلما حول الاسناد عن العين إلى المضاف إليه صار الكلام : نعمنا بكم عينا . ثم حذف حرف الجر وأوصل الفعل إلى ما كان مجروراً به . فصار كما ترى وفى بعض النسخ زيادة بيت بعد هذا وهو قوله :

أَتَانَا قَابِسٌ مِنْكُمْ عِشَاءً فَلَمْ يُقْدَرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا

(٢) «المحصب» اسم لموضعين بناحية مكة : أحدهما الشعب الذى مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنى ، والثانى : موضع رمى الجمار بمنى ، قاله المجد فى القاموس ، وذكرهما ابن الأثير فى النهاية ، ثم قال « سميا بذلك للحصى الذى فيها » اه والحصى الصغار يقال له الحصباء

(٣) «تأسى» تحزنى ، وهو مضارع مسند لياء المخاطبة ، وباب ماضيه ومضارعه كرضى يرضى . ومنه قوله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أصابكم » وقوله « بينا » هو مصدر بان يبين بينا . وأصل معناه الفراق والانفصال ، وهو مؤكد لقوله تأسى ؛ لتقارب معنيهما

(٤) المهلك : مكان الهلاك ، والمنهل : مكان ورود الماء ، وجمعه مناهل

(٥) أصل الأنملة : طرف الأصبع ، وربما أطلقت على الجزء الصغير من الشىء على التشبيه بالأنملة فى الصغر . وهى ههنا كذلك ، يريد أن جسمه قد تناثر قطعة فقطعة

(٦) تقول : مث فلان عرقا ، إذا تصبب جسمه ورشح ، ومنه حديث

قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انْصَدَعَ صدرُه [1] عن قلبه ، فيما يزعمون

قال ابن إسحق : حدثني يعقوب بن عتبة أنه حُدِّث أن أول ما رؤيت الحَصْبَة والجُدَرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى بها مرائر الشجر الحَرْمَلُ والحَنْظَلُ والعُشَرُ [2] ذلكَ العَامَ

القرآن يذكر حادث الفيل

قال ابن إسحق : فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ما ردعنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال الله تبارك وتعالى (١٠٥ : ١ — ٥) : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) وقال :(١٠٦ : ١ـ ٤) (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ

عمر أن رجلا أتاه يسأله قال : هلكت . قال : أهلكت وأنت تمث مث الحميت : أى : ترشح من السمن ، والفعل ههنا من هذا المعنى ، يريد أن جسمه كان يرشح مدة وقيحا . والمدة ـ بكسر الميم ـ قال فى القاموس هو القيح ، وقال فى مادة « ق ى ح » « القيح : المدة لا يخالطها دم » اه ، فدل على أن بينهما فرقا

(١) انصدع صدره : انشق

(٢) قال أبو ذر « مرائر الشجر يعنى المر منها . وهو جمع أمرار . وأمرار : جمع مر » اه كلامه . وليس مقاله صحيحا ، لأننا لو سلمنا أن أمرارا جمع مر لم نسلم أن أمرارا يجمع على مرائر : فان جمع أمرار أمارير كما يعلم لمن شدا شيئا من العربية ، وإنما مرائر جمع مرير . وكأنهم لما استعملوا مرا ـ والقياس مرير ـ جمعوا هذا المفرد الذى يتطلبه القياس ، والحرمل : قال فى القاموس : « حب نبات معروف يخرج السوداء والبلغم إسهالا » اه ، والعشر ـ بضم العين وفتح الشين ـ شجر مر يحمل ثمرا كالأترج وليس فيه منتفع ،

إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) أي : لئلا يغير شيئا من حالهم التي كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه

قال ابن هشام : الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه ، وأما السِّجِّيلُ فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب ، قال رؤبة بن العجاج : —

وَمَسَّهُمْ مَامَسَّ أَصْحَابَ الْفِيلْ * تَرْمِيهِمُ حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلْ
* وَلَعِبَتْ طَيْرٌ بِهِمْ أَبَابِيلْ *

وهذه الأبيات في أرجوزة له ، وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سِنْجٌ وجِلٌّ ، يعني بالسنج الحجر ، وبالجل الطين ، يعني : الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين ، وَالْعَصْفُ : ورق الزرع الذي لم يُعْصَفْ (١) وواحدته عَصْفَةٌ

[حدثنا ابن هشام ،] قال : وأخبرني أبو عبيدة النحوي أنه يقال له العُصَافة والْعَصيفة ، وأنشدني لعَلْقَمَة بن عَبَدَة أحد بني ربيعة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم : —

تَسْقِي مَذَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتُهَا * جُذُورُهَا مِنْ أَتِيِّ الْمَاءِ مَطْمُومُ (٢)

---

(١) يعصف — بالعين المهملة بعدها صاد وآخره فاء — أي : لم يقطع ، وقال في القاموس «وعصفه : جده قبل أن يدرك» اهـ ، وقد وقع في سائر أصول الكتاب «يقصب» وهو تحريف

(٢) قال أبو ذر : « تسقى مذانب ، المذانب : جمع مذنب ، وهو مسيل الماء إلى الروضة ، والعصيفة : ورق الزرع ، وقد فسره ابن هشام ، حدورها

وهذا البيت فى قصيدة [١] له ، وقال الراجز : —

* فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولْ *

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير فى النحو [٢] و « إيلاف قريش » إلْفُهُم الخروجَ إلى الشام فى تجارتهم ، وكانت لهم خَرْجَتَان : خرجة فى الشتاء ، وخرجة فى الصيف . تفسير الايلاف

[أخبرنا ابن هشام] قال : أخبرنى أبو زيد الأنصارى أن العرب

ماانحدر منها ؛ ومن رواه جذورها ـ بالجيم المضمومة ـ فهو جمع جذر ، وهى أصول الشجر هنا ، والأتى : السيل ، ومطموم : من قولهم طم الماء وطما إذا علا وارتفع » اهـ كلامه ؛ وقال الأعلم فى شرح ديوان علقمة : « والعصيفة : الورق ؛ وقيل : العصيفة رءوس الزرع ، والمذانب : مسايل الماء ، وحدورها ما انحدر منها واطمأن ، والأتى ـ كغنى ـ الجدول ، وأراد به ههنا ما يسيل من الماء فى الجدول ، والمطموم : المملوء بالماء ، ويروى جدورها ؛ والجدور : الحواجز التى تحجز الماء فى أصول النخل ، ورد قوله مطموم على واحد الجدور ، وتقديرها جدورها كل جدر منها مطموم ؛ ومثله قول الأسود ابن يعفر فى وصف جفنة : —

وَجَفْنَةٍ كَنَضِيحِ الْبِئْرِ مُتْأَقَةٍ * تَرَى جَوَانِبَهَا بِالشَّحْمِ مَفْتُوقَا

أى : ترى كل جانب منها مفتوقا » اهـ كلامه ، ومنه تعلم أن رواية جذورها بالجيم والذال المعجمة ـ التى ذكرها أبو ذر غير هذه التى حكاها الأعلم .
وفى اللسان * تسق مذانب قد زالت عصيفتها *

(١) قلت : هى فى ديوانه ، ومنها البيت المذكور ، وأولها :ـ

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ * أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُومُ

(٢) قال أبو ذر : « تفسيره أن الكاف زائدة ؛ لكونها قد تكون حرفا و « مثل » لاتكون إلا اسما ؛ فزيادة الحرف أولى من زيادة الاسم ، والمراد من زيادتها التأكيد » اهـ

تقول : أَلِفْتُ الشَّىءَ إلْفاً وآلفته إيلافا ، فى معنى واحد ، وأنشدنى لذى الرُّمَّة : —

مِنَ المُؤْلفَاتِ الرَّمْلَ أدْماءُ حُرَّةٌ * شعُاعُ الضُّحَى فِى لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ (١)

وهذا البيت فى قصيدة (٢) له ، وقال مطرود بن كعب الخزاعى :

الْمُنْعِمِينَ إذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ * وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإيلاَفِ (٣)

وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى ، والايلاف أيضا : أن يكون للانسان أَلْفٌ من الابل أو البقر أو الغنم أو غير ذلك ، يقال : آلَفَ فلان إيلافاً ، قال الْكُمَيْتُ بن زيد أحد بنى أسد بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد : —

بِعَامٍ يَقُولُ لَهُ الْمُؤْلِفُو * نَ هَذَا الْمُعِيمُ لَنَا الْمُرْجِلُ (٤)

---

(١) الأدماء من الظباء : السمراء الظهر البيضاء البطن ، والأدمة فى الابل : البياض الخالص ، والأدمة فى الآدميين : أن يميل اللون إلى السمرة قليلا ؛ وشعاع الضحى : بريق لونه ، ويتوضح : يتبين . قاله أبو ذر

(٢) قلت : هى فى ديوانه ، وفيها البيت المذكور ، وأولها : —

أَمَنْزِلَتَى مَىٍّ ، سَلاَمٌ عَلَيْكُمَا * عَلَى النَّأْىِ ، وَالنَّائِى يَوَدُّ وَيَنْصَحُ

وقبل البيت الذى ذكره ابن هشام قوله : —

ذَكَرْتُكِ إذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ * أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرَئِبُّ وَتَسْنَحُ

(٣) قال أبو ذر : «إذا النجوم تغيرت » يعنى استحالت عن عادتها من المطر على مذهب العرب فى النجوم . ومن رواه تغبرت بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل فمعناه قل مطرها : من الغبر ، وهو البقية » اه كلامه

(٤) المعيم اسم فاعل من «أعامه» إذا أثار شوقه إلى اللبن . والمرجل : اسم فاعل أيضا من « أرجله » إذا جعله يمشى راجلا ، ويروى «المرحل» بالحاء

وهذا البيت فى قصيدة له ، والايلاف أيضا : أن يصير القوم ألْفاً ، يقال : آلَفَ القَوْمُ إيلاَفاً ، قال الكُميْتُ بن زيد : —

وَآل مُزَيْقِياءَ غدَاة لاَقوْا * بَنِي سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ مُؤْلِفِينَا

وهذا البيت فى قصيدة له ، والايلاف أيضا : أن يُؤْلَفَ الشىء إلى الشىء فيألفه ويلزمه ، يقال : آلفته إياه إيلافاً ، والايلاف أيضا : أن تُصَيِّرَ مادون الألف ألفا ، يقال : آلفته إيلافا

ماصار اليه قائد الفيل وسائسه

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمان الناس

حادث الفيل فى شعر العرب

قال ابن إسحق : فلما رد الله الحبشة عن مكة وأصابهم بما أصابهم به من النِّقْمة أعْظَمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهْلُ الله ، قاتل الله عنهم ، وكفاهم مُؤْنَةَ عدوهم ، فقالوا فى ذلك أشعاراً يذكرون فيها ماصنع الله بالحبشة ، وما رد عن قريش من كيدهم ، فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن عَدِىّ بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ابن لُؤَى بن غالب بن فِهْر : —

نسب ابن الزبعرى وشعره فى حادث الفيل

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إنَّهَا * كَانَتْ قَدِيماً لاَيُرَامُ حَرِيمُهَا (1)

المهملة — أى : الذى يدعوهم إلى الرحلة عن بلادهم : يصف سنة شديدة القحط والجدب بأنها تترك إبل ذوى الابل الكثيرة ولالبن فيها ولاقدرة لها على حملهم فى أسفارهم .

(1) « تنكلوا » يروى فى مكانه « تنكبوا » والمعنى ارجعوا خوفا منها ، تقول : نكبت فلانا عن الشىء . إذا صرفته عنه صرف هيبة وخوف

لمْ تخلَقِ الشِّعْرَى ليَالِيَ حُرِّمَتْ * إذْ لاَعَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومهَا[١]

سَائِلْ أمِيرَ الْجَيْشِ عَنْهَا مَارَأَى * وَلَسَوْفَ يُنبِي الجَاهِلِينَ عَلِيمُهَا

سِتُّونَ أَلْفاً لَمْ يَؤُبُوا أَرْضَهُمْ * بَلْ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ الإيَابِ سَقِيمُهَا[٢]

دَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُمُ قَبْلَهُمْ * وَاللهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا[٣]

قال ابن إسحق : يعنى ابنُ الزِّبَعْرَى بقوله « بعد الاياب سقيمُهَا » أبرهة ؛ إذ حملوه معهم حين أصابه ماأصابه حتى مات بصنعاء

وقال أبو قيس بن الأسلَت الأنصارى ثم الخطمى ، واسمه صيفى

نسب أبى قيس ابن الاسلت وشعره فى الفيل

قال ابن هشام : أبو قيس صيفىُّ بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس

وَمِنْ صُنْعِهِ يَوْمَ فِيلِ الْحُبُو * شِ إذْ كُلَّمَا بَعَثُوهُ رَزَمْ[٤]

مَحَاجِنُهُمْ[٥] تَحْتَ أَقْرَابِهِ * وَقَدْ شَرَمُوا أَنْفَهُ فَانْخَرَمْ

---

(١) « الشعرى » : نجم ، وهما شعريان : إحداهما الغيمصاء ، وهى التى فى ذراع الأسد ، والأخرى التى تتبع الجوزاء ، وهى أضوء من الضياء قاله أبو ذر .

(٢) « لم يؤبوا أرضهم » أى : لم يرجعوا ، يقال : آب إلى كذا ، إذا رجع ؛ وكان وجه الكلام أن يقول : إلى أرضهم ، لكنه حذف حرف الجر وأوصل الفعل

(٣) « دانت بها » أى : خضعت وأطاعت ، والدين : الطاعة ؛ وفى بعض نسخ الكتاب « كانت بها عاد — الخ »

(٤) رزم : ثبت ولزم موضعه

(٥) المحاجن : جمع محجن ، وهو عصا معوجة أو الصولجان ؛ والأقراب : جمع قرب — بالضم — وهو الخاصرة

وَقَدْ جَعَلُوا سَوْطَهُ مِغْوَلاً إِذَا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كُلِمْ (١)
فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمّْ
فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِباً فَلَفَّهُمُ مِثْلَ لَفِّ الْقُزُمْ (٢)
تَحُضُّ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ وَقَدْ ثَأَجُوا كَثُؤَاجِ الْغَنَمْ (٣)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له ، والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبى الصلت

قال ابن إسحق : وقال أبو قيس بن الأسلت : —

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا
بِأَرْكَانِ هٰذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ (٤)
فَعِنْدَكُمُ مِنْهُ بَلَاءٌ مُصَدَّقٌ
غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ (٥)
كَتِيبَتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرَجْلُهُ
عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ (٦)

(١) المغول ـ وزان مقود ـ سيف رقيق له قفا كهيئة السكين ؛ ويروى « معولا » بالعين المهملة ـ وهى الفأس ، و « كلم » جرح

(٢) القزم : جمع قزم ، وهو الصغير من الغنم ؛ أو كل صغير الجثة

(٣) ثؤاج الغنم : صوتها

(٤) « صلوا ربكم » أى : ادعوه ؛ وأصل معنى الصلاة فى اللغة الدعاء والأخاشب : جمع أخشب ؛ وهى جبال مكة ؛ وإنما هما أخشبان فأرادهما وما حولها فلذلك جمع

(٥) « أبى يكسوم » كنية أبرهة وسيذكر ذلك ابن هشام ، والكتائب : جمع كتيبة . وهى الجيش

(٦) « تمشى » هكذا فى بعض النسخ ، وفى أخرى « تمسى » بضم تاء

فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِى الْعَرْشِ رَدَّهُمْ
جُنُودُ الْمَلِيكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ (١)
فَوَلَّوْا سِراعًا هَارِبِينَ وَلَمْ يَؤُبْ
إِلَى أَهْلِهِ مِلْحِبْشِ غَيْرُ عَصَائِبِ (٢)

شعر طالب بن أبى طالب فى حادث الفيل

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله « على القاذفات فى رءوس المناقب » وهذه الأبيات فى قصيدة لأبى قيس سأذكرها فى موضعها إن شاء الله ، وقوله «غداة أبى يكسوم» يعنى أبرهة : كان يكنى أبا يكسوم .

قال ابن إسحق : وقال طالب بن أبى طالب بن عبد المطلب : —

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِى حَرْبِ دَاحِسٍ
وَجَيْشِ أَبِى يَكْسُومَ إِذْ مَلَأُوا الشِّعْبَا (٣)
فَلَوْلَا دِفَاعُ اللهِ لَا شَىْءَ غَيْرُهُ
لَأَصْبَحْتُمُ لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبَا (٤)

المضارعة وبالسين المهملة — وقوله « ورجله » هو بكسر الراء — الجماعة من الجيش ، يريد أن جيشه ملأ السهل والجبل ، والقاذفات : أعالى الجبال البعيدة ، والمناقب : جمع منقبة ، وهى الطريق فى رأس الجبل

(١) « ساف » السافى : الذى غطاه التراب ، يقال : سفت الريح التراب ، والحاصب : الذى أصابته الحجارة ، قال أبوذر : « وهما على معنى النسب ، وقد يكون السافى والحاصب يراد بهما اسم الفاعل حقيقة » اه

(٢) العصائب : الجماعات

(٣) « حرب داحس » داحس : اسم فرس مشهور ، وكانت حرب بسببه ؛ و « الشعب » الطريق بين جبلين

(٤) « السرب » بكسر السين — القطيع من البقر والظباء ؛ ومن النساء أيضا ؛ ومنه قول الشاعر : —

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بدر سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى

شعر أبى الصلت فى حادث الفيل

قال ابن إسحق : وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى فى شأن الفيل ، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام

قال ابن هشام : تروى لأمية بن أبى الصلت بن أبى ربيعة الثقفى : —

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا ثَاقِبَاتٌ ... لَا يُمَارِى فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ(١)

خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ ... مُسْتَبِينٌ حِسَابُهُ مَقْدُورُ

ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبٌّ رَحِيمٌ ... بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنْشُورُ(٢)

حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُغَمَّسِ حَتَّى ... ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ(٣)

لَازِمًا حَلْقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قُطِّـ ... ـرَ مِنْ صَخْرِ كَبْكَبٍ مَحْدُورُ(٤)

فَلَمْ تَرَ عَيْنِى مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ * خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زُقَاقِ ابْنِ وَاقِفِ

وقال أبو ذر « السرب — : بفتح السين — المال الراعى ، وبكسر السين النفس ، ويقال : القوم ، ومنه « أصبح آمنا فى سربه » أى : فى نفسه ، وقيل : فى قومه » اه

(١) « لايمارى » أى : لايشك ، والمرية : الشك

(٢) المهاة : الشمس ، ومن أسمائها الغزالة

(٣) « المغمس » : اسم موضع ، وانظر (ص ٤٩) ومابعدها من هذا الجزء

(٤) أصل الجران : حلق البعير ، فاستعاره هنا للفيل ، وقيل : الجران الصدر ، و« قطر » بالبناء للمجهول — أى : رمى به على جانبه ، والقطر : الجانب ، وكبكب : اسم جبل ، والمحدور : اسم مفعول من حدره ، إذا رماه فانحدر حتى بلغ الأرض

حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أَبْطَا ... لٌ مَلَاوِيثُ فِي الْحُرُوبِ صُقُورُ (١)
خَلَّفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُّوا جَمِيعًا ... كُلُّهُمْ عَظْمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ (٢)
كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللّـَ ... ـهِ إِلاَّ دِينَ الْحَنِيفَةِ بُورُ (٣)

الفرزدق يذكر الفيل فى شعره لعبد الملك بن مروان

قال ابن هشام: وقال الفرزدق — واسمه همَّام بن غالب أحد بنى مُجَاشع بن دَارم بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تميم — يمدح سُلَيْمَانَ بن عبد الملك بن مروان ويَهْجُو الحجاج بن يوسف ويذكر الفيل وجيشه: —

فَلَمَّا طَغَى الْحَجَّاجُ حِينَ طَغَى بِهِ * غِنًى؛ قَالَ: إِنِّى مُرْتَقٍ فِي السَّلَالِمِ
فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ سَأَرْتَقِى
إِلَى جَبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَاءِ عَاصِمِ
رَمَى اللهُ فِي جُثْمَانِهِ مِثْلَ مَا رَمَى
عَنِ الْقِبْلَةِ الْبَيْضَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ (٤)
جُنُوداً تَسُوقُ الْفِيلَ حَتَّى أَعَادَهُمْ
هَبَاءً وَكَانُوا مُطْرَخِمِّى الطَّرَاخِمِ (٥)
نُصِرْتَ كَنَصْرِ الْبَيْتِ؛ إِذْ سَاقَ فِيلَهُ
إِلَيْهِ عَظِيمُ الْمُشْرِكِينَ الْأَعَاجِمِ

---

(١) ملاويث: أشداء.
(٢) «ابذعروا» تفرقوا
(٣) «بور» أى: هالك، من البوار، وهو الهلاك. ويروى «زور»
(٤) الجثمان: الجسم. والقبلة البيضاء: أراد بها الكعبة
(٥) «الهباء» مايظهر فى شعاع الشمس إذا دخلت من مكان ضيق،

وهذه الأبيات فى قصيدة له

عبد الله بن قيس الرقيات يذكر الفيل

قال ابن هشام : وقال عَبْدُ الله بن قَيْس الرُّقَيَّاتِ أحدُ بنى عامر بن لؤى بن غالب يذكر أبرهة ، وهو الأشرمُ ، والفيلَ : —

كَادَهُ الْأَشْرَمُ الَّذِى جَاءَ بِالْفِيـــلِ فَوَلَّى وَجَيْشُهُ مَهْزُومُ
وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِالْجَنْــدَلِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَرْجُومُ
ذَاكَ مَنْ يَغْزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجِعْ * وَهْوَ فَلٌّ مِنَ الْجُيُوشِ ذَمِيمُ (١)

وهذه الأبيات فى قصيدة له

سيف بن ذى يزن الحميرى يطالب بملك اليمن ويستنجد قيصر الروم

قال ابن إسحق : فلما هلك أبرهة مَلَكَ الحبشةَ ابنُهُ يَكْسُومُ بن أبرهة، وبه كان يكنى ، فلما هلك يكسومُ بن أبرهة مَلَكَ اليمنَ فى الحبشة أخوه مَسْرُوق بن أبرهة ، فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميرى ، وكان يكنى بأبى مُرَّة ، حتى قدم على قَيْصر ملك الروم ، فشكا إليه ماهم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ، ويليهم هو ، ويبعث إليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِهِ (٢) فخرج حتى أتى النعمانَ ابن المنذر ، وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق ، فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وِفَادَةً فى كل عام، فأَقِمْ حتى يكون ذلك ، ففعل ، ثم خرج معه ، فأدخله على كسرى ، وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القَنْقَل (٣)

سيف يستنجد بالنعمان بن المنذر فيفد به على كسرى

و « المطرخم » الممتلىء كبرا وغضبا . والطراخم : جمعه

(١) الفل : الجيش المنهزم . وتقول : فل فلان جيوش الأعداء ؛ أى : هزمها

(٢) أشكاه : أى أزال شكواه ؛ يريد أنه لم يؤيده ولم يقض حاجته ؛ وفى الطبرى زيادة « ولم يجد عنده شيئا مما يريد » بعد قوله « فلم يشكه »

(٣) القنقل : المكيال

العظيم ، فيما يزعمون ، يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك ، وكانت عُنُقُه لاتحمل تاجه ، إنما يُسْتَر [عليه] بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك، ثم يُدْخِل رأسه فى تاجه ، فاذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا بَرَكَ هيبةً له ، فلما دخل عليه سَيْفُ بْنُ ذى يزن برك

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة أن سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطأطىء رأسه ، فقيل ذلك لسيف ، فقال : إنما فعلت هذا لهمِّى ، لأنه يضيق عنه كل شىء .

قال ابن إسحق : ثم قال له : أيها الملك ، غَلَبَتْنَا على بلادنا الأغْرِبَةُ ، فقال له كسرى : أىُّ الأغربة : الحبشة ، أم السند ؟ فقال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرنى ويكون ملك بلادى لك ، قال : بَعُدَت بلادك مع قلة خيرها ؛ فلم أكن لأورِّط جيشا من فارس بأرض العرب ، لاحاجة لى بذلك ، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وافٍ وكساه كُسْوَةً حسنة ، فلما قبض ذلك منه سَيْفٌ خرج فجعل ينثر تلك الورِقَ للناس ، فبلغ ذلك الملك ، فقال : إن لهذا لشأنا ، ثم بعث إليه ، فقال : عَمَدْت إلى حِبَاء الملك تنثره للناس !! فقال : وما أصنع بهذا ؟ ماجبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة !! يرغِّبُه فيها ، فجمع كسرى مَرَازِبَتَه (١) فقال لهم : ماذا تَرَوْن فى أمر هذا الرجل وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه فان يَهْلِكوا كان ذلك الذى أردت بهم ، وإن ظَفِروا كان مُلْكًا ازددته ، فبعث معه كسرى

١) المرازبة : جمع مرزبان ، وهو وزير الفرس

من كان فى سجونه ، وكانوا ثمانمائة رجل ، واستعمل عليهم رجلا منهم، يقال له وَهْرِز ، وكان ذا سِنٍّ فيهم ، وأفضلَهم حسبا و بيتا ، فخرجوا فى ثمان سفائن ، فغرقت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عَدَن ستُّ سفائن فجمع سيف إلى وَهْرِزَ من استطاع من قومه ، وقال له : رِجْلى مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا ، قال له وَهْرِزُ : أنصفْتَ ، وخرج إليه مسروق بنْ أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جنده ، فأرسل إليهم وَهْرِزُ ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم ، فقُتِل ابن وَهْرِز ، فزاده ذلك حَنَقًا عليهم ، فلما تواقف الناس على مَصَافِّهم قال وَهْرِزُ : أرُونِى مَلِكهم ، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقدًا تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتةٌ حمراء؟ قال : نعم ، قالوا : ذاكَ مَلِكُهُمْ ، فقال : اتركوه ، قال : فوقفوا طويلا ، ثم قال : عَلاَمَ هُو ؟ قالوا : قد تَحَوَّل على الفرس ، قال : اتركوه ، فوقفوا طويلا ، ثم قال : عَلاَمَ هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة ، قال وَهْرِزُ : بنتُ الحمارِ ذَلَّ وَذَلَّ مُلْكُه ، إنى سأرميه : فان رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتُوا حتى أوذِنَكم ؛ فانى قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاَثُوا به (١) فقد أصبت الرجل فاحملوا عليهم ، ثم وَتَّرَ قوسه ، وكانت فيما يزعمون لا يُوَتِّرُهَا غَيْرُهُ (٢) من شدتها ، وأمر بحاجبيه فعُصِبا له ، ثم رماه فصك الياقوتة التى بين عينيه فتغلغلت النُّشَّابةُ فى رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونُكِس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولاثت به ، وحَمَلت عليهم الفرسُ ، وانهزموا فقُتلوا وهربوا فى كل وجه ، وأقبل وَهْرِزُ ليدخل صَنْعَاء ،

---

(١) لاثوا به : اجتمعوا حوله

(٢) وتر قوسه توتيرا ، أى : شد وترها . ووترها يترها ـ مثل وعد يعد ـ أى : علق عليها وترها

حتى إذا أتى بابها قال : لاتدخلُ رايتي مُنَكَّسة أبدا ، اهدموا الباب ، فهدم ، ثم دخلها ناصبا رايته ، فقال سيف بن ذي يزن الحميري : —

يَظُنُّ النَّاسُ بِالْمَلِكَيْـــنِ أَنَّهُمَا قَدِ الْتَأَمَا (١)
وَمَنْ يَسْمَعْ بِلأْمِهِمَا * فَإِنَّ الْخَطْبَ قَدْ فَقُمَا (٢)
قَتَلْنَا الْقَيْلَ مَسْرُوقًا * وَرَوَّيْنَا الْكَثِيبَ دَمَا (٣)
وَإِنَّ الْقَيلَ قَيْلَ النَّا * سِ وَهْرِزَ مُقْسِمٌ قَسَمَا
يَذُوقُ مُشَعْشَعًا حَتَّى * يُفِيءَ السَّبْيَ وَالنَّعَمَا (٤)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات له ، وأنشدني خَلَّادُ بن قُرَّةَ السَّدُوسيُّ آخرها بيتاً لأعشى بني قيس بن ثعلبة في قصيدة له ، وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له

قال ابن إسحق : وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي ، قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبي الصلت :

---

(١) التأما : اتفقا واصطلحا ، وأصله التئام الجرح
(٢) الخطب : الأمر العظيم . وفقم: أي اشتد وعظم
(٣) القيل : الملك . والكثيب : القطعة من الرمل
(٤) « يذوق » يريد لايذوق ، وحرف النفي يحذف بعد القسم كثيرا ومنه قوله تعالى : « قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف » وقول امرىء القيس بن حجر الكندي : ـ

فَقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا * وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

والمشعشع : الشراب الممزوج بالماء . ويفيء : يغنم ، ويروى نفيء ـ بالنون ـ والنعم : الابل

لِيَطْلُبِ الْوِتْرَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزَنٍ * رَيَّمَ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالاَ (١)
يَمَّمَ قَيْصَرَ لَمَّا حَانَ رِحْلَتُهُ * فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِي سَالاَ (٢)
ثُمَّ انْثَنَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةٍ * مِنَ السِّنِينَ يُهِينُ النَّفْسَ وَالْمَالاَ
حَتَّى أَتَى بِبَنِي الْأَحْرَارِ يَحْمِلُهُمْ
إِنَّكَ عَمْرِي لَقَدْ أَسْرَعْتَ قِلْقَالاَ (٣)
لِلَّهِ دَرُّهُمُ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا * مَا إِنْ أَرَى لَهُمُ فِي النَّاسِ أَمْثَالاَ
بِيضًا مَرَازِبَةً غُلْبًا أَسَاوِرَةً
أُسْدًا تُرَبِّبُ فِي الْغَيْضَاتِ أَشْبَالاَ (٤)
يَرْمُونَ عَنْ شُدُفٍ كَأَنَّهَا غُبُطٌ * بِزَمْخَرٍ يُعْجِلُ الْمَرْمِيَّ إِعْجَالاَ (٥)

---

(١) « الوتر » الثأر ، و « ريم » بتضعيف الياء ـ أى : أقام

(٢) « يمم » قصد ، و « قيصر » ملك الروم ، وقوله « سالا » مخفف « سأل » بالهمزة

(٣) « بنو الأحرار » أراد بهم الفرس ؛ و « القلقال » التحرك والسرعة

(٤) « مرازبة » جمع مرزبان ، وأصله وزير الفرس ، يريد أنهم ذوو رأى ؛ و « غلبا » جمع أغلب ؛ وهو الشديد القوى ، و « الأساورة » : جمع أسوار ـ بضم الهمزة أو كسرها ـ وهو قائد الفرس ، أو الجيد الرمى بالسهام ، أو الثابت على ظهر الفرس ، و « تربب » من التربيب ؛ وهو التربية ، ومثله تربت ـ بالتاء ـ وقوله « الغيضات » جمع غيضة ، وهى الشجر الملتف ، وهى مأوى السباع عادة ، و « الأشبال » جمع شبل ، وهو ابن السبع

(٥) « شدف » أراد بها القسى ، ويروى فى مكانه « يرمون عن عتل » والعتل : القسى الفارسية ، و « غبط » جمع غبيط ، وهو العود من عيدان الهودج ، شبه به القسى . و « الزمخر » أصله القصب اليابس ؛ وأراد به قصب النشاب ، وقوله « يعجل المرمى » يعنى أنه يسرع إلى قتله فلا يبقى عليه

أَرْسَلْتَ أُسْدًا عَلَى سُودِ الْكِلَابِ فَقَدْ
أَضْحَى شَرِيدُهُمُ فِي الْأَرْضِ فُلَّالَا (١)
فَاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا
فِي رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مِحْلَالَا (٢)
وَاشْرَبْ هَنِيئًا فَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ
وَأَسْبِلِ الْيَوْمَ فِي بُرْدَيْكَ إِسْبَالَا (٣)
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ * شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا (٤)

قال ابن هشام: هذا ماصح له مما روى ابن إسحق منها، إلا آخرها بيتاقوله * تلك المكارم لاقعبان من لبن * فانه للنابغة الجعدى (٥)، واسمه

(١) فلال ـ بضم الفاء وتشديد اللام، بزنة رمان ـ جمع فل: وهم القوم المنهزمون، وتقول: فل القوم يفلهم، إذا هزمهم، فانفلوا وتفللوا، وروى ياقوت «أرسلت أسدا على بقع الكلاب» وبقع: جمع أبقع

(٢) «غمدان» بغين معجمة مضمومة بعدها ميم ساكنة ـ قصر عجيب الصنعة بين صنعاء وطيوة، وقول أبي ذر «غمدان بلد» غير صحيح

(٣) «شالت نعامتهم» أي: هلكوا، يقال: شالت نعامة الرجل، إذا مات، والاسبال: إرخاء الثوب، وهو من فعل المختالين ذوي الاعجاب بأنفسهم، فقد يراد به كما هنا الخيلاء والاعجاب

(٤) «قعبان» تثنية قعب، وهو قدح يحلب فيه، وقد جاء في قوله «لاقعبان» على لغة قديمة للعرب، كانوا يلزمون المثنى الألف في الأحوال كلها، و«شيبا» خلطا ومزجا

(٥) الذي ذكره ابن هشام قد حكاه جماعة من أهل الأدب منهم أبو الفرج في الأغاني في ترجمة النابغة الجعدي، لكن الذي في معجم البلدان لياقوت في الكلام على غمدان وفي خزانة الأدب للبغدادي نسبة هذا البيت لأبي الصلت كما ذكره صاحب الأصل

عبدالله[1] بن قيس أحد بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن فى قصيدة له .

عدى بن زيد يذكر الأحباش وجلاءهم عن اليمن

قال ابن إسحق : وقال عدى بن زيد الحِيرِىّ ، وكان أحد بنى تميم ؛ قال ابن هشام : ثم أحد بنى امرىء القيس بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تميم ، ويقال : عدى من العِبَاد من أهل الحيرة : —

مَا بَعْدَ صَنْعَاءَ كَانَ يَعْمُرُهَا * وُلَاةُ مُلْكٍ جَزْلٍ مَوَاهِبُهَا [2]

رَفَعَهَا مَنْ بَنَى لَدَى قَزَعِ الْـ * ـمُزْنِ وَتَنْدَى مِسْكاً مَحَارِبُهَا [3]

مَحْفُوفَةٌ بِالْجِبَالِ دُونَ عُرَى الْـ * ـكَائِدِ مَا تُرْتَقَى غَوَارِبُهَا [4]

يَأْنَسُ فِيهَا صَوْتُ النُّهَامِ إِذَا * جَاوَبَهَا بِالْعَشِىِّ قَاصِبُهَا [5]

---

(١) المعروف أن اسمه حبان بن عبد الله بن قيس ، وهو كذلك فى كتب الرجال ، وفى كثير من كتب الأدب . وقال صاحب مهذب الأغانى : « اسمه حسان بن قيس بن عبد الله » اه وكذلك هو فى الأغانى . واستدركه مصححو دار الكتب على نسخ الأصل كما ذكرنا أولا ، فارجع إلى ترجمته فى مطلع الجزء الخامس من طبعة الدار

(٢) « صنعاء » بلد مشهور باليمن ؛ و « ولاة ملك » يريد الذين يدبرون أمر الناس ويصلحونه ؛ و « جزل » أى : كثير

(٣) أصل « القزع » السحاب المتفرق ، و « المزن » السحاب ؛ و « محارب » جمع محراب ؛ وقياسه محاريب لحذف الياء كما حذفت من جمع مفتاح فى قوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب) والمحراب : الغرفة المرتفعة

(٤) « غواربها » أعاليها ، و « ما ترتقى » يريد ما يستطيع الوصول إليها أحد

(٥) « النهام » الذكر من البوم ، وهو طائر يصيح بالليل ، و « القاصب » الذى يزمر فى القصب

سَاقَتْ إِلَيْهِ الْأَسْبَابُ جُنْدَ بَنِي الْ * أَحْرَارِ فُرْسَانُهَا مَوَاكِبُهَا
وَفَوَّزَتْ بِالْبِغَالِ تُوسَقُ بِالْ * حَتْفِ وَتَسْعَى بِهَا تَوَالِبُهَا (١)
حَتَّى رَآهَا الْأَقْوَالُ مِنْ طَرَفِ الْ * مَنْقَلِ مُخْضَرَّةً كَتَائِبُهَا (٢)
يَوْمَ يُنَادُونَ آلَ بَرْبَرَ وَالْـــيَكْسُومَ لَا يُفْلِتَنَّ هَارِبُهَا
وَكَانَ يَوْمٌ بَاقِي الْحَدِيثِ وَزَا * لَتْ إِمَّةٌ ثَابِتٌ مَرَاتِبُهَا (٣)
وَبُدِّلَ الْفَيْجُ بِالزَّرَافَةِ وَالْأَيَّـــامُ جُونٌ جَمٌّ عَجَائِبُهَا (٤)
بَعْدَ بَنِي تُبَّعٍ نَخَاوِرَةٍ * قَدِ اطْمَأَنَّتْ بِهَا مَرَازِبُهَا (٥)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له ، وأنشدنى أبو زيد [الأنصارى] ورواه لى عن المفضل الضبى قوله « يوم ينادون آل بربر واليكسوم » وهذا الذى عنى سطيح بقوله : « يليه إرم بن ذى يزن ،

---

(١) « فوزت » قطعت المفازة ، وهى الصحراء ؛ و « توالبها » جمع تولب ، وأصله ولد الحمار ، أطلقه هنا على ولد البغل

(٢) « الأقوال » هم الملوك ، ومثله « الأقيال » و «المنقل» الأرض التى يكثر فيها النقل ، وهى الحجارة ، وقوله « كتائبها » هو جمع كتيبة ، وهى الجيش

(٣) « إمة » بكسر الهمزة ـ النعمة

(٤) « الفيج » بالجيم كما فى شرح أبى ذر ـ الذى يسير للسلطان بالكتب على رجليه ، و « الزرافة » الجماعة من الناس ؛ وهى أيضا حيوان معروف ، وقوله « جون » هو فى الأصول بالجيم وفى شرح أبى ذر بالخاء ، قال « خون : خائنة » وقوله « جم عجائبها » أى : كثيرة لا تنقضى

(٥) « النخاورة » بالنون والخاء ــ القوم الكرام ؛ و « المرازبة » الوزراء ، واحدهم مرزبان

يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن » والذى عنى شق بقوله : « غلام ليس بدنى ولا مدن ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن » (١)

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

مدة ملك الحبشة اليمن وعدد ملوكهم

قال ابن إسحق : فأقام وَهْرِزُ والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم ، وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرسُ مسروقَ بن أبرهة وأخرجت الحبشةَ اثنتين وسبعين سنة ؛ توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة

مآل الفرس فى اليمن

قال ابن هشام : ثم مات وَهْرِزُ فأمَّر كسرى ابنَهُ المرزبانَ بن وَهْرِز على اليمن ، ثم مات المرزبان فأمَّر كسرى ابنه التَّيْنُجَانَ بن الْمَرْزُبان على اليمن ، ثم مات التَّيْنُجَانُ فأمَّر كسرى ابنَ التَّيْنُجَان على اليمن ، ثم عزله وأمَّر باذانَ ، فلم يزل باذانُ عليها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم

كسرى يحرض باذان على النبى صلى الله عليه وسلم

فبلغنى عن الزهرى أنه قال : كتب كسرى إلى باذانَ : إنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى ، فسِرْ إليه فاستَتِبْهُ : فان تاب وإلا فابعث إلى برأسه ، فبعث باذانُ بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ الله قَدْ وَعَدَنى أنْ يُقْتَلَ كِسْرَى فى يَوْمِ كذا وكذا من شهر كذا وكذا » فلما أتى باذانَ الكتابُ توقف لينظر ، وقال : إن كان نبيا فسيكون ماقال ، فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : قتل على يدى ابنه شِيرَوَيْهِ ، وقال خالد بن حِقٍّ الشيبانى : —

---

(١) انظر (ص ١٢ و ١٣ و ١٤ و ٧٤ من هذا الجزء)

وَكِسْرَى إِذْ تَقَسَّمَهُ بَنُوهُ * بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتُسِمَ اللِّحَامُ (١)

تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ * أَنَى وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تِمَامُ (٢)

قال الزهرى : فلما بلغ ذلك باذانَ بعث باسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الرسل من الفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إلى من نحن يارسول الله ؟ قال : «أنتم منا وإلينا أهل البيت »

قال ابن هشام : فبلغنى عن الزهرى أنه قال : فمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت » .

قال ابن هشام : فهو الذى عنى سطيح بقوله « نبى زكى ، يأتيه الوحى من قبل العلى » والذى عنى شِق بقوله : « بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل » (٣)

قال ابن إسحق : وكان فى حَجَر باليمن ، فيمايزعمون ، كتابٌ بالزَّبور كتب فى الزمان الأول : « لمن مُلْكُ ذِمار ؟ لحميرالأخيار ، لمن ملك ذمار ؟

---

(١) قوله « إذ تقسمه بنوه — الخ » القاتل له ابنه شيرويه كما قال فى الأصل ، ولكنه أضاف القتل إلى بنيه لأن بدء الشر كان بينه وبينهم ، وكان مقتله ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ، فأسلم باذان باليمن فى سنة عشر ، وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبناء يدعوهم إلى الاسلام

(٢) « أنى » قال أبو ذر : « أنى — بالنون — أى حان ، يقال : أنى (كرمى) وأنى (كرضى) وآن : ثلاث لغات بمعنى واحد فى معنى حان » اه

(٣) انظر (ص١٢٣ و١٤١ و ٧٣ من هذا الجزء)

للحبشة الأشرار، لمن ملك ذِمار؟ لفارس الأحرار، لمن ملك ذِمار؟ لقريش التجّار» وذِمار: اليمن أو صنعاء.

قال ابن هشام: ذَمار — بالفتح — فيما أخبرنى يونس

قال ابن إسحق: وقال الأعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة فى وقوع ماقال سطيح وصاحبه: —

مَا نَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظْرَتِهَا * حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذِّئْبِىُّ إِذْ سَجَعَا(١)

---

(١) قبل هذا البيت: —

قَالَتْ أَرَى رَجُلاً فِى كَفِّهِ كَتِفٌ
أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ، لَهْفِى، أَيَّةً صَنَعَا
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ
ذُو آلِ غَسَّانَ يُزْجِى المَوْتَ وَالشرعا

يريد زرقاء اليمامة، يقال: إنها كانت تبصر على بعد ثلاثة أيام، فأمر جيش غسان أن يخيلوا عليها: بأن يمسك كل واحد منهم نعلا كأنه يخصفها وكتفا كأنه يأكلها، وأن يجعلوا على أكتافهم أغصان الشجر، فلما أبصرتهم قالت لقومها: قد جاءتكم الشجر، أو قد غزتكم حمير، فقالوا لها: قد كبرت وخرفت، فلما كذبوها تشتت شملهم واستبيحت بيضتهم، وفيها يقول النابغة الذبيانى: —

وَاحكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَىِّ إِذْ نَظَرَتْ
إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
قَالَتْ أَلاَ لَيْتَمَا هَذا الْحَمَامَ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدِ

وكانت العرب تقول لسطيح الذئبى ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب (١)

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة للأعشى [واسم الأعشى : ميمون بن قيس] .

قصة ملك الحضر

النعمان بن المنذر وعدى بن زيد

قال ابن هشام : وحدثنى خَلَّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدوسى ، عن جَنَّاد، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب ، أنه يقال : إن النعمان بن المنذر من ولد سَاطِرون ملك الحَضْر ، والحَضْر : حصن عظيم كالمدينة كان على شاطىء الفرات ، وهو الذى ذكر عدى بن زيد فى قوله : —

وَأَخُو الحَضْرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دِجْلَةُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَالخَابُورُ
شَادَهُ مَرْمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْساً فَلِلطَّيْرِ فِى ذُرَاهُ وُكُورُ (٢)
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ المَنُونِ فَبَانَ الْمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة (٣) له ، والذى ذكره

(١) تقدم ذكر ذلك فى (ص ١١) من هذا الجزء فارجع إليه هناك

(٢) « شاده » بناه وأعلاه ، وقوله « خلله » قال أبو ذر « كان الأصمعى يقول : هو بالخاء المعجمة لأن بناء الحجارة لايلبس ، وإنما يخلل بالجص بين حجر وحجر » اه ؛ و « الكلس » ماطلى به الحائط من جص ونحوه

(٣) هى قصيدة طويلة ، ومطلعها :

أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أَمْ بُكُورُ * أَنْتَ فَانْظُرْ لِأَىِّ حَالٍ تَصِيرُ
أَيُّهَا الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بِالدَّهْرِ ، أَأَنْتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ ؟
مَنْ رَأَيْتَ المَنُونُ خَلَّدْنَ أَمْ مَنْ * ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ
أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى المُلُوكِ أَنُوشِرْ * وَانَ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ ؟

أبو دُوَاد الايادى (١) فى قوله : —

وَأَرَى المَوْتَ قَدْ تدَلّى مِنَ الْحَضْـــــرِ عَلى رَبِّ أهْلِهِ السَّاطِرُونِ (٢) النعمان وأبو داود الايادى

وهذا البيت فى قصيدةله ، ويقال : إنهالخلف الأحمر ، ويقال: [إنها لحماد الراوية .

وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرونَ ملك الْحَضْر فحصره سنتين ، فأشرفت بنتُ ساطرون يوما ، فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج ، وعلى رأسه تاج من ذهب مُكَلّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا ، فدست إليه : أتتزوجنى إن فتحتُ لك باب الْحَضْر ؟ فقال : نعم ، فلما أمسى ساطرونُ شرب حتى سكر ، وكان لايبيت إلا سكرانَ ، فأخذت مفاتيح باب الْحَضْر من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولى لها ، ففتح الباب ، فدخل سابور ، فقتل ساطرونَ واستباح الْحَضْر وخربه ، وسار بها معه ، فتزوجها ، فبينا هى نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تَمَلْمَلُ

وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّ * ومِ لَمْ يَبْقَ مِنهُمُ مَذْكُورُ

وأخو الحضر الخ ، وبعد هذه الأبيات الذى ذكرها ابن هشام قوله :

سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـ * ـلِكُ وَالْبَحْرُ معرضٌ وَالسَّدِيرُ

فَارْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ : وما غِبْـــطَةُ حَيٍّ إِلَى المَمَاتِ يَصِيرُ !!

(١) سيأتى قريبا أن اسمه جارية بن الحجاج

(٢) بعده : -

صَرَعَتْهُ الْأَيَّامُ مِنْ بَعْدِ مُلْكٍ * وَنَعِيمٍ وَجَوْهَرٍ مَكْنُونِ

واسم الساطرون بالسريانية الملك

لاتنام ، فدعا لها بشمع ، فُفتِّشَ فراشها ، فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها سابور : أهذا الذى أسهرك ؟ قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لى الديباج ، ويلبسنى الحرير ، ويطعمنى المخ ، ويسقينى الخمر ، قال : وكان جزاء أبيك ماصنعت به ؟ أنت إلىَّ بذلك أسرع ، ثم أمر بها ، فرُبِطَتْ قُرُونُ رأسها بذنب فرس ، ثم ركض الفرس حتى قتلها ، ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة : —

أَلَمْ تَرَ لِلْحَضْرِ إِذْ أَهْلُهُ ... بِنُعْمَى ، وَهَلْ خَالِدٌ مَنْ نَعِمْ ؟!

أَقَامَ بِهِ شَاهَبُورُ الْجُنُو ... دَحَوْلَيْنِ تَضْرِبُ فِيهِ الْقُدُمْ (١)

فَلَمَّا دَعَا رَبَّهُ دَعْوَةً ... أَنَابَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَنْتَقِمْ

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

وقال عدى بن زيد فى ذلك : —

وَالْحَضْرُ صَابَتْ عَلَيْهِ دَاهِيَةٌ ... مِنْ فَوْقِهِ أَيِّدٌ مَنَاكِبُهَا (٢)

رَبِيَّةٌ لَمْ تُوَقِّ وَالِدَهَا ... لِحَيْنِهَا إِذْ أَضَاعَ رَاقِبُهَا (٣)

إِذْ غَبَقَتْهُ صَهْبَاءَ صَافِيَةً ... وَالْخَمْرُ وَهْلٌ يَهِيمُ شَارِبُهَا (٤)

---

(١) « القدم » جمع قدوم ، وهى الآلة التى يقطع بها النجار

(٢) « صابت عليه » أى : سقطت ونزلت ، يقال : صاب المطر يصوب ، إذا نزل ، و « أيد » بفتح الهمزة وتشديد الياء مكسورة — شديدة

(٣) « ربية » التى رباها والدها ، ويروى « ربته » يعنى صاحبته ، ويروى «زنية» على نسبتها إلى الزنى ، و« حينها » هلا كها ويروى « لخبها » بالخاء والباء الموحدتين — وهو المكر ، لأنها مكرت بأبيها ، و « راقبها » الذى يرقبها ويحرسها

(٤) «غبقته» سقته الغبوق ، والغبوق : شرب العشى ، و «الخمر وهل» أى : ضعف ، و « يهيم » يتحير

فَأَسلَمتْ أَهْلَهَا بِلَيْلَتِهَا تَظُنُّ أَنَّ الرَّئِيسَ خَاطِبُهَا
فَـكَانَ حَظُّ الْعَرُوسِ إِذْ جَشَرَ الصُّبْحُ دِمَاءً تَجْرِى سَبَائِبُهَا(١)
وَخُرِّبَ الْحَضْرُ وَاسْتُبِيحَ وَقَدْ أُحْرِقَ فِي خِدْرِهَا مَشَاجِبُهَا(٢)

وهذه الأبيات فى قصيدة له

ذكر ولد نزار بن معد

قال إسحق : فولد نزار بن معد ثلاثة نفر : مضر بن نزار ، وربيعة ابن نزار ، وأنمار بن نزار ولد نزار بن معد ابن عدنان

قال ابن هشام : و إياد بن نزار ، قال الحرث بن دَوْس الايادى ، ويروى لأبى دواد الايادى ، واسمه جارية بن الحجاج : —

وَفُتُوٌّ حَسَنٌ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدّ

وهذا البيت فى أبيات له

فأمُّ مضر و إياد : سَوْدَة بنت عكِّ بن عدنان ، وأم ربيعة وأنمار : شقيقة بنت عك بن عدنان ، ويقال : جمعة بنت عك بن عدنان

قال ابن إسحق : فأنمار أبو خَثْعَم و بَجيلة ، قال جرير بن عبد الله الْبَجَلىّ وكان سيد بَجيلة ، وهو الذى يقول له القائل : —

لَوْلاَ جَرِيرٌ هَلَـكَتْ بَجِيلَهْ نِعْمَ الْفَتَى وَبِئْسَتِ الْقَبِيلَهْ

وهو ينافر الْفُرافصة الكلبيَّ (٣) إلى الأقرع بن حابس التميمى : —

(١) « جشر الصبح » أضاء وتبين نوره ، و « سبائبها » طرائقها

(٢) المشاجب : جمع مشجب ، وهو مايعلق عليه الثياب ، ومنه قول جابر « وإن ثيابى لعلى المشجب » ويروى « مساحبها » وهى القلائد فى العنق من قرنفل ونحوه

(٣) « ينافر الفرافصة » أى : يحاكمه ، مأخوذ من النفر ، كانوا

يَا أَقْرَعُ بْنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ ... إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعْ أَخُوكَ تُصْرَعُ

وقال : —

اِبْنَىْ نِزَارٍ ، اُنْصُرَا أَخَاكُمَا ... إِنَّ أَبِى وَجَدْتُهُ أَبَاكُمَا

لَنْ يُغْلَبَ الْيَوْمَ أَخٌ وَالاَكُمَا

وقد تيامنت فلحقت باليمن

قال ابن هشام : قالت اليمن : وبجيلة : أنمار بن إراش بن لِحْيان ابن عمرو بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ ، ويقال : إراش بن عمرو بن لِحْيان بن الغَوْث ، ودار بَجيلة وخَثْعم يمانية

أبناء مضر بن نزار — قال ابن إسحق : فولد مضر بن نزار رجلين : الياس بن مضر ، وعَيْلان بن مضر

قال ابن هشام : وأمهما جُرْهُمِيَّة

أبناء الياس بن مضر — قال ابن إسحق : فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر : مُدْرِكة بن الياس ، وطابخة بن الياس ، وقَمَعَة بن الياس ، وأمهم خِنْدِف ، امرأة من اليمن

إذا تنازع الرجلان منهم وادعى كل واحد منهما أنه أعز نفرا من صاحبه تحاكموا إلى الرجل الداهية منهم ، فمن فضل منهما قيل قد نفره عليه ، أى : فضل نفره على نفر الآخر ، ومن ذلك قول زهير : —

فَاِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ * يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءُ

والفراصفة بالفتح اسم للرجل وبالضم اسم للأسد ، وكل فرافصة فى أسماء العرب فهو مضموم الأول ، إلا الفرافصة صهر عثمان بن عفان رضى الله عنه والد نائلة زوجه فانه بالفتح . قاله قوم منهم السهيلى

قال ابن هشام : خِنْدِف : بنت عمران بن إلحاف بن قضاعة

قال ابن إسحق : وكان اسم مُدْرِكة عامرا ، واسم طابخة عَمْرًا ، وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يَرْعَيَانها ، فاقتنصا صيدا ، فقعدا عليه يَطْبُخانه ، وعَدَتْ عادية على إبلهما فقال عامر لعمرو : أتدرك الابل أم تَطْبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ ، فلحق عامر بالابل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : أنت مدركة ، وقال لعمرو : وأنت طابخة ، وأما قمعة فيزعم نُسَّابُ مضر أن خُزَاعة من ولد عمرو بن لُحَىّ بن قَمَعَة بن الياس

قصة عمرو بن لحى وذكر أصنام العرب

عمرو بن لحى أول من بدل دين اسماعيل

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : حُدِّثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيْتُ عَمْرَو بن لُحَيّ يجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ ، فسألْتُهُ عَمَّنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ النَّاسِ ، فقَالَ : هلَكوا »

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمى ، أن أبا صالح السَّمَّان حدثه ، أنه سمع أبا هريرة ، (قال ابن هشام : واسم أبى هريرة عبد الله بن عامر ، ويقال : اسمه عبد الرحمن بن صخر) ، يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكْثَمَ بن الجَوْن الخزاعى : « ياأَكْثَمُ رأيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَىّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ يجُرُّ قُصْبَهُ فِى النَّارِ ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ ، وَلاَ بِكَ مِنْهُ » فقال أكثم : عسى أن يَضُرَّنى شَبَهُهُ يارسول الله ، قال : « لاَ ، إنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ ، إنه كَانَ أوّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إسْمٰعِيلَ : فَنَصَبَ الأوْثَانَ ، وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ ، وَحَمَى الْحَامىَ »

هبل أول صنم نصب بمكة

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لحى خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره ، فلما قدم مَآبَ من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق — وهم ولد عِمْلاَقَ ، ويقال : عمليق ، بن لاوذ بن سام بن نوح — رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ماهذه الأصنام التى أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها فَنَسْتَمْطِرها فتُمْطِرنا ، ونَسْتَنْصِرها فتَنْصُرنا ، فقال لهم : أفلا تعطوننى منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه ؟ فأعطَوْهُ صنما يقال له هُبَلُ ، فقدم به مكة ، فنَصَبه ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه .

اول الاسباب لعبادة الاصنام

قال ابن إسحق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسمعيل أنه كان لايَظْعَنُ من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت عليهم ، والتمسوا الفُسَحَ فى البلاد ، إلاّ حَمَل معه حَجَرا من حجارة الحرم تعظيماً للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون مااستحسنوا من الحجارة ، وأعجبهم ، حتى خَلَفَت الْخُلُوفُ ونَسُوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسمعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسَّكون بها ، من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عرفة والْمُزْدَلِفة وهَدْى الْبُدْنِ ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ماليس منه ،

بقايا دين ابراهيم عند العرب ، وبعض ماأدخلوا فيه

فكانت كِنانة وقريش إذا أهلّوا قالوا : لَبَّيْكَ اللّهُمَّ لبَّيْكَ ، لبيك لاشريك لك إلاشريك هولك ، تملكه وماملك ؛ فيوحِّدون بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده ، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه

وسلم (١٢ : ١٠٦) : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ)
أى : مايوحدوننى لمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلق

أصنام قوم نوح

وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عَكَفُوا عليها قَصَّ الله تبارك وتعالى خبرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (٧١ : ٢٣—٢٤) « وَقَالُوا لاَتَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَتَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلوا كَثِيرًا »

بعض أصنام العرب وذكر من اتخذها منهم

سواع وود

فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسمعيل وغيرهم وَسَمَّوْا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل هُذَيْلَ بن مدركة بن الياس بن مضر ، اتخذوا سُواعا وكان لهم برُهَاطَ ، وكلبُ بن وَبْرَة من قضاعة ، اتخذوا وَدًّا بدُومَةِ الْجَنْدَلِ .

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك الأنصارى : —

وَنَنْسَى اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَوَدًّا * وَنَسْلُبُهَا الْقَلاَئِدَ وَالشُّنُوفَا

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله

قال ابن هشام : وكَلْبُ بن وَبْرَة بن تَغْلب بن حُلْوان بن عِمْران ابن إلحاف بن قضاعة

يغوث

قال ابن إسحق : وأنْعُم من طىء وأهلُ جُرَشَ من مَذْحِج اتخذوا يَغُوثَ بجُرَشَ

قال ابن هشام : ويقال : بل أَنْعَم ؛ وطيىء : ابن أُدَدَ بن مالك ، ومالك : مَذْحج بن أُدَدَ ، ويقال : طيىء : ابن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ

يعوق

قال ابن إسحق : وخَيْوَان بطن من هَمْدَان اتخذوا يَعُوقَ بأرض هَمْدَان من أرض اليمن

قال ابن هشام : اسم هَمْدَان أَوْسَلَةُ بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أَوْسَلَةَ بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال : أَوْسَلَة ابن زيد بن أَوْسَلَةَ ابن الخيار .

قال ابن هشام : وقال مالك بن نمط الهَمْدَانى

يَرِيشُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَيَبْرِى * وَلاَ يَبْرِى يَعُوقُ وَلاَ يَرِيش [1]

وهذا البيت فى أبيات له

ويقال : همدان بن أَوْسَلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ[2]

نسر قال ابن إسحق : وذو الكُلاَع من حمير اتخذوا نَسْرًا بأرض حمير

وكان لخَوْلاَن صنم يقال له عُمْيَانِس [3] بأرض خَوْلاَن ، يَقْسِمون له من أنعامهم وحُرُوثِهم قِسْماً بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل فى حق عُمْيَانِسَ من حق الله تعالى الذى سَمَّوْه له تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عُمْيَانِسَ رَدُّوه عليه ، وهم بطن من خَوْلاَن يقال لهم الأديم ، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون (٦ : ١٣٦) (وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هٰذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) عميانس

---

(١) هو من « رشت السهم » و « بريته » ثم استعير للنفع والضر ، ومن ذلك قول الشاعر :

فَرِشْنِى بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِى * وَخَيْرُ الْمَوَالِى مَنْ يَرِيشُ وَلاَ يَبْرِى

(٢) ظاهر أن حق هذه العبارة الاتصال بنسب همدان قبل إنشاد البيت

(٣) فى كافة الأصول « عم أنس » وما أثبتناه عن كتاب « الأصنام » لابن الكلبى

نسب خولان قال ابن هشام : خَوْلاَن : ابن عمرو بن إلحاف بن قضاعة ، ويقال : خَوْلاَن : ابن عمرو بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زَيْد بن مِهْسَع بن عمرو بن عريب ابن زَيْد بن كَهْلان بن سبأ ، ويقال : خولان : ابن عَمْرو بن سَعْد الْعَشيرة ابن مَذْحج

سعد قال ابن إسحق : وكان لبنى مِلْكَان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر صَنَمٌ يقال له سَعْد ، صخرة بفَلاَةٍ من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بنى مِلْكَان بإبلٍ له مُؤَبّلة (١) ليقفها عليه ، التماس بركته ، فيما يزعم ، فلما رأته الإبل ، وكانَتْ مَرْعِيَّةً لاتُرْكب ، وكان يُهْرَاقُ عليه الدماء ؛ نَفَرَتْ منه ، فذهبت فى كل وجه ، وغَضِبَ ربها المِلْكَانىُّ ، فأخذ حَجَرًا فرماه به ، ثم قال : لا بارك الله فيك ، نَفَّرْت علىَّ إبلى ، ثم خرج فى طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال : —

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا * فَشَتَّتَنَا سَعْدٌ فَلاَ نَحْنُ مِنْ سَعْدِ

وَهَلْ سَعْدُ إِلاَّ صَخْرَةٌ بِتَنُوفَةٍ
مِنَ الْأَرْضِ لاَ يَدْعُو لِغَيٍّ وَلَا رُشْدِ (٢)

وكان فى دَوْسٍ صنمٌ لعمرو بن حُمَمَة الدَّوْسى

نسب دوس قال ابن هشام : سأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله ، ودَوْس : ابن عدثان (٣) بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن

---

(١) الابل المؤبلة : هى الكثيرة المتخذة للاكتساب ، لا للركوب

(٢) التنوفة — بفتح التاء — القفر الذى لاينبت شيئا

(٣) فى أصول الكتاب « دوس ابن عدنان » وكذلك هوالقاموس ، وذكر شارحه أن صوابه بالثاء

عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسْد بن الغوث ، ويقال : دوسٌ : ابنُ عبد الله بن زهران بن الأسد بن الغوث

هبل

قال ابن إسحق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جَوْف الـكعبة يقال له هُبَل

قال ابن هشام : سأذكر حديثه إن شاء الله فى موضعه

اساف ونائلة

قال ابن إسحق : واتخذوا إِسَافاً ونَائلة على موضع زَمْزَم ، ينحرون عندهما ، وكان إِسَافٌ ونائلة رجلا وامرأة من جرهم ، هو إِسَافُ بن بَغْي ، ونائلة بنت دِيك ، فوقع إساف على نائلة فى الـكعبة ، فمسخهما الله حَجَرَيْن

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عَمْرَة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارة أنها قالت : سمعت عائشة رضى الله عنها تقول : مازلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحْدثا [1] فى الـكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين ، والله أعلم

قال ابن إسحق : وقال أبو طالب : —

وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ * بِمُفْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى

مقدار تعظيم العرب للاصنام

قال ابن إسحق : واتخذ أهل كل دار فى دارهم صَنَماً يعبدونه ، فاذا أراد الرجل منهم سفرًا تَمَسَّحَ به حين يركب ، فكان ذلك آخرَ مايصنع

(١) تريد الحدث الذى هو الفجور ، كما قال عليه السلام «من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله»

حين يتوجَّه إلى سفره ، و إذا قَدم من سفره تمسَّحَ به فكان ذلك أولَ مايبدأ به قبل أن يدخل على أهله

فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش : أَجَعَلَ الآلهةَ إلهاً وَاحِدًا إنَّ هذا لشيء عُجَاب ، (١) و كانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طَوَاغيتَ (٢) ، وهي بيوتٌ تعظمها كتعظيم الكعبة، لهاسَدَنَةٌ وحُجَّاب (٣) ، وتهدِى إليها كما تُهْدِى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتَنْحَر عندها ، وهى تعرف فضل الكعبة عليها ؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده

تعظيم العرب طواغيتهم

و كانت لقريش و بنى كنانة العُزَّى (٤) بنَخْلَة ، و كان سَدَنَتَها وحُجَّابُها بنى شَيْبان من سُلَيْم حلفاء بنى هاشم

العزى

---

(١) قد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى سورة (ص) الآية (٥)

(٢) الطواغيت : جمع طاغوت ، وهو كل رأس ضلال ، والأصنام وكل ماعبد من دون الله ، ووزنه فلعوت من الطغيان

(٣) السدنة : جمع سادن ، وهو من يخدم بيت الصنم ، أو من يخدم الكعبة ، وفعله سدن سدنا ـ بفتح السين وسكون الدال ـ وسدانة ـ بفتح السين أيضا ـ والحجاب : جمع حاجب ، وهو البواب ، وفعله حجب حجابة ـ بكسر الحاء ـ

(٤) « العزى » قال ابن الكلبى (ص ١٨) : « كانت بواد من نخلة الشآمية يقال له حراض ، بإزاء الغمير ، عن يمين المصعد إلى العراق من مكة ، وذلك فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال ، فبنى عليها بيت وكانوا يسمعون فيه الصوت . وكانت العرب وقريش تسمى بها عبد العزى وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها ، ويهدون لها ، ويتقربون عندها بالذبح » اه ، وقال ياقوت : « نخلة الشامية : واديان لهذيل على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مر وسبوحة ، وهو واد يصب

قال ابن هشام : حلفاء بنى أبى طالب خاصة ، وسُلَيم : سُلَيم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان

قال ابن إسحق : فقال شاعر من العرب : —

لَقَدْ أُنْكِحَتْ أَسْمَاءُ رَأْسَ بُقَيْرَةٍ
مِنَ الْأُدْمِ أَهْدَاهَا امْرُؤٌ مِنْ بَنِي غَنْمِ (١)
رَأَى قَدَعًا فِي عَيْنِهَا إِذْ يَسُوقُهَا
إِلَى غَبْغَبِ الْعُزَّى فَوَسَّعَ فِي الْقَسْمِ (٢)

من الغمير ، واليمانية تصب من قرن المنازل ، وهو على طريق اليمن ، مجتمعهما البستان ، وهو بين مجامعهما ، فاذا اجتمعتا كانتا واديا واحدا فيه بطن مر » اه

(١) « رأس بقيرة » روى ابن الكلبى وناشر ديوان أبى خراش فى مكان هذه الكلمة « لحى بقيرة » واللحى — بفتح فسكون — عظم الحنك الذى عليه الأسنان ، وقوله « من بنى غنم » هو غنم بن فراس من كنانة

(٢) « قدعا » بالقاف والدال المهملة — السدر فى العينين ؛ وقيل : هو انسلاق العين من كثرة البكاء ، ويروى «قذعا» بالذال المعجمة — وهو البياض ، و « غبغب العزى » ذكر ابن الكلبى أنه اسم مكان معين ؛ قال « وكان لها منحر ينحرون فيه الهدايا يقال له الغبغب ؛ ولغبغب يقول نهيكة الفزارى لعامر بن الطفيل : —

يَاعَامِ لَوْ قَدَرَتْ عَلَيْكَ رِمَاحُنَا وَالرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى فَالْغَبْغَبِ

وله يقول قيس بن منقذ بن عبيد بن ضاطر بن حبشية بن سلول : —

تَلَيْنَا بِبَيْتِ اللهِ أَوَّلَ حَلْفَةٍ وَإِلاَّ فَأَنْصَابٍ يَسُرْنَ بِغَبْغَبِ

اه كلام ابن الكلبى : لكن الذى فى اللسان هكذا : «الغبغب : المنحر بمنى ، وقيل : الغبغب: نصب كان يذبح عليه فى الجاهلية ؛ وقيل : كل مذبح بمنى غبغب

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْياً قَسَمُوه فيمن حَضَرهم ، والغَبْغَبُ : الْمَنْحَرُ ومُهَرَاقُ الدِّمَاءِ [١]

قال ابن هشام : وهذان البيتان لأبى خِرَاشٍ [٢] الهذلى ، واسمه خُوَيْلِدُ بن مُرَّة فى أبيات له ، والسَّدَنة : الذين يقومون بأمر الكعبة ، قال رؤبة بن العجاج : —

فَلاَ وَرَبِّ الْآمِنَاتِ الْقُطَّنِ   بِمَحْبِسِ الْهَدْيِ وَبَيْتِ الْمَسْدَنِ [٣]

وهذان البيتان فى أرجوزة له [٤] وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

وقيل : الغبغب الموضع الذى كان فيه اللات بالطائف » اهـ، وذكر ابن الأثير المعنى الأول والمعنى الآخر فيما نقلناه عن اللسان . وقول الشاعر : « فوسع فى القسم » أى : أكثر فى الأنصباء، وروى فى مكانه « فوضع » بالضاد المعجمة

(١) «المنحر» مكان النحر، و «مهراق الدماء» مكان إراقتها

(٢) قد راجعت ديوان أبى خراش الهذلى المطبوع فى أوروبا فلم أجد هذين البيتين فيه، ولكن ناشر الديوان أضافهما إلى الملحق الذى ذكر فيه ما ينسب إلى أبى خراش مما ليس فى ديوانه ، وفى هوامش المرحوم أحمد زكى باشا على كتاب الأصنام لابن الكلبى أنه راجع النسخة الخطية لشعر الهذليين فلم يجد البيتين

(٣) « الآمنات القطن » يعنى بها حمام مكة ، والقطن : المقيمات ؛ جمع قاطنة ، ويقال : قطن بالمكان ، إذا أقام فيه ، و « محبس الهدى » مكان حبسه ، وهو الحرم . و « المسدن » السدانة

(٤) هما بيتان على اعتبار أنهما من مشطور الرجز . والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة يمدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، وهما مذكوران فى ديوان رجزه (ص ١٦٣) وبينهما بيت لم يذكره ابن هشام

اللات — قال ابن إسحق : وكانت اللاَّتُ لثقيف [١] بالطائف ، وكان سَدَنَتَها وحُجَّابها بَنِى مُعَتِّب [٢] من ثقيف

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه

مناة — قال ابن إسحق : وكانت مَنَاةُ للأوْس والخزرج [٣] ، ومن دَانَ بدينهم من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّل بِقُدَيْد [٤]

قال ابن هشام : وقال الكُمَيْت بن زَيْد أحدُ بنى أسد بن خزيمة بن مُدْرِكة : —

وَقَدْ آلَتْ قَبَائِلُ لاَ تُوَلِّى مَنَاةَ ظُهُورَهَا مُتَحَرِّفينَا

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها أبا سُفْيان ابن حَرْبٍ فهدمها ، ويقال : على بن أبى طالب

---

(١) قال ابن الكلبى (ص ١٦) : « واللات بالطائف ، وهى أحدث من مناة ، وكانت صخرة مربعة ، وكان يهودى يلت السويق عندها » اه ثم يقول : « وكانت قريش وجميع العرب تعظمها » اه

(٢) الذى فى الأصنام لابن الكلبى : « وكان سدنتها من ثقيف بنو عتاب ابن مالك ، وكانوا قد بنوا عليها بناء » اه

(٣) قال ابن الكلبى : « أقدم الأصنام كلها مناة ، وقد كانت العرب تسمى عبد مناة وزيد مناة ، وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد ، بين المدينة ومكة ، وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله ، وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له » اه

(٤) المشلل : جبل يهبط منه إلى قديد ، وقديد : موضع قرب مكة .

ذو الخلصة

قال ابن إسحق : و كان ذو الْخَلَصة [١] لدَوْس وخَثْعم و بَجِيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالَة

قال ابن هشام : و يقال : ذو الْخُلُصَة ، قال رجل من العرب : —

لَوْ كُنْتَ يَاذَا الْخُلَصِ الْمَوْتُورَا   مِثْلِي وَكَانَ شَيْخُكَ الْمَقْبُورَا
لَمْ تَنْهَ عَنْ قَتْلِ الْعُدَاةِ زُورَا

قال : و كان أبوه قُتل ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الْخَلَصَة فاسْتَقْسَم عنده بالأزْلاَم ، فخرج السَّهمُ بنهيه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات ، ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حُجْرٍ الكندىّ [٢]

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرِيرَ بْنَ عبدالله الْبَجَلِىّ فهدمه .

فلس صنم طي

قال ابن إسحق : وكان فَلْسٌ [٣] لطيء ومن يليها بجَبَلَىْ طيء يعنى سَلْمَى وأَجَأ [٤]

---

(١) قال ابن الكلبي : « ومن الأصنام ذو الخلصة ، وكان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكانت بتبالة ، بين مكة واليمن ، على مسيرة سبع ليال من مكة ، وكان سدنتها بنو أمامة من باهلة بن أعصر ، وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن » اه

(٢) يقال إن امرأ القيس ـ حين وترته بنو أسد بقتل أبيه ـ استقسم عند ذى الخلصة بثلاثة أزلام ، فلما خرج له السهم المسمى بالزاجر سب الصنم ورماه بالحجارة ، وقال له : اعضض بظر أمك ، وقول الراجز « لم تنه عن قتل العداة زورا » منصوب على الحال ، أو على أنه مفعول مطلق لأنه من معنى الفعل الذى قبله

(٣) ضبطه ناشر الأصنام بفتح فسكون ، وضبطه الحازمى بضم فسكون وضبطه ياقوت بضم الفاء واللام جميعا ، وضبطه فى القاموس بالكسر

(٤) قال ابن الكلبي (ص ٥٩) : « كان لطىء صنم يقال له الفلس ، وكان

قال ابن هشام : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليها علىَّ بن أبى طالب فهدَمَهَا ، فوجد فيها سَيْفَين يقال لأحدهما الرَّسُوب وللآخر المِخْذَم ، فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبهما له ، فهما سيفا على رضى الله عنه (١)

رئام قال ابن إسحق : وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رِئام

قال ابن هشام : قد ذكرت حديثه فيما مضى (٢)

رضاء قال ابن إسحق : وكان رُضَاء (٣) بيتا لبنى رَبيعة بن كعب بن

أنفا أحمر فى وسط جبلهم الذى يقال له أجأ ، أسود كأنه تمثال إنسان ، وكانوا يعبدونه ؛ ويهدون إليه ، ويعترون عنده عتائرهم ؛ ولا يأتيه خائف إلا أمن عنده ، ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها إليه إلا تركت له ولم تخفر حويته ، وكانت سدنته بنو بولان ، وبولان هو الذى بدأ بعبادته ؛ فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له صيفى » اه

(١) الذى فى كتاب الأصنام (ص١٥) أن هذين السيفين كانا عند مناة ؛ وحكى ما قاله ابن هشام بقوله « ويقال : إن عليا وجد هذين السيفين فى الفلس » اه ، وقال بعد ذكر مناة وما نزل فيها من القرآن : بعث النبى صلى الله عليه وسلم عليا إليها فهدمها وأخذ ما كان لها ، فأقبل به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان أهداهما لها أحدهما يسمى مخذما ، والآخر رسوبا ، وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة فى شعره ، فقال :

مُظَاهِرُ سِرْبَالَيْ حَدِيدٍ عَلَيْهِمَا عَقِيلاَ سُيُوفٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ

فوهبهما النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه . فيقال : إن ذا الفقار سيف على أحدهما » اه ومثل ذلك فى معجم ياقوت

(٢) أرجع الى (ص٢٤) من هذا الجزء

(٣) ذكره ابن الكلبى «رضى» بضم الراء مقصورا . والصواب أنه ممدود

سعد بن زَيْد مناة بن تميم ، ولها يقول الْمُسْتَوْغِر[1] بن ربيعة بن كعب بن سعد — حين هدمها فى الاسلام — :

وَلَقَدْ شَدَدْتُ عَلَى رُضَاءِ شَدَّةً   فَتَرَكْتُهَا قَفْرًا بِقَاعٍ أَسْحَمَا

قال ابن هشام : قوله « فتركتها قَفْرًا بقاع أسحما » عن رجل من بنى سعد[2] ، ويقال : إن المستوغر عُمِّرَ ثلثمائة سنةٍ وثلاثين سنةً ، وكان أطولَ مُضَرَ[3] كلِّها عمرا ، وهو الذى يقول : — المستوغر بن ربيعة أحد المعمرين

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا   وَعَمَرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا

مِائَةً حَدَتْهَا بَعْدَهَا مِائَتَانِ لِي   وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينَا

هَلْ مَا بَقِى إِلاَّ كَمَا قَدْ فَاتَنَا   يَوْمٌ يَكُرُّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

---

(١) «المستوغر» : اسمه عمرو بن ربيعة . وإنما سمى المستوغر لقوله : —

يَنِشُّ الْمَاءُ فِى الرَّبَلَاتِ مِنْهَا   نَشِيشَ الرَّضْفِ فِى اللَّبَنِ الْوَغِيرِ

(٢) يشير بذلك إلى أن هذا الجزء من البيت قد روى على نحو آخر . وهاكه برواية ابن الكلبى مع بيت آخر بعده : —

وَلَقَدْ شَدَدْتُ عَلَى رُضَاءِ شَدَّةً   فَتَرَكْتُهَا تَلاًّ تُنَازِعُ أَسْحَمَا

وَدَعَوْتُ عَبْدَ اللهِ فِى مَكْرُوهِهَا   وَلِمِثْلُ عَبْدِ اللهِ يَغْشَى الْمَحْرَمَا

وقال أبو ذر : «القاع» : المنخفض من الأرض . والأسحم : الأسود » اه

(٣) ذكر بعضهم أن المستوغر حضر سوق عكاظ ومعه ابن ابنه . وقد هرم ؛ وجده يقوده ؛ فقال له رجل : ارفق بهذا الشيخ فقد طالما رفق بك . فقال : ومن تراه ؟ قال : هو أبوك أوجدك . فقال : ما هو إلا ابن ابنى . فقال : مارأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة ! ! فقال : أنا المستوغر . وذكر هذه الأبيات ، وانظر كتاب «المعمرين» لأبى حاتم السجستانى

و بعض الناس يروى هذه الأبيات لزُهَيْر بن جنَاب الـكلبى [١]

ذو الكعبات صنم بكر وتغلب وإياد

قال ابن إسحق : وكان ذو الْـكَعَبَات لبـكرٍ [٢] وتغلب ابنى وائل وإيادٍ ، بِسَنْدَادَ ، [٣] وله يقول أعشي بنى قَيْس بن ثَعْلَبة : —

بَيْنَ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقٍ   وَالْبَيْتِ ذِي الْـكَعَبَاتِ مِنْ سِنْدَادِ [٤]

---

(١) هو من المعمرين أيضا كالمستوغر بن ربيعة . ومن شعره لبنيه : ـ

أَبَنِيَّ ، إنْ ، أَهْلِكْ فإِنْـ   ـى قَدْ بَنَيْتُ لَـكُمْ بَنِيَّهْ
وَتَرَكْتُـكُمْ أَبْنَاءَ سَا   دَاتٍ زِنَادُهُمُ وَرِيَّهْ
مِنْ كُلِّ مَانَالَ الْفَتَى   قَدْ نِلْتُهُ إلاَّ التَّحِيَّهْ

وقوله «إلا التحية» كناية عن أنه لم يتول الملك . فان الناس يحيون الملوك بالتحيات الطيبات

(٢) لم يذكر ابن الكلبي هذا الصنم ، وذكره السيد المرتضى فى تاج العروس . قال المجد فى القاموس : « والـكعبات أوذو الـكعبات : بيت كان لربيعة ، كانوا يطوفون به » اه

(٣) «سنداد» بسين مكسورة أو مفتوحة بعدها نون ساكنة فدال مهملة ـ منازل لاياد أسفل سواد الـكوفة ، وراء نجران الـكوفة

(٤) قال أبوذر : «الخورنق والسدير وبارق : هذه كلها أسماء مواضع . وقوله والبيت ذى الـكعبات ، يريد التربيع . وكل بناء يبنى مربعا فهو كعبة . وبه سميت الـكعبة . وسنداد موضع بناحية الـكوفة» اه . وأقول : الخورنق ـ بزنة سفرجل ـ قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ليـكون ولده فيه عنده ، وكان بناه للنعمان رجل اسمه سنمار ، بناء عجيبا لم ير الناس مثله ، فخشى أن يبنى لغيره على غراره أو أحسن منه فرماه من أعلاه ، فمات . وبه تضرب العرب المثل فى سوء المجازاة ، فيقولون : جزانى جزاء سنمار ، وأما السدير فقد اختلف العلماء فى تفسيره . فقال الليث : نهر بالحيرة ، وقال العمرانى موضع معروف بالحيرة ، وقيل : قصر قريب من الخورنق كان النعمان

قال ابن هشام : وهذا البيت للأسود [1] بن يَعْفُر النَّهْشَلى؛ نَهْشَل : ابن دارم بن مالك بن حَنْظَلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تميم ، فى قصيدة له ، وأنْشَدَنيه أبو مُحْرِز خلفٌ الأحمر : —

أَهْلَ الخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقٍ ... وَالْبَيْتِ ذِى الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ

أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

السائبة فى رأى ابن إسحق

قال ابن إسحق : فأما الْبَحِيرة فهى بنت السَّائِبة ، والسائبة : الناقة إذا تابعت بين عَشْر إناث ليس بينهنَّ ذَكَر سُيِّبَتْ ، فلم يُرْكب ظَهْرُها ، ولم يُجَزَّ وَبَرُها ، ولم يَشْرب لبنَها إلا ضيفٌ

البحيرة فى رأى ابن اسحق

فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقَّت أذنها ، ثم خُلِّى سبيلها مع أمها ، فلم

الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم . وأما بارق فقيل : ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة . وقيل : جبل نزله سعد بن عدى ابن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرىء القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، وهو بتهامة أو اليمن . وانظر معجم البلدان فى هذه المواد .

(١) هو منسوب إلى الأسود بن يعفر فى غير موضع من معجم البلدان ، وهو من قصيدة له يقول فيها : —

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَإِنْ تَطَاوَلَ بِى الْمَدَى ... أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِى الْأَعْوَادِ
مَاذَا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ ... تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
نَزَلُوا بِأَنْقِرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمُ ... مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِىءُ فِى أَطْوَادِ

أهل الخورنق ، الخ ، ومنها : —

جَرَتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ ... فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
وَأَرَى النَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهَى بِهِ ... يَوْماً يَصِيرُ إِلَى بِلًى وَنَفَادِ

يُرْكب ظَهْرُها، ولم يُجَزّ وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فعل بأمها، فهى البحيرة بنت السائبة

الوصيلة فى رأى ابن اسحق

والوَصيلة: الشاة إذا أَتأَمَتْ (١) عشْرَ إناث متتابعات فى خَمْسةِ أبْطُنٍ ليس بينهنّ ذَكَر جُعلت وصيلة، قالوا: قد وَصَلت، فكان ماولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شىء فيشتركوا فى أكله، ذكورُهم وإناثهم

قال ابن هشام: ويروى فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم

الحامى فى رأى ابن اسحق

قال ابن إسحق: والحامى: الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حَمَى ظهره: فلم يُرْكب ظهره، ولم يُجَزّ وبره، وخُلِّى فى إبله يَضْرب فيها، لا يُنْتفع منه بغير ذلك

انكار ابن هشام عليه

قال ابن هشام: وهذا [كله] عند العرب على غير هذا، إلا الحامى فانه عندهم على ماقال ابن إسحق

البحيرة عند ابن هشام

والبحيرة عندهم: الناقه تُشَق أذنها، فلا يُرْكب ظهرها، ولا يُجَز وبرها، ولا يشرب لبنها إلا ضيفٌ، أو يُتَصَدق به، وتهمل لآلهتهم

السائبة عند ابن هشام

والسائبة: التى يَنْذر الرجل أن يسيبها إن برىء من مرضه، أو إن أصاب أمرا يطلبه، فاذا كان ذلك أسَابَ ناقة من إبله أو جملا لبعض آلهتهم فسابَتْ فرَعَتْ لاينتفع بها.

الوصيلة عند ابن هشام

والوصيلة: التى تلد أمها اثنين فى كل بطن، فيجعل صاحبُها لآلهته

(١) «أتأمت» أى: جاءت باثنين فى بطن واحد، مأخوذ من «التوءم» وهو الذى يولد مع غيره

الاناث منها ، وانفسه الذكور ، فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطن ، فيقولون : « وصلت أخاها » فيُسَيَّب أخوها معها فلا ينتفع به

قال ابن هشام : حدثنى به يونسُ بن حَبيبٍ النحوىُّ وغيرُه ، روى بعضٌ مالم يَرْوِ بعضٌ

قال ابن إسحق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه (٥ : ١٠٣) : (مَاجَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَحَامٍ ، وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَيَعْقِلُونَ) وأنزل الله تعالى (٦ : ١٣٩) : (وَقَالُوا مَافِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ، سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)وأنزل عليه(١٠ : ٥٩) : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَـكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَـكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ)وأنزل عليه : (٦ : ١٤٣ — ١٤٤) (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

قال ابن هشام : قال الشاعر : —

حَوْلَ الْوَصَائِلِ فِي شُرَيْفٍ حِقَّةٌ
وَالْحَامِيَاتُ ظُهُورَهَا وَالسُّيَّبُ (١)

(١) « الوصائل » هو هكذا فى رواية الخشنى ، وهى جمع وصيلة .

وقال تميم بن أُبَىّ [بن] مُقْبل أحدُ بنى عامر بن صَعْصَعة : —

فِيهِ مِنَ الْأَخْرَجِ الْمِرْبَاعِ قَرْقَرَةٌ
هَدْرَ الدِّيَافِىِّ وَسْطَ الْهَجْمَةِ الْبُحُرِ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

وجمع بحيرة بَحَائر وبُحُر ، وجمع وصيلة وصائل ووُصُل ، وجمع سائبة الأكثر سَوَائب وسُيَّب ، وجمع حام الأكثر حَوَامٍ

نسب خزاعة

قال ابن إسحق : وخزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن ،

قال ابن هشام : وتقول خُزاعة : نحن بنو عَمْرو بن ربيعة بن حارثة ابن عَمْرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثَعْلَبة بن مازن بن

وروى فى أكثر النسخ « الفصائل » يراد به جمع فصلان . والفصلان : جمع فصيل ، وهو الصغير من الابل ، و «شريف» بزنة تصغير شرف . وشريف : ماء لبنى نمير تنسب إليه العقبان ، وفيه يقول طفيل الغنوى : —

وَفِينَا تَرَى الطُّوبَى وَكُلَّ سَمَيْدَعٍ ... مُدَرَّبَ حَرْبٍ وَابْنَ كُلِّ مُدَرَّبِ
تَبِيتُ لِعُقْبَانِ الشُّرَيْفِ رِجَالُهُ ... إِذَا مَانَوَوْا إِحْدَاثَ أَمْرٍ مُعَطِّبِ

والحقة — بكسر الحاء — من الابل : التى دخلت فى الرابعة . والحاميات : جمع حامية . والسيب : جمع سائبة . وقوله فى أول البيت « حول الوصائل » جعله السهيلى بضم الحاء المهملة جمع حائل ، وهى الناقة التى حمل عليها فلم تحمل . وقيل : هى الناقة التى بقيت سنتين أو أكثر بغير حمل . ولا يظهر للبيت عندنا على هذا وجه

(١) « فيه » الضمير عائد إلى حمار الوحش . و «الأخرج» الظليم الذى فيه لونان . والظليم : ذكر النعام . شبه الحمار به . و «المرباع» بالباء الموحدة — الذى رعى فى الربيع . ورواية الخشنى «المرياع» بالياء المثناة — وهو مفعال من قولهم : راع إلى كذا يريع ، إذا رجع . وفضل السهيلى الرواية الأولى .

الأسْد بن الْغَوْث ، وخِنْدِفُ أمنا ، (١) فيما حدثنى أبو عُبَيْدة وغيره من أهل العلم ، ويقال : خُزاعة بنو حارثة بن عمرو بن عامر ، وإنما سميت خُزَاعةَ لأنهم تَخَزَّعُوا من ولد عمرو بن عامر ، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمَرِّ الظهران فأقاموا بها ، قال عَوْن (٢) بن أَيُّوبَ الأنصارى أحدُ بنى عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن الخزرج فى الاسلام

و « قرقرة » صوت فيه ترجيع ، والهدر : الهدير ، وهو صوت الفحل ؛ وربما قيل فى غيره ، و « الديافى » المنسوب إلى دياف ـ بدال مهملة مكسورة ـ وهى من قرى الشام ، وقيل : من قرى الجزيرة وأهلها نبط الشام ، وإليها تنسب الأبل والسيوف ، وإذا عرضوا برجل أنه نبطى نسبوه إليها ، وفيها يقول الأخطل : ـ

كَأَنَّ بَنَاتِ الْمَاءِ فِى حُجُرَاتِهِ أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيَافٌ بِصَرْخَدَا

قال ياقوت بعد ذكر ذلك : « فهذا البيت يدل على أنها بالشام ؛ لأن صرخد من رساتيق دمشق » اه ، و « الهجمة » القطعة من الابل ، و « البحر » جمع بحيرة ؛ وهى المشقوقه الآذان ، وقبل البيت الذى أنشده المؤلف قول تميم : ـ

بِعَاذِبِ النَّبْتِ يَرْتَاحُ الْفُؤَادُ لَهُ رَأْدَ النَّهَارِ لِأَصْوَاتٍ مِنَ النُّغَرِ

وبعد هذا البيت الواقع فى السيرة : ـ

وَالْأَزْرَقُ الْأَخْضَرُ السِّرْبَالِ مُنْتَصِبٌ

قِيدَ الْعَصَا فَوْقَ ذَبَّالٍ مِنَ الزَّهَرِ

(١) فى بعض النسخ « أمها » ولعل هذه أنسب للسياق ، فانه يحكى عنهم مقالهم كما ترى فى صدر قوله « وتقول خزاعة نحن بنو ـ الخ »

(٢) الذى أثبتناه موافق لما فى رواية الخشنى ولما فى معجم البلدان (مادة مر) وفى بعض النسخ عوف ـ بالفاء ـ

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ ... خُزَاعَةُ مِنَّا فِي خُيُولٍ كَرَاكِرِ (١)

حَمَتْ كُلَّ وَادٍ مِنْ تِهَامَةَ وَاحْتَمَتْ ... بِصُمِّ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ (٢)

وهذان البيتان فى قصيدة له (٣)

وقال أبو الْمُطَهَّر إسمعيل بن رافع الأنصارى أحدُ بنى حارثة بن الحرث ابن الْخَزْرَج بن عَمْرو بن مالك بن الأَوْس : —

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ مَكَّةَ أَحْمَدَتْ ... خُزَاعَةُ دَارَ الْآكِلِ الْمُتَحَامِلِ

(١) «مر» بفتح الميم وتشديد الراء — قال ياقوت : «قال الواقدى بين مر وبين مكة خمسة أميال» اه ، وقال أيضا : «مر الظهران ، ويقال مر ظهران ، موضع على مرحلة من مكة له ذكر فى الحديث ، وقال عرام مر : القرية ، والظهران : هو الوادى ، وبمر عيون كثيرة ونخل وجميز وهو لأسلم وهذيل وغاضرة» اه ، وقوله «تخزعت خزاعة» معناها تأخرت وانقطعت وتفرقت ، يقال : تخزع الرجل عن أصحابه ، إذا تأخر عنهم وقوله «خيول» هو هكذا فى أكثر الأصول ، وفى نسخة الخشنى والمعجم «حلول» والحلول : البيوت الكثيرة من بيوت العرب ، و «كراكر» أى : جماعات ، وقال بعض أهل اللغة : هى جماعات الخيل خاصة

(٢) البواتر : القواطع

(٣) وبعد هذين البيتين قوله : —

خُزَاعَتُنَا أَهْلُ اجْتِهَادٍ وَهِجْرَةٍ ... وَأَنْصَارُنَا جُنْدُ النَّبِيِّ الْمُهَاجِرِ

وَسِرْنَا إِلَى أَنْ قَدْ نَزَلْنَا بِيَثْرِبٍ ... بِلَا وَهَنٍ مِنَّا وَغَيْرِ تَشَاجُرِ

وَسَارَتْ لَنَا سَيَّارَةٌ ذَاتُ مَنْظَرٍ ... بِكُومِ الْمَطَايَا وَالْخُيُولِ الْجَمَاهِرِ

يَرُومُونَ أَهْلَ الشَّامِ حَتَّى تَمَكَّنُوا

مُلُوكاً بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ

فَحَلَّتْ أَكَارِيسًا وَشَتَّتْ قَنَابِلاً عَلَى كُلِّ حَيٍّ بَيْنَ نَجْدٍ وَسَاحِلِ (١)

نَفَوْا جُرْهُماً عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ وَاحْتَبَوْا
بِعِزٍّ خُزَاعِيٍّ شَدِيدِ الْكَوَاهِلِ (٢)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له ، وأنا — إن شاء الله — أذكر نفيها جُرْهما فى موضعه

أبناء مدركة بن الياس

قال ابن إسحق : فولد مدركةُ بن الياس رجلين : خُزَيْمَةَ بن مدركة ، وهُذَيْلَ بْنَ مُدركة ، وأمهما امرأة من قُضَاعة

أبناء خزيمة بن مدركة

فولد خزيمةُ بن مدركة أربعةَ نفرٍ : كِنَانَةَ بن خزيمة ، وأَسَدَ بن خزيمة ، وأَسَدَةَ بن خزيمة ، والْهُونَ بن خزيمة ، فأمُّ كنانةَ عُوانة بنت سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر

قال ابن هشام : ويقال : الْهَوْنُ بن خزيمة

أُولاَكَ بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ ، تَوَارَثُوا
دِمَشْقَ بِمُلْكٍ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

(١) «أكاريسا» جمع أكراس ، وأكراس : جمع كرس ، والكرس : الجماعة من الناس ؛ فالأكاريس جمع الجمع ، وقوله «شتت» فى أكثر النسخ بالتاء المثناة ، ومعناه فرقت ، تقول : شت يشت شتا وشتاتا إذا فرق وإذا افترق ، وفى بعض الأصول « شنت » بالنون — ومعناها كالسابقة ، تقول : شن الماء على الشراب ، إذا فرقه ، وتقول : شن الغارة على عدوه ، إذا صبها من كل وجه ، وقوله « قنابلا » هو جمع قنبلة ، وهى القطعة من الخيل ، و «نجد» هو هنا ما ارتفع من بلاد الحجاز

(٢) « الكواهل » هنا جمع كاهل ، وأصله ما بين المنكب والعنق ، استعاره هنا للرجل العزيز السيد ، قاله أبو ذر

أبناء كنانة بن خزيمة

قال ابن إسحق : فولد كنانةُ بن خزيمةأربعةَ نفرٍ : النَّضْرَ بن كنانة ومالك بن كنانةَ ، وعَبْدَ مناةَ بن كنانة ، ومِلْكَان بْنَ كنانة ؛ فأم النَّضْر بَرَّةُ بنت مُرٍّ بن أُدِّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر ، وسائر بنيه لامرأةأخرى

قال ابن هشام : أمُّ النضر ومالك ومِلْكَان بَرَّةُ بنت مُرٍّ ؛ وأمُّ عبد مناةَ هَالَةُ بنت سُوَيْد بن الغِطْريف من أَزْدِشَنُوءة ؛ وشَنُوءَةُ : عبدُ الله ابن كعب بن عبد الله بن مالك بن نَضْر بن الأسْد بن الْغَوْث ؛ وإنما سُمُّوا شَنوءة لشنآن كان بينهم ، والشنآن : البغضُ

النضر هوقريش

قال ابن هشام : النَّضْرُ : قُرَيْشٌ ؛ فمن كان من ولده فهو قُرَشِيٌّ ، ومن لم يكن من ولده فليس بقُرَشى ، وقال جَرير بن عَطِيَّة أحدُ بنى كُلَيْب بن يَرْبُوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زَيْد مَنَاة بن تميم ، يَمْدَح هِشَامَ بن عبد الملك بن مَرْوَان : —

فَمَا الأمُّ الَّتِي وَلَدَتْ قُرَيْشاً ... بِمُقْرِفَةِ النِّجَارِ وَلَا عَقِيمِ (١)

وَمَا قَرْمٌ بِأَنْجَبَ مِنْ أَبِيكُمْ ... وَمَا خَالٌ بِأَكْرَمَ مِنْ تَمِيمِ (٢)

يعنى بَرَّةَ بنت مر أخْتَ تميم بن مر أم النضر ؛ وهذان البيتان فى قصيدة له .

يقال : فهر بن مالك هو قريش

ويقال : فِهْرُ بن مالك قريشٌ ، فمن [كان] من ولده فهو قُرَشِىٌّ ،

---

(١) « مقرفة » هى اللئيمة ، و «النجار» بكسر النون وتخفيف الجيم - الأصل ، و « العقيم » التى لا تلد

(٢) « القرم » هو فى الأصل الفحل من الابل ؛ واستعاره هنا للرجل السيد

ومن لم يكن من ولده فليس بِقُرَشى ، وإنما سميت قريشٌ قريشاً من التَّقَرُّش ، والتَّقَرُّشُ : التجارة والاكتساب ، قال رؤبة بن العَجَّاج : — اشتقاق قريش

قَدْ كَانَ يُغْنِيهِمْ عَنِ الشُّغُوشِ وَالْخَشْلِ مِنْ تَسَاقُطِ الْقُرُوشِ
شَحْمٌ وَمَحْضٌ لَيْسَ بِالْمَغْشُوشِ

قال ابن هشام : والشُّغُوش : قَمْحٌ يسمى الشغوش ، والْخَشْل : رؤس الخلاخيل والأسورة [1] ونحوه ، والْقُرُوش : التجارة والاكتساب ، يقول قد كان يغنيهم عن هذا شحمٌ ومَحْضٌ ، والمحضُ : اللبنُ الحليب الخالص ، وهذه الأبيات فى أرجوزة له [2]

وقال أبو جِلْدَة [3] الْيَشْكُرِىُّ ، ويَشْكُرُ : ابنُ بكر بن وائل : —

إِخْوَةٌ قَرَّشُوا الذُّنُوبَ عَلَيْنَا فِى حَدِيثٍ مِنْ عُمْرِنَا وَقَدِيمِ

وهذا البيت فى أبيات له

قال ابن إسحق : ويقال : إنما سميت قريش قريشا لتجمعها من بعد تفرقها ، يقال للتَّجَمع : التَّقَرُّش

---

(١) قال أبو ذر : « وقال الوقشى : إنما الخشل هنا المقل ، والقروش : ماتساقط من جثمانه وتقشر منه ، وقول الوقشى صحيح وهو أشبه بالمعنى ، والمقل : ثمر الدوم ، والحتات : ماتفتت منه » اه

(٢) هى أرجوزة طويلة ثابتة فى ديوان أراجيزه (ص ٧٧ — ٧٩) يمدح فيها الحارث بن سليم الهجيمى

(٣) قال أبو ذر : «وقع فى الرواية أبو خلدة — بخاء معجمة مفتوحة ولام ساكنة — وأبو جلدة بجيم مكسورة ولام ساكنة — وهكذا قيده الدارقطنى رحمه الله » اه كلامه وفى هامش الأصل : « ويروى حلزة » بحاء فلام فزاى

أبناء النضر بن كنانة

فولد النَّضْرُ بن كنانةَ رجلين : مالكَ بن النضر ، ويَخْلُد بن النضر ؛ فأمُّ مالك عاتكةُ بنت عَدْوان بن عَمْرو بن قَيْس بن عَيْلان ، ولا أدرى أهى أم يَخْلُد أم لا

قال ابن هشام : والصَّلْت بن النضر ، فيما قال أبو عَمْرو المدنى ، وأمهم جميعا بنتُ سَعْد بن ظَرِب الْعَدْوانى ؛ وَعدْوان : ابن عَمْرو بن قَيْس بن عَيْلَان ؛ قال كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن وهو كُثَيِّرُ عَزَّةَ ، أحدُ بنى مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة : —

أَلَيْسَ أَبِى بِالصَّلْتِ ؟ أَمْ لَيْسَ إِخْوَتِى
لِكُلِّ هِجَانٍ مِنْ بَنِى النَّضْرِ أَزْهَرَا (١)
رَأَيْتُ ثِيَابَ الْعَصْبِ مُخْتَلِطَ السَّدَى
بِنَا وَبِهِمْ وَالْحَضْرَمِىَّ الْمُخَصَّرَا (٢)
فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا مِنْ بَنِى النَّضْرِ فَاتْرُكُوا
أَرَاكًا بِأَذْنَابِ الْفَوَائِجِ أَخْضَرَا (٣)

---

(١) ليس إخوتى» يروى فى مكانه «أم ليس أسرتى» وأسرة الرجل رهطه وقرائبه الأدنون منه ، و «الهجان» بكسر الهاء — الكريم ، وأصله من الهجنة ؛ وهى البياض ، لأن الكرام هى البيض من الابل ؛ و «الأزهر» المشهور ، قاله أبو ذر

(٢) العصب : برود اليمن ، يريد أن قدورنا مثل قدورهم ، وسدى أثوابنا مختلط بسدى أثوابهم ، والحضرمى : النعال ، والمخصرة : التى تضيق من جانبيها ، كأنها ناقصة الخصرين ، وهذا كما يقال : رجل مبطن ، أى : ضامر البطن ، وقال أبو ذر : « المخصر : الذى فى جوانبه انعطاف يشبه التحزيز » اه

(٣) الأراك : شجر ، و « الفوائج » رءوس الأودية ، وقيل : هى عيون بعينها

قال : وهذه الأبيات فى قصيدة له

والذين يُعْزَوْن (١) إلى الصَّلْت بن النضر من خزاعة بنو مليح بن عمرو ، رهط كُثَيِّر عزة

قال ابن إسحق : فولد مالكُ بن النضر فِهْرَ بن مالك ؛ وأمه جَنْدَلة بنت الحرث بن مِضَاض الْجُرْهُمى أبناء مالك ابن النضر

قال ابن هشام : وليس بابن مِضَاض الأكبر

قال ابن إسحق : فولد فِهْرُ بن مالك أربعةَ نفرٍ : غالبَ بن فِهْر ، ومُحَارب بن فهر ، والْحرِث بن فِهْر ، وأسَدَ بن فهر ؛ وأمُّهم ليلى بنت سعد ابن هُذَيل بن مُدْركة أبناء فهر ابن مالك

قال ابن هشام : وجَنْدَلة بنتُ فهر ؛ وهى أم يَرْبُوع بن حَنْظَلَة بن مالك ابن زيْدَ مَنَاةَ بن تميم ، وأمُّهَا لَيْلَى بنت سعْد ؛ قال جرير بن عطية بن الْخطفَى ؛ واسم الْخطَفى حُذَيفة بن بَدْر بن سلَمة بن عوْف بن كُلَيْب ابن يَرْبُوع بن حَنْظَلَة : —

وَإِذَا غَضِبْتُ رَمَى وَرَائِى بِالْحصَا
أَبْنَاء جَنْدَلَةٍ كَخَيْرِ الْجَنْدَلِ

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : فولد غالبُ بن فهر رجلين : لُؤَىَّ بنَ غالب ، وتَيْمَ بن غالب ، وأمُّهُما سَلْمى بنتُ عَمْرو الْخزاعى ، وتَيْمُ بن غالب الذين يقال لهم : بنو الأدرم أبناء غالب بن فهر

---

(١) « يعزون » بالبناء للمجهول — أى : ينسبون ؛ يقال : عزوت الرجل إلى قبيلته وإلى أبيه أعزوه ؛ إذا نسبته إليه .

قال ابن هشام: وقَيْس بن غالب، وأُمّه سَلْمى بنت كَعْب بن عَمْرو الْخزَاعى، وهى أم لؤى وتيم ابنى غالب

أبناء لؤى بن غالب

قال ابن إسحق: فولد لؤىٌّ بن غالب أربعةَ نفرٍ: كَعْبَ بن لؤى، وعامر بن لؤى، وسَامَةَ بن لؤى، وعوف بن لُؤَى؛ فأمّ كَعبٍ وعامرٍ وسامة مَاوِيَّةُ بنت كعب بن الْقَيْن بن جَسْر، من قضاعة

قال ابن هشام: ويقال: والْحرث بن لؤى، وهم جُشَم بن الحرث فى هِزّان، من ربيعة، قال جرير: —

بَنِى جُشَمٍ، لَسْتُمْ لِهِزَّانَ، فَانْتَمُوا
لِأَعْلَى الرَّوَابِي مِنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبِ(١)
وَلاَ تُنْكِحُوا فِي آلِ ضَوْرٍ نِسَاءَكُمْ
وَلاَ فِي شُكَيْسٍ، بِئْسَ مَثْوَى الْغَرَائِبِ(٢)

وسعد بن لؤى، وهم بُنَانة، فى شيبان بن ثَعْلبة بن عُكَابة بن صَعْب ابن على بن بَكْر بن وائل، من ربيعة، وبُنَانة: حاضِنةٌ لهم من بنى الْقَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله، ويقال: سَيْع الله، بن الأسد بن وَبرة بن ثَعْلبة بن حُلْوان بن عِمْران بن إلحاف بن قُضَاعة، ويقال: بنتُ النَّمِر بن قاسِطِ

(١) «لأعلى الروابى» الروابى: جمع رابية، وأصلها الكدية المرتفعة، وأراد بها ههنا الأشراف من الناس والقبائل، قاله أبو ذر، وقال السهيلى: «ويقال: إنهم أعطوا جريرا على هذا الشعر ألف عنز ربى، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة فما انتسبوا بعد إلا لقريش» اهـ، وربى كحبلى: الشاة إذا ولدت

(٢) ضور وشكيس: بطنان من عنزة.

من ربيعة ، ويقال : بنت جَرْم بن رَبَّان (١) بن حُلْوان بن عِمْران بن إلحاف بن قضاعة

وخزيمة بن لؤى بن غالب ، وهم عائذة ، فى شيبان بن ثعلبة ، وعائذة : امرأة من اليمن ، وهى أم بنى عبيد بن خزيمة بن لؤى ، وأم بنى لؤى كلهم — إلا عامر بن لؤى — : ماوِيَّةُ بنت كعب بن الْقَيْن بن جَسْر ، وأم عامر ابن لؤى : مَخْشِيَّةُ بنتُ شَيْبان بن مُحارب بن فِهْر ، ويقال : لَيْلَى بنتُ شَيْبان بن مُحارب بن فِهْرٍ

أمر سامة

أمر سامة بن لؤى وخروجه الى عمان

قال ابن إسحق : فأما سامَةُ بن لؤى فخرج إلى عُمَان ، وكان بها ، ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه ؛ وذلك أنه كان بينهما شىء ، ففقأ سامةُ عينَ عامرٍ ، فأخافه عامر ، فخرج إلى عُمان ، فيزعمون أن سامة بن لؤى بينا هو يسير على ناقته إذ وضعت رأسها تَرْتَع ، فأخذت حيـــة بِمِشْفَرِها (٢) فهَصَرَتْها (٣) حتى وقعت الناقة (٤) لِشقِّها ثم نَهَشَت سامةَ فقتلته ، فقال سامةُ حين أحسَّ بالموت ، فيما يزعمون : —

عَيْنُ فَابْكِى لِسامَةَ بْنِ لُؤَىٍّ عَلِقَتْ ساقَ سامَةَ الْعَلَّاقَهْ (٥)

---

(١) قال أبو ذر : « براء مفتوحة وباء مشددة منقوطة بواحدة ؛ وليس فى العرب غيره »

(٢) المشفر للبعير بمنزلة الشفة للانسان

(٣) « هصرتها » أمالتها . وتقول : هصرت الغصن ، إذا أملته

(٤) « لشقها » : لجنبها

(٥) فى أكثر الأصول « علقت مابسامة العلاقة » وعليها شرح أبو ذر وقال « ما : زائدة » اه والعلاقة : هى الحية التى تعلقت بالناقة

لاَأَرَى مِثْلَ سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ يَوْمَ حَلُّوا بِهِ قَتِيلاً لِنَاقَهْ

بَلِّغَا عَامِرًا وَكَعْبًا رَسُولاً أَنَّ نَفْسِي إِلَيْهِمَا مُشْتَاقَهْ

إِنْ تَكُنْ فِي عُمَانَ دَارِي فَإِنِّي

غَالِبِيٌّ خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ فَاقَهْ (١)

رُبَّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يَاابْنَ لُؤَيٍّ

حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَهْ

رُمْتَ دَفْعَ الْحُتُوفِ يَاابْنَ لُؤَيٍّ

مَالِمَنْ رَامَ ذَاكَ بِالْحَتْفِ طَاقَهْ (٢)

وَخَرُوسِ السُّرَى تَرَكْتَ رَذِيًّا بَعْدَ جِدٍّ وَحِدَّةٍ وَرَشَاقَهْ (٣)

قال ابن هشام : و بلغنى أن بعضَ ولده أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب إلى سامةَ بن لُؤَيٍّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشاعر » ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يارسول الله أردت قوله : —

رُبَّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يَاابْنَ لُؤَيٍّ حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَهْ

قال « أجل »

---

(١) « عمان » بلد من اليمن ، و «غالبى» نسبة إلى غالب ، و « من غير فاقة » أى : من غير فقر أو حاجة

(٢) الحتوف : جمع حتف ، وهو الموت

(٣) « خروس السرى » يريد ناقة صموتا صبورا على السرى لاتضجر منه فتراها كالأخرس ، ومن هذا المعنى قول الكميت : —

كَتُوم إِذَا ضَجَّ الْمَطِيُّ كَأَنَّمَا تَكَرَّمُ عَنْ أَخْلاَقِهِنَّ وَتَرْغَبُ

وذلك أن الابل يستحب فيها أن تكون اذا سارت ، وفى الليل على

أمر عوف بن لؤى و نقلته

أمر عوف بن لؤى والحاقه بنسب غطفان

قال ابن إسحق : وأما عَوف بن لؤى فانه خرج ، فيما يزعمون ، فى ركب من قريش ، حتى إذا كان بأرض غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان أُبْطِىء به ، فانطلق من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبةُ بن سَعْد ، وهو أخوه فى نسب بنى ذبيان ، (ثعلبة : ابن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان ، وعوف : ابن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان) ، فحبسه وزوّجه والتاطه (١) وآخاه ، فشاع نسبُه فى بنى ذبيان ؛ وثعلبة ، فيما يزعمون ، الذى يقول لعَوْف حين أُبطىء به فتركه قومُه : —

احْبِسْ عَلَيَّ ، ابْنَ لُؤَيٍّ ، جَمَلَكْ
تَرَكَكَ الْقَوْمُ وَلاَمَتْرَكَ لَكْ (٢)

قال ابن إسحق : وحدثنى محمدُ بن جعفر بن الزُّبَيْر ، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن حُصَين ، أن عمر بن الخطاب قال : لو كنت مُدَّعيا حَيًّا من العرب أو مُلْحِقهم بنا لادَّعيت بنى مُرَّة بن عوف ، إنا لنعرف فيهم الأشباه ، مع مانعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى عوف ابن لؤى .

الأخص لاترغو ولايسمع لها صوت ، والسرى : سير الليل ، والرذى التى سقطت من الاعياء والكلال ، وقال المجد فى القاموس . « الرذى كغنى من أثقله المرض ، والضعيف من كل شىء ، وهى بهاء ، والجمع رذايا ورذاة » اه فتأمل

(١) « التاطه » أى : ألصقه به ، يقال : التاط فلان فلانا ، إذا ضمه إليه وألحقه بنسبه . ومنه قولهم « لاط حبه بقلبه » إذا ألصق به .
(٢) يروى « ولا منزل لك » ولعلها أحسن

قال ابن إسحق : فهو — فى نسب غطفان — مُرَّةُ بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ، وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب : ما نُنكره وما نَجْحَده ، وإنه لأحبُّ النسب إلينا

وقال الحرث بن ظالم بن جَذيمة بن يربوع (قال ابن هشام : أحد بنى مُرَّة بن عوف) حين هرب من النعمان بن المنذر فلحق بقريش : —

فَمَا قَوْمِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ ... وَلاَ بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا (١)

وَقَوْمِي، إنْ سَأَلْتَ ، بَنُو لُؤَيٍّ ... بِمَكَّةَ عَلَّمُوا مُضَرَ الضِّرَابَا

سَفِهْنَا بِاتِّبَاعِ بَنِي بَغِيضٍ ... وَتَرْكِ الْأَقْرَبِينَ لَنَا انْتِسَابَا

سَفَاهَةَ مُخْلِفٍ لَمَّا تَرَوَّى ... هَرَاقَ الْمَاءَ وَاتَّبَعَ السَّرَابَا (٢)

فَلَوْ طُووِعْتُ ، عَمْرَكَ ، كُنْتُ فِيهِمْ ... وَمَا أُلْفِيتُ أَنْتَجِعُ السَّحَابَا (٣)

وَخَشَّ رَوَاحَةُ الْقُرَشِيُّ رَحْلِي ... بِنَاجِيَةٍ وَلَمْ يَطْلُبْ ثَوَابَا (٤)

---

(١) « الشعر » جمع أشعر ، وهو طويل الشعر

(٢) « سفاهة مخلف » المخلف هنا : الذى يستسق الماء ، يقال : ذهب يخلف لقومه ، أى : يستقى لهم ، قاله أبو ذر ، يقول : إن مثلهم مثل من ذهب يستقى الماء فملأ دلوه مثلا ثم شرب حتى روى ثم أراق الماء طمعا فى السراب

(٣) أراد أنه لو انتسب إلى قريش لكان معهم بمكة مقيما ولم يطلب المطر من موضع إلى موضع

(٤) « حش » يروى بحاء مهملة فشين — ومعناه كما فى اللسان أصلح قال : « ويقال : حششت فلانا أحشه ، إذا أصلحت من حاله ، وحششت ماله بمال فلان ، أى : كثرته به » اه وقال أبو ذر : يقال حش الرجل الشىء ، إذا قواه وأعانه » اه ، ويروى « خش » بخاء وشين معجمتين

قال ابن هشام : هذا ماأنشدنى أبو عبيدة منها

قال ابن إسحق : فقال الْحُصَيْن بن الْحُمَام المُرِّىُّ ثم أحد بنى سَهْم بن مُرَّة ، يرد على الحرث بن ظالم ، وينتمى إلى غطفان : —

أَلاَ لَسْتُمُ مِنَّا وَلَسْنَا إِلَيْكُمُ
بَرِئْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبِ
أَقمْنَا عَلَى عِزِّ الْحِجَازِ ، وَأَنْتُمُ
بِمُعْتَلَجِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ (١)

يعنى قريشا ؛ ثم ندم الحصين على ماقال ، وعرف ماقال الحرث بن ظالم فانتمى إلى قريش وأكذب نفسه ، فقال : —

نَدِمْتُ عَلَى قَوْلٍ مَضَى كُنْتُ قُلْتُهُ
تَبَيَّنْتُ فِيهِ أَنَّهُ قَوْلُ كَاذِبِ
فَلَيْتَ لِسَانِى كَانَ نِصْفَيْنِ مِنْهُمَا
بُكَيْمٌ وَنِصْفٌ عِنْدَ مَجْرَى الْكَوَاكِبِ

وفسرت بها مش الاصل بما ذكرناه عن اللسان فى تفسير الرواية السابقة والناجية : الناقة السريعة

(١) المعتلج : الموضع السهل الذى يعتلج فيه القوم ، أى : يتصارعون قاله أبو ذر ؛ وقال السهيلى : «أى : حيث تعتلج السيول ؛ والاعتلاج عمل بقوة ، قال الشاعر :

لَوْ قُلْتَ لِلسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ وَالسَّيْلُ كَمِثْلِ الْهِضَابِ يَعْتَلِجُ

وفى الحديث : إن الدعاء ليلقى البلاء نازلا من السماء فيعتلجان إلى يوم القيامة . أى : يتدافعان بقوة» اه والبطحاء فى البيت بطحاء مكة ؛ وهى مكان سهل ، والأخاشب : جمع أخشب ، وبمكة جبلان هما الأخشبان

أَبُونَا كِنَانِىٌّ بِمَكَّةَ قَبْرُهُ
بِمُعْتَلِجِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الأَخَاشِبِ
لَنَا الرُّبْعُ مِنْ بَيْتِ الْحَرَامِ وِرَاثَةً
وَرُبْعُ الْبِطَاحِ عِنْدَ دَارِ ابْنِ حَاطِبِ (١)

أي : إن بنى لؤى كانوا أربعة : كعبا ، وعامرا ، وسامة ، وعوفا

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجال من بنى مرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه

قال ابن إسحق : وكان القوم أشرافا فى غطفان ، هُمْ سادتهم وقادتهم ، منهم هَرِم بن سِنَان بن أبى حارثة ، وخارِجة بن سِنان بن أبى حارثة ، والحرث ابن عوْف ، والحُصين بن الْحُمام ، وهاشم بن حَرْملة الذى يقول له القائل :—

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَهْ
يَوْمَ الْهَبَاءَاتِ وَيَوْمَ الْيَعْمَلَهْ (٢)

وكأنه جمعهما وما حولها من جبال

(١) البطاح : جمع بطحاء ، وهى المسيل الواسع فيه دقاق الحصى وعنى هنا بطاح مكة

(٢) « أحياء أباه » يريد أنه أخذ بثأره ولم يفته قاتله ، فكأنه أحياه و « يوم الهباءات » أحد أيام العرب ، أضيف إلى الهباءة — بفتح الهاء بعدها باء موحدة — قال ياقوت : « هى الأرض التى ببلاد غطفان : قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان ؟ قتلهما قيس بن زهير » اه وجمع الهباءة لأنه أرادها مع ما حولها من الأماكن ، و « اليعملة » بفتح الياء وسكون العين بعدها ميم مفتوحة — اسم موضع وفيه كان يوم من أيامهم قال ياقوت : « ويوم اليعملة ، من أيامهم » اه

تَرَى الْمُلُوكَ عِنْدَهُ مُغَرْبَلَهْ

يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لاَذَنْبَ لَهْ (١)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبَيْدة هذه الأبيات لعامر الخَصَفِى ؛ خَصَفة ابن قيس بن عيلان : —

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَهْ يَوْمَ الْهَبَاءاتِ وَيَوْمَ الْيَعْمَلَهْ

تَرَى الْمُلُوكَ عِنْدَهُ مُغَرْبَلَهْ

يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لاَذَنْبَ لَهْ

وَرُمْحُهُ لِلْوَالِدَاتِ مُثْكِلَهْ (٢)

قال ابن هشام : وحدثنى أن هاشما قال لعامر : قُلْ فىَّ بيتاً جيِّدًا أُثِبْكَ عليه ، فقال عامر البيت الأول ، فلم يعجب هاشما ، ثم قال الثانى ، فلم يعجبه ، ثم قال الثالث ، فلم يعجبه ، فلما قال الرابع * يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لاَذَنْبَ لَهْ * أعجبه فأثابه عليه (٣)

قال ابن هشام : وذلك الذى أراد الكُمَيْتُ بن زيد فى قوله : —

وَهَاشِمُ مُرَّةَ الْمُفْنِى مُلُوكاً بِلاَ ذَنْبٍ إِلَيْهِ وَمُذْنِبِينَا

وهذا البيت فى قصيدة له ، وقول عامر «يوم الهباءات» عن غير أبى عبيدة

(١) « مغربلة » قال أبوذر : « أى مقتولة ، تقول : غربل .. إذا قتل أشراف الناس وخيارهم » اه ، قلت : أراد بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم حتى لا يفوته واحد منهم ، وكأنه من قولهم : غربلت الطعام ، إذا تتبعته بالاستخراج حتى لا يبقى منه إلا الحثالة

(٢) يريد أن رمحه تثكل الوالدة ولدها ؛ لأنه يقتله بها

(٣) إنما أعجبه ذلك لأنه وصف له بالعز والامتناع وأنه لايخاف حاكما يتعدى عليه ولا ثأرا من طالب ثار

قال ابن إسحق : قومٌ لهم صِيتٌ(١) وذكر فى غَطَفَان وقَيْس كلها ، فأقاموا على نسبهم ، وفيهم كان الْبَسْلُ

أمر البسل

البسل والْبَسْلُ(٢) ، فيما يزعمون ، ثمانيةُ أشهرٍ حُرُم لهم من كل سنة من بين العرب ، قد عرفت ذلك لهم العربُ : لاينكرونه ، ولا يدفعونه ، يسيرون به إلى أى بلاد العربِ شاءوا لايخافون منهم شيئا ، قال زُهَير بن أبى سُلْمى يَعْنى بنى مُرَّة

قال ابن هشام : زُهَير أحد بنى مُزَيْنة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مُضر ، ويقال : زُهَير بن أبى سُلْمى من غَطَفَان ، ويقال : حليف فى غَطَفَان : —

تَأَمَّلْ فَإِنْ تُقْوِ الْمَرَوْرَاةُ مِنْهُمُ ... وَدَارَاتُهَا لاَ تُقْوِ مِنْهُمْ إِذًا نَخْلُ(٣)

---

(١) « صيت » أى : ذكر حسن وشهرة بين الناس

(٢) « البسل » بفتح الباء وسكون السين ـ يطلق فى اللغة على الحرام وعلى الحلال ، فهو من الأضداد ، وسيأتى عن المؤلف بيان معناه المراد هنا

(٣) «تقو » أى : تقفر ، تقول : أقوى المنزل ، إذا أقفر وخلا من أهله ، و « المروراة » بفتح الميم والراء المهملة وبعدها واو ساكنة فراء مهملة ـ اسم موضع ، قال ياقوت : « موضع كان فيه يوم المروراة ظفرت فيه ذبيان ببنى عامر ، ثم أنشد البيتين اللذين أنشدهما المؤلف » اه وفى أكثر نسخ الأصل « المرورات » بتاء مفتوحة ، وقال ياقوت : « والمرورات ـ بالتاء ـ كأنه جمع مرورة ، وليس فى الكلام مثل هذا البناء ، وهو مما ضوعف فيه العين واللام ؛ فهو فعلعلة ، مثل صمحمحة» اه و « نخل » بفتح النون وسكون الخاء ـ اسم لعدة أماكن ، منها منزل لبنى مرة بن عوف على ليلتين من المدينة ، وفيه يقول زهير أيضا : ـ

وَإِنِّى لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائِى مِدْحَةً ... إِلَى فَاضِلٍ تُبْغَى لَدَيْهِ الْفَوَاضِلُ

بِلَادٌ بِهَا نَادَمْتُهُمْ وَأَلِفْتُهُمْ فَإِنْ تُقْوِيَا مِنْهُمْ فَإِنَّهُمُ بَسْلُ (١)

أى : حرام ، يقول : ساروا فى حرمهم

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له (٢)

قال ابن إسحق : وقال أعشى بنى قيس بن ثعلبة : —

أَجَارَتُكُمْ بَسْلٌ عَلَيْنَا مُحَرَّمٌ وَجَارَتُنَا حِلٌّ لَكُمْ وَحَلِيلُهَا (٣)

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له (٤)

قال ابن إسحق : فولد كعبُ بن لؤى ثلاثةَ نفر : مُرَّةَ بن كعب ، وعَدِيَّ بن كعب ، وهُصَيْصَ بن كعب ، وأُمُّهم وَحْشِيةُ بنت شَيْبان بن مُحارب بن فِهْر بن مالك بن النضر أبناء كعب بن لؤى

أُحَابِي بِهِ مَيْتاً بِنَخْلٍ ، وأَبْتَغِي إِخَاءَكَ بِالْقَوْلِ الَّذِي أَنَا قَائِلُ

(١) « بسل » أى : حرام ، والمروى فى الديوان « فانهما بسل » ولعل رواية الديوان أنسب لقوله « فان تقويا »

(٢) هى قصيدة طويلة مذكورة فى ديوانه ، يمدح بها سنان بن أبى حارثة ، ومطلعها :—

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى ، وقدْ كَادَ لَا يَسْلُو

وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ فَالثَّقْلُ

والبيتان غير متصلين فى الديوان (العقد الثمين : ص ٤٢ و ٤٣) بل بينهما بيت آخر

(٣) « بسل » هنا أيضا بمعنى حرام كما فى بيت زهير

(٤) هو من قصيدة له طويلة مذكورة فى ديوانه (ص ١٢٢) ومطلعها

لِمَيْثَاءَ دَارٌ قَدْ تَعَفَّتْ طُلُولُهَا عَفَتْهَا نَضِيضَاتُ الصَّبَا فَمَسِيلُهَا

ونضيضات الصبا : بقيات هذه الرياح ، وأراد بها الأمطار

أبناء مرة بن كعب

فولد مرةُ بن كعب ثلاثةَ نفر : كلابَ بن مُرَّة ، وتَيْم بن مُرَّة ، ويَقَظَة بن مُرَّة ؛ فأمُّ كلاب هندُ بنت سُرَيْر بن ثعلبة بن الحرث بن [فهر بن] مالك [بن النضر] بن كنانة بن خزيمة ، وأمُّ يقظة البارقيةُ امرأةٌ من بارق من الأسْد من اليمن ، ويقال : هى أم تَيْم ، ويقال : تَيْم لهند بنت سُرَيْر أمّ كلاب

نسب بارق وسبب تسميتهم

قال ابن هشام : بارقٌ : بنو عَدِىّ بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثَعْلبة بن مازن بن الأسْد بن الغوث ، وهم فى شَنُوءة ، قال الكُمَيْت بن زَيْد : —

وَأَزْدُ شَنُوءَةَ انْدَرَؤُا عَلَيْنَا بِجُمٍّ يَحْسِبُونَ لَهَا قُرُونَا (١)
فَمَا قُلْنَا لِبَارِقَ قَدْ أَسَأْتُمْ وَمَا قُلْنَا لِبَارِقَ أَعْتِبُونَا (٢)

قال : وهذان البيتان فى قصيدة له ، وإنما سُمُّوا ببارق لأنهم تبعوا الْبَرْقَ (٣)

أبناء كلاب بن مرة

قال ابن إسحق : فولد كلابُ بن مُرَّة رجلين : قُصَىَّ بن كلاب ، وزُهْرَة بن كلاب ، وأُمُّهما فاطمةُ بنت سَعْد بن سَيَل أحد [بنى] الجَدَرَة

---

(١) « اندرأوا » أى : خرجوا علينا ودفعوا ، والجم – بضم الجيم – جمع أجم ، وهو الكبش الذى لاقرن له ، يريد أنهم خرجوا علينا بلاعدة وقد حسبوا أن لهم عدة يدفعون بها عن أنفسهم ، فضرب الجم مثلا لذلك

(٢) « أعتبونا » أى : أرضونا فاصنعوا مانرضى به عنكم ، وتقول : أعتبت الرجل ، إذا أرضيته ، والالف للازالة ؛ أى : ازلت مايعتب منه على

(٣) «تبعوا البرق» يريد أنهم طلبوا موضع النبات . والبرق يدل على المطر ، والمطر يكون عنه النبات

من جُعْثُمَة الْأَزْدِ من اليمن ، حلفاء فى بنى الدُّئِل (١) بن بكر بن عبد مَنَاة ابن كنانة

نسب جعثمة وسبب تسميتهم الجدرة

قال ابن هشام : ويقال : جُعثمة الأسد وجُعْثُمة الأزد ؛ وهو جُعْثُمة بن يَشْكر بن مُبَشِّر بن صعْب بن دُهْمان بن نَصْر بن زَهْران بن الحرث بن كَعْب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر بن الأسد بن الْغَوْث ، ويقال : جعثمة بن يَشْكر بن مُبَشِّر بن صعْب بن نَصْر بن زَهْران بن الأسد بن الْغَوْث ، وإنما سموا الْجَدَرَة لأن عامر بن عمرو بن جُعثمة تزوج بنت الحرث ابن مُضاض الْجُرْهُمى ، وكانت جرهم أصحاب الكعبة ، فبنى للكعبة جدارا ، فسُمِّى عامر بذلك الجادرَ ، فقيل لولده الْجَدَرَةَ ؛ لذلك

قال ابن إسحق : ولسَعْد بن سَيَل يقول الشاعر : —

مَا نَرَى فِى النَّاسِ شَخْصًا وَاحِدًا ... مَنْ عَلِمْنَاهُ كَسَعْدِ بْنِ سَيَلْ

فَارِسًا أَضْبَطَ فِيهِ عُسْرَةٌ ... وَإِذَا مَا وَاقَفَ الْقِرْنَ نَزَلْ (٢)

فَارِسًا يَسْتَدْرِجُ الْخَيْلَ كَمَا اسْـ ... ـتَدْرَجَ الْحُرُّ الْقَطَامِىُّ الْحَجَلْ (٣)

قال ابن هشام : قوله « كما استدرج الحر » عن بعض أهل العلم بالشعر

---

(١) أكثر أهل العلم يقولون الدئل ـ بضم الدال بعدها همزة مكسورة وينسبون إليه « دؤلى » بضم الدال وفتح الهمزة ، ومن هؤلاء ابن الكلبى ومحمد بن حبيب ، وأما يونس بن حبيب والأخفش فيقولون : الديل ـ بدال مكسورة فياء مثناة ـ وينسبون إليه الديلى ، والأول أقعد وأدق . انظر السهيلى

(٢) « أضبط » هو الذى يعمل بكلتا يديه . يعمل باليسرى كما يعمل باليمنى . والعسرة ههنا : الشدة ؛ قاله أبو ذر . وقال السهيلى : « وقوله فيه عسرة من هذا المعنى أيضا ، والاسم منه أعسر » اهـ ، والقرن ـ بكسر القاف ـ الذى يقاومك فى الحرب

(٣) « الحر القطامى » أراد به الصقر ، قاله أبو ذر ، والحجل

قال ابن هشام : ونُعم بنت كلاب ، وهى أم أسْعَد وسُعيد ابْنَىْ سَهْم ابن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤى ، وأمهافاطمة بنت سعد بن سَيَل

ابناء قصى بن كلاب

قال ابن إسحق : فولد قصىٌّ بنُ كلاب أربعةَ نفر وامرأتين : عبدَ مناف بنَ قُصَى ، وعبد الدار بن قصي ، وعبدَ الْعُزَّى بنَ قُصَى ، وعبد [قصى] بن قُصَى ، وتَخْمُر بنت قُصَى ، وبَرَّة بنت قُصَى ، وأمهم حُبَىَّ بنت حُلَيل بن حَبَشِيَّةبن سَلُول بن كَعْب بن عَمْرو الْخزاعى

قال ابن هشام : ويقال حُبْشِية (١) بن سلول

أبناء عبد مناف ابن قصى

قال ابن هشام . فولد عبدُ مناف بن قُصَى أربعةَ نفرٍ : هاشمَ بن عبد مناف ، وعبدَ شمس بن عبدمناف ، والْمطَّلبَ بن عبدمناف ، وأمُّهم: عَاتكة بنت مُرَّة بن هِلال بن فالج بن ذَكْوان بن ثعْلَبةبن بُهْثة بن سُلَيم ابن مَنْصور بن عِكْرِمة ، ونَوْفَلَ بْنَ عبد مناف ، وأمه: وَاقِدة بنتعَمْرو المازنية ، مازن : ابن مَنْصور ابن عِكْرِمة

قال ابن هشام : فبهذا النسب خالفهم عُتبَةْ بن غَزْوَان بن جابر بن وَهْب بن نُسَيْب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور بن عكرمة

بقية أبناء عبد مناف بن قصى

قال ابن هشام : وأبوعَمْرو ، وتُمَاضر ، وقلابة ، وحَيَّة،ورَيْطَة ، وأم الْأخْثَم ، وأمُّ سُفْيان ؛ بَنُو عبد مناف ؛ فأم أبى عمرو :رَيْطَة امرأةٌ من ثقيف ، وأمسائر النساء : عاتكةُ بنت مُرَّةبنهلالأمُّ هاشم بنعبد مناف ، وأُمُّهَا صَفِيَّة بنت حَوْزة بن عَمْرو بن سَلُولبن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن ، وأمُّ صفيةَ بنتُ عائذ الله بن سَعْدِ الْعَشيرة بن مَذْحج

ـ بفتحتين ـ طائر صغير على قدر الحمام كالقطا

(١) قوله « يقال حبشية » الأول بفتح الحاء والباء ، والثانى بضم الحاء وسكون الباء

أبناء هاشم بن عبدمناف وأمهاتهم

قال ابن هشام : فولد هاشمُ بن عبدمناف أربعةَ نفرٍ وخمسَ نسوةٍ : عبدَ المطلب بن هاشم ، وأسدَ بن هاشم ، وأبا صَيْفِيّ بن هاشم ، ونضلةَ ابن هاشم ، والشفاء ، وخالدة ، وضَعِيفة ، ورُقَيّة ، وحَيّة ؛ فأمُّ عبد المطلب ورقيةَ : سَلْمى بنتُ عمرو بن زيدبن لبيد [بن حرام] بن خِداش بن عامر ابن غَنْم بن عَدِي بن النَّجّار (واسم النجار : تَيْمُ الله بن ثَعْلبة بن عَمْرو ابن الْخَزْرج بن حارثة بن ثَعْلبة بن عَمْرو بن عامر) وأمُّها[1] عميرةُ بنت صخْر ابن الحرث بن ثَعْلبة بن مازن بن النَّجار ، وأمُّ عَميرةَ سَلْمى بنتُ عبد الأشهل النجارية ، وأمُّ أسدٍ : قَيْلَةُ بنت عامر بن مالك الخزاعى، وأمُّ أبى صَيْفِيّ وَحَيَّة : هندُ بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، وأمُّ نَضْلة والشّفاء امرأةٌ من قضاعة ، وأم خالدةَ وضعيفة : واقدةُ بنت أبى عدىٍّ المازنية .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

أبناء عبدالمطلب ابن هاشم

قال ابن هشام : فولد عبدُ المطلب بن هاشم عشرةَ نفرٍ وستَّ نسوةٍ : — العباسَ ، وحمزةَ ، وعبدَ الله ، وأبا طالب (واسْمُه عَبْدُ مَنَافٍ) والزُّبَيْرَ ، والحرث ، وحَجْلا ، والْمُقَوِّم ، وَضِرَارا ، وأبا لَهَب (واسْمُه عَبْدُ الْعُزَّى) وصَفِيَّة ، وأمُّ حَكِيم البيضاء ، وعَاتِكة ، وأُمَيْمَة ، وأرْوَى ، وبَرَّة

زوجات عبدالمطلب وأبناؤه من كل واحدة

فأم العباس وضِرارٍ: نُتَيْلَةُ بنتُ جَنَاب بن كُلَيْب بن مالك بن عَمْرو ابن عامر بن زَيْد مَنَاةَ بن عامر بن سعد بن الْخَزْرج بن تَيْم اللاَّت بن النَّمِرِ بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة

وأم حمزةَ والْمُقَوِّم وحَجْل (وكان يلقب بالغَيْدَاق لكثرة خيره وسَعَة

---

(١) يريد أم سلمى التى هى أم عبد المطلب بن هاشم ورقية بنت هاشم فعميرة جدة عبد المطلب لأمه .

ماله) [وأمُّ] صفيةَ : هالةُ بنت وُهَيب بن عبد مَنَاةَ بن زُهْرة بن كلاب ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَى

وأم عبد الله وأبى طالب والزبيرِ وجميعِ النساء غيرَ صفيةَ : فاطمةُ بنت عَمْرو بن عَائذ بن عِمْران بن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَى ابن غالب بن فِهْرِ بن مالك بن النضر ، وأمُّها : صَخْرةُ بنت عبد بن عِمْران ابن مَخْزوم بن يقَظَة بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر ،

وأم صَخْرَةَ : تَخْمُرُ بنت عَبْدِ بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر

وأم الحرثِ بن عبد المطلب : سَمْراء بنتُ جُنْدب بن حُجَير بن رِئاب ابن حَبيب بن سُوَاءة بن عامر بن صَعْصَعة بن مُعَاوية بن بَكْر بن هوَازن ابن مَنْصُور بن عِكْرِمة

وأم أبى لهب : لُبْنى بنت هاجِر بن عبد مَنَاف بن ضَاطِر بن حُبْشِيَّة ابن سَلول بن كعب بن عَمْرو الخزاعى

نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة أمه

قال ابن هشام : فولد عبدُ الله بن عبد المطلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَيِّدَ ولدِ آدم : مُحَمَّدَ بْنَ عبد الله بن عبد المطلب ، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله

وأمُّه : آمِنَةُ بنت وَهْب بن عَبْد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرَّة ابن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْرِ [بن كنانة]

وأمها : بَرَّةُ بنتُ عبد الْعُزَّى بن عُثْمان بن عَبْد الدار بن قُصَىِّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غَالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر

وأم بَرَّةَ :أمُّ حبيب بنت أسدِ بن عبد الْعُزَّى بن قُصىّ بن ِكلاب ابن مُرَّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب بن ِفهْر بن مالك بن النَّضْر

وأمُّ أمِّ حبيب: بَرَّةُ بنتُ عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيج بن عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر

قال ابن هشام : فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشرفُ ولد آدم حَسَباً وأفضلُهْ نَسَباً من قِبلِ أبيه وأمه ، صلى الله عليه وسلم وشرَّفَ وكرَّم ومَجّدَ وعَظَّم (١)

حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

[قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : وكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حَدَّثنا به زِيَادُ بن عبد الله الْبَكَّائى ، عن محمد بن إسحق الْمُطَّلِبى](٢) ، قال : بينما عبد المطلب بن هاشم نائم فى الْحِجْر إذ أُتى فأُمر بحَفْر زمزم ، وهى دَفْنٌ بين صَنَمَىْ قريش إسَاف ونَائِلة ،(٣)

عبد المطلب يؤمر بحفر زمزم

(١) ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «ماولدتنى بغى قط منذ كنت فى صلب آدم ، فلم تزل تنازعنى الأمم كابرا عن كابر حتى خرجت فى أفضل حى فى العرب هاشم وزهرة » فهو صلى الله عليه وسلم خير بنى آدم بلا ريب وأفضلهم على الاطلاق . لأن الله عزوجل لما خلق آدم وأكمل نشأته لاحت أنوار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكان نور الأنوار

(٢) هذا الكلام مع العنوان مذكور فى بعض النسخ وهو بعيد المناسبة

(٣) إساف ـ بكسر الهمزة ـ ونائله ـ على زنة اسم الفاعل ـ صنمان كانا بمكة ، وجاء فى بعض أحاديث مسلم أنهما كانا بشط البحر وكانت الأنصار فى الجاهلية تهل لهما ، وهذا وهم ، إنما الذى كان بشط البحر مناة الطاغية .

قال ابن الكلبى (ص ٩) « عن ابن عباس أن إسافا رجل من جرهم يقال له إساف بن يعلى ، ونائلة امرأة من جرهم هى نائلة بنت زيد ، وكان يتعشقها فى بلاد اليمن ، فأقبلا حجاجا ، فدخلا الكعبة ، فوجدا غفلة من الناس وخلوة

مكان زمزم

عند مَنْحَر قريش، (١) وكانت جُرْهُمُ دَفَنَتْها حين ظعنوا من مكة، وهى بئر إسمعيل بن إبراهيم التى سقاه الله حين ظَمِئ وهو صغير فالتمست له أمُّه ماءً فلم تجده، فقامت على الصفا (٢) تدعو الله وتستغيثه لاسمعيل، ثم أتت الْمَرْوَةَ (٣) ففعلت مثل ذلك، و بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فَهَمَزَ (٤) له بِعَقِبِهِ فى الأرض، فظهر [لها] الماء، وسمعت أمه أصوات السباع فخافتها عليه، فجاءت تَشْتَدُّ نحوه، (٥) فوجدته يَفْحَصُ (٦) بيده عن الماء من

فى البيت، ففجر بها فى البيت، فسخا، فأصبحوا فوجدوهما مسخين، فأخرجوهما، فوضعوهما موضعهما، فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب» اه كلامه

(١) قال ابن الكلبى (ص ٢٩) «لما مسخ إساف ونائلة وضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها، وكان أحدهما بلصق الكعبة والآخر فى موضع زمزم، فنقلت قريش الذى كان بلصق الكعبة إلى الآخر، فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما» اه فقول المؤلف «منحر» هو اسم مكان من نحر ينحر، أى: عند مكان ذبحهم.

(٢) قال ياقوت: «الصفا مكان مرتفع من جبل أبى قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادى الذى هو طريق وسوق، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود، والمشعر الحرام بين الصفا والمروة» اه

(٣) قال ياقوت: «المروة جبل بمكة يعطف على الصفا» والسعى بين الصفا والمروة من شعائر الحج فى دين الاسلام، وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى: «إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم»

(٤) «همزله بعقبه» يريد ضرب الأرض برجله، والهمز: الدفع والضرب؛ وفعله كضرب وكنصر

(٥) «تشتد نحوه» تجرى مسرعة

(٦) «يفحص بيده» أى: يكشف عن الماء ويوسع له

من تحت خدّه ويشرب فجعلته حِسْياً (١)

أمر جرهم ودفن زمزم

قال ابن هشام : وكان من حديث جرهم ودَفْنِها زمزمَ وخروجها من مكة ، ومَنْ ولىَ أمْرَ مكة بعدها إلى أن حفَر عبدُ المطلب زمزمَ ؛ ماحدثنا به زياد بن عبد الله البَكَّائى ، عن محمد بن إسحق ، قال : لما توفى إسمعيل بن إبراهيم ولى البيت بعده ابنه نابتُ بن إسمعيل ماشاء الله أن يليه ، ثم ولى البيت بعده مُضَاص بن عَمْرو الْجُرْهمى

إسماعيل بن إبراهيم وولاة البيت من أبنائه

قال ابن هشام : ويقال : مِضَاض بن عَمرو الجرهمى

قال ابن إسحق : وبنو إسمعيل وبنو نابت مع جَدِّهم مُضاض بن عمرو ، وأخوالهم من جُرْهُم ؛ وجُرْهُم وقَطُوراء يومئذ أهلُ مكة ، وهما أبنا عم ، وكانا ظَعَناَ من اليمن ، فأقبلا سَيَّارَةً وعلى جرهم مُضَاضُ بن عمرو وعلى قَطُوراءَ السَّمَيْدَعُ رجلٌ منهم ، وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم مَلكٌ يقيم أمرهم ، فلما نزلا مكةَ رأيا بلداً ذا ماء وشجر ، فأعجبهما ، فنزلا به ، فنزل مُضاض بن عمرو ومن معه من جرهم بأعلى مكة بقُعَيْقِعانَ (٢) فما حاز ، ونزل السَّمَيْدَعُ بقطوراءَ أسفلَ مكة بأجياد (٣) فما حاز ، فكان

جرهم وقطور ونزولهما مكة

---

(١) «فجعلته حسيا» الحسى: الحفيرة الصغيرة ، ويقال : الحسى : مايغور فى الرمل فاذا بحث عنه ظهر

(٢) « قعيقعان» بضم ففتح فسكون فكسر - اسم جبل بمكة ، قال عرام منه إلى مكة اثنا عشر ميلا على طريق الحوف إلى اليمن : وقال البلخى ؛ والواقف على قعيقعان يشرف على الركن العراقى إلا أن الأبنية قدحالت بينهما »

(٣) قال ياقوت : «قال أبو القاسم الخوارزمى: أجياد : موضع بمكة يلى الصفا » .

مُضاضٌ يَعْشِرُ[١] من دخل مكة من أعلاها ، وكان السميدع يَعْشِر[٢] من دخل مكة من أسفلها ؛ وكلٌّ فى قومه ، لايدخل واحد منهما على صاحبه

حرب جرهم وقطوراء وانتصار جرهم

ثم إن جرهما وقَطُوراء بَغَى بعضهم على بعض ، وتنافسوا الملك بها ، ومع مُضاض يومئذ بنو إسمعيل و بنو نابتٍ ، و إليه وِلايةُ البيت دون السَّمَيْدَع ، فسار بعضهم إلى بعض ، فخرج مُضاض بن عمرو من قُعَيْقِعَانَ فى كتيبته سائراً إلى السميدع ، ومع كتيبته عُدَّتُها من الرماح والدَّرَق والسيوف والجِعاب يُقَعْقِعُ بذلك معه ، فيقال : ماسُمِّى قعيقعان بقعيقعان إلا لذلك ، وخرج السَّمَيْدَع من أجْيَاد ومعه الخيل والرجال ، فيقال : ماسمى أجياد أجيادًا إلا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه ، فالتقوا بفاضح ،[٣] واقتتلوا قتالا شديدا ، فقُتل السَّمَيْدَعُ وفُضحت قَطُوراء ، فيقال : ماسمى فاضح فاضحا إلا لذلك .

ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المطابخ[٤] ، شعبا بأعلى مكة ، واصطلحوا به ، وأسلموا الأمر إلى مُضاض ، فلما جمع إليه أمر مكة فصار

---

(١) عشر الرجل القوم يعشرهم ـ من باب ضرب ـ أخذ عشر أموالهم وفى الحديث «أن وفد ثقيف اشترطوا أن لايحشروا ولا يعشروا» قال ابن الأثير : أى : لا يؤخذ عشر أموالهم ، وفى الحديث أيضا : «النساء لايحشرن ولا يعشرن » وهو بهذا المعنى أيضا : يعنى لايؤخذ من حليهن العشر

(٢) « فاضح » قال ياقوت : موضع قرب مكة عند أبى قبيس . كان الناس يخرجون إليه لحاجاتهم » ، وقال أيضا : « وهو عند سوق الرقيق إلى اسفل من ذلك » اه .

(٣) قال ياقوت بعد حكاية هذا القول : « وقال ابن الكلبى إنما سمى فاضحا لأن جرهما والعماليق التقوا به فهزمت العماليق وقتلوا به فقال الناس . افتضحوا به فسمى بذلك » اه

(٤) « المطابخ » قال ياقوت :« موضع فى مكة مذكور فى قصة تبع »

مُلْكُها له نحر للناس فأطعمهم فأطَّبَخَ الناسُ وأكلوا ، فيقال : ما سميت المطابخُ المطابخَ إلا لذلك ،و بعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ لما كان تُبَّعٌ نحر بها وأطعم[١] وكانت منزله ، فكان الذى كان بين مضاض والسميدع أولَ بَغْيٍ كان بمكة ، فيما يزعمون .

ثم نشر الله ولد إسمعيل بمكة ؛ وأخوالهم من جُرْهم ولاةُ البيت والحكام بمكة ، لا ينازعهم ولد إسمعيل فى ذلك : لخؤلتهم وقرابتهم ، وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغى أو قتال ، فلما ضاقت مكة على ولد إسمعيل انتشروا فى البلاد ، فلا يُناوَوْنَ[٢] إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم

بغى جرهم وإجلاؤهم عن مكة

ثم إن جرهما بَغَوْا بمكة ، واستحلوا خِلالاً[٣] من الحرمة ؛ فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذى يُهْدَى لها ؛ فَرَقَّ أمرهم ، فلما رأت بنو بكر بن عَبْدِ مَنَاة بن كنانةَ وغُبْشَانُ من خزاعة ذلك أجْمَعُوا لحربهم وإخراجهم من مكة ، فآذَنُوهم بالحرب ، فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغُبْشانُ ، فَنَفَوْهم من مكة ، وكانت مكة فى الجاهلية لا تُقِرُّ فيها ظلما ولا بَغْياً ، ولا يبغى فيها أحد إلا أخرجته ؛ فكانت تسمى النَّاسَّةَ[٤]

فضل مكة

---

(١) انظر الهامشة (٤) (ص ١٢٤) من هذا الجزء

(٢) « فلا يناوون » المناواة : العداوة ، ومن أمثالهم « إذا ناوات الرجال فاصبر » والأصل فيه الهمز ، قاله أبو ذر ، يريد أن أصل المناواة المناوأة ، وأصل ناوى ناوأ ، وأصل يناوون يناوأون ، فقلبت الهمزة ألفا ثم حذفت . وفى بعض النسخ « فلا يناوئون قوما — الخ »

(٣) « خلالا » أى : خصالا ، جمع خلة — بفتح الخاء — وهى الخصلة ، يقال : فى فلان خلال حسنة ، أى : خصال

(٤) قوله « الناسة » وتسمى أيضا « الباسة » وكلاهما فى القاموس

ولا يريدها ملكٌ يستحلُّ حرمتها إلا هلك مكانه ، فيقال : إنها ماسميت ببكة إلا أنها كانت تَبُكُّ أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا

قال ابن هشام : أخبرنى أبو عبيدة أن بكة اسم لبطن مكة ، لأنهم يتباكون فيها ، أى : يزدحمون ، وأنشدنى : —

إِذَا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ أَكَّهْ فَخَلِّهِ حَتَّى يَبُكَّ بَكَّهْ (١)

أى : فدعه حتى يبُكَّ إبله ، أى : يخليها إلى الماء فتزدحم عليه ، وهو موضع البيت والمسجد ؛ وهذان البيتان لعامان بن كَعْب بن عَمْرو بن سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم

عود جرهم الى اليمن

قال ابن إسحق : فخرج عمرو بن الحرث بن مُضَاض الجرهمى بغزالى الكعبة وبحجرِ الركن ؛ فدفنها فى زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على مافارقوا من أمر مكة ومُلكها حزناً شديدا ، فقال عَمْرو بن الحرث [بن عمرو] بن مُضَاض فى ذلك ، وليس بمضاض الأكبر : —

عمرو بن الحرث الجرهمى يبكى لفراق مكة

وقَائِلَةٍ وَالدَّمْعُ سَكْبٌ مُبَادِرُ
وَقَدْ شَرِقَتْ بِالدَّمْعِ مِنْهَا الْمَحَاجِرُ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا
أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ (٢)
فَقُلْتُ لَهَا وَالْقَلْبُ مِنِّى كَأَنَّمَا يُلَجْلِجُهُ بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ طَائِرُ (٣)

---

(١) الأكة : الشدة ، وقيل : هى شدة الحر ، وقيل : شدة الألم ؛ وإكاك الدهر : شدائده

(٢) « الحجون » بفتح الحاء ـ موضع بأعلى مكة ، والصفا : جبل من جبالها ، وتقدم ذكره (ص ١٢٢)

(٣) « يلجلجه » يحركه ويديره

بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَزَالَنَا
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ (١)
وَكُنَّا وُلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ
نَطُوفُ بِذَاكَ الْبَيْتِ وَالْخَيْرُ ظَاهِرُ
وَنَحْنُ وَلِينَا الْبَيْتَ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ
بِعِزٍّ فَمَا يَحْظَى لَدَيْنَا الْمُكَاثِرُ
مَلَكْنَا فَعَزَّزْنَا فَأَعْظِمْ بِمُلْكِنَا
فَلَيْسَ لِحَيٍّ غَيْرِنَا ثَمَّ فَاخِرُ
أَلَمْ تُنْكِحُوا مِنْ خَيْرِ شَخْصٍ عَلِمْتُهُ
فَأَبْنَاؤُهُ مِنَّا وَنَحْنُ الْأَصَاهِرُ (٢)
فَإِنْ تَنْثَنِ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِحَالِهَا
فَإِنَّ لَهَا حَالاً وَفِيهَا التَّشَاجُرُ (٣)
فَأَخْرَجَنَا مِنْهَا الْمَلِيكُ بِقُدْرَةٍ
كَذَٰلِكَ، يَاالنَّاسِ، تَجْرِى الْمَقَادِرُ
أَقُولُ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ أَنَمْ
أَذَا الْعَرْشِ، لَا يَبْعَدْ سُهَيْلٌ وعَامِرُ (٤)
وَبُدِّلْتُ مِنْهَا أَوْجُهًا لَا أُحِبُّهَا قَبَائِلَ مِنْهَا حِمْيَرٌ وَيُحَابِرُ (٥)

---

(١) « صروف الليالى » شدائدها ونوائبها ، و« الجدود » جمع جد وهو البخت والحظ

(٢) « من خير شخص » أراد به إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام

(٣) « التشاجر » الاختلاف والتخاصم

(٤) « الخلى » الذى ليس له هم يقلق مضجعه

(٥) حمير ويحابر : من قبائل اليمن ، ويقال : يحابر : هم مراد

وَصِرْنَا أَحَادِيثاً وَكُنَّا بِغِبْطَةٍ
بِذٰلِكَ عَضَّتْنَا السِّنُونَ الْغَوَابِرُ (١)

فَسَحَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَبْكِى لِبَلْدَةٍ
بِهَا حَرَمٌ أَمْنٌ وَفِيهَا الْمَشَاعِرُ (٢)

وَتَبْكِى لِبَيْتٍ لَيْسَ يُؤْذَى حَمَامُهُ
يَظَلُّ بِهِ أَمْناً ، وَفِيهِ الْعَصَافِرُ

وَفِيهِ وُحُوشٌ لَاتُرَامُ أَنِيسَةٌ إِذَاخَرَجَتْ مِنْهُ فَلَيْسَتْ تُغَادَرُ (٣)

قال ابن هشام : قوله « فأبناؤه منّا » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال عمرو بن الحرث أيضا يذكر بَكْرًا وغُبْشَانَ وساكنى مكة الذين خلفوا فيها بعدهم : —

يَاأَيُّهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنَّ قَصْرَكُمُ
أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَاتَسِيرُونَا (٤)

حُثُّوا الْمَطِىَّ وَأَرْخُوا مِنْ أَزِمَّتِهَا
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَضُّوا مَاتُقَضُّونَا

كُنَّا أُنَاساً كَمَا كُنْتُمْ فَغَيَّرَنَا دَهْرٌ فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَا

(١) «الغوابر» الماضيات ، يقال : غبر الشيء ، إذا مضى . ويروى «العوابر» بعين مهملة ـ أى : التى عبرت وانقضت

(٢) يقال : سح الدمع ، وسح المطر ، إذا سالا . و «المشاعر» المواضع المشهورة فى الحج التى هى أماكن العبادات

(٣) « ليست تغادر » أى : ليست تترك

(٤) « إن قصركم » أى : إن نهايتكم وغاية أمركم . يقال : قصرك كذا وقصاراك كذا ، أى : غايتك ونهايتك

قال ابن هشام : هذا ماصح له منها [١]

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل فى العرب ، وأنها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن [٢] ، ولم يُسَمَّ لى قائلها

(١) وقد ذكر بعضهم زيادة فى هذه الأبيات جاء فيها : ـ

إِنَّ التَّفَكُّرَ لاَ يُجْدِى لِصَاحِبِهِ ... عِنْدَ الْبَدِيهَةِ فِى عِلْمٍ لَهُ دُونَا

فَاسْتَخْبِرُوا فِى صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمُ ... كَمَا اسْتَبَانَ طَرِيقٌ عِنْدَهُ الْهُونَا

كُنَّا زَمَانًا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمُ ... يَسْكُنُ فِى حَرَامِ اللهِ مَسْكُونَا

(٢) يروى أنه وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار : فوجدوا فى حجر من الثلاثة مكتوبا هذه الأبيات ؛ ووجدوا فى حجر آخر مكتوبا : ـ

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِى ... بِالْمُلْكِ سَاعَدَهُ زَمَانُهْ

مَا أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ عَلاَ ... وَعَلاَ شُؤُونَ النَّاسِ شَانُهْ

أَقْصِرْ عَلَيْكَ مُرَاقِبًا ... فَالدَّهْرُ مَخْزُولٌ أَمَانُهْ

كَمْ مِنْ أَشَمَّ مُعَصَّبٍ ... بِالتَّاجِ مَرْهُوبٍ مَكَانُهْ

قَدْ كَانَ سَاعَدَهُ الزَّمَا ... نُ وَكَانَ ذَا خَفْضٍ جِنَانُهْ

تَجْرِى الْجَدَاوِلُ حَوْلَهُ ... لِلْجُنْدِ مُتْرَعَةٌ جِفَانُهْ

قَدْ فَاجَأَتْهُ مَنِيَّةٌ ... لَمْ يُنْجِهِ مِنْهَا اكْتِنَانُهْ

وَتَفَرَّقَتْ أَجْنَادُهُ ... عَنْهُ ، وَنَاحَ بِهِ قِيَانُهْ

وَالدَّهْرُ مَنْ يَعْلَقْ بِهِ ... يَطْحَنْهُ مُفْتَرِسًا جِرَانُهْ

وَالنَّاسُ شَتَّى فِى الْهَوَى ... كَالْمَرْءِ مُخْتَلِفٌ بَنَانُهْ

وَالصِّدْقُ أَفْضَلُ شِيمَةٍ ... وَالْمَرْءُ يَقْتُلُهُ لِسَانُهْ

وَالصَّمْتُ أَسْعَدُ لِلْفَتَى ... وَلَقَدْ يُشَرِّفُهُ بَيَانُهْ

خزاعة تنفرد بولاية البيت

قال ابن إسحق : ثم إن غُبْشَانَ من خُزاعة وَلِيَت البيت دون بنى بكر بن عَبْدِ مَنَاةَ ، وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحرث الْغُبْشَانِيُّ ، وقريش إذ ذاك حُلُولٌ وصِرْمٌ (١) وبُيُوتَاتٌ متفرقون فى قومهم من بنى كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخِرَهُمْ حُلَيلُ بن حَبَشِيَّة بن سَلُول بن كَعْب بن عمرو الخزاعى

قال ابن هشام : يقال : حُبْشِيَّةُ بن سلول

قصى يتزوج حبى بنت حليل

قال ابن إسحق : ثم إن قصى بن كلاب خَطَب إلى حُلَيْل بن حَبَشِيَّة بنته حُبى ، فرغب فيه حُلَيْلٌ ، فزوجه ، فولدت له عبدالدار ، وعبد مناف ، وعبد العُزَّى ، وعبدا ، فلما انتشر ولد قُصَىٍّ ، وكثر ماله ، وعظم شرفه ؛ هلَكَ حُلَيل ، فرأى قُصَى أنه أولى بالكعبة و بأمر مكة من خزاعة وبنى بكر ، وأن قريشا قُرْعَة (٢) إسمعيل بن إبراهيم ، وصَرِيحُ

ووجد بالحجر الثالث قصيدة على هذا النمط ، كلها حكم ومواعظ ، ومطلعها :—

كُلُّ عَيْشٍ تَعِلَّهْ لَيْسَ لِلدَّهْرِ خَلَّهْ
يَوْمُ بُؤْسٍ وَنِعْمَهْ وَاجْتِمَاعٍ وَقِلَّهْ
حُبُّنَا الْعَيْشَ وَالتَّكَا ثُرَ جَهْلٌ وَضَلَّهْ

ومنها :—

آفَةُ الْعَيْشِ وَالنَّعِيم كُرُورُ الْأَهِلَّهْ
وَصْلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَاعْتِرَاضٌ بِعِلَّهْ

(١) « الحلول » جماعات البيوت . و« صرم » الجماعات المتقطعة

(٢) « قرعة إسماعيل » يروى بالقاف . ومعناه نخبة أبنائه وصفوتهم . ويروى بالفاء مع سكون الراء ، ومعناه أعلى أبنائه عزا وأرفعهم مجدا . وبعضهم يرويه بفتح الراء مع الفاء . قاله أبو ذر

ولده ، فكلّم رجالا من قريش وبنى كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة ، فأجابوه ، وكان ربيعة بن حَرَام من عُذْرة بن سَعد بن زَيْد قد قَدم مكة بعد هُلْك كلاب فتزوج فاطمة بنت سعد بن سَيَل ، وزُهْرَةُ يومئذ رجل ، وقُصَىٌّ فَطيم ، فاحتملها إلى بلادة فحملت قُصَيًّا معها ، وأقام زهرة ، فولدت لربيعة رِزَاحا ، فلما بلغ قُصَى وصار رجلا أتى مكة فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى مادعاهم إليه كتب إلى أخيه من أمه رِزاح بن ربيعة يدعوه إلى نصرته ، والقيام معه ، فخرج رِزاح بن ربيعة ومعه إخوته : حُنٌّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجُلْهُمة بن ربيعة ، وهم لغير [أمه] فاطمة ، فيمن تبعهم من قُضَاعة فى حاجّ العرب ، وهم مُجْمِعُون لنصرة قُصَى ، وخُزَاعةُ تزعم أن حُلَيْل بن حَبَشِيَّة أوصى بذلك قصيا ، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ماانتشر ، وقال : أنت أولى بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكة ؛ من خزاعة ، فعند ذلك طلب قُصَىٌّ ماطلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فالله أعلم أى ذلك كان

قصى يدعو لاخراج خزاعة من مكة

قصى يلى أمر مكة

ما كان يليه الغوث بن مر من الاجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر يلى الاجازة [1] للناس بالحج من عرفة ، ووَلَدُهُ من بعده ، وكان يقال له ولولده صُوفَة ، [2] وإنما ولى ذلك الغوث بن مُرّ لأن أمه كانت امرأة

الغوث بن مر يلى الافاضة بالناس من عرفات

(١) «الاجازة للناس» قال أبو ذر : هى الافاضة بالناس من عرفات

(٢) قال أبو ذر : « إنما يقال له صوفة ؛ لأن أمه حين جعلته يخدم الكعبة عبدا لها ربطت عليه صوفة ؛ ليكون ذلك علامة له ، فلقب بذلك وغلب اللقب عليه وعلى بنيه من بعده . وقال بعضهم : إنما سمى بذلك لأنها ألبسته ثوب صوف ؛ والأول أشهر » اهـ

من جُرْهُم ، وكانت لاتلد ، فنذرت لله إن هى ولدت رجلا أن تَصَدَّقَ به على الكعبة عبدًا لها يَخْدُمها ، ويقوم عليها ، فولدت الغوث ، فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولى الاجازة بالناس من عرفة ؛ لمكانه الذى كان به من الكعبة ، وولدُهُ من بعده ، حتى انقرضوا ، فقال [الغوث بن](١) مُرّ بن أدّ لوفاء نذر أمه : —

إِنِّي جَعَلْتُ رَبِّ مِنْ بَنِيَّهْ رَبِيطَةً بِمَكَّةَ الْعَلِيَّهْ

فَبَارِكَنَّ لِي بِهَا إِلَيَّهْ وَاجْعَلْهُ لِي مِنْ صَالِحِ الْبَرِيَّهْ

وكان الغوث بن مر ، فيما زعموا ، إذا دَفَعَ بالناس قال :

لَاهُمَّ إِنِّي تَابِعٌ تَبَاعَهْ إِنْ كَانَ إِثْمٌ فَعَلَى قُضَاعَهْ(٢)

قال ابن إسحق : حدثنى يَحيى بن عَبَّاد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كانت صُوفَةُ تدفع بالناس من عرفة ، وتُجيز بهم إذا نَفَرُوا من مِنًى ، فاذا كان يوم النَّفر أتَوْا لِرَمْى الجمار ، ورجلٌ من صوفَةَ يرمى للناس : لايَرْمُونَ حتى يَرْمى ، فكان ذَوُو الحاجات المتعجّلون يأتونه فيقولون له : قُمْ فارْمِ حتى نرمى معك ، فيقول : لاوالله حتى تميل الشمس ؛ فيَظَلُّ ذَوُو الحاجات الذين يُحبُّون التعجُّل يَرْمُونه بالحجارة ، و يستعجلونه بذلك، و يقولون له : وَيْلَكَ قم فارْمِ ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ، ورمى الناس معه

قال ابن إسحق : فاذا فرغوا من رمى الجمار وأرادوا النَّفْرَ من مِنًى

---

(١) هذه زيادة يقتضيها السياق

(٢) التباعة : ما يتبعه الانسان ويقتدى به ، وقوله « فعلى قضاعه » إنما قال ذلك لأنه قد كان من قضاعة من يستحل الأشهر الحرم ، فجعل إثم ذلك عليهم . قاله أبو ذر

أخذت صُوفَةُ بجانبي العقبة ، فحبسوا الناس . وقالوا : أجِيزِى [١] صُوفَةَ ، فلم يَجُزْ أحد من الناس حتى يمروا ، فاذا نَفَرَتْ صوفة ومضت خُلِّى سبيلُ الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك حتى انقرضوا ، فورثهم ذلك مِنْ بَعْدِهِم بالْقُعْدُد [٢] بَنُو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بنى سعد فى آل صَفْوان بن الحرث بن شِجْنَة

نسب صفوان

قال ابن هشام : صَفْوان : ابن جناب بن شِجْنة بن عُطارد بن عَوْف ابن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاةَ بن تميم

صفوان وابناؤه يجيزون الناس

قال ابن إسحق : وكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة ، ثم بَنُوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام كَرِبُ بن صفوان ، وقال أَوْسُ بن تميم بن مَغْراء السعدى : —

لَا يَبْرَحُ النَّاسُ مَا حَجُّوا مُعرَّفَهُمْ حَتَّى يُقَالَ أَجِيزُوا آلَ صَفْوَانَا

الافاضة من المزدلفة فى عدوان وشعر ذى الاصبع العدوانى

قال ابن هشام : هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مَغْراء

وأما قول ذى الأصبع العَدْوانىُّ ، واسمه حُرْثان بن عَمْرو ، وإنما سمى ذا الأصبع لأنه كان له أصبع فقطعها :

عَـذِيرَ الْحَىِّ مِنْ عَـدْوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ [٣]

---

(١) « أجيزى صوفة » يقال : جاز الموضع يجوزه ، إذا خلفه ، ويقال : أجازه ، إذا قطعه

(٢) « بالقعدد » هو قرب الآباء إلى الجد الأكبر ، يقال : رجل قعدد ، إذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر

(٣) العذير : بمعنى العاذر ، وهو نصب على المصدر ، وقيل : على تقدير هاتوا عذيره ، أى : من يعذره ، وقوله « حية الأرض » يقال . فلان حية الأرض وحية الوادى ، إذا كان مهيبا يذعر منه ، وقيل : معناه إنهم حياة الأرض لأنهم كانوا يقومون بالناس لكرمهم وجودهم . قاله أبو ذر

بَغَى بَعْضُهُمْ ظُلْماً فَلَمْ يُرْعِ عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَا تُ والمُوفُونَ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّا سَ بِالسنَّةِ وَالْفرْضِ
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَايَقْضِي

وهذه الأبيات فى قصيدة له ؛ فلأن(١) الافاضة من المزدلفة كانت فى عَدْوان — فيما حدثنى زيادُ بن عبدِ الله البَكَّائى، عن محمد بن إسحق — يتوارثون ذلك كابرا عن كابر، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سَيَّارة عُمَيْلَةُ بن الأعزل ففيه يقول شاعر من العرب :

نَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أَبِي سَيَّارَهْ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَارَهْ
حَتَّي أَجَازَ سَالِماً حِمَارَهْ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهْ (٢)

قال : وكان أبو سَيَّارة يدفع بالناس على أتانٍ له، فلذلك يقول « سالما حماره »

عامر بن الظرب العدوانى حكم العرب

قال ابن إسحق : وقوله « حكم يقضى » يعنى عامر بن ظَرِب بن عَمْرو ابن عِياذ بن يَشْكُر بن عَدْوانَ الْعَدْوانى، وكانت العرب لا تكون بينها نائرة ولا عُضْلة (٣) فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رَضُوا بما قضى فيه، فاخْتُصم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه فى رجل خُنْثى : له ماللرجل، وله ما للمرأة، فقالوا : أتجعله رجلا أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه، فقال : حتى أنظر فى أمركم فوالله مانزل بى مثلُ هذه منكم

(١) هذا جواب قوله : وأما قول ذى الأصبع
(٢) أى : يدعو الله عز وجل، يقول : اللهم كن لنا جارا مما نخافه، أى : مجيرا
(٣) النائرة : الحادثة الشنيعة تكون بين القوم. والعضلة : الأمر الشديد الذى لا يعلم له وجه، والعضلة أيضا : من أسماء الداهية. قالهأبوذر

يامعشر العرب ، فاسْتأخَرُوا عنه ، فبات ليلته ساهرا يُقلِّب أمره وينظر فى شأنه ، لايتوجَّه له منه وجه ، وكانت له جارية يقال لها سُخَيْلة تَرْعى عليه غنمه ، وكان يعاتبها إذا سرحت ، فيقول : صبَّحت والله ياسُخَيْل ، وإذا راحت عليه قال : مَسَّيْتِ والله ياسُخَيْل ، وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعضُ الناس ، وتؤخر الاراحة حتى يسبقها بعضُ الناس ، فلما رأت سَهرَه [وقَلَقَه] وقِلَّةَ قَرَاره على فراشه قالت : مَالَكَ لاأَبَالَكَ !! مَاعَراكَ فى ليلتك هذه ؟ قال : وَيْلَكِ دعينى ، أمْرٌ ليس من شأنِكِ ؛ ثم عادت له بمثل قولها ، فقال فى نفسه : عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج ، فقال ويحك !! اخْتُصِمَ إليَّ فى ميراث خُنْثى أأجعله رجلاأو امرأة ، فوالله ماأدرى ماأصنع ، ومايتوجه لى فيه وجه ؛ فقالت : سُبْحَانَ الله!! لاأَبَالَكَ !! أَتْبِعِ الْقَضَاءَ الْمَبَالَ (١) أقعِدْهُ فان بال من حيث يبول الرجل فهورجل ، وإن بال من حيث تبول المرأة فهى امرأة ، قال : مَسِّى سُخَيْلُ بَعْدَهَا أَوْ صَبِّحِى فَرَّجْتِهَا والله ، ثم خرج على الناس حين أصبح فقضى بالذى أشارت عليه به

غلب قصى بن كلاب على أمر مكة ، وجمعه أمر قريش ، ومعونة قضاعة له

قصى بن كلاب يغلب على أمر مكة وقتاله لصوفة

قال ابن إسحق : فلما كان ذلك العام فعلت صُوفَةُ كما كانت تفعل وقد عرفت ذلك لها العربُ ، وهو دينٌ فى أنفسهم ، فى عهد جُرْهُم وخُزَاعة وولايتهم ، فأتاهم قُصَىٌّ بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العَقَبة ، فقال : لَنَحْنُ أولى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس

(١) أى : اجعله تابعا له ، وهذا من الاستدلال بالأمارات ، وله نظائر كثيرة فى الشريعة ، ومنه قوله تعالى : (وجاؤا على قميصه بدم كذب) لأن القميص المدمى لم يكن فيه خرق ولا أثر لأنياب الذئب

قتالا شديدا ، ثم انهزمت صُوفة ، وغلبهم قُصَيّ على ما كان بأيديهم من ذلك .

قتال قصى لخزاعة وبنى بكر وتحاكمهم

وانحازت عند ذلك خُزَاعة و بنو بكر عن قُصَى ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صُوفَة ، وأنه سيحول بينهم و بين الكعبة وأمر مكة ، فلما انحازوا عنه بَادَاهُمْ ،(١) وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة و بنو بكر ، فالتقوا ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا ، ثم إنهم تَداعَوْا إلى الصلح ، و إلى أن يُحكِّمُوا بينهم رجلا من العرب ، فحكَّموا يَعْمُرَ بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيْث بن بَكْر بن عَبْد مَنَاةَ بن كنانة ، فقضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم أصابه قصى من خزاعة و بنى بكر مَوْضُوعٌ يَشْدَخُه (٢) تحت قدميه ، وأن ما أصابت خزاعة و بنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مُؤَدَّاة ، وأن يخلى بين قصى و بين الكعبة ومكة ؛ فسمى يعمر بن عوف يومئذ الشَّدَّاخ ؛ لما شدخ من الدماء و وضع منها

قال ابن هشام : و يقال : الشُّدَاخ (٣)

ولاية قصى أمر مكة

قال ابن إسحق : فولى قصى البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتملَّك على قومه وأهل مكة فملَّكوه ، إلا أنه قد أقرّ للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه دِينًا فى نفسه لاينبغى تغييره ، فأقرَّ آلَ صَفْوان وعَدْوان والنَّسَأة ومُرَّة بن عوف على ما كانوا عليه ،

---

(١) باداهم : كاشفهم

(٢) يشدخه : يريد أنه باطل لادية فيه ؛ وأصل الشدخ : الكسر

(٣) ضبط الأول بفتح الشين وتشديد الدال والثانى بضم الشين وفتح الدال مخففة ، وهو صفة مشبهة مثل طوال بمعنى طويل

قصى اول بنى كعب يلى ملكا

حتى جاء الاسلام ، فهدم الله به ذلك كله ، فكان قصى أول بنى كعب ابن لؤى أصاب ملـكا أطاع له به قومـــه ، فكانت إليه الحِجابة [١] والسِّقاية [٢] والرِّفاده [٣] والنَّدْوَة [٤] واللِّوَاء [٥] ، فحازشرف مكة كله ، وقطع مكة رِبَاعًا بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها ، ويزعم الناس أن قريشا هابوا قَطْع شجر الحرم فى منازلهم ، فقطعها قصى بيده وأعوانه ، فسَمَّتهقريش مُجَمِّعاً لما جمع من أمرها ، وتيمنت بأمره ، فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشاورون فى أمر نزل بهم ، ولا يَعْقِدون لواء لحرب قوم من غيرهم ؛ إلا فى داره : يعقِدُهُ لهم بعضُ ولده ، وما تَدَّرِعُ [٦] جاريةٌ إذا بلغت أنْ تَدَّرِعَ من قريش إلا فىداره : يُشَقُّ عليها فيهادرعُهاثم تَدَّرعه ثم يُنْطلق بها إلى أهلها ، فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ومن بعد موته كالدِّين المتبع لايعمل بغيره، واتخذ لنفسه دارالندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الـكعبة ، ففيها كانت قريش تقضى أمورها .

قال ابن هشام : وقال الشاعر : —

قُصَىٌّ لعَمْرِى كَانَ يُدْعَى مُجَمِّعاً ... بِهِ جَمَعَ اللهُ الْقبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

(١) حجابة البيت : أن تكون مفاتيحه عنده فلا يدخله أحد إلا باذنه

(٢) يعنى سقاية زمزم ، وكانو يصنعون بها شرابا فى الموسم للحجاج يمزجونه تارة بالعسل وتارة باللبن وتارة بالنبيذ

(٣) الرفادة : طعام كانت قريشتجمعه كل عام لأهل الموسم ويقولون : هم أضياف الله

(٤) الندوة : الاجتماع للمشورة والرأى

(٥) اللواء : يعنى اللواء فى الحرب، وستسمع كلام المؤلف فى ذلك

(٦) تدرع : تلبس الدرع

قال ابن إسحق: حدثني عبد الملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خَبَّاب صاحب المقصورة يحدث، أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب، وهو خليفة، حديث قُصَىٍّ بن كلاب وما جَمَّع من أمر قومه وإخراجه خُزَاعَةَ وبنى بكر من مكة، وولايته البيت، وأمر مكة، فلم يَرُدَّ ذلك عليه ولم ينكره

شعر رزاح ابن ربيعة فى اخراج خزاعة

قال ابن إسحق: فلما فرغ قصى من حربه انصرف أخوه رِزَاحُ بن ربيعة إلى بلاده، بمن معه من قومه؛ وقال رِزاح فى إجابته قصيا:

لَمَّا أَتَى مِنْ قُصَىٍّ رَسُولُ فَقَالَ الرَّسُولُ: أَجِيبُوا الْخَلِيلاَ
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودُ الْجِيَادَ وَنَطْرَحُ عَنَّا الْمُلُولَ الثَّقِيلاَ
نَسِيرُ بِهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ وَنَكْمِى النَّهَارَ لِئَلاَّ نَزُولاَ (١)
فَهُنَّ سِرَاعٌ كَوِرْدِ الْقَطَا يُجِبْنَ بِنَا مِنْ قُصَىٍّ رَسُولاَ (٢)
جَمَعْنَا مِنَ السِّرِّ مِنْ أَشْمَذَيْنِ وَمِنْ كُلِّ حَىٍّ جَمَعْنَا قَبِيلاَ (٣)
فَيَالَكِ حَلْبَةَ مَا لَيْلَةَ تَزِيدُ عَلَى الأَلْفِ سَيْبًا رَسِيلاَ (٤)

(١) «نكمى» أى: نكمن ونستتر
(٢) «ورد القطا» الوارد منها إلى الماء
(٣) «أشمذين» بفتح الذال وكسر النون ـ اسم لجبلين، أو قبيلتين انظر معجم ياقوت
(٤) الحلبة: جماعة الخيل. والسيب: المشى السريع فى رفق، والرسيل: الذى فيه تمهل

فَلَمَّا مَرَرْنَ عَلَى عَسْجَرٍ
وَأَسْهَلْنَ مِنْ مُسْتَنَاخٍ سَبِيلاَ (١)
وَجَاوزنَ بِالرُّكْنِ مِنْ وَرِقَانٍ   وَجَاوَزْنَ بِالْعَرْجِ حَيًّا حُلُولاَ
مَرَرْنَ عَلَى الْحِلِّ مَاذُقْنَهُ   وَعَالَجْنَ مِنْ مَرَّ لَيْلاً طَوِيلاَ
نُدَنِّى مِنَ الْعُوذِ أَفْلاَءهَا   إِرَادَةَ أَنْ يَسْتَرِقْنَ الصَّهِيلاَ (٢)
فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى مَكَّةٍ   أَبَحْنَا الرِّجَالَ قَبِيلاً قَبِيلاَ
نُعَاوِرُهُمْ ثَمَّ حَدَّ السُّيُوفِ   وَفِى كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا الْعُقُولاَ (٣)
نُخَبِّزُهُمْ بِصِلاَبِ النُّسُو   رِ خَبْزَ الْقَوِىِّ الْعَزِيزِ الذَّلِيلاَ (٤)
قَتَلْنَا خُزَاعَةَ فِى دَارِهَا   وَبَكْراً قَتَلْنَا وَجِيلاً فَجِيلاَ
نَفَيْنَاهُمُ مِنْ بِلاَدِ الْمَلِيكِ   كَمَا لاَيُحَلُّونَ أَرْضًا سُهُولاَ
فَأَصْبَحَ سَبْيُهُمُ فِى الْحَدِيدِ   وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ شَفَيْنَا الْغَلِيلاَ

وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذُبْيَان بن الحرث بن سَعْد هُذَيم القُضَاعى في ذلك من أمر قصى حين دعاهم فأجابوه : — شعر ثعلبة القضاعى

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مُضْمَرَةً تَغَالَى   مِنَ الْأَعْرَافِ أَعْرَافِ الْجِنَابِ (٥)
إِلَى غَوْرَىْ تِهَامَةَ فَالْتَقَيْنَا   مِنَ الْفَيْفَاءِ فِى قَاعٍ يَبَابِ
فَأَمَّا صُوفَةُ الْخُنْثَى فَخَلَّوْا   مَنَازِلَهُمْ مُحَاذَرَةَ الضِّرَابِ
وَقَامَ بَنُو عَلِىٍّ إِذْ رَأَوْنَا   إِلَى الْأَسْيَافِ كَالْإِبِلِ الطِّرَابِ

(١) عسجر : اسم موضع قرب مكة ، وأسهلن : سلكن السهل
(٢) العوذ : جمع عائذ ، وهى الناقة إذا وضعت وبعدما تضع أياما حتى يقوى ولدها ، والأفلاء : جمع فلو ، وهو المهر العظيم ، أو البالغ سنة
(٣) « نعاورهم » أى : نتعاون عليهم بالضرب واحدا بعد واحد
(٤) « نخبزهم » أى : نسوقهم سوقا شديدا
(٥) الجناب ـ بكسر الجيم ـ موضع من بلاد قضاعة

وقال قصي بن كلاب : —

أَنَا ٱبْنُ العَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ ... بِمَكَّةَ مَنْزِلِي وَبِهَا رَبِيتُ
إِلَي البَطْحَاءِ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... وَمَرْوَتُهَا رَضِيتُ بِهَا رَضِيتُ
فَلَسْتُ لِغَالِبٍ إِنْ لَمْ تَأَثَّلْ ... بِهَا أَوْلَادُ قَيْذَرَ وَالنَّبِيتُ
رِزَاحٌ نَاصِرِي وَبِهِ أُسَامِي ... فَلَسْتُ أَخَافُ ضَيْماً مَا حَيِيتُ

رزاح بن ربيعة ونهد وحوتكة وشعر قصي في ذلك

فلما استقر رِزاحُ بن ربيعة فى بلاده نَشَرَه الله ونَشَرَ حُنًّا[(١)] ، فهما قبيلا عذرة اليوم ، وقد كان بين رِزاح بن ربيعة — حين قدِم بلاده — وبين نَهْدِ بن زَيْدوَحوْتَكة[(٢)] بن أَسْلُم — وهما بطنان من قُضَاعة — شيء ، فأخافهم حتى لحقوا باليمن ، وأجلوا من بلاد قضاعة ، فهم اليوم باليمن ، فقال قصي بن كلاب ، وكان يحب قُضَاعة ونَمَاءها واجتماعها ببلادها ؛ لما بينه وبين رِزاح من الرَّحم ، ولبلائهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته ، وكره ماصنع بهم رزاح : —

---

(١) قال السهيلي : «فى قضاعة عذرتان : عذرة بن رفيدة (بضم الراء وفتح الفاء) ، وهم من بنى كلب بن وبرة ، وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم (بفتح الهمزة وضم اللام) بن إلحاف بن قضاعة ، وأسلم هذا من ولد حن بن ربيعة أخي رزاح بن ربيعة جد جميل بن عبد الله بن معمر صاحب بثينة ، وبثينة أيضا من ولد حن » اه ، ثم قال : « وليس فى العرب أسلم (بضم اللام) إلا ثلاثة : اثنان فى قضاعة : أسلم بن إلحاف هذا ، وأسلم بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، والثالث فى عك : أسلم بن القيانة بن غافق بن الشاهد بن عك ، وما عدا هؤلاء فأسلم (بفتح اللام) ذكره ابن حبيب فى المؤتلف والمختلف » اه

(٢) قال السهيلي : « حوتكة هو عم نهد بن زيد بن أسلم » اه

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى رِزَاحاً ... فإِنِّى قَدْ لَحِيتُكَ فى اثْنَتَيْنِ(١)
لَحَيْتُكَ فى بَنِى نَهْدِ بْنِ زَيْدٍ ... كَمَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُمُ وَبَيْنِى
وَحَوْتَكَةُ بْنُ أَسْلُمَ إِنَّ قَوْماً ... عَنَوْهُمْ بِالْمَسَاءَةِ قَدْ عَنَوْنِى

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبى

قصى يخص ولده البكر عبد الدار بما كان له

قال ابن إسحق: فلما كبر قُصَىٌّ ورَقَّ عظمه، وكان عبدُ الدار بِكْرَه، وكان عبدُ منافٍ قد شَرُفَ فى زمان أبيه، وذَهَبَ كُلَّ مَذْهَب، وعبدُ الْعُزَّى وعبدٌ؛ قال قصىٌّ لعبد الدار: أما والله يابنى لأُلْحِقَنَّكَ بالقوم، وإن كانوا قد شَرُفوا عليك؛ لايدخل رجلٌ منهم الكعبةَ حتى تكون أنت تفتحها له، ولايَعْقِدُ لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلا من سِقايتك، ولا يأكل أحدٌ من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك، ولا تقطعُ قريش أمرًا من أمورها إلا فى دارك؛ فأعطاه داره دار النَّدْوَة(٢) التى لا تقضى قريشٌ أمرًا من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة

الرفادة

وكانت الرِّفادة خَرْجاً تُخرجه قريشٌ فى كل موسم من أموالها إلى قصى بن كلاب، فيصنع به طعاما للحاجِّ، فيأكله من لم يكن له سَعَة ولا زاد، وذلك أن قُصَيًّا فرضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به: يامعشرَ قريش، إنكم جيرانُ الله، وأهلُ بيته، وأهل الحرم، وإن الْحُجَّاج ضيفُ الله [وأهله] وزُوَّارُ بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يَصْدُروا عنكم، ففعلوا، فكانوا يُخرجون

(١) «لحيتك» لمتك
(٢) الندوة: الدار التى كانوا يتشاورون فيها، ولفظها مأخوذ من الندى والنادى والمنتدى، وهومجلس القوم الذى يندون حوله

لذلك كل عام من أموالهم خَرْجاً ، فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاما للناس أيام منًى، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه ، حتى قام الاسلام ، ثم جرى فى الاسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنًى للناس حتى ينقضى الحج

قال ابن إسحق : حدثنى بهذا من أمر قصى بن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده أبى إسحقُ بن يَسَار ، عن الحسن بن محمد ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار يقال له نُبَيْه بن وَهْب بن عامر بن عِكْرِمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي ، قال الحسن : فجعل إليه قُصَى كل ما كان بيده من أمر قومه ، وكان قصي لايُخَالَف ، ولا يُرَدُّ عليه شيء صنعه

ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصى ، وحلف المطيبين

اختلاف بنى عبد مناف بن قصى و بنى عبد الدار بن قصى

قال ابن إسحق : ثم إن قصىَّ بن كلاب هلك ، فأقام أَمْرَه فى قومه وفى غيرهم بَنُوه من بعده ، فاختطُّوا مكة رِبَاعًا ، بعد الذى كان قطع لقومه بها ، فكانوا يقطعونها فى قومهم وفى غيرهم من حلفائهم و يبيعونها ، فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بنى عبد مناف بن قصيٍّ عبدَ شَمْسٍ وهاشماً والمطلبَ ونَوْفَلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قصى ، مما كان قصىٌّ جعل إلى عبد الدار من الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة ، ورأَوْا أنهم أولى بذلك منهم ؛ لشرفهم عليهم ، وفضلهم فى قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش : فكانت طائفة مع

بنى عبد مناف على رأيهم ، يَرَوْن أنهم أحق به من بنى عبد الدار ؛ لمكانهم فى قومهم ، وكانت طائفة مع بنى عبد الدار ، يَرَوْن أن لا يُنْزَعَ منهم ما كان قصى جعل إليهم ، فكان صاحبُ أمر بنى عبد مناف عَبْدَ شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسَنَّ بنى عبد مناف ، وكان صاحبُ أمر بنى عبد الدار عامرَ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان بنو أسد بن عبد الْعُزَّى بن قصى و بنو زهرة بن كلاب و بنو تَيْم بن مُرَّة ابن كعب و بنو الْحرِث بن فِهْر بن مالك بن النضر مع بنى عبد مناف ، وكان بنو مخزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة و بنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب و بنو جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب و بنو عَدِىّ بن كَعْب مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامرُ بن لُؤَىّ ومُحارب بن فِهْر ؛ فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

تحالف كل فريق مع أنصاره

فعقد كل قوم على أمرهم حِلْفًا مُؤَكَّدًا ، على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسْلِم بعضهم بعضا ، ما بَلَّ بحرٌ صوفةً

المطيبون بنو عبد مناف وحلفاؤهم

فأخرج بنو عبد مناف جَفْنَةً مملوأة طِيباً ؛ فيزعمون أن بعضَ نساء بنى عبد مناف أخْرَجَتْها لهم (١) ، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غَمَسَ القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مَسَحُوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم ، فَسُمُّوا (٢) الْمُطَيَّبِينَ

---

(١) قال السهيلى : «لم يسم المرأة ، وقد سماها الزبير فى موضعين من كتابه ، فقال : هى أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوءمة أبيه » اه

(٢) قال السهيلى : « وكان المطيبون يسمون الدافة ـ جمع دائف ، بتخفيف الفاء ـ لأنهم دافوا الطيب » اه

الاحلاف

وتعاقد بنو عبد الدار، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حِلْفًا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسْلِم بعضهم بعضا، فَسُمُّوا الأحلاف

ثم سُونِدَ بين القبائل، ولُزَّ بَعْضُها ببعض، فَعُبِّيَتْ بنو عبد مناف لبنى سهم، وعُبِّيَتْ بنو أسد لبنى عبد الدار، وعُبِّيَتْ [بنو] زهرة لبنى جُمَح، وعُبِّيَتْ بنو تَيْم لبنى مخزوم، وعُبِّيَتْ بنو الحرث بن فِهْرٍ لبنى عَدِىِّ بن كعب، ثم قالوا: لِتُغْنِ كُلُّ قبيلة [على][1] من أسند إليها

الصلح بين الفريقين

فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تَدَاعَوْا إلى الصلح، على أن يعطوا بنى عبد مناف السِّقاية والرِّفادة، وأن تكون الحِجابة واللِّواء والندوة لبنى عبد الدار كما كانت، ففعلوا، ورضى كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب، وثبت كل قوم مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالاسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَا كَانَ مِنْ حِلْفٍ فِى الْجَاهِلِيَّةِ فَانَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إلَّا شِدَّةً»

حلف الفضول

قال ابن هشام: وأما حلف الْفُضُول[2] فحدثنى زيادة ابن عبد الله [البَكَّائى] عن محمد بن إسحق، قال: تداعت قبائل من قريش إلى حِلْفٍ، فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم

---

(١) الصواب «لتغن كل قبيلة على من أسند إليها» ولكنه فى بعض النسخ باسقاط «عن» وفى بعض النسخ «لتعن كل قبيلة من أسند إليها» وهو ضد المعنى

(٢) هذه الحلف أشرف حلف فى العرب، وقد ذكروا لها أسبابا كثيرة: منها أن رجلا من زبيد من أهل اليمن باع سلعة من العاص بن وائل

ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ لشرفه وسِنّه فكان حِلْفُهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبد العُزَّى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ؛ فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مَظْلُوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مَظْلمته ؛ فسمت قريش ذلك الحلفَ حِلْفَ الفضول

الذين حضروا حلف الفضول

قال ابن إسحق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنْفُذ التَّيْميُّ أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ (١) وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الإِسْلَامِ لأَجَبْتُ »

رسول الله يحدث أنه شهد حلف الفضول

قال ابن إسحق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي اللَّيْثي ، أن محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمِيَّ حدثه أنه كان بين الحسين

السهمي ، فظلمه بالثمن ، فذكر ظلامته في شعر له ، وهو : —

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتَهُ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثٍ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ ... يَالَلرِّجَالِ وَبَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحَجَرِ
إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ ... وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الْفَاجِرِ الْغُدَرِ

فتداعت لذلك قريش ، واجتمعت إليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد ابن عبد العزى ، في دار عبد الله بن جدعان التيمي ، وتعاقدوا بالله ليكونن مع المظلوم ، حتى يؤدى إليه حقه ، وقد شهد هذا الحلف النبي صلى الله عليه وسلم ، بخلاف حلف المطيبين فانه لم يدركه ، بل كان قبل ولادته عليه الصلاة والسلام ، وإنما سمي بالفضول : إما لأنهم تحالفوا على أنهم يردون الفضول إلى أهلها ، وإما لأنه يشبه حلفا وقع لثلاثة من جرهم ، كل واحد يقال له « الفضل »

(١) أي : لا أحب نقضه وإن دفع لي حمر النعم في مقابلة ذلك

ابن علی بن أبی طالب رضی الله عنهما وبین الولید بن عتبة بن أبی سفیان – والولیدُ یومئذ أمیرٌ علی المدینة ، أمَّرَهُ علیها عمُّه معاویة بن أبی سفیان – مُنَازَعَةٌ فی مال کان بینهما بذی الْمَرْوَة (١) ، فکان الولید تحامل علی الحسین فی حقه لسُلْطَانه ، فقال له حسین : أحْلِفُ بالله لَتُنْصِفَنِّی من حقی أو لآخُذَنَّ سیفی ثم لأقومَنَّ فی مسجد رسول الله صلی الله علیه وسلم ثم لأدْعُوَنَّ بِحِلْفِ الفضول ، قال : فقال عبد الله بن الزبیر وهو عند الولید حین قال حسین ماقال : وأنا أحلف بالله لَئِنْ دعا به لآخُذَنَّ سیفی ثم لأقُومَنَّ معه حتی یُنْصَفَ من حقه أو نموت جمیعا ، قال : وبلغت الْمِسْوَرَ بن مَخْرَمَةَ بن نوفل الزُّهْرِیَّ فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عُثْمان بن عبید الله التَّیْمِیَّ فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذاك الولیدَ بن عُتْبَةَ أنصفَ الحسین من حقه حتی رضی

الحسین بن علی والولید بن عتبة

قال ابن إسحق : وحدثنی یزید بن عبد الله بن أسامة بن الهادی اللَّیْثِیُّ ، عن محمد بن إبراهیم بن الحرث التَّیْمی ، قال : قدم محمد بن جُبَیر ابن مُطْعِم بن عَدِیّ بن نَوْفل بن عبد مناف ، وکان محمد بن جبیر أعْلَمَ قریش ، فدخل علی عبد الملك بن مروان بن الحکم — حین قتل ابن الزبیر واجتمع الناس علی عبدالملك — فلما دخل علیه قال له : یاأبا سعید ، ألم نکن نحن وأنتم — یعنی بنی عبد شمس بن عبدمناف ، وبنی نوفل ابن عبد مناف — فی حِلْفِ الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لَتُخْبِرَنِّی یاأبا سعید بالحق من ذلك ، فقال : لا والله لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، قال : صدقت

ابن جبیر بن مطعم یخبر عبد الملك ابن مروان أن قومهما لم یدخلوا احلف الفضول

قال ابن إسحق : فولی الرِّفادةَ والسقایةَ هاشمُ بن عبدمناف ، وذلك

هاشم بن عبد مناف یلی الرفادة والسقایة

(١) « ذو المروة » هی قریة بوادی القری

أن عبد شمس كان رجلا سَفَّارًا قَلَّما يُقيم بمكة ، وكان مُقِلاًّ ذا ولد ، وكان هاشم موسرا ، فكان — فيما يزعمون — إذا حضر الحج قام فى قريش فقال : يامعشر قريش ، إنكم جيرانُ الله وأهل بيته ، وإنه يأتيكم فى هذا الموسم زُوَّار الله وحجاج بيته ، وهم ضيف الله ، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضيفه ، فاجْمَعُوا لهم ماتصنعون لهم به طعاما أيَّامَهُمْ هذه التى لابد لهم من الاقامة بها ؛ فانه والله لو كان مالى يَسَعُ لذلك ما كَلَّفْتُكُمُوه ، فيُخْرِجون لذلك خَرْجًا من أموالهم : كُلُّ امرىء بقدر ماعنده ، فيُصْنع به للحجاج طعام حتى يصدروا منها

آثار هاشم على قومه

وكان هاشم ، فيما يزعمون ، أولَ من سَنَّ الرِّحلتين لقريش : رحلة الشتاء ، والصيف ، وأولَ من أطعم الثريد [للحجاج] بمكة ، وإنما كان اسمه عَمْرًا فما سمى هاشما إلا بهَشْمِهِ الخبزَ بمكة لقومه ، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب : —

عَمْرُو الَّذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْمٍ بَمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عِجَافِ(١)
سُنَّتْ إلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كِلاَهُمَا سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الإِيلَافِ(٢)

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز

* قَوْمٍ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عِجَافِ (١) *

المطلب بن عبد مناف يلى السقاية والرفادة

قال ابن إسحق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغَزَّةَ من أرض الشام تاجرا ، فولى السِّقايةَ والرِّفادةَ من بعده المطلبُ بن عبد مناف ، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف فى قومه وفضل ، وكانت

---

(١) ويروى * ورجال مكة مسنتون عجاف * وفى الشعر على هذه الرواية الاقواء

(٢) يروى ... ورحلة الأصياف *

قريش إنما تسميه الْفَيْضَ ؛ لسماحته وفضله ، وكان هاشم بن عبد مناف قَدِمَ المدينة فتزوج سَلْمَي بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار ، وكانت قبله عند أُحَيْحَة بن الجُلاَح بن الحْرِيش [١] (قال ابن هشام : ويقال الحريس) بن جَحْجَبى بن كُلْفة بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس ؛ فولدت له عَمْرَو بن أُحَيْحة ، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها أنَّ أمْرَها بيدها : إذا كرهت رجلا فارقته ، فولدت لهاشم عبدَ المطلب ، فسمته شيبة [٢] فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا [٣] أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ليقبضه فيُلْحِقه ببلده وقومه ، فقالت له سلمى : لست بمرسلته معك ، فقال لها المطلب : إنى غير منصرف حتى أخرج به معى ؛ إن ابن أخى قد بلغ وهو غريب فى غير قومه ، ونحن أهل بيتِ شرفٍ فى قومنا ؛ نلى كثيرا من أمرهم ، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الاقامة فى غيرهم ، أو كما قال ، وقال شيبةُ لعمه المطلب فيما يزعمون : لست بمفارقها إلا أن تأذن لى ، فأذنت له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مُرْدِفَهُ معه على بعيره ، فقالت قريش : عَبْدُ المطلبِ ، ابتاعه ، فبها سمى شيبةُ عبدَ المطلب ، فقال المطلب: وَيْحَكُمْ !! إنما هو ابن أخى هاشم ، قدمت به من المدينة

(١) قال أبو ذر : «وقع فى الرواية هنا بالشين والسين ، قال الدارقطنى : ذكر الزبير بن بكار أن جميع ما فى الأنصار الحريس - بالسين المهملة - إلا جد أحيحة هذا فانه الحريش بالشين معجمة » اه كلامه

(٢) قال الطبرى : سمى شيبة لشيبة كانت فى رأسه ، ويكنى بأبى الحرث والحرث أكبر ولده

(٣) « وصيفا » غلاما دون سن المراهقة

وفاة المطلب بن عبد مناف

ثم هلك المطلب بِرَدْمَانَ من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يَبْكيه : —

قَدْ ظَمِيءَ الْحَجِيجُ بَعْدَ الْمُطَّلِبْ   بَعْدَ الْجِفَانِ وَالشَّرَابِ الْمُنْثَعِبْ (١)
لَيْتَ قُرَيْشاً بَعْدَهُ عَلَى نَصَبْ (٢)

وقال مَطْرود بن كَعْب الْخُزَاعى يبكى المطلب و بنى عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف ؛ وكان نوفل آخرهم هلكا : —

يَالَيْلَةً هَيَّجْتِ لَيْلَاتِ   إِحْدَى لَيَالِيَّ الْقَسِيَّاتِ (٣)
وَمَا أُقَاسِى مِنْ هُمُومٍ وَمَا   عَالَجْتُ مِنْ رُزْءِ الْمَنِيَّاتِ
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَخِى نَوْفَلاً   ذَكَّرَنِى بِالْأَوَّلِيَّاتِ
ذَكَّرَنِى بِالْأُزُرِ الْحُمْرِ وَالْ * أَرْدِيَةِ الصُّفْرِ الْقَشِيبَاتِ (٤)
أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمُ سَيِّدٌ   أَبْنَاءُ سَادَاتٍ لِسَادَاتِ
مَيْتٌ بِرَدْمَانَ وَمَيْتٌ بِسَلْ * مَانَ وَمَيْتٌ بَيْنَ غَزَّاتِ (٥)

(١) « الشراب المنثعب » هو الكثير السيل ، يقال : انثعب الماء ؛ إذا سال من موضع مصرفه

(٢) « على نصب » أى : على تعب وعذاب ، قاله أبو ذر

(٣) أى : أنت إحدى ليالى القسيات ، والقسيات : مأخوذ من القسوة على معنى أنه لا لين عندهن ولا رحمة فيهن ، والقاسى والقسى : الشديد ، ويروى « العشيات » من العشا ، وهو ضعف البصر ، فمعناه المظلمات

(٤) «القشيبات» الجديدات ، تقول : ثوب قشيب ، إذا كان جديدا

(٥) «ردمان» موضع باليمن مات فيه المطلب كما سبق قريبا ، و«سلمان» اسم ماء قديم فى الطريق إلى تهامة من العراق وبه قبر نوفل بن عبد المطلب و « غزات » هى غزة ، ولكنهم يعطون لكل ناحية أو لكل ربض من البلدة اسما ؛ فجمعها على هذا الاعتبار

وَمَيِّتٌ أُسْكِنَ لَحْدًا لَدَى الْمَحْجُوبِ شَرْقِيَّ الْبَنِيَّاتِ (١)
أَخْلَصَهُمْ عَبْدُ مَنَافٍ فَهُمْ مِنْ لَوْمِ مَنْ لَامَ بِمَنْجَاةِ
إِنَّ الْمُغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ (٢)

وكان اسم عبد مناف المغيرة ، وكان أولَ بنى عبدمناف هُلْكاً هاشمٌ بغزة من أرض الشام ، ثم عبدشمس بمكة ، ثم المطلب بِرَدْمَان من [ناحية] أرض اليمن ، ثم نوفل بسَلْمَان من ناحية العراق ، فقيل لمطرود — فيما يزعمون — : لقد قلت فأحسنت ، ولو كان أفخل مما قلت كان أحسن ، فقال : أنظِرُونى ليالى ، فمكث أياما ، ثم قال : —

يَاعَيْنُ جُودِى وَأَذْرِى الدَّمْعَ وَأَهْمِرِى
وَابْكِي عَلَى السِّرِّ مِنْ كَعْبِ الْمُغِيرَاتِ
يَاعَيْنُ وَاسْحَنْفِرِى بِالدَّمْعِ وَاحْتَفِلِي
وَابْكِي خَبِيئَةَ نَفْسِي فِي الْمُلِمَّاتِ (٣)
وَابْكِى عَلَى كُلِّ فَيَّاضٍ أَخِي ثِقَةٍ
ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ وَهَّابِ الْجَزِيلَاتِ (٤)
مَحْضِ الضَّرِيبَةِ عَالِي الْهَمِّ مُخْتَلَقٍ جَلْدِ النَّحِيزَةِ نَابٍ بِالْعَظِيمَاتِ (٥)

---

(١) البنيات : الكعبة

(٢) يعنى بالمغيرات بنى المغيرة

(٣) « اسحنفرى » أى : أديمى الدمع ، و « الخبيئة » الشىء المخبوء ، يريد أنه ذخيرة عند نزول الشدائد

(٤) « ضخم الدسيعة » أى : واسع العطية ، والجزيلات : الكثيرات

(٥) الضريبة : الطبيعة ، والمختلق ـ بفتح اللام ـ تام الخلق ، والنحيزة : الطبيعة ، وناب : مرتفع ، ويروى « ناء » ومعناه ناهض

صَعْبِ الْبَدِيهَةِ لَا نِكْسٍ وَلَا وَكِلٍ
مَاضِي الْعَزِيمَةِ مِتْلَافِ الْكَرِيمَاتِ (١)

صَقْرٍ تَوَسَّطَ مِنْ كَعْبٍ إِذَا نُسِبُوا بُحْبُوحَةَ الْمَجْدِ وَالشُّمَّ الرَّفِيعَاتِ (٢)
ثُمَّ انْدُبِي الْفَيْضَ وَالْفَيَّاضَ مُطَّلِباً وَاُسْتَخْرِطِي بَعْدَ فَيْضَاتٍ بِجَمَّاتِ (٣)
أَمْسَى بِرَدْمَانَ عَنَّا الْيَوْمَ مُغْتَرِباً يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ بَيْنَ أَمْوَاتِ
وَأَبْكِي لَكِ الْوَيْلُ إِمَّا كُنْتِ بَاكِيَةً لِعَبْدِ شَمْسٍ بِشَرْقِيِّ الْبَنِيَّاتِ
وَهَاشِمٍ فِي ضَرِيحٍ وَسْطَ بَلْقَعَةٍ تَسْفِي الرِّيَاحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَزَّاتِ
وَنَوْفَلٍ كَانَ دُونَ الْقَوْمِ خَالِصَتِي أَمْسَى بِسَلْمَانَ فِي رَمْسٍ بِمَوْمَاةِ
لَمْ أَلْقَ مِثْلَهُمُ عُجْماً وَلَا عَرَبَا إِذَا اُسْتَقَلَّتْ بِهِمْ أُدْمُ الْمَطِيَّاتِ
أَمْسَتْ دِيَارُهُمُ مِنْهُمْ مُعَطَّلَةً وَقَدْ يَكُونُونَ زَيْناً فِي السَّرِيَّاتِ (٤)
أَفْنَاهُمُ الدَّهْرُ أَمْ كَلَّتْ سُيُوفُهُمُ أَمْ كُلُّ مَنْ عَاشَ أَزْوَادُ الْمَنِيَّاتِ
أَصْبَحْتُ أَرْضَى مِنَ الْأَقْوَامِ بَعْدَهُمُ بَسْطَ الْوُجُوهِ وَإِلْقَاءَ التَّحِيَّاتِ
يَا عَيْنُ فَابْكِي أَبَا الشُّعْثِ الشَّجِيَّاتِ يَبْكِينَهُ حُسَّراً مِثْلَ الْبَلِيَّاتِ (٥)

---

(١) النكس : الرجل الدنىء ، والوكل : الضعيف الذى يكل أموره إلى غيره

(٢) البحبوحة : وسط الشىء ، والشم : جمع أشم ، وهو المرتفع العالى

(٣) استخرطى : استكثرى من الدمع ؛ والجمات ـ فى الأصل ـ : المجتمع من الماء ، فاستعاره للدمع

(٤) « السريات » جمع سرية ؛ وهى طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو ، سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم

(٥) الشعث : جمع شعثاء ، والشجيات : الحزينات ، من الشجى ، وهو الحزن ، وتشديد الياء قد أنكره ابن قتيبة ؛ ولكن القياس لا يأباه

يَبْـكِينَ أَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ   يُعْوِلْنَهُ بِدُمُوعٍ بَعْدَ عَبْرَاتِ (١)
يَبْـكِينَ شَخْصًا طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا نَجُرٍ   آبِي الْهَضِيمَةِ فَرَّاجَ الْجُلِيلاَتِ (٢)
يَبْـكِينَ عَمْرَو الْعُلاَ إِذْ حَانَ مَصْرَعُهُ   سَمْحَ السَّجِيَّةِ بَسَّامَ الْعَشِيَّاتِ (٣)
يَبْـكِينَهُ مُسْتَـكِينَاتٍ عَلَى حَزَنٍ   يَاطُولَ ذَلِكَ مِنْ حُزْنٍ وَعَوْلاَتِ
يَبْـكِينَ لَمَّا جَـلاَهُنَّ الزَّمَانُ لَهُ   خُضْرَ الْخُدُودِ كَأَمْثَالِ الْحَمِيَّاتِ (٤)
مُحْـتَزِمَاتٍ عَـلَى أَوْسَاطِهِنَّ لِمَـا   جَرَّ الزَّمَانُ مِنَ أُحْدَاثِ الْمُصِيبَاتِ
أَبِيتُ لَيْـلِي أُرَاعِي النَّجْمَ مِنْ أَلَمٍ   أَبْكِي وَتَبْـكِي مَعِي شَجْوِي بُنَيَّاتِي

والسماع قد ورد به فى نحو قول أبى الأسود * ويل الشجى من الخلى فانه * و « حسرا » جمع حاسرة ، و « البليات » جمع بلية ، وهى الناقة يموت ربها فتشد عند قبره حتى تموت ، كانوا يقولون إن صاحبها يحشر عليها

(١) قياس جمع الاسم الثلاثى الحروف المفتوح الأول الساكن الثانى الصحيح الوسط جمع مؤنث سالما أن يفتح ثانيه ، تقول دمعة ودمعات ، وعبرة وعبرات ، وزفرة وزفرات ، إلا أنهم قد يبقون الثانى ساكنا ضرورة كما هنا ، وكما فى قول عروة بن حزام :-

وَحُمِّلْتُ زَفْرَاتِ الضُّحَى فَأَطَقْتُهَا   وَمَالِي بِزَفْرَاتِ الْعَشِيِّ يَدَانِ

(٢) الفجر : الجود ، والهضيمة : الذل

(٣) « بسام العشيات » يعنى أنه يضحك للاضياف ويبسم عند لقائهم ، وهو كناية عن فرط الكرم ، ويروى لحاتم الطائى :-

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ   وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيبُ
وَمَا الْخِصْبُ لِلأَضْيَافِ أَنْ يَـكْثُرَ الْقِرَى
وَلَـكِنَّمَا وَجْـهُ الْـكَرِيمِ خَصِيبُ

(٤) قال أبو ذر : « الحميات : الابل التى حميت الماء ، أى : منعت » اه

مَافِي الْقُرُومِ لَهُمْ عِدْلٌ وَلَاخَطَرٌ ... وَلَا لِمَنْ تَرَكُوا شَرْوَى بَقِيَّاتِ (١)

أَبْنَاؤُهُمْ خَيْرُ أَبْنَاءٍ وَأَنْفُسُهُمْ ... خَيْرُ النفوسِ لَدَى جَهْدِ الْأَلِيَّاتِ

كَمْ وَهَبُوا مِنْ طِمِرٍّ سَابِحٍ أَرِنٍ ... وَمِنْ طِمِرَّةِ نَهْبٍ فِي طِمِرَّاتِ (٢)

وَمِنْ سُيُوفٍ مِنَ الْهِنْدِيِّ مُخْلَصَةٍ ... وَمِنْ رِمَاحٍ كَأَشْطَانِ الرَّكِيَّاتِ (٣)

وَمِنْ تَوَابِعَ مِمَّا يُفْضِلُونَ بِهَا ... عِنْدَ الْمَسَائِلِ مِنْ بَذْلِ الْعَطِيَّاتِ

فَلَوْ حَسَبْتُ وَأَحْصَى الْحَاسِبُونَ مَعِي ... لَمْ أَقْضِ أَفْعَالَهُمْ تِلْكَ الْهَنِيَّاتِ

هُمُ الْمُدُّونَ إِمَّا مَعْشَرٌ فَخَرُوا ... عِنْدَ الْفَخَارِ بِأَنْسَابٍ نَقِيَّاتِ

زَيْنُ الْبُيُوتِ الَّتِي حَلُّوا مَسَاكِنَهَا ... فَأَصْبَحَتْ مِنْهُمُ وَحْشًا خَلِيَّاتِ

أَقُولُ وَالْعَيْنُ لَاتَرْقَى مَدَامِعُهَا ... لَايُبْعِدِ اللهُ أَصْحَابَ الرَّزِيَّاتِ

قال ابن هشام : الفجر : العطاء ، قال أبو خِرَاشٍ الْهُذَلِيُّ : —

عَجَّفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ ... بِذِي فَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ

قال ابن إسحق : أبو الشعث الشجيات : هاشم بن عبد مناف

عبد المطلب بن هاشم يلي السقاية والرفادة

قال : ثم ولى عبدُ المطلب بن هاشم السِّقَايَةَ والرِّفادة بعد عمه المطلب؛ فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم ، وشَرُفَ فى قومه شَرَفًا لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبَّهُ قومُه ، وعَظُمَ خَطَرُه فيهم

---

(١) القروم : سادات الناس ، وأصله الفحول من الابل ؛ وعدل : بكسر العين — أى : مثل ؛ والخطر : القدر والرفعة ؛ وشروى : كلمة بمعنى مثل ؛ يقال : هذا شروى هذا ؛ أى : مثله ، قاله أبو ذر

(٢) الطمر : الفرس الجواد ، والأرن : النشط ، والنهب : ما انتهب من الغنائم ، والطمرات : الأمكنة المرتفعة

(٣) الأشطان : جمع شطن كسبب وأسباب — والشطن : هو الحبل ، والركيات : جمع ركية ، وهى البئر

ذكر حفر زمزم

ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم فى الحِجْرِ إذ أُتى فأُمِرَ بحفر زمزم

رؤيا عبد المطلب قال ابن إسحق : وكان أول ماابتدىء به عبد المطلب من حفرها ، كما حدثنى يَزيد بن أبى حَبيب المِصْرى ، عن مَرْثَد بن عبد الله الْيَزَنِى ، عن عبد الله بن زُرَيْرٍ الْغَافقى ، أنه سمع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها ، قال : قال عبد المطلب : إنى لنائم فى الحِجْر إذ أتانى آتٍ فقال : احْفِرْ طَيْبَةَ [1] قال : قلت : وما طَيْبَةُ ؟ قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان [من] الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى ، فقال : احْفِرْ بَرَّةَ ، قال : فقلت : وما بَرَّةُ ؟ قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى ، فقال : احْفِرِ المضنونة ، قال : فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى ، فقال : احْفِرْ زَمْزَم ، قال : قلت : وما زَمْزَم ؟ قال لا تَنْزِفُ [2] أبَدًا وَلاَ تُذَمُّ ، [3] تَسْقِى الْحَجِيجَ الْأعْظَم ، وَهِىَ بَيْنَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ [4]

---

(١) قيل لزمزم طيبة لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم ، وقيل لها برة لأنها فاضت على الأبرار وغاضت عن الفجار ، وقيل لها مضنونة لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق .

(٢) أى : لايفرغ ماؤها ولايلحق قعرها

(٣) أى : لاتوجد قليلة الماء ، تقول : أذممت البئر ، إذا وجدتها قليلة الماء ، قاله أبو ذر

(٤) الفرث : مايكون فى كرش ذى الكرش من الحيوان

عند نُقْرة الغُراب الأعصم [١] عند قَرْيَة النمل [٢]

قال ابن إسحق : فلما بُيِّن له شأنها ، ودُلَّ على موضعها ، وعرف أنه قد صُدِق ؛ غدا بِمِعْوَلِه ومعه ابنه الحرث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولد غيْرُه ، فحفر فيها ، فلما بدا لعبدالمطلب الطَّى كَبَّرَ ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه ، فقالوا : ياعبدالمطلب ، إنها بئر أبينا إسمعيل ، وإن لنا فيها حقًّا ، فأشرِكْنا معك فيها ، قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دُونكم ، وأعطيته من بينكم ، فقالوا له : فأنصفنا فإنَّا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بيني و بينكم من شئتم أحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بنى سعد هُذَيم ، قال : نعم ، قال : وكانت بأشرافِ الشام ، فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بنى أبيه من بنى عبدمناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر ، قال : والأرض إذ ذاك مَفَاوزُ ، قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فَنِيَ ماء عبدالمطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهَلَكَة ، فاستسقوا مَنْ معهم من قبائل قريش ، فأبَوْا عليهم ، فقالوا : إنا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم وما يَتَخَوَّفُ على نفسه وأصحابه قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأيُنا إلاَّ تبعٌ لرأيك ، فمرنا بما شئت ، قال : فانى أرى أن يحفر كل رجل منكم حُفْرَته لنفسه بما بكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ، ثم واروْه ، حتى يكون آخركم رجلا واحدا ، فضَيْعةُ رجل واحد أيسر من ضيعة رَكْبٍ جميعا ، قالوا : نِعْمَ ما أَمَرْتَ به ، فقام كل

قريش تنازع عبد المطلب

يتحاكمون إلى كاهنة بنى سعد هذيم

---

(١) قيل : الغراب الأعصم : أحمر المنقار والرجلين ، وقيل : أبيض البطن ، وقيل : أبيض الجناحين

(٢) دل عليها بعلامات ثلاث : كونها بين الفرث والدم ، وعند نقرة الغراب الأعصم ، وعند قرية النمل

واحد منهم فحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عَطَشًا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لانضْرِبُ فى الأرض ولا نبتغى لأنفسنا لَعَجْزٌ ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ارْتَحِلُوا ؛ فارْتَحَلُوا ، حتى إذا فَرَغُوا ومَنْ معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ماهُمْ فاعلونَ تَقَدَّم عبد المطلب إلى راحلته فركبها ، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خُفّها عَيْنٌ من ماءٍ عذبٍ ، فكبرَّ عبدُ المطلب ، وكَبَّرَ أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه ، واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، فقال : هَلُمَّ إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واسْتَقُوا ، فجاءوا فشربوا واستقوا ، ثم قالوا : قد والله قُضِيَ لك علينا ياعبد المطلب ، والله لانخاصمك فى زمزم أبدا ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهُوَ الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشدا ، فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخَلّوْا بينه وبينها

قال ابن إسحق : فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم

وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم : —

ثُمَّ ادْعُ بِالْمَاءِ الرَّوِى غَيْرِ الْكَدِرْ   يَسْقِى حَجِيجَ[١] اللهِ فِى كُلِّ مَبَرّ[٢]
لَيْسَ يُخَافُ مِنْهُ شَىْءٌ مَاعَمَرْ[٣]

فخرج عبد المطلب — حين قيل له ذلكَ — إلى قريش ، فقال : تَعَلَّمُوا[٤]

(١) حجيج : جمع حاج ، وفى الجموع على هذا الوزن كثير كعبيد ومعيز
(٢) على زنة مفعل من البر ، والمراد به مناسك الحج ومواضع الطاعة
(٣) أى : مهما عمر هذا الماء فانه لا يؤذى ولا يخاف منه
(٤) « تعلموا » فعل أمر بمعنى اعلموا ، ومنه قول النابغة : —

أَنّى قد أمرت أن أحْفِر لكم زمزم ، فقالوا : فهل بُيِّن لك أين هى ؟ قال : لا ، قالوا : فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت ، فإن يك حقا من الله يبين لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك ، فرجع عبد المطلب إلى مضجعه ، فنام فيه ، فأُتى فقيل له : احْفِرْ زمزم ، إنك إنْ حَفَرْتَهَا لم تندم ، وهى تُرَاث من أبيك الأعظم ، لا تَنْزِفُ أبدا ولا تُذَم ، تَسقى الحجيج الأعظم ، مثل نعامٍ جافلٍ (١) لم يُقْسَم ، يَنْذِر فيها ناذِرٌ لمنعم ، تكون ميراثا وعَقْدًا محكم ، ليست كبعض ماقد تعلم ، وهى بين الفرث والدم

قال ابن هشام : هذا الكلام والكلام الذى قبله من حديث على فى حفر زمزم : من قوله «لا تنزف أبدا ولا تذم» إلى قوله «عند قرية النمل» عندنا سَجْعٌ وليس شعرا

قال ابن إسحق : فزعموا أنه — حين قيل له ذلك — قال : وأين هى ؟ قيل له : عند قَرْيَة النمل ، حيث يَنْقُرُ الغراب غدًا ؛ والله أعلم أى ذلك كان

فغدا عبد المطلب — ومعه ابنه الحرث ، وليس له يومئذ ولد غيره — فوجد قَرْيَةَ النمل ووجد الغراب يَنْقُرُ عندها بين الْوَثَنَيْنِ إساف ونائلة اللذَيْن كانت قريش تَنْحَر عندهما ذبائحها ، فجاء بالمِعْوَلِ ، وقام ليحفر حيث أُمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جِدَّه ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وَثَنَيْنَا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبد المطلب لابنه الحرث : ذُدْعَنِّى حتى أحفر ، فوالله لَأَمْضِيَنَّ لما أُمرت به ، فلما عرفوا أنه غير نازع خَلَّوْا

تَعَلَّمْ أَنَّهُ لا طَـيْرَ إلاّ عَلَى مُتَطَيِّرٍ ، وَهُوَ الثُّبُورُ

(١) الجافل ـ بالجيم ـ : الكثير الذى يجىء ويذهب ، وهو السريع أيضا ، ويروى حافل ـ بالحاء المهملة ـ ومعناه الكثير أيضا ، من الحفل ، وهو اجتماع الناس ، قاله أبو ذر

بينه و بين الحفر، وكَفُّوا عنه، فلم يحفر إلا يسيرا حتى بدا له الطَّيُّ فكبر، وعرف أنه قد صُدق، فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزَالَيْن من ذهب — وهما الغزالان اللذان دفنت جُرْهُم فيها حين خرجت من مكة — ووجد فيها أسيافا قَلْعِيَّة (١) وأدراعا، فقالت له قريش: ياعبد المطلب، لنا معك فى هذا شِرْكٌ وحَقٌّ، قال: لا، ولكن هلم إلى أمرٍ نَصَفٍ بينى و بينكم، نضرب عليها بالقِدَاح (٢) قالوا: و كيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قِدْحين، ولى قِدْحين، ولكم قِدْحين؛ فمن خرج له قدحاه على شىء كان له، ومن تخلف قدحاه فلا شىء له، قالوا: أنصفت، فجعل قِدْحين أصفرين للكعبة، و قِدْحين أسودين لعبد المطلب، وقِدْحين أبيضين لقريش، ثم أعطوا القداح صاحب القداح الذى يضرب بها عند هُبَل (وهُبَل: صنم فى جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم، وهو الذى يعنى أبو سفيان هبل ابن حرب يوم أحد حين قال: أَعْلِ هُبَلُ، أى: أظهر دينك) وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، فضرب صاحب القداح؛ فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب، وتخلف قِدْحا قريش؛ فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب، فكان أولَ ذهب حُلِّيَتْهُ الكعبة فيما يزعمون، ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج

---

(١) قلعية — بفتح فسكون — نسبة إلى قلعة، قيل: وهو جبل بالشام، وقيل: قلعة فى أول بلاد الهند من جهة الصين.

(٢) القداح: جمع قدح — بكسر القاف وسكون الدال — وهو السهم الذى كانوا يستقسمون به، يقال للسهم أول مايقطع قطع — بكسر القاف وسكون الطاء — ثم ينحت ويبرى فيسمى بريا، ثم يقوم قدحا، ثم يراش ويركب

قال ابن هشام : وكانت قريش — قَبْل حَفر زمزم — قد احتفرت بِئَارًا بمكة ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائِىّ ، عن محمد بن إسحق ، قال : حَفَر عبدُ شمس بن عبد مناف الطَّوِىَّ (١) ، وهى البئر التى بأعلى مكة عند البيضاء دار محمد بن يوسف (٢) حفرت قريش بئارا بمكة قبل حفر زمزم. الطوى

وحفر هاشمُ بن عبد مناف بَذَّرَ (٣) ، وهى البئر التى عند المُسْتَنْذَرِ خَطْمِ الخَنْدَمَة على فَمِ شِعْب أبى طالب ، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأَجعَلَنَّهَا بَلاَغاً للناس بذر

قال ابن هشام : وقال الشاعر : —

سَقَى اللهُ أَمْوَاهاً عَرَفْتُ مَكَانَهَا جُرَاباً وَمَلْكُوماً وَبَذَّرَ والغَمْرَا (٤)

نصله فيسمى سهما ، وهذه القداح هى الأزلام المذكورة فى قوله عز وجل (وأن تستقسموا بالأزلام)

(١) قال ياقوت : الطوى - بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء - . قال الزبير بن أبى بكر : الطوى : بئر حفرها عبد شمس بن عبد مناف ، وهى البئر التى بأعلى مكة عند البيضاء دار محمد بن سيف (كذا) ، فقالت سبيعة بنت عبد شمس : -

إِنَّ الطَّوِىَّ ، إِذَا ذَكَرْتُمْ مَاءهَا ، صَوْبُ السَّحَابِ عُذُوبَةً وَصَفَاءْ

(٢) قد سمعت فى عبارة ياقوت أنه محمد بن سيف ، لكن عبارة ياقوت غير صحيحة ، لأنهم يقصدون محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف وكانت داره هناك

(٣) قال ياقوت : « بذر من التبذير ، وهو التفريق ، وهو اسم بئر فلعل ماءها قد كان يخرج متفرقا من غير مكان ، وهى بئر بمكة لبنى عبد الدار وذكر أبو عبيدة فى كتاب الآبار : وحفر هاشم بن عبد مناف بذر ، وهى البئر التى عند خطم الخندمة (جبل على فم شعب أبى طالب) وقال حين حفرها

أَنْبَطْتُ بَذَّرًا بِمَاءٍ قَلاَّسْ جَعَلْتُ مَاءهَا بَلاَغًا لِلنَّاسْ

(٤) جراب - بزنة غراب - اسم ماء ، وقيل : بئر قديمة بمكة ، وملكوم -

سجلة قال ابن إسحق : وحفر (١) سَجْلَةَ ، وهى بئر المطعم بن عَدِيّ بن نوفل بن عبد مناف التى يسقون عليها اليوم ؛ ويزعم بنو نوفل أن المطعم ابتاعها من أسد بن هاشم ، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم فاستغنوا بها عن تلك الآبار

الحفر وحفر أمية بن عبد شمس الْحَفْرَ (٢) لنفسه

بزنة اسم المفعول ـ اسم ماء بمكة . وبذر : تقدم بيانه (ص ١٥٩ س ١٩ وما بعده فى ه ٣) . والغمر ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ بئر قديمة بمكة ؛ قال أبو عبيدة : حفرت بنو سهم الغمر فقال بعضهم : ـ

نَحْنُ حَفَرْنَا الْغَمْرَ لِلْحَجِيجِ ثَثَجُّ مَاءً أَيَّمَا ثَجِيجِ

والبيت الذى أنشده فى السيرة قد أنشده ياقوت فى عدة مواضع من كتابه ، وأنشده سيبويه (ج ٢ ص ٧) ولم ينسباه ، ونسبه الاعلم الشنتمرى إلى كثير عزة ، وكذلك رواه فى اللسان (مادة : بذر) منسوبا إلى كثير ، وهو فى ديوانه (ج ٢ ص ١٨٠) بيتا مفردا ليس معه سابق أو لاحق ، ولهذا البيت قصة مع المتنبي

(١) قال ياقوت : « سجلة ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ بئر حفرها هاشم بن عبد مناف ، فوهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل ، ولم يكن لأسد ابن هاشم عقب ، وقالت خالدة بنت هاشم : ـ

نَحْنُ وَهَبْنَا لِعَدِيٍّ سَجْلَهْ تَرْوِى الْحَجِيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَهْ

وقيل : حفرها قصى » اهـ

(٢) قال ياقوت : « وحفر ـ بالفتح ثم السكون وراء ـ بئر لبنى تيم بن مرة بمكة ، ورواه الحازمى بالجيم » اهـ

وحَفَرَتْ بنو أسد بن عبد الْعُزَّى (١) سُقَيَّة ، وهى بئر بنى أسد سقية

وحفرت بنو عبد الدار أمَّ أحرَادٍ (٢) أم أحراد

وحفرت بَنُو جُمَحَ السُّنْبُلَةَ ، (٣) وهى بئر خَلَف بن وَهْب السنبلة

(١) قال ياقوت : « سقية بلفظ تصغير سقية ، وقدرواها قوم شفية بالشين المعجمة والفاء ـ وهى بئر قديمة كانت بمكة ، وقال أبو عبيدة : وحفرت بنو أسد شفية ، فقال الحويرث بن أسد : ـ

مَاءُ شُفَيَّةٍ كَصَوْبِ الْمُزْنِ وَلَيْسَ مَاءُهَا بِطَرْقٍ أَجْنِ

قال الزبير : وخالفه عمى ؛ فقال : إنما هى سقية بالسين المهملة والقاف » اه كلامه بحروفه

(٢) قال ياقوت : « وهى بئر بمكة قديمة . روى الزبير بن بكار عن أبى عبيدة فى ذكر آبار مكة قال : احتفرت كل قبيلة من قريش فى رباعهم بئرا ؛ فاحتفرت بنو عبد العزى شفية (سبق تصويب أن اسمها سقية) وبنو عبد الدار أم أحراد . . . فقالت أميمة بنت عميلة امرأة العوام بن خويلد :ـ

نَحْنُ حَفَرْنَا الْبَحْرَ أُمَّ أَحْرَادْ لَيْسَتْ كَبَذَّرَ النَّذُورِ الْجَمَّادْ

فأجابتها ضرتها صفية : ـ

نَحْنُ حَفَرْنَا بَذَّرْ تَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَكْبَرْ وَأُمُّ أَحْرَادٍ شَرّْ

(٣) قال ياقوت : « بلفظ سنبلة الزرع ـ بئر حفرها بنو جمح بمكة وفيها قال قائلهم * نحن حفرنا للحجيج سنبلة * ورواه الأزهرى بالفتح ، والأول رواية العمرانى ، وماأراه إلا سهوا من العمرانى ، وقال نصر : سنبلة ـ بالضم ـ بئر بمكة ، قال أبو عبيدة : وحفرت بنو جمح السنبلة ، وهى بئر خلف بن وهب ، قال بعضهم :

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجِيجِ سُنْبُلَهْ صَوْبَ سَحَابٍ ذُو الْجَلَالِ أَنْزَلَهْ

وأنا بالأزهرى أوثق ، ومن خطه نقلت » اه كلامه

الغمر

وحفرت بنو سهم الْغَمْرَ ،(١) وهى بئر بنى سهم

وكانت آبار حفائر خارجاً من مكة قديمة : من عهد مُرَّة بن كعب

رم وخم والحفر

وكلاب بن مرة وكبراء قريش الأوائل ، منها يشربون ، وهى : رُمّ ، ورُمّ (٢) : بئر مرة بن كعب بن لؤى ، وخم ،(٣) وخم : بئر بنى كلاب ابنْ مرة ، والحفر ،(٤) قال حُذَيْفة بن غانم أخو بنى عَدِىّ بن كَعْب ابن لُؤَى (قال ابن هشام : وهو أبو أبى جَهْم بن حذيفة) : —

وَقِدْمًا غَنِينَا قَبْلَ ذَلِكَ حِقْبَةً ولاَ نَسْتَقِى إلَّا بِخُمٍّ أَوِ الْحَفْرِ

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها — إن شاء الله — فى موضعها

---

(١) سبق لنا ذكرها فارجع إلى الهامشة رقم (٤) فى ص (١٥٩ - ١٦٠)

(٢) قال ياقوت : « بضم أوله - بئر بمكة من حفائر مرة بن كعب ، ثم من حفائر كلاب بن مرة ، حفر رم والحفر ، وهما بئران بظاهر مكة ومنهما كانوا يشربون قبل أن يهبطوا إلى البطحاء ، ثم سموا برم وبالحفر بعد ذلك غيرهما ، حين احتفروا بالبطحاء ، وهى عند دار خديجة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم » اه كلامه

(٣) قال ياقوت : « وخم ورم : بئران حفرهما عبد شمس بن عبد مناف ، وقال : -

حَفَرْتُ خُمًّا وَحَفَرْتُ رُمَّا حَتَّى تَرَى الْمَجْدَ لَنَا قَدْ تَمَّا

وهما بمكة ، وقال محمد بن إسحاق الفاكهى فى كتاب مكة : بئر خم قريبة من الميثب ، حفرها مرة بن كعب بن لؤى ، قال : وكان الناس يأتون خما فى الجاهلية والاسلام من الدهر الأول يتنزهون به ويكونون فيه » اه

(٤) « الحفر » هذه البئر غير تلك البئر التى تسمى باسمها ، فلا تتوهمن أن

ظهور زمزم ينسى جميع البئار

قال ابن إسحق : فعفَّتْ زمزم على المياه التى كانت قبلها يَسْقى عليها الحاج ، وانصرف الناس إليها ؛ لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ماسواها من المياه ؛ ولأنها بئر إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب : فقال مُسافر بن أبى عَمْرو بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو يفخر على قريش : بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وبزمزم حين ظهرت لهم ، وإنما كان بنو عبد مناف أهلَ بيتٍ واحد شرفُ بعضهم لبعض شَرَفٌ ، وفضلُ بعضهم لبعض فضلٌ : —

شعراء قريش تفخر بزمزم

وَرِثْنَا الْمَجْدَ مِنْ آبَا ئِنَا فَنَمَى بِنَا صُعُدَا
أَلَمْ نَسْقِ الْحَجِيجَ وَنَنْـ ـحَرُ الدَّلَّافَةَ الرُّفُدَا (١)
وَنُلْفَى عِنْدَ تَصْرِيفِ الْـ ـمَنَايَا شُدَّدًا رُفُدَا (٢)
فَإِنْ نَهْلِكْ فَلَمْ نُمْلَكْ وَمَنْ ذَا خَالِدٌ أَبَدَا ؟ (٣)
وَزَمْزَمُ فِي أَرُومَتِنَا وَنَفْقَأُ عَيْنَ مَنْ حَسَدَا (٤)

المؤلف قد كرر ذكرها ؛ لأن تلك بئر فى داخل مكة ، وهذه بئر فى خارجها : كانت قد حفرت قبل سكناهم البطحاء ، كما سمعت فى عبارة ياقوت قريبا

(١) قال أبوذر : الدلافة يريد بها هنا الابل التى تمشى متمهلة لكثرة سمنها ، يقال : دلف الشيخ دلفا ، إذا مشى مشيا ضعيفا ، وهو فوق الدبيب . والرفد : جمع رفود ، وهى التى تملأ الرفد ، وهو قدح يحلب فيه

(٢) « رفدا » هو من الرفد ، وهو الاعطاء

(٣) « فلم نملك » روى بالبناء للمجهول ، ومعناه أننا لم يكن علينا وال ولا ملك ، وروى بالبناء للمعلوم ، ومعنـــاه أننا لانملك دفع الموت عن أنفسنا

(٤) « أرومتنا » بفتح الهمزة ـ أى : أصلنا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له

قال ابن إسحق : وقال حُذَيْفَةُ بن غانم أخو بنى عَدِىِّ بن كعب ابن لؤى : —

وَسَاقِى الْحَجِيجِ ثُمَّ لِلْخَيْرِ هَاشِمٌ ... وَعَبْدُ مَنَافٍ ذَلِكَ السَّيِّدُ الْفِهْرِى (١)
طَوَى زَمْزَمًا عِنْدَ الْمَقَامِ فَأَصْبَحَتْ ... سِقَايَتُهُ فَخْراً عَلَى كُلِّ ذِى فَخْرِ

قال ابن هشام : يعنى عبد المطلب بن هاشم ، وهذان البيتان فى قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى

عبد المطلب ينذر ذبح ولد من أولاده

قال ابن إسحق : وكان عبد المطلب بن هاشم ، فيما يزعمون ، والله أعلم ، قد نذر — حين لقى من قريش ما لقى عند حفر زمزم — لئن وُلد له عشرةُ نفرٍ ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لَيَنْحَرَنَّ أحدهم لله عند الكعبة ؛ فلما توافى بنوه عشرةً ، وعرف أنهم سيمنعونه ؛ جَمَعَهم ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه ، وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخُذْ كل رجل منكم قِدْحاً ، ثم يكتب فيه اسمه ، ثم ائتونى ، ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبَلَ فى جوف الكعبة

القداح عند هبل وصنيع العرب فيها

وكان هُبَلُ على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يُجْمَع فيها ما يُهْدَى للكعبة ، وكان عند هُبَلَ قِدَاحٌ سبعة [كل قدح منها فيه كتاب] : قِدْحٌ منها فيه « الْعَقْل » إذا اختلفوا فى الْعَقْل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة فإن خرج العقل فعلى من خرج حَمْلُه ، وقِدْحٌ فيه « نعم » للأمر إذا أرادوه يضرب به فى الْقِدَاح فان خرج قِدْحُ « نعم » عملوا به ،

(١) « الفهرى » المنسوب إلى فهر ، وروى « الغمر » قال أبو ذر « والغمر : الكثير العطاء ، ومن رواه القهر — بالقاف — فمعناه القاهر ، وصفه بالمصدر ، كما يقال : رجل عدل ورضى » اه كلامه

وقدح فيه «لا» إذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح فان خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه «منكم» ، وقدح فيه «مُلْصَق» ، وقدح فيه « من غيركم » ، وقدح فيه « المياه » إذا أرادوا أن يحفِروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به ، وكانوا إذا أرادوا أن يَخْتِنوا غلاما ، أو ينكحوا مَنْكَحاً ، أو يدفنوا مَيتا ، أو شكُّوا فى نسب أحدهم ؛ ذهبوا به إلى هُبَلَ ، وبمائة درهم وجَزُور فأعطَوْها صاحب القداح الذى يضرب بها ، ثم قَرَّبُوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا ، هذا فلان ابن فلان ، قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحقَّ فيه ؛ ثم يقولون لصاحب القداح : أضرِبْ ، فان خرج عليه « منكم » كان منهم وسيطا [١] وإن خرج عليه « من غيركم » كان حليفاً ، وإن خرج عليه « مُلْصَق » كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حِلْف ، وإن خرج فيه شىء مما سوى هذا مما يعملون به « نعم » عملوا به ، وإن خرج « لا » أخَّرُوه عامَه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح

عبد المطلب يستهم على بنيه ليذبح أحدهم

فقال عبد المطلب لصاحب القداح : أضرِبْ على بَنِيَّ هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخْبَرَهُ بنذره الذى نذر ، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحَه الذى فيه اسمه ، وكان عبدُ الله بن عبد المطلب أصغرَ [٢] بنى أبيه ، كان هو والزُّبَيْر وأبو طالب لفاطِمَةَ بنت عَمْرو بن عائذ بن عَبْد بن عِمْران بن مَخْزوم ابن يَقَظَة بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر

---

(١) « وسيطا » قال أبو ذر : « يعنى خالص النسب فيهم ؛ ويقال هو الشريف فى قومه أيضا ؛ لأن النسب الكريم دار به من كل جهة وهو وسط » اه كلامه

(٢) « أصغر بنى أبيه » قال أبو ذر : « يعنى أنه كان أصغر بنى أبيه

قال ابن هشام : عائذ : ابنُ عِمْران بن مَخْزوم

قال ابن إسحق : وكان عبد الله ، فيما يزعمون ، أحبَّ ولدعبد المطلب إليه ، وكان عبدُ المطلب يرى أن السَّهْمَ إذا أخطأه فقد أشْوَى (١) وهو أبورسول الله صلى الله عليه وسلم

عبد المطلب يهم بذبح عبد الله فتمنعه قريش

فلما أخذ صاحب القداح القداحَ ليضرب بها قام عبد المطلب عند هُبَلَ يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القداح فخرج الْقِدْحُ على عبد الله ، فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشَّفْرَةَ (٢) ثم أقبل به إلى إسافٍ ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد ياعبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قريش وبَنُوه : والله لاتذبحه أبدا حتى تُعْذِرَ فيه ، لَئِنْ فعلتَ هذ لايزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ وقال له المغيرة بن عبد الله بن عَمْرو بن مخزوم بن يَقَظة — وكان عبد الله ابن أخت القوم — : والله لاتذبحه أبدا حتى تُعْذِرَ فيه ، فان كان فداؤه بأموالنا فديناه ، وقالت له قريش وبَنُوه : لاتفعل ، وانطلق به إلى الحجاز فان به عَرَّافَةً لها تابع فَسَلْها ، وأنت على رأس أمرك : إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فَرَجٌ قبلته ، فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها — فيما يزعمون — بخيبر فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقصَّ عليها عبد المطلب خَبَرَه وخبر ابنه ، وما أراد به ، ونَذْرَه فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله ، فرجعوا من

فى ذلك الوقت ، وإلا فالعباس وحمزة أصغر من عبد الله ؛ فعلى هذا يخرج قول ابن إسحق » اه كلامه

(١) « أشوى » قال أبو ذر : « يعنى فقد أبق ، يقال : أشويت من الطعام ، إذا أبقيت منه » اه

(٢) « الشفرة » السكين

عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غَدَوْا عليها ، فقالت لهم : قد جاءنى الخبر ، كم الدِّيَةُ فيكم ؟ قالوا : عَشْرٌ من الابل ، وكانت كذلك ، قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قَرِّبوا صاحبكم وقَرِّبوا عَشْرًا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح : فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم ، فان خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم ، فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قَرَّبوا عبدَ الله وعشرا من الابل ، وعبدُ المطلب قائم عند هُبَلَ يدعو الله عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل عشرين ، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل ثلاثين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل أربعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الأبل خمسين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل ستين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل سبعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل ثمانين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل تسعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل مائةً ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على الابل ، فقالت قريش ومَنْ حَضَر : قد انتهى رضا ربك ياعبد

نجاة عبد الله بمائة من الابل

المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله ، حتى أَضْرِبَ عليها ثلاث مرات ، فضربوا على عبد الله وعلى الابل ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، فخرج القِدْحُ على الابل ؛ ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا فخرج القِدْحُ على الابل ؛ ثم عَادُوا الثالثةَ وعبدُ المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا فخرج القِدْحُ على الابل ؛ فنحرت ، ثم تركت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا يُمْنَع

قال ابن هشام ويقال : إنسان ولا سَبُع

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رَجَزٌ لم يصحَّ عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر

قال ابن إسحق : ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله ، فمرَّ به ، فيما يزعمون ، على امرأة (١) من بنى أَسَدِ بن عبد الْعُزَّى بن قُصَيّ بن كلاب — مرأة من بنى أسد تعرض نفسها على

(١) قال السهيلى : « واسم هذه المرأة رقية بنت نوفل ، أخت ورقة ابن نوفل ، وتكنى أم قتال ، وبهذه الكنية وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن إسحق ، وذكر البرقى عن هشام بن الكلبى قال : إنما مر على امرأة اسمها فاطمة بنت مر كانت من أجمل النساء ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت نور النبوة فى وجهه ، فدعته إلى نفسها ، فلما أبى قالت : ـ

إِنِّى رَأَيْتُ مَخِيلَةً نَشَأَتْ فَتَلَأْلَأَتْ بِحَنَاتِمِ الْقَطْرِ
فَلَمَأْتُهَا نُورًا يُضِيءُ بِهِ مَاحَوْلَهُ كَاضَاءَةِ الْفَجْرِ
وَرَأَيْتُ سُقْيَاهَا حَيَا بَلَدٍ وَقَعَتْ بِهِ وَعِمَارَةَ الْقَفْرِ
وَرَأَيْتُهُ شَرَفًا أَبُوءُ بِهِ مَا كُلُّ قَادِحِ زَنْدِهِ يُورِى
لِلّهِ مَا زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ مِنْكَ الَّذِى اسْتَلَبَتْ وَمَا تَدْرِى

وفى غريب ابن قتيبة أن التى عرضت نفسها عليه هى ليلى العدوية » اه كلامه .
قال أبو رجاء : وفى النفس من هذه القصة شيء . ولماذا اختار الرواة أخت ورقة بن نوفل أو امرأة كانت قد قرأت الكتب ؟ وما الذى فى سرد هذا الكلام

ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْرٍ ، وهى أختُ وَرَقَة بن نَوْفل ابن أسَد بن عبد العُزَّى ، وهى عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أيْنَ تذهب ياعبد الله ؟ قال : مع أبى ، قالت : لك مثلُ الابل التى نُحِرَتْ عنك وَقَعْ علىَّ الآن ! ! قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خلافه ولافراقه

عبد المطلب يزوج عبدالله آمنة بنت وهب

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وَهْبَ بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْرٍ ، وهو يومئذ سيدُ بنى زهرة نسبًا وشَرَفًا ، فزوَّجه ابنته آمنة بنت وَهْب ، وهى يومئذ أفضلُ امرأةٍ فى قريش نَسَبًا ومَوْضِعًا ، وهى لِبَرَّة بنتِ عبد العُزَّى بن عُثْمان بن عَبْد الدار بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فهر . وبَرَّةُ لأم حبيب بنت أسَدِ بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة ابن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْرٍ ؛ وأمُّ حبيب لبَرَّة بنتِ عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْرٍ

آمنة بنت وهب تحمل برسول الله صلى الله عليه وسلم

فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانَهُ فوَقَعَ عليها : فحَمَلت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عَرَضَتْ عليه ما عرضت ، فقال لها : مالكِ لا تعرضين علىَّ اليوم ما كنت عرضت علىَّ بالأمس ؟ قالت له : فارَقَكَ النورُ الذى كان معك بالأمس ، فليس لى بك اليومَ حاجةٌ ، وقد كانت تسمع من أخيها وَرَقَة بْنِ نَوْفَل — وكان تَنَصَّر واتبع الكتب — أنه كائن فى هذه الأمة نبىٌّ

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسحق بن يَسَار أنه حُدِّث ، أن عبدالله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وَهْب ، وقد عمل فى طينٍ له ، وبه آثارٌ من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من

أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خَرَجَ عامدا إلى آمنة ، فمرَّ بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة فدخل عليها ، فأصابها ، فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم مرَّ بامرأته تلك ، فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مَرَرْتَ بى و بين عينيك غُرَّةٌ بيضاء ، فدعَوْتُكَ فأبيت على ، ودخلتَ على آمنة فذهبَتْ بها

قال ابن إسحق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدِّثُ أنه مَرَّ بها و بين عينيه غُرَّةٌ مثلُ غُرَّة الفرس ، قالت : فدعوته رَجَاء أن تكون تلك بى ، فأبى علىَّ ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوْسَطَ قومه نَسَباً ، وأعظمهم شرَفاً ، من قِبَلِ أبيه وأمه ، صلى الله عليه وسلم

و يزعمونَ — فيما يتحدث الناس ، والله أعلم — أن آمنة ابنة وَهْبٍ أمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدِّث أنَّها أُتِيَتْ — حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم — فقيل لها : إنك قد حملت بسيِّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أعيذُهُ بِالْوَاحِدْ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدْ ، ثم سَمِّه محمـدًا . و رأتْ — حين حملت به — أنه خرج منها نورٌ رأت به قُصورَ بُصْرى (١) من أرض الشام

---

(١) قال ياقوت : « بصرى فى موضعين بالضم والقصر : أحدهما بالشام ، من أعمال دمشق ، وهى قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديما وحديثا ، ذكرها كثير فى أشعارهم » اهـ ، وأغلب الظن أن هذا الموضع هو المقصود فى كلام ابن إسحق وكتبة السيرة

وفاة عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم

ثم لم يَلْبَثْ عبدُ الله بن عبد المطلب أبو رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ هَلَكَ وأُمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

زمان ولادة النبي صلى الله عليه وسلم

قال : حدثنا أبو محمدٍ عبدُ الملِك بن هشام ، قال : حدثنا زيادُ ابنُ عبد الله الْبَكَّائى ، عن محمدبن إسحق المطلبى ، قال : وُلد رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الاثنين ، لاثْنَتَىْ عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ من شهر ربيع الأول ، عام الفيل

قال ابن إسحق : وحدثنى المطلبُ بن عبد الله بن قَيْس بن مَخْرمة ، عن أبيه ، عن جده قال : وُلِدْتُ أنا وَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن لِدَتَانِ (١)

قال ابن إسحق : وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عَوْف ، عن يَحْيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَعْد (٢) بن زُرَارة الأنصارى ، قال : حدَّثَنى مَنْ شئت من رجال قومى ، عن حَسَّان بن ثابت ، قال : والله إنِّى لَغُلَامٌ يَفَعَةٌ (٣) ابنُ سَبْعِ سنين ، أو ثمان ، أعْقِلُ كلَّ ماسمعت ؛ إذ سمعت يَهُودِيًّا يَصْرخ بأعلى صوته على أُطُمِهِ (٤) بيثرب : يامَعْشَرَ يَهُودَ ، حتى إذا

---

(١) تقول : فلان لدة فلان ـ بكسر اللام وفتح الدال مخففة ـ إذا كان قد ولد معه فى زمان واحد ، ووقع فى بعض نسخ الكتاب « فنحن لدان » بلا تاء ، قال أبو ذر : «المشهور فيه لدتان بالتاء » اه

(٢) قال أبو ذر : « كذا وقع ، والصواب فيه أسعد بن زرارة » اه

(٣) «غلام يفعة» معناه : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع ، وهو العالى من الأرض ، فأما الغلام اليافع فهو الذى قارب الحلم . قاله أبو ذر

(٤) الأطم : الحصن ، والهاء ضمير ، ويروى « على أطمة » بتاء التأنيث على أنه أنثه باعتبار البقعة

اجتمعوا إليه قالوا له: وَيْلَكَ مَالَك !! قال : طَلَعَ اللَّيْلَةَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِى ولد به .

قال محمد بن إسحق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت ، فقلت: ابْنَ كَمْ كَانَ حَسَّانُ بن ثابت مَقْدَمَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ؟ فقال : ابْنَ ستِّينَ ، وقدمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً ، فسمع حَسَّانُ ماسمع وهو ابنُ سَبْعِ سنِين .

ولادته وتسميته صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فلما وضعته أمه صلى الله عليه وسلم أرسلتْ إلى جدِّه عبد المطلب أَنَّهُ قد وُلِدَ لك غلامٌ فأْتِه فانْظُرْ إليه ، فأتاه ، فنظر إليه ، وحَدَّثَتْه بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمِرَت به أن تُسَمِّيه ، فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ؛ والْتَمَس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّضعاء

قال ابن هشام : المراضع ، وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام (٢٨ : ١٢) : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ)

رضاعه ونسب رضعته وزوجها

قال ابن إسحق : فاسترضع له امرأةً من سَعْد بن بكر يُقَال لها حَليمة ابنة أبى ذُؤَيْب ، وأبو ذؤيب : عبدُ الله بن الحرث بن شِجْنَة بن جابر بن رِزام بن ناصرة بن فُصَيَّة (١) بن نَصْر بن سَعْد بن بَكْر بن هَوَازن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان ، واسم أبيه الذى أرضعه صلى الله عليه وسلم : الحرثُ بن عبد العُزَّى بن رفاعة بن مَلَّان بن ناصرة ابن فُصَيَّة (١) بن نَصْر بن سَعْد بن بكر بن هَوَازن

قال ابن هشام: ويقال : هِلاَل بن ناصرة

---

(١) قال أبو ذر : يروى بالقاف ، وصوابه بالفاء

اخوة النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة

قال ابن إسحق : وإخوته من الرضاعة : عبدُ الله بن الحرث ، وأُنَيْسة بنت الحرث ، وخِذَامَةُ (١) بنت الحرث ، وهي الشَّيْماء ، غاب ذلك على اسمها فلا تُعْرَفُ في قومها إلاّ به ، وهم لحليمةَ بنتِ أبي ذُؤَيْب عبدِ الله بن الحرث أمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرون أنَّ الشَّيْماءَ كانت تَحْضُنه مع أمه (٢) إذ كان عندهم

حليمة السعدية تحدث عن أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثني جَهْم مولى الحرث بن حَاطِب الْجُمَحِيّ ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، أو عمن حدثه عنه ، قال : كانت حليمةُ بنت أبي ذُؤَيْب السَّعْدِيَّةُ أمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته تُحَدِّث أنها خَرَجَتْ من بلدها مع زوجها وابن لها صغيرٍ تُرْضعه ؛ في نِسْوةٍ من بني سعد بن بكر تَلْتَمِسُ الرُّضَعَاء ، قالت : وهي في سنة شَهْباءَ (٣) لم تُبْقِ لنا شَيْئاً ، قالت : فخرجتُ على أتانٍ لي قَمْرَاءَ (٤) معنا شارِف (٥)

---

(١) قال أبوذر : «خذامة ابنة الحرث ، هذا روى بخاء معجمة مكسورة وذال معجمة ، ويروى أيضا بجيم مضمومة ودال مهملة ، وروى أيضا بحاء مهملة مضمومة وذال معجمة وفاء ، قيدها أبو عمر النمرى وهو الصواب » اه : لكن الذى ذكر أنه هو الصواب دون غيره غير مسلم له ، فقد ضبطها جماعة من فحول الرجال بأحد الضبطين الآخرين ، انظر السهيلى والاصابة وطبقات ابن سعد .

(٢) يروى « مع أمها » والمقصود واحد ؛ فان حليمة أمه أيضا

(٣) « سنة شهباء » تريد بها سنة الجدب والقحط ، وذلك أن الأرض حينئذ تكون بيضاء لا نبات فيها

(٤) « قمراء » قال في القاموس « القمرة ـ بالضم ـ لون إلى الخضرة ، أو بياض فيه كدرة ، وحمار أقمر ، وأتان قمراء » اه

(٥) الشارف : الناقة المسنة ، وقولها « ماتبض » قال أبو ذر :

لنا والله ماتَبضُّ بقطْرَةٍ ، وما نَنَامُ لَيْلَنَا أجْمَعَ من صَبِيِّنَا الذى معنا ، مِنْ بُـكائه من الجوع ، مافى ثديي مايغنيــه ، وما فى شارِفِنَا مايُغَدِّيه (قال ابن هشام :ويقال يُغَذِّيه) ولـكنا كُنَّا نرجو الْغَيْثَ والْفَرَجَ ،فخرجتُ على أتانى تلك ، فلقد أَدَمْتُ بالركب حتى شَقَّ ذلك عليهم ضَعْفاً وعَجفاً ، حتى قَدِمنَا مكةَ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاء ، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه ، إذا قيل لها : إنه يتيم ، وذلك أنا إنما كنا نرجو المَعْرُوفَ من أبى الصبى ، فكنا نقول : يتيم !! وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فكنَّا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدِمَت معى إلا أخذتْ رَضيعاً غيرى ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إنى لأكره أنْ أرجع من بين صَوَاحبي ولم آخـذ رضيعا ، والله لأذْهَبَنَّ إلى ذلك اليتيم فَلآخُذَنَّه ، قال : لاَ عَلَيْكِ أنْ تَفْعلى، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركةً ، قالت : فذهبْتُ إليه فأخذْتُهُ، وما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره ،قالت: فلما أخذْتُه رجعت به إلى رَحْلى ، فلما وضعته فى حِجْرى أقبل عليه ثَدْيَايَ بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِىَ ، وشرب معه أخُوه حتى رَوِى ، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شارِفنا تلك فإذا إنها[1] لَحَافِل فحلب منها ماشربَ ، وشربتُ معه حتى انتهينا رِيًّا وشِبَعاً ، فبتنا بخير ليلة ، قالت : يقول صاحبى حين أصبحنا : تَعَلَّمِي والله ياحليمةُ لقد أخذتِ نَسَمَةً مباركةً ، قالت: فقلت : والله إنى لأرجو ذلك ، قالت: ثم خرجنا وركبت

« بالضاد المعجمة معناه ماتنشغ ولا ترشح ، ومن رواه بالصاد المهملة فمعناه لايبرق عليها أثر لبن ، من البصيص ، وهو البريق واللمعان » اه

(١) « حافل » ممتلئة الضرع من اللبن ، والحفل : اجتماع اللبن فى الضرع ، والمحفلة : التى اجتمع لبنها فى ضرعها أياما

أتانى وحملته عليها معى ، فوالله لَقَطَعْتُ بالركب ، مايَقدر عليها شىء من حُمُرِهم ، حتى إن صواحبى لَيَقُلْنَ لى : ياابنةأبى ذُؤَيب ، ويحك !! ارْبعى علينا (١) ، أليست هذه أتانكِ التى كنت خرجتِ عليها ؟ فأقول لهن : بلى ، والله إنها لهى هى ، فيقلن : والله إنَّ لها لشأناً ، قالت : ثم قدِمْنا منازلنا من بلاد بنى سعد ، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجْدَبَ منها ، فكانت غنمى تَرُوحُ علىَّ حين قدِمنا به معنا شِباعا لُبَّناً (٢) ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرةَ لبنٍ ولا يجدها فى ضَرْع ، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : وَيْلَكُمْ !! أسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ راعى بنت أبى ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياعًا ماتَبِضُّ بقطرة لبنٍ ، وتروح غنمى شِباعًا لُبَّناً (٢) ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادةَ والخيرَ حتى مَضَت سَنَتاهُ ، وفصَلْتُهُ ، وكان يَشِبُّ شبَابا لا يَشِبه الْغِلمانُ ، فلم يبلغْ سَنَتَيْه حتى كان غُلامًا جَفْراً (٣) قالت : فقدمنا به على أمه ، ونحن أحْرَصُ شىءٍ على مُكْثه فينا ؛ لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أمَّه ، وقلت لها : لو تركتِ بُنَىَّ عِنْدى حتى يغلُظَ فانى أخشى عليه وَبَأ (٤) مكةَ ، قالت : فلم نَزَلْ بها حتى رَدَّته معنا ، قالت : فرجعنا به .

---

(١) « اربعى علينا » أى : أقيمى وانتظرى ، يقال : ربع فلان على فلان ، إذا أقام عليه وانتظره ، وقال عمر بن أبى ربيعة

* عوجى علينا واربعى يافاطما *

(٢) « لبن » أى : غزيرات اللبن

(٣) « جفرا » أى : غليظا شديدا ، ومنه الجفر والجفرة من المعز ، ويقال : هو الصبى ابن أربعة أعوام

(٤) الوبأ ـ مهموز ومقصور ـ كثرة الأمراض والموت ، كالوباء

شق صدره صلى الله عليه وسلم

فوالله إنه — بعدَ مَقْدمنا بأشهرٍ — مع أخيه لَفِي بَهْمٍ [(١)] لنا خلفَ بُيوتنا إذ أتانا أخوه يشتدُّ ، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشىُّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيضٌ فأضجعاه فشقّا بطنه ، فهما يَسُوطانه [(٢)] قالت : فخرجتُ أناوأبوه نحوه ، فوجدناه قائما مُنْتَقِعاً وَجْهُهُ [(٣)] قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يابنى ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى وشقّا بَطْنى، فالتمسا [فيه] شيئا لا أدرى ماهو ، قالت : فرَجَعْناإلى خبائنا ، قالت : وقال لىأبوه : ياحليمةُ ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فأَلْحِقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به .

حليمة تخاف فترجع به الى أمه

قالت : فاحتملناه فقدمنا به على أمه ، فقالت : ماأقدمك به ياظِئْرُ [(٤)] وقد كنت حريصةً عليه وعلى مُكثه عندك ؟ قالت : فقلت : نعم قد بَلَغَ الله بابنى وقَضَيْتُ الذى علىّ ، [(٥)] وتخوَّفْت الأحداث عليه ، فأدَّيْتُه عليك كما تحبين ، قالت : ماهذا شأنكِ فأصدقينى خبرك ،

(١) البهم — بفتح فسكون — الصغار من الغنم ، وواحدتها بهمة

(٢) « يسوطانه » قال أبو ذر : « يقال : سطت اللبن والدم وغيرهما أسوطه ، إذا ضربت بعضه ببعض وحركته ، واسم العود الذى يضرب به المسوط » اهـ

(٣) « منتقعا وجهه » أى : متغيرا ، يقال : انتقع وجه الرجل — بالبناء للمجهول — وامتقع — بالميم كذلك — إذا تغير

(٤) أصل الظئر الناقة التى تعطف على ولد غيرها فتدر عليه ، ثم أطلقوه على المرأة التى ترضع ولد غيرها

(٥) قال السهيلى : « وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر فيما ذكر أبو عمر ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداهما بعد تزوجه خديجة رضى الله عنها ، جاءته تشكو إليه السنة وإن قومها قدأسنتوا

قالت : فلم تَدَعْنى حتى أخبرتها ، قالت : أفتخوّفتِ عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كَلّاَ ! ! والله ماللشيطان عليه من سبيل ، وإن لبُنَيَّ لشأنا ، أفلا أخبرك خبره ؟ قالت : قلت : بلى ، قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج منى نورٌ أضاءلى [به] قصور بُصْرَى من أرض الشام ، (١) ثم حملت به ، فوالله مارأيت من حملٍ قط كان أخفَّ ولا أيسرَ منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضعٌ يده بالأرض ، رافعٌ رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلقى راشدةً

قال ابن إسحق : وحدثنى ثَوْرُ بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن مَعْدان الْكَلَاعىّ ، أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : يارسولَ الله ، أخبِرْنَا عن نفسك ، قال : « نعم ، أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وبُشْرَى أخى عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّى حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشَّامِ (١) ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِى بَنِى سَعْدِ ابْنِ بَكْرٍ ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا إِذْ

فكلم لها خديجة فأعطتها عشرين رأسا من الغنم وبكرات ، والمرة الثانية يوم حنين » اهـ كلامه

(١) قال السهيلى فى تأويل هذا النور : « ذلك مافتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره صلى الله عليه وسلم ؛ وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاص قبل المبعث بيسير نورا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر (البسر : جمع بسرة ولذلك أنث الفعل) فى نخيل يثرب ، فقصها على أخيه عمرو بن العاص ، فقال : إن زمزم حفيرة عبد المطلب ، وإن هذا النور منهم ؛ فكان ذلك سبب مبادرته إلى الاسلام » اهـ كلامه ، ويثرب : هى مدينة الرسول التى سطع فيها نوره بهجرته إليها صلى الله عليه وسلم .

أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجًا فَأَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي ، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ ، فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا ، ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ » قال : « ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ ، فَوَزَنْتُهُمْ ، ثم قال : زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ ، فَوَزَنْتُهُمْ ، فَقَالَ : دَعْهُ عَنْكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا »

رعى جميع الانبياء الغنم

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَامِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ (١) » قيلَ : وَأَنْتَ يارسول الله ؟ قال : « وَأَنَا » .

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : « أَنَا أَعْرَبُكُمْ ؛ أَنَا قُرَشِيٌّ وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ ابْنِ بَكْرٍ » .

اعتز النبي صلى الله عليه وسلم بقبيلته وبمن أرضع فيهم

قال ابن إسحق : وزعم الناس ، فيما يتحدثون ، والله أعلم ، أن أمه

---

(١) قال السهيلي بعد ذكر صحاح الأحاديث التي ثبت فيها أنه صلى الله عليه وسلم رعى الغنم : « وإنما جعل الله هذا في الأنبياء تقدمة لهم ، ليكونوا رعاة الخلق ، ولتكون أممهم رعايا لهم . وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يعني في منامه) أنه ينزع على قليب (القليب : البئر) وحولها غنم سود وغنم عفر ، قال : ثم جاء أبوبكر فنزع نزعا ضعيفا ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر ، فاستحالت غربا (يعني الدلو) فلم أر عبقريا يفري فريه ، فأولها الناس بالخلافة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية ، إذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم » اه كلام السهيلي رحمه الله

السعدية لما قدمت به مكةَ أضلها فى الناس وهى مُقْبِلَةٌ به نحو أهله ؛ فالتمسته ، فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إنى قد قَدِمْتُ بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضَلَّنى ، فوالله ما أدرى أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجده وَرَقَةُ بْنُ نوفل بن أسد ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ؛ فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة : يُعَوِّذُه ، ويَدْعُو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة

قوم من نصارى الحبشة يحاولون أخذ النبى من حليمة مرضعته

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن مما هاج أمه السعدية على رَدِّه إلى أمه — مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه — أن نفرًا من الحبشة نصارى رَأَوْهُ معها حين رجعت به بعد فِطَامِه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه ، وقلّبوه ، ثم قالوا لها : لَنَأْخُذَنَّ هذا الغلام فَلَنَذْهَبَنَّ به إلى ملكنا وبلدنا ؛ فان هذا غلام كائن له شأن ، نحن نعرف أمره ، فزعم الذى حدثنى أنها لم تكد تَنْفَلِتُ به منهم

مه آمنة بنت وهب

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجدِّه عبدِ المطلب بن هاشم فى كَلاَءة الله وحفظه يُنْبِته الله نَبَاتًا حَسَنًا ؛ لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سِتَّ سنين تُوفِّيت أمه آمنة بنت وهب

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن أمَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم آمنةَ توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين بالأبْواءِ بَيْنَ مكة والمدينةِ : كانت قد قَدِمَتْ به على أخواله من بنى عَدِىِّ بن النَّجَّار تُزِيرُهُ إياهم ، فماتت وهى راجعة به إلى مكة

قال ابن هشام : أمُّ عبد المطلب بن هاشم سَلْمَي بنت عمرو النجارية، فهذه الخؤلة التى ذكر ابنُ إسحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم

كفالة جده عبد المطلب له ورعايته إياه

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يُوَضعُ لعبد المطلب فِرَاشٌ فى ظل الكعبة ؛ فكان بَنُوه يَجْلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجْلالاً له ، قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جَفْرٌ حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنِي ؛ فوَاللهِ إنَّ لَهُ لشَأْنًا ، ثم يجلسه معه عليه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع

وفاة عبد المطلب ، وما رثى به من الشعر

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانِى سِنِينَ هَلَكَ عبدُ المطلب بن هاشم ، وذلك بعد الفيل بثمانى سنين

قال ابن إسحق : وحدثنى العبَّاس بنُ عبد الله بن مَعْبَد بن العباس ، عن بعض أهله ، أن عبد المطلب تُوُفِّىَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ ثمانى سنين

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن سَعيدبن المُسَيّب ، أن عبد المطلب لما حضرته الوفاةُ ، وعرف أنه ميت ؛ جمع بناته — وكُنَّ ستَّ نسوةٍ : صَفِيَّةَ ، وبَرَّة ، وعاتِكة ، وأمَّ حكيم البيضاء ، وأُمَيْمَةَ ، وأرْوَى — فقال لهن : ابْكِينَ عَلَيَّ حتَّى أسمع ماتَقُلْنَ قبل أن أموت

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه

صفية بنت عبد المطلب تبكى أباها

فقالت صفية ابنة عبد المطلب تبكى أباها : —

أَرِقْتُ لِصَوْتِ نَائِحَةٍ بِلَيْلٍ ... عَلَى رَجُلٍ بِقَارِعَةِ الصَّعِيدِ
فَفَاضَتْ عِنْدَ ذَلِكُمُ دُمُوعِى ... عَلَى خَدِّى كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ (١)
عَلَى رَجُلٍ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغْلٍ ... لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعَبِيدِ (٢)
عَلَى الْفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِى الْمَعَالِى ... أَبِيكِ الْخَيْرِ وَارِثِ كُلِّ جُودِ (٣)
صَدُوقٍ فِى الْمَوَاطِنِ غَيْرِ نِكْسٍ ... وَلَا شَخْتِ الْمَقَامِ وَلَا سَنِيدِ (٤)
طَوِيلِ الْبَاعِ أَرْوَعَ شَيْظَمِىٍّ ... مُطَاعٍ فِى عَشِيرَتِهِ حَمِيدِ (٥)
رَفِيعِ الْبَيْتِ أَبْلَجَ ذِى فُضُولٍ ... وَغَيْثِ النَّاسِ فِى الزَّمَنِ الْحَرُودِ (٦)
كَرِيمِ الْجَدِّ لَيْسَ بِذِى وُصُومٍ ... يَرُوقُ عَلَى الْمُسَوَّدِ وَالْمَسُودِ (٧)
عَظِيمِ الْحِلْمِ مِنْ نَفَرٍ كِرَامٍ ... خَضَارِمَةٍ مَلَاوِثَةٍ أُسُودِ (٨)

---

(١) تريد كالدر الذى انتثر

(٢) الوغل : الدنىء الساقط النذل

(٣) الفياض : الكريم الجواد . والخير : يحتمل وجهين : أحدهما أنها وصفته بالخير مبالغة ، والثانى أنها أرادت الخير — بتشديد الياء — خففت ، كما تقول فى هين ولين وقيل : قيل ولين وهين — بسكون الياء بعد تشديدها —

(٤) النكس : الضعيف ، والشخت : الدقيق الضامر ، والسنيد — : الدعى فى قومه

(٥) الشيظمى : الفتى الجسيم

(٦) يقال : حردت الابل ، إذا انقطعت ألبانها أو قلت ، وحردت السنة ، إذا قل ماؤها ، ومنه ناقة حرود ؛ شبه الزمن فى قلة خيره وشدة جدبه بالناقة الحرود ، ويروى « الجرود » بالجيم

(٧) الوصوم : جمع وصم ، وهو العار

(٨) الخضارمة : جمع خضرم — كزبرج — وهو الجواد المعطاء والسيد الحمول ، والملاوثة : الأشداء ، واحدهم ملواث

فَلَوْ خَلَدَ امْرُؤٌ لِقَدِيمِ مَجْدٍ ... وَلٰكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ
لَكَانَ مُخَلَّدًا أُخْرَى اللَّيَالِي ... لِفَضْلِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ التَّلِيدِ

وقالت بَرَّةُ بنت عبد المطلب تبكى أباها : —

برة بنت عبد المطلب تبكى أباها

أَعَيْنَيَّ جُودَا بِدَمْعٍ دُرَرْ ... عَلَى طَيِّبِ الْخِيمِ وَالْمُعْتَصَرْ (١)
عَلَى مَاجِدِ الْجَدِّ وَارِي الزِّنَادِ ... جَمِيلِ الْمُحَيَّا عَظِيمِ الْخَطَرْ
عَلَى شَيْبَةَ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ ... وَذِي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُفْتَخَرْ
وَذِي الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ فِي النَّائِبَاتِ ... كَثِيرِ الْمَكَارِمِ جَمِّ الْفَجَرْ (٢)
لَهُ فَضْلُ مَجْدٍ عَلَى قَوْمِهِ ... مُنِيرٌ يَلُوحُ كَضَوْءِ الْقَمَرْ
أَتَتْهُ الْمَنَايَا فَلَمْ تُشْوِهِ ... بِصَرْفِ اللَّيَالِي وَرَيْبِ الْقَدَرْ (٣)

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباها : —

عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباها

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَلَا تَبْخَلَا ... بِدَمْعِكُمَا بَعْدَ نَوْمِ النِّيَامْ
أَعَيْنَيَّ وَاسْحَنْفِرَا وَاسْكُبَا ... وَشُوبَا بُكَاءَ كُمَا بِالْتِدَامْ (٤)

---

(١) الخيم — بالكسر — السجية والطبيعة ؛ ومعنى كونه طيب المعتصر : أنه جواد عند المسألة

(٢) الفجر — بالجيم — العطاء والكرم والجود والمعروف والمال وكثرته .

(٣) « لم تشوه » أى : لم تصب أطرافه ، وإنما أصابت مقاتله ؛ ومنه حديث عبد المطلب السابق فى الاستهام على بنيه لذبح أحدهم « كان يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى » يقال : رمى فأشوى ؛ إذا لم يصب المقتل . والشوى — بفتح أوله — أطراف البدن كالرأس واليد والرجل ؛ الواحد شواة

(٤) الالتدام : ضرب النساء وجوههن فى النياحة ، ومنه حديث عائشة « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى حجرى ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهى »

أَعَيْنَىَّ وَاسْتَخْرِطَا وَاسْجُمَا ... عَلَى رَجُلٍ غَيْرِ نِكْسٍ كَهَامْ (١)
عَلَى الْجَحْفَلِ الْغَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ ... كَرِيمِ الْمَسَاعِي وَفِيِّ الذِّمَامْ (٢)
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ وَارِى الزِّنَادِ ... وَذِى مَصْدَقٍ بَعْدُ ثَبْتِ الْمَقَامْ
وَسَيْفٍ لَدَى الْحَرْبِ صَمْصَامَةٍ ... وَمُرْدِى الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْخِصَامْ (٣)
وَسَهْلُ الْخَلِيقَةِ طَلْقُ الْيَدَيْنِ ... وَفِى عُدْمُلِيٌّ صَمِيمٌ لُهَامْ (٤)
تَبَنَّكَ فِي بَاذِخٍ بَيْتُهُ ... رَفِيعُ الذُّؤَابَةِ صَعْبُ الْمَرَامْ (٥)

وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكى أباها : —

أم حكيم البيضاء تبكى أباها

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِى وَاسْتَهِلِّى ... وَبَكِّى ذَا النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ (٦)
أَلَا يَا عَيْنُ ، وَيْحَكِ ، أَسْعِفِينِى ... بِدَمْعٍ مِنْ دُمُوعٍ هَاطِلَاتِ
وَبَكِّي خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ... أَبَاكِ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفُرَاتِ (٧)

---

(١) الكهام : الرجل الكليل المسن ، تريد : أنه ليس بنكس - أى : ضعيف - ولا كليل

(٢) الجحفل : الرجل العظيم والسيد الكريم ، والغمر : الكريم الكثير العطاء

(٣) « مردى » اسم فاعل من أرداه ، أى : أهلكه ، فهو على هذا بضم الميم ، ويجوز أن يكون بكسرها ، والمردى : الحجر الذى يقتل من أصيب به . وفى المثل كل ضب عنده مرداته

(٤) « وفى » أصله بتشديد الياء خففتها ليستقيم لها الوزن ، والعدملى : الضخم ، واللهام - كغراب - كثير الخير

(٥) « تبنك » أى : تأصل ، مأخوذ من البنك - بضم الباء - وهو أصل الشيء وخالصه ، والباذخ : العالى ، والذؤابه : أعلى الشيء ، و « صعب المرام » أى : لا يقدر على طلبه أحد ، تريد أنه لا يلحق ولا يجارى

(٦) « بكى » فعل أمر من بكاه - بالتشديد - بكى عليه ورثاه

(٧) « الخير » بتخفيف الياء - أصله الخير - بالتشديد - خففت الياء ،

طَوِيلَ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا الْمَعَالِي　　كَرِيمَ الْخِيمِ مَحْمُودَ الْهِبَاتِ
وَصُولاً لِلْقَرَابَةِ هِبْرِزِيًّا　　وَغَيْثًا فِي السِّنِينَ الْمُمْحِلاَتِ (١)
وَلَيْثًا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي　　تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاظِرَاتِ
عَقِيلُ بَنِي كِنَانَةَ وَالْمُرَجَّى　　إِذَا مَا الدَّهْرُ أَقْبَلَ بِالْهَنَاتِ
وَمَفْزَعُهَا إِذَا مَاهَاجَ هَيْجٌ　　بِدَاهِيَةٍ وَخَصْمُ الْمُعْضِلاَتِ (٢)
فَبَكِّيهِ وَلاَ تَسَمِي بِحُزْنٍ　　وَبَكِّي مَابَقِيتِ الْبَاكِيَاتِ (٣)

وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكى أباها :—

اميمة تبكى أباها عبد المطلب

أَلاَ هَلَكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو الْفَقْدِ
وَسَاقِي الْحَجِيجِ وَالْمُحَامِي عَنِ الْمَجْدِ (٤)
وَمَنْ يُؤْلِفُ الضَّيْفَ الْغَرِيبَ بُيُوتَهُ
إِذَا مَاسَمَاءُ النَّاسِ تَبْخَلُ بِالرَّعْدِ

ومنه فى التنزيل : (خيرات حسان) (وانظر ص١٨١ ﻫ ٣) و « تيار » هو معظم الماء ، و « الفرات » الماء العذب

(١) الهبرزى : الجميل الوسيم ، أو الحاذق فى أموره ، وأصله الأسوار من أساورة الفرس

(٢) « مفزعها » أصله اسم مكان من فزع يفزع ، أى : أنه المكان الذى يفزعون إليه إذا نزلت نازلة فيأمنون عنده . و « هاج هيج » نارت نائرة وقام حرب . والمعضلات : الأمور الشداد التى لايعرف وجه الخلاص منها

(٣) « ولاتسمى » أى : لاتسأمى ، فسهل الهمزة بعد نقل حركتها إلى ماقبلها فصارت ألفا ، ثم حذف هذه الألف

(٤) « الراعى العشيرة » معناه الحافظ لها القائم بأمورها . والحجيج : اسم لجماعة الحجاج

كَسَبْتَ وَلِيدًا خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَتَى
فَلَمْ تَنْفَكِكْ تَزْدَادُ يَاشَيْبَةَ الْحَمْدِ
أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَّاضُ خَلَّي مَكَانَهُ
فَلاَ تَبْعَدَنْ فَكُلُّ حَيٍّ إِلَى بُعْدِ (١)
فَإِنِّي لَبَاكٍ ، مَا بَقِيتُ ، وَمُوجَعٌ
وَكَانَ لَهُ أَهْلاً لِمَا كَانَ مِنْ وَجْدِي (٢)
سَقَاكَ وَلِيُّ النَّاسِ فِي الْقَبْرِ مُمْطِراً
فَسَوْفَ أُبَكِّيهِ وَإِنْ كَانَ فِي اللَّحْدِ
فَقَدْ كَانَ زَيْناً لِلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا وَكَانَ حَمِيداً حَيْثُمَا كَانَ مِنْ حَمْدِ

وقالت أرْوَى بنت عبد المطلب تبكى أباها : —

أروى تبكى أباها عبد المطلب

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا الْبُكَاءُ عَلَى سَمْحٍ سَجِيَّتُهُ الْحَيَاءُ (٣)
عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِيٍّ كَرِيمِ الْخِيمِ نِيَّتُهُ الْعَلاَءُ (٤)
عَلَى الْفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي أَبِيكِ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ (٥)

(١) الفياض : الكثير العطاء ، ومثله الفيض من باب الوصف بالمصدر

(٢) أخبرت عن نفسها إخبار المذكر على إرادة الشخص ، كما قالت الأخرى : ـ

قَامَتْ تُبَكِّيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِيَ مِنْ بعدكَ يَاعَامِرُ
تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

تريد شخصا ذا غربة ، قاله أبو ذر

(٣) السمح : الكريم ، والسجية : الطبيعة

(٤) « أبطحى » أى : منسوب إلى قريش البطاح ، وهم الذين ينزلون بين أخشبى مكة ، والبطحاء : المكان السهل منها

(٥) « ليس له كفاء » أى : لانظير له ولا مثل

طَوِيلِ الْبَاعِ أَمْلَسَ شَيْظَمِيٍّ أَغَرَّ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ (١)
أَقَبِّ الْكَشْحِ أَرْوَعَ ذِى فُضُولٍ لَهُ الْمَجْدُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَاءُ (٢)
أَبِيِّ الضَّيْمِ أَبْلَجَ هِبْرِزِىٍّ قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ (٣)
وَمَعْقِلِ مَالِكٍ وَرَبِيعِ فِهْرٍ وَفَاصِلِهَا إِذَا الْتُمِسَ الْقَضَاءُ (٤)
وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَماً وَجُوداً وَبَأْساً حِينَ تَنْسَكِبُ الدِّمَاءُ (٥)
إِذَا هَابَ الْكُمَاةُ الْمَوْتَ حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَ أَكْثَرِهِمْ هَوَاءُ (٦)
مَضَى قُدُمًا بِذِى رُبَدٍ خَشِيبٍ عَلَيْهِ، حِينَ تُبْصِرُهُ، الْبَهَاءُ (٧)

قال ابن إسحق : فزعم لى محمد بن سعيد بن المسيّب أنه أشار برأسه وقد أصْمَتَ (٨) : أنْ هَكَذَا فابكينى

(١) شيظمى : فصيح

(٢) « أقب » من القبب ، وهو دقة الخصر ، والأروع : من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته كالرائع ، والجمع أراوع

(٣) « أبى الضيم » أى : لايقبل الذل ولا يرضاه ، والأبلج : الواضح و « ليس به خفاء » فى بعض النسخ « ليس له خفاء »

(٤) الفاصل : بالصاد المهملة ـ الذى يقضى فى الخصومات ؛ وفى بعض النسخ « وفاضلها »

(٥) « تنسكب الدماء » أى : تسيل ، وأرادت وقت الهيجاء وحين اشتداد الخطوب

(٦) الكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، سمى بذلك لأنه يستتر فى دروعه .

(٧) الربد ـ كصرد ـ الطرائق فى السيف ، وأرادت بذى ربد سيفا ؛ والخشيب : الصقيل ، وقوله « البهاء » روى أبو ذر فى مكانها « الهباء » بتقديم الهاء ، وقال : « والهباء : مايظهر على السيف المجوهر تشبيها بالغبار ومن رواه البهاء فهو حسن الهيئة » اه كلامه

(٨) يقال : أصمت المريض : إذا اعتقل لسانه وشارف الموت

نسب المسيب ابن حزن

قال ابن هشام : المسيب : ابن حزن بن أبى وَهْب بن عَمْرو بن عائذ ابن عِمْرَان بن مَخْزوم .

قال ابن إسحق : وقال حُذَيْفَةُ بن غانم ، أخو بنى عَدِىٍّ بن كَعْب ابن لؤَى ، يبكى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويذكر فضله ، وفضل قُصَىٍّ على قريش ، وفضل ولده من بعده عليهم ، وذلك أنه أُخذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة ، فوقف بها ، فمر به أبو لهب عَبْدُ العُزّى بن عبد المطلب فافتَكَّه : —

أَعَيْنَىَّ جُودَا بِالدُّمُوعِ عَلَى الصَّدْرِ ... وَلاَ تَسْأَمَا أُسْقِيتُمَا سَبَلَ القَطْرِ

وَجُودَا بِدَمْعٍ وَاسْفَحَا كُلَّ شَارِقٍ ... بُكَاءَ امْرِىءٍ لَمْ يُشْوِهِ نَائِبُ الدَّهْرِ (١)

عَلَى رَجُلٍ جَلْدِ القُوَى ذِى حَفِيظَةٍ ... جَمِيلِ الْمُحَيَّا غَيْرِ نِكْسٍ وَلاَ هَذْرِ

عَلَى الْمَاجِدِ الْبُهْلُولِ ذِى الْبَاعِ وَاللُّهَا ... رَبِيعِ لُؤَىٍّ فِى الْقُحُوطِ وَفِى الْعُسْرِ (٢)

عَلَى خَيْرِ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلٍ ... كَرِيمِ الْمَسَاعِى طَيِّبِ الْخِيمِ وَالنَّجْرِ (٣)

وَخَيْرِهِمُ أَصْلاً وَفَرْعًا وَمَعْدِنًا ... وَأَحْظَاهُمُ بِالْمَكْرُمَاتِ وَبِالذِّكْرِ

---

(١) « كل شارق » منصوب على الظرفية ، أى : فى كل شارق ؛ وأراد عند طلوع شمس كل يوم و « أشوى » : أصاب الشوى ولم يصب المقتل وفى بعض النسخ زيادة بيت بعدهذا ، وهو قوله : —

وَسُحَّا وَجُمَّا وَاسْجُمَا مَا بَقِيتُمَا ... عَلَى ذِى حَيَاءٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَذِى سِتْرِ

(٢) البهلول : السيد الجامع لكل خير ، واللها : جمع لهوة - بضم اللام وفتحها - وهى العطية ؛ ويروى « والندى » وهو العطاء ، ويروى « والنهى » وهو جمع نهية بمعنى العقل

(٣) النجر : الأصل أو الطبع

وَأَوْلاَهُمُ بِالجِدِّ وَالحِلْمِ وَالنُّهَى
وَبِالفَضْلِ عِنْدَ المُجْحِفَاتِ مِنَ الغُبْرِ (١)
عَلَى شَيْبَةِ الحَمْدِ الَّذِى كَانَ وَجْهُهُ يُضِىءُ سَوَادَ اللَّيْلِ كَالْقَمَرِ البَدْرِ
وَسَاقِى الحَجِيجِ ثُمَّ لِلْخَيْرِ هَاشِمٌ
وَعَبْدِ مَنَافٍ ذٰلِكَ السَّيِّدُ الفِهْرِى (٢)
طَوَى زَمْزَمًا عِنْدَ المَقَامِ فَأَصْبَحَتْ
سِقَايَتُهُ فَخْرًا عَلَى كُلِّ ذِى فَخْرِ
لِيَبْكِ عَلَيْهِ كُلُّ عَانٍ بِكُرْبَةٍ وَآلُ قُصَىٍّ مِنْ مُقِلٍّ وَذِى وَفْرِ (٣)
بَنُوهُ سَرَاةٌ . كَهْلُهُمْ وَشَبَابُهُمْ تَفَلَّقَ عَنْهُمْ بَيْضَةُ الطَّائِرِ الصَّقْرِ
قُصَىٌّ الَّذِى عَادَى كِنَانَةَ كُلَّهَا وَرَابَطَ بَيْتَ اللهِ فِى العُسْرِ وَاليُسْرِ
فَإِنْ تَكُ غَالَتْهُ المَنَايَا وَصَرْفُهَا
فَقَدْ عَاشَ مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ وَالأَمْرِ (٤)
وَأَبْقَى رِجَالاً سَادَةً غَيْرَ عُزَّلٍ
مَصَالِيتَ أَمْثَالَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ (٥)

---

(١) المجحفات : جمع مجحفة ، وهى السنة التى تذهب بالأموال ، والغبر : جمع غبراء ، وهى السنة المجدبة

(٢) روى « ذلك السيد الفهرى » بالفاء ، وهو المنسوب إلى فهر ، وروى « القهر » وهو مصدر قهره يقهره إذا غلبه ، وصفه به مبالغة ، وذلك كما تقول : رجل عدل ، ورجل صوم ، ورجل فطر

(٣) العانى : الأسير ؛ وذو الوفر : صاحب المال الوفير

(٤) « غالته المنايا » أى : ذهبت به وأهلكته ؛ و « ميمون النقيبة » أى : منجح الفعال مظفر المطالب ، وأصل النقيبة : النفس

(٥) عزل : ضعاف لاسلاح معهم ، ومصاليت : جميع مصلات ، وهو الرجل الماضى فى الحوائج ، والردينية : الرماح

أَبُو عُتْبَةَ المُلْقِي إِلَيَّ حِبَاءَهُ ... أَغَرّ هِجَانُ اللَّوْنِ مِنْ نَفَرٍ غُرِّ (١)
وَحَمْزَةُ مِثْلُ البَدْرِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ... نَقِيُّ الثِّيَابِ وَالذِّمَامِ مِنَ الْغَدْرِ
وَعَبْدُ مَنَافٍ مَاجِدٌ ذُو حَفِيظَةٍ
وَصُولٌ لِذِي القُرْبَى رَحِيمٌ بِذِي الصِّهْرِ
كُهُولُهُمُ خَيْرُ الْكُهُولِ وَنَسْلُهُمْ
كَنَسْلِ الْمُلُوكِ لاَ تَبُورُ وَلاَ تَحْرِى (٢)
مَتَي مَاتُلاَقِ مِنْهُمُ الدَّهْرَ نَاشِئاً
تَجِدْهُ بِإِجْرِيَّا أَوَائِلِهِ يَجْرِى (٣)
هُمُ مَلأُوا الْبَطْحَاءَ مَجْداً وَعِزَّةً
إِذَا اسْتُبِقَ الْخَيْرَاتُ فِي سَالِفِ الْعَصْرِ
وَفِيهِمْ بُنَاةٌ لِلْعُلاَ وَعِمَارَةٌ
وَعَبْدُ مَنَافٍ جَدُّهُمْ جَابِرُ الْكَسْرِ
بِإِنْكَاحِ عَوْفٍ بِنْتَهُ لِيُجِيرَنَا ... مِنَ أَعْدَائِنَا إِذْ أَسْلَمَتْنَا بَنُو فِهْرِ
فَسِرْنَا تِهَامِيَّ الْبِلاَدِ وَنَجْدَهَا
بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتِ الْعِيرُ فِي الْبَحْرِ (٤)

---

(١) الحباء ـ بكسر الحاء ـ العطاء ، و « هجان اللون » أبيض ، و « غر » جمع أغر

(٢) « تحرى » أى : لاتهلك ولا تنقص ، وفى الحديث « مازال جسم أبى بكر يحرى حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم » أى : ينقص لحمه حتى مات

(٣) الاجريا : العادة والطريقة ، ومايجرى عليه من أفعال آبائه ويتعوده وهو بكسر الهمزة وسكون الجيم وكسر الراء وتشديد الياء المثناة ؛ وهو بعد ذلك يمد ويقصر

(٤) تهامى البلاد : ما انخفض منها ، ونجدها : ما علا منها ، وهما

وَهُمْ حَضَرُوا وَالنَّاسُ بَادٍ فَرِيقُهُمْ   وَلَيْسَ بِهَا إِلاَّ شُيُوخُ بَنِي عَمْرِو
بَنَوْهَا دِيَارًا جَمَّةً وَطَوَوْا بِهَا
بِئَارًا تَسحُّ الْمَاءَ مِنْ ثَبَجِ الْبَحْرِ (١)
لِكَيْ يَشْرَبَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا وَغَيْرُهُمْ
إِذَا ابْتَدَرُوهَا صُبْحَ تَابِعَةِ النَّحْرِ
ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تَظَلُّ رِكَابُهُمْ
مُخَيَّسَةً بَيْنَ الْأَخَاشِبِ وَالْحِجْرِ (٢)
وَقِدْمًا غَنِينَا قَبْلَ ذَٰلِكَ حِقْبَةً   وَلاَ نَسْتَقِي إِلاَّ بِخُمٍّ أَوِ الْحَفْرِ (٣)
وَهُمْ يَغْفِرُونَ الذَّنْبَ يُنْقَمُ دُونَهُ
وَيَعْفُونَ عَنْ قَوْلِ السَّفَاهَةِ وَالْهُجْرِ (٤)
وَهُمْ جَمَعُوا حِلْفَ الْأَحَابِيشِ كُلِّهَا
وَهُمْ نَكَّلُوا عَنَّا غُوَاةَ بَنِي بَكْرِ (٥)

منصوبان على الظرفية ، وقوله « بأمنه » فان هذا الشاعر قد حذف حرف الاشباع من الضمير حين اضطر إلى ذلك ، ومثله بيت أنشده سيبويه

سَأَجْعَلُ عَيْنَيْهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعَا

وربما حذفوا الواو من « هو » والياء من « هى » إذا اضطروا أيضا وذلك كقول الآخر :ـ

فَبَيْنَاهُ يَشْرِى رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ

أراد « فبينا هو » فحذف على ما ذكرنا

(١) ثبج البحر : معظمه ، ويروى «ثبج بحر» على الوصف بغير إضافة

(٢) « مخيسة » مذللة ، ويروى « محبسة » بالحاء المهملة والباء الموحدة والأخاشب : جبال بمكة ، وهما أخشبان ، ولكنه أرادهما بما حولها فجمع

(٣) خم والحفر : بئران ، وتقدم الكلام عليهما

(٤) الهجر : القبيح من الكلام الفاحش

(٥) الأحابيش : أحياء القارة ، انضموا إلى بنى ليث فى محاربتهم قريشا ،

نَخَارِجَ ، إِمَّا أَهْلِكَنَّ فَلَا تَزَلْ
لَهُمْ شاَكِرًا حَتَّى تُغَيَّبَ فِى الْقَبْرِ (١)
وَلاَ تَنْسَ مَاأَسْدَى ابْنُ لُبْنَى فَإِنَّهُ
قَدَ أَسْدَى يَدًا مَحْقُوقَةً مِنْكَ بِالشُّكْرِ (٢)
وَأَنْتَ ابْنَ لُبْنَى مِنْ قُصَىٍّ إِذَا انْتَمَوْا
بِحَيْثُ انْتَهَى قَصْدُ الْفُؤَادِ مِنَ الصَّدْرِ
وَأَنْتَ تَنَاوَلْتَ الْعُلاَ فَجَمَعْتَهَا إِلَى مَحْتِدٍ الْمَجْدِ ذِى ثَبَجٍ جَسْرِ (٣)
سَبَقْتَ وَفُتَّ الْقَوْمَ بَذْلاً وَنَائِلاً وَسُدْتَ وَلِيدًا كُلَّ ذِى سُؤْدَدٍ غَمْرِ
وَأُمكَ سِرٌّ مِنْ خُزَاعَةَ جَوْهَرٌ
إِذَا حَصَّلَ الْأَنْسَابَ يَوْمًا ذَوُو الْخُبْرِ (٤)
إِلَى سَبَأ الْأَبْطَالِ تُنْمَى وَتَنْتَمِى فَأَكْرِمْ بِهَا مَنْسُوبَةً فِى ذُرَا الزُّهْرِ
أَبُو شَمِرٍ مِنْهُمْ وَعَمْرُو بْنُ مَالِكٍ وَذُو جَدَنٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجَبْرِ (٥)

وقيل : حالفوا قريشا تحت جبل يسمى حبشيا ، فسموا بذلك ، قال أبو ذر : « والأحابيش : من حالفوا قريشا من القبائل ودخل فى عقدها وذمتها » اه

وقوله « نكلوا » أى : صرفوا وزجروا

(١) « نخارج » أراد ياخارجة ، فحذف حرف النداء ورخم ، قاله أبو ذر .

(٢) « محقوقة » يريد أنها تستحق الشكر وتستوجبه ، وفى بعض النسخ « محفوفة » بالفاء بدل القاف

(٣) جسر : ماض فى أموره قوى عليها

(٤) « وأمك سر » أى : خالصة النسب ، والخبر ـ بالضم ـ العلم

(٥) قال أبو ذر : « أبو شمر وعمرو وذو جدن وأبو الجبر وأسعد : كلهم من ملوك اليمن ، وأسعد كان أعظمهم » اه

وقال السهيلى : «أسعد : هو أسعد أبو حسان بن أسعد ، وقد تقدم فى التبابعة ،

وَأُسْعَدُ قَادَ النَّاسَ عِشْرِينَ حِجَّةً ... يُؤَيَّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنَّصْرِ (١)

قال ابن هشام : قوله « أمك سر من خزاعة » يعنى أبا لهب : أمه لُبْنَى بنت هاجر الخزاعى ، وقوله « بإجْرِيًّا أوائله » عن غير ابن إسحق

مطرود الخزاعى يرثى عبد المطلب

قال ابن إسحق : وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى عبد المطلب و بنى عبد مناف :

يَاأَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوِّلُ رَحْلَهُ ... هَلاَّ سَأَلْتَ عَنَ آلِ عَبْدِ مَنَافِ

هَبِلَتْكَ أُمُّكَ لَوْ حَلَلْتَ بِدَارِهِمْ ... ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِقْرَافِ (٢)

الْمُنْعِمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ ... وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِيلَافِ

وَالْمُطْعِمِينَ إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ ... حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَّافِ (٣)

وكذلك أبو شمر ، وشمر هو الذى بنى سمرقند ، وأبوه مالك ، يقال له الأملوك ، ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغسانى والد الحرث ، وعمرو ابن مالك الذى ذكره أحسبه عمرا ذا الأذعار ، وأبو جبر : ملك من ملوك اليمن » اه كلامه باختصار

(١) قال السهيلى : « وإنما جعل هؤلاء مفخراً لأبى لهب لأن أمه خزاعية من سبأ ، والتبابعة كلهم من حمير بن سبأ » اه

(٢) يقال : هبلته أمه تهبله هبلا ـ بالتحريك ـ أى : ثكلته ، وتارة يستعمل بمعنى المدح والاعجاب ، وما هنا من الأول ، وقوله « ضمنوك من جرم ومن إقراف » أى : منعوك من أن تنكح بناتك وأخواتك من لئيم فيكون الابن مقرفا للؤم أبيه وكرم أمه فيلحقك وصم من ذلك ، ويروى فى بعض النسخ بعد هذا البيت بيت آخر ، وهو قوله : —

الْخَالِطِينَ غَنِيَّهُمْ بِفَقِيرِهِمْ ... حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِى

(٣) « تناوحت » تقابلت ، يقال : تناوح الجبلان ، إذا تقابلا ، والرجاف : البحر ، سمى بذلك لأنه يرجف ، أى : يضطرب

إِنَّا هَلَكْتَ، أَبَا الْفِعَالِ، فَمَا جَرَى   مِنْ فَوْقِ مِثْلِكَ عَقْدُ ذَاتِ نِطَافِ (١)
إِلاَّ أَبِيكَ أَخِي الْمَكَارِمِ وَحْدَهُ   وَالْفَيْضِ مُطَّلِبٍ أَبِي الْأَضْيَافِ (٢)

فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى زمزم والسِّقاية عليها بعده العبَّاسُ بن عبد المطلب ، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنًّا ، فلم تزل إليه حتى قام الاسلام وهى بيده ، فأقرَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم له على مامضى من ولايته ؛ فهى إلى آل العباس بولاية العباس إياها إلى هذا اليوم

النبى صلى الله عليه وسلم فى كفالة عمه أبى طالب

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عبد المطلب مع عمه أبى طالب ، وكان عبد المطلب — فيما يزعمون — يوصى به عمه أبا طالب ، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا طالب أخَوَانِ لأب وأم ، أمُّهُمَا : فاطمة بنت عَمْرو بن عائذ بن عَبْد بن عِمْران ابن مَخزوم

قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن مخزوم .

قال ابن إسحق : وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله وسلم بعد جده ؛ فكان إليه ومعه

قال ابن إسحق : وحدثنى يَحْيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبَيْر ، أن أباه حدثه ، أن رجلا من لِهْبٍ (قال ابن هشام : ولِهْبٌ من أزْد شنوءة)

---

(١) قال أبو ذر : « من روى عقد بكسر العين فالنطاف: جمع نطفة ، وهى القرط الذى يعلق فى الأذن ، ومن روى عقد بفتح العين فالنطاف: جمع نطفة من الماء وهى القليل الصافى »

(٢) « أبى الأضياف » يريد أنه كالأب لهم ، والعرب تقول لكل جواد أبو الأضياف ؛ قال مرة بن محكان : —

أُدْعَى أَبَاهُمْ وَلَمْ أُقْرَفْ بِأُمِّهِمُ   وَقَدْ عَمَرْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبَا

كان عائفا [١] فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش [٢] بغلمانهم ينظر إليهم ، ويعتافُ لهم فيهم ، قال : فأتى به أبو طالب — وهو غلام — مع من يأتيه ؛ فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شَغَله عنه شىء ، فلما فرغ قال : الْغُلَامَ ، عَلَىَّ به ، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غَيَّبه عنه ، فجعل يقول : وَيْلَكُمْ !! ردُّوا علىَّ الغلام الذى رأيت آنِفاً ، فوالله ليكونَنَّ له شأن ، قال : فانطلق أبو طالب

قصة بحيرى

النبي يتعلق بعمه أبي طالب ليأخذه معه إلى الشام

قال ابن إسحق : ثم إن أبا طالب خرج فى رَكْب تاجراً إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صَبَّ [٣] به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يزعمون ، فرَقَّ له ، وقال : والله لأخْرُجَنَّ به معى ، ولا يفارقنى ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال ، فخرج به معه ، فلما نزل الركب بُصْرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرى فى صومعة له ، وكان إليه علمُ أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصَّوْمعة منذ قط راهبٌ إليه

بحيرى الراهب يكرم الركب الذى فيه النبى

(١) يريد أنه كان صادق الحدس والظن ، كما يقال لمن يصيب بظنه : ماهو إلا كاهن ، وللبليغ فى قوله : ماهو إلا ساحر ؛ وأصل العيافة : زجر الطير ، وبنو لهب من أعرف الناس بها ، وفيهم يقول الشاعر :ـ

خَبِيرٌ بَنِى لِهْبٍ فَلَا تَكُ مُلْغِيًا ... مَقَالَةَ لِهْبِىٍّ إِذَا الطَّيْرُ مَرَّتِ

ويقول آخر :ـ

سَأَلْتُ أَخَا لِهْبٍ لِيَزْجُرَ زَجْرَةً ... وَقَدْ رُدَّ زَجْرُ الْعَالَمِينَ إِلَى لِهْبِ

(٢) فى بعض النسخ « رجال من قريش »

(٣) « صب به » من الصبابة ، وهى رقة الشوق ، أى : اشتد ميله إليه ورق قلبه له ، وفى بعض الروايات « ضبث به » أى : لزمه وتعلق به ، وفى رواية ثالثة ذكرها أبو ذر « ضب به » وهى قريبة المعنى من سابقتها

يصير علمهم عن كتاب فيها ، فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى ، وكانوا كثيراً مايمرُّون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ؛ فلما نزلوا به قريباً من صَوْمعته صَنَعَ لهم طعاماً كثيراً ، وذلكَ —فيما يزعمونَ— عن شيء رآه وهو فى صَوْمَعته : يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صومعته فى الركب حين أقبلوا وغمامَةٌ تُظِلُّه من بين القوم ، قال : ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصَّرت (١) أغصانُ الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بَحِيرى نزل من صَوْمعته [وقد أمر بذلك الطعام فصنع] ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إنى قد صنعت لكم طعاماً يامعشرَ قريشٍ ؛ فأنا أحب أن تحضُروا كلُّكم صغيرُكم وكبيرُكم وعبدُكم وحُرّكم ، قال له رجل منهم : والله ، يا بحيرى ، إنَّ لك لشأناً اليومَ ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً ! ! فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضَيفٌ وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم ؛ فاجتمعوا إليه ، وتخلَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم — لحداثة سنه — فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى فى القوم ولم ير الصِّفَةَ التى يَعرفُ ويجدُ عنده قال : يا معشرَ قريشٍ ، لايتخلفنَّ أحد منكم عن طعامى ، قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلَّف عنك أحدٌ ينبغى له أن يأتيك إلا غُلاماً وهو أحدث القوم سنًّا فتخلَّف فى رحالهم ، فقال : لاتفعلوا ، أُدْعُوه فليَحْضُر هذا الطعام معكم ، قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللاَّتِ والْعُزَّى

---

(١) « تهصرت » قال أبو ذر : « تهصرت أغصان الشجرة : أى مالت وتدلت ، تقول : هصرت الغصن ، إذا جذبته إليك حتى يميل » اه

إنْ كان لَلُؤْمٌ بنا أن يتخلَّف ابنُ عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه (١) ، وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ، و ينظر إلى أشياء من جسده ، وقد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى فقال له : ياغلام ، أسألك بحقِّ اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، و إنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئاً ، فَوَ اللهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئاً قَطُّ بُغْضَهُمَا » فقال بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، فقال له : « سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ » فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه ، وهيئته ، وأموره ؛ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده

قال ابن هشام : وكان مثل أثر المحجم (٢)

قال ابن إسحق : فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له : ماهذا الغلام منك ؟ قال : ابنى ، قال له بحيرى : ماهو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، قال : فانه ابن أخى ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبْلى به ، قال : صدَقْتَ فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فو اللهِ لئِنْ رأَوْه وعرَفُوا منه ماعرفت لَيَبْغُنَّهُ شرا ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم ، فأسْرِعْ به إلى بلاده ؛ فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكةَ حين فرغ من تجارته بالشأم

بحيرى ينصح لأبى طالب بالعودة بالنبى

---

(١) « احتضنه » أى : أخذه مع حضنه ، أى : جنبه

(٢) قال السهيلى « يعنى أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئا وفى الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود » اه ، وقال أبو ذر : « المحجم : الآلة التى يحجم بها ، والحجم : المصدر » اه

قوم من أهل الكتاب يحاولون إيذاء النبي فيردهم بحيرى

فزعموا ، فيما روى الناس ، أن زُرَيْرًا وتَمَّاماً ودَرِيساً — وهم نفرٌ من أهل الكتاب — قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مارآه بحيرى ، فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ، فأرادوه ، فردهم عنه بحيرى ، وذكَّرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجْمَعُوا لما أرادوا به لم يَخْلُصوا إليه ، ولم يزل بهم حتى عرفوا ماقال لهم ، وصَدَّقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه

كلاءة الله تعالى نبيه وحفظه منذ نشأته

فَشَبَّ رسول صلى الله عليه وسلم والله تعالى يَكْلَؤُه ويَحْفَظُه ويَحُوطه من أقذار الجاهلية ؛ لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أنْ كانَ رجلاً أفضلَ قومه مروءةً ، وأحسنَهُمْ خُلُقًا ، وأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا ، وَأَحْسَنَهُمْ جِوَارا ، وأعظمهم حلماً ، وأصْدَقَهُمْ حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفُحْش والأخلاق التى تدنس الرجال تَنَزُّهاً وتَكَرُّماً ، حتى ماآسمه فى قومه إلا « الأمين » لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر لى ، يحدِّث عمَّا كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته أنه قال : « لَقَدْ رَأَيْتُنى فى غِلْمَانِ قريشٍ نَنْقُلُ حجارةً لبعض مَايَلْعَبُ به الغلمان ، كُلُّنَا قد تَعَرَّى وأخذ إزَارَهُ فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة : فانى لَأُقْبِلُ مَعَهُمْ كذلك وأُدْبِرُ إذْ لَكَمَنى (١) لاكمٍ ماأراهُ لَكْمةً وجيعةً ؛ ثم قال : شُدَّ عَلَيْكَ إزَارَكَ ، قال : فأخذتُهُ وشَدَدْتُه علىّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى ، وإزارى علىَّ من بين أصحابى » (٢)

---

(١) قال أبو ذر : « إذ لكمنى ، أى : لكزنى »

(٢) قال السهيلى : هذه القصة إنما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بنيان الكعبة ، كان عليه السلام يحمل الحجارة وإزاره مشدود عليه ؛

حرب الفجار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرْبَعَ عَشْرَةَ سنة ، أو خمس عشرة سنة ، فيما حدثنى أبو عُبَيْدة النحوىّ ، عن أبى عمرو ابن العلاء ؛ هاجَتْ حربُ الفِجَارِ (١) بين قريش ومن معها من كِنَانَةَ ، وبين قَيْس عيلان ، وكان الذى هاجها أن عروة الرَّحَّال بن عُتْبة بن جَعْفر بن كلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن مُعَاوية بن بكر

فقال له العباس : ياابن أخى ، لو جعلت إزارك على عاتقك . ففعل ، فسقط مغشيا عليه ، ثم قال : إزارى ، إزارى ، فشد عليه إزاره ، وقام يحمل الحجارة ، وفى آخر أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه ، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودى من السماء أن اشدد إزارك يامحمد ، وإنه لأول مانودى : ولعل هذا وقع له صلى الله عليه وسلم مرتين : فى حال صغره ، وعند بنيان الكعبة » اه ومن ذلك ماذكره صاحب عيون الأثر بسنده وابن عساكر يصل به إلى على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما هممت بشىء مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر ، كلتاهما عصمنى الله عز وجل منهما ، أى : من فعلهما ، قلت ليلة لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى غنم لأهله يرعاها : أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان ، قال : نعم ، فخرجت ، فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء ، وصوت دفوف ، ومزامير ، فقلت : ماهذا ؟ فقالوا : فلان تزوج فلانة ، لرجل من قريش ، فلهوت بذلك الصوت ، حتى غلبتنى عينى ، فنمت ، فما أيقظنى إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبى ، فقال : مافعلت ؟ فأخبرته ، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماهممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية ، حتى كرمنى الله عز وجل بنبوته »

(١) قال السهيلى : « الفجار — بكسر الفاء — بمعنى المفاجرة ، كالقتال والمقاتلة ، وذلك لأنه كان قتالا فى الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعا ، فسمى

ابن هوَازن أجارَ لَطيمةً [١] للنعمان بن المنذر ، فقال له الْبَرَّاض بن قَيْس أحدُ بنى ضَمْرة بن بكر بن عَبْدمَنَاةَ بن كنانة : أتجيرُها على كنانة ؟ قال : نعم وعلى الخلق كله] فخرج فيها عُرْوة الرَّحَّال ، وخرج الْبَرَّاض يطلب غَفْلته ، حتى إذا كان بتَيْمَن ذِى طَلاَّل [٢] بالعالية غَفَل عُرْوةُ ، فوثب عليه الْبَرَّاض ؛ فقتله فى الشهر الحرام ، فلذلك سمى الفِجار ، وقال الْبَرَّاضُ فى ذلك : —

سبب حرب الفجار

وَدَاهِيَةٍ تُهِمُّ النَّاسَ قَبْلِي ... شَدَدْتُ لَهَا بَنِي بَكْرٍ ضُلُوعِي

الفجار ، وللعرب فجارات أربع آخرها فجار البراض المذكور فى السيرة وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة : يوم شمطة ، ويوم العبلاء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب (بفتح فكسر) وهو أعظمها ، وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا ، فسموا العنابس (والعنابس : جمع عنبس ، وهو الأسد) ، ويوم الحريرة (بزنة التصغير) عند نخلة ، ويوم الشرب ، انهزمت قيس إلا بنى نصر منهم فانهم ثبتوا » اه كلام السهيلى . قلت : أما الفجار الأول فكان بين كنانة وهوازن ، وأما الفجار الثانى فكان بين قريش وهوازن ، وأما الفجار الثالث فكان بين كنانة وهوازن ؛ وقد تحاور الحيان فى الأول حتى كادت تقع الحرب بينهما ، ثم تراجع القوم . وأما فى الثانى فقد هاجت الحرب وكان بينهم قتال ودماء ، ثم تحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم ؛ وأما فى الثالث فقد تراجعوا بعد أن تهايج الناس وكاد القتال يقع بينهم . وسنذكر قريبا كلمة أخرى عن أسباب الفجارات الثلاث

(١) اللطيمة : الجمال التى تحمل البز والمسك ، وإجارتها : أن يكون لها جارا فيمنع التعدى عليها

(٢) « تيمن » بفتح التاء وسكون الياء وفتح الميم أو كسرها وآخره نون و « ذو طلال » قال فى القاموس « وذو طلال ـ ككتاب ـ ماء أو موضع ببلاد بنى مرة » . وقال أبو ذر فى شرح السيرة : « الجيد ذو طلال بالتشديد كما قال

هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بَنِى كِلاَبٍ وَأَرْضَعْتُ الْمَوَالِىَ بِالضُّرُوعِ (١)
رَفَعْتُ لَهُ بِذِى طَلاَّلَ كَفِّى تَخِرَّ يَمِيدُ كَالْجِذْعِ الصَّرِيعِ (٢)

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب : —

أَبْلِـغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِى كِلاَبٍ وَعَامِرَ وَالْخُطُوبُ لَهَا مَوَالِى
وَبَلِّغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِى نُمَـيْرٍ وَأَخْوَالَ الْقَتِيلِ بَنِى هِلاَلِ
بِأَنَّ الْوَافِدَ الرَّحَّالَ أَمْسَى مُقِيما عِنْدَ تَيْمَنَ ذِى طِلاَلِ

وهذه الأبيات فى أبيات له فيما ذكر ابن هشام

---

* رفعت له بذى طلال كفى *

وأما قول لبيد

* ... عند تيمن ذى طلال *

فانما خففه لضرورة الشعر » اه وضبطه ياقوت « ذو ظلال » بالظاء المعجمة . وذكر فى حرف الظاء عبارة السيرة بحروفها مع هذه الأبيات ، ثم قال : « فى هذا عدة اختلافات : بعضهم يرويه بالطاء المهملة ، وبعضهم يرويه بتشديد اللام والظاء المعجمة ، وبعضهم يرويه بتخفيف اللام والظاء المعجمة ، وأكثرهم قال هو اسم موضع ، وقال قوم فى قول البراض إن ذا ظلال اسم سيفه » اه كلامه

(١) أى : ألحقت الموالى منزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع ، وأظهرت فسالتهم ، وهتكت بيوت أشراف بنى كلاب وصرحائهم ، وهذا كما يقال : لئيم راضع ، أى : يرضع اللؤم من ثدى أمه

(٢) قال السهيلى : « وقوله بذى طلال فلم يصرفه يجوز أن يكون جعله اسم بقعة فترك تنوينه للعلمية والتأنيث ، فان قلت : كان يجب أن يقول : بذات طلال ، أى : ذات هذا الاسم ، كما قالوا : ذو عمرو ، أى : صاحب هذا الاسم ، ولو كانت أنثى لقالوا : ذات هند ، فالجواب أن قوله بذى يجوز أن يكون وصفا لطريق أو جانب مضاف إلى طلال اسم البقعة » اه

القتال بين الفريقين

فأتى آت قريشاً فقال : إن البَرّاض قد قَتَل عُرْوة ، وهم فى الشهر الحرام بعكاظ ، فارتحلوا وهوازن لا تشعر [بهم] ثم بلغهم الخبر ، فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون (١) على كل قبيل من قريش وكنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كل قبيل من قيسٍ رئيسٌ منهم ، وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ أيامهم ، أخرجه أعمامه معهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت أُنْبُلُ على أعمامى » ، أى : أرد عنهم نَبْلَ عدوهم إذا رموهم بها

سن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفجار وحضوره القتال

قال ابن إسحق : هاجت حرب الفجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ عشرين سنةً ، وإنما سمى يوم الفجار بما استحل هذان الحيّانِ كنانةُ وقيسُ عَيْلان فيه من المحارمَ بينهم ، وكان قائدُ قريش وكنانة حَرْبَ ابن أمية بن عبد شمس ، وكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان فى وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس

قال ابن هشام : وحديث (٢) الفجار أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى

(١) « متساندون » قال أبو ذر « أى : ليس لهم أمير واحد يجمعهم » قلت : وهذا يفسر قول صاحب السيرة بعد : على كل قبيل رئيس منهم .

(٢) ذكر هذا الحديث مبسوطا فى كتب السيرة ، وملخصه أن العرب كان لها فجارات أربعة آخرها فجار البراض - بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وضاد معجمة - على ما ذكرنا آنفا ، وقد حضره النبى صلى الله عليه وسلم وعمره أربع عشر سنة على الصحيح ، أما الفجار الأول فكان عمره فيه عشر سنين ، وسببه أن بدر بن معشر الغفارى كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ، ويفتخر على الناس ، فبسط يوما رجله ، وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز منى فليضربها بالسيف ، فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته

من استقصائه قطعه حديثَ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

سن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام زواجه بها

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خُوَيْلد بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَى بن غالب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم ، عن أبى عمرو المدنى

فأسقطها وأزالها ، فتحاور الحيان ثم تراجعوا . وسبب الفجار الثانى أن امرأة من بنى عامر كانت جالسة بسوق عكاظ ، فطاف بها شاب من قريش من بنى كنانة ، فسألها أن تكشف وجهها ، فأبت ، فجلس خلفها وهى لا تشعر ، وعقد ذيلها بشوكة . فلما قامت انكشف وجهها ، فضحك الناس منها، فنادت : المروءة يا آل عامر ، ونادى الشاب : يابنى كنانة ، فاقتتلوا ؛ وسبب الفجار الثالث أنه كان لرجل من بنى عامر دين على رجل كنانى ، فمطله ، فجرت بينهما مخاصمة ، فتهايج الناس ثم تراجعوا

(١) قال السهيلى : وكان آخر الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ ، فجاءوا للوعد ، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة وكان عتبة بن ربيعة يتيما فى حجره ، فضن به حرب ، وأشفق من خروجه معه ، فخرج عتبة بغير إذنه ، فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادى : يامعشر مضر ، علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ماتدعو إليه ؟ فقال : الصلح على أن ندفع إليكم دية قتلاكم ونعفو عن دمائنا ، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رهنا منا ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا ، قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فرضيت كنانة ورضوا ، ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام ، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم ، وانقضت حرب الفجار ، وكان يقال : لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب بن عبد المطلب فانهما سادا قريشا مع الفقر » اه

منزلة خديجة وخروج النبي فى تجارة لها

قال ابن إسحق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأةً تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهمْ ، وكانت قريشٌ قوما تُجَّارًا ، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها : من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ؛ بعثت إليه ، فَعَرَضَتْ عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشأم تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له مَيْسَرَةُ ؛ فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وخرج فى مالها ذلك ، وخرج معه غلامها مَيْسَرة ، حتى قدم الشام

راهب من رهبان النصارى يخبر ميسرة بنبوة النبي

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلِّ شجرة قريبا من صَوْمَعَة راهب من الرهبان ، فاطَّلَع الراهب إلى ميسرة ، فقال له : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، قال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قَطُّ إلا نبيٌّ

ميسرة يحدث خديجة عما رأى من النبي

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِلْعَتَه التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترى ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة — فيما يزعمون — إذا كانت الْهَاجِرَةُ واشتد الحرُّ يرى مَلَكَين يُظِلَّانه من الشمس ، وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضْعَفَ أو قريباً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه ، وكانت خديجة امرأةً حازمةً شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت (١) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له—

(١) وروى عن نفيسة بنت علية أنها قالت : أرسلتنى خديجة خفية إلى محمد بعد أن رجع فى عيرها من الشأم ، فقلت له : يا محمد ، ما يمنعك أن تتزوج ؟

خديجة تعرض نفسها على النبي ليتزوجها

فيما يزعمون — : ياابن عمٍّ ، إنى قد رغبتُ فيك ؛ لقرابتك ،

فقال : مابيدى ماأتزوج به ، قلت : فان كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تجيب ؟ قال : فمن هى ؟ قلت : خديجة ، قال : وكيف لى بذلك ؟ قلت : علىّ وأنا أفعل ؛ فذهبت فأخبرتها ، فأرسلت إليه عليه السلام أن ائت ساعة كذا وكذا ، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها ، فحضر ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته ، فزوجه أحدهم ، وقد اختلف فى المزوج لها على أقوال كثيرة ، كما اختلف فى المزوج له عليه الصلاة والسلام ، والصحيح أن المزوج لها عمها عمرو بن أسد ؛ لأن أباها مات قبل الفجار ؛ وأن المزوج للنبي صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ، ولما تم الايجاب والقبول أمرت السيدة خديجة بشاة فذبحت ، واتخذت طعاما ، ودعت عمها عمرا ، وبعثت لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب ورؤساء مضر ، فأكلوا ، ثم خطب أبو طالب فقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وضئضىء (أى : أصل) معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسوكة حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجا ، وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن ابن أخى هذا محمد ابن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح ، وإن كان فى المال قل فالمال ظل زائل ، وأمر حائل ، ومحمد ممن قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله كذا من مالى ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل جسيم ؛ وقد روى أنه لما أتم أبو طالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل ، فقال : الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ماعددت ؛ فنحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله ، لا تنكر العشيرة فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم ، فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله ، على أربعمائة دينار ، ثم سكت ورقة وتكلم أبو طالب ، وقال : قد أحببت أن يشركك عمها ، فقال عمها : اشهدوا على يامعشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد ، وشهد

وسِطَتِكَ في [1] قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليها نفسها ، وكانت خديجةُ يومئذٍ أوسَطَ نساء قريش نَسَباً ، وأعظمهُنَّ شَرَفاً ، وأكثَرهُنَّ مالاً ، كلُّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه

نسب خديجة من جهة أبيها

وهى : خديجة بنت خُوَيلد بن أسَد بن عبد الْعُزَّى بن قُصَيٍّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر

نسب خديجة من جهة أمها

وأمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصَمِّ بن رَوَاحة بن حَجَر [2] بن عبد ابن مَعيص بن عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فهر ؛ وأمُّ فاطمةَ : هَالَةُ بنت عبد مَنَاف بن الحرث بن عَمْرو بن مُنْقذ بن عَمْرو بن مَعيص بن عامر ابن لُؤَىّ بن غالب بن فهر ؛ وأمُّ هَالَةَ : قِلاَبَةُ بنت سُعَيْد بن سعد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَى بن غالب بن فهر

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطاب حتى دخل على خُوَيْلد بن أسد ، فخطبها إليه ، فتزوجها .

على ذلك صناديد قريش ، بما جاء فى خطبة ورقة بن نوفل من أنه أصدقها أربعمائة درهم لاينافى قول ابن إسحق هنا إنه أصدقها عشرين بكرة ؛ إذ يمكن الجمع بتقويم الثمن بذلك ، أو أن أحد الشيئين مهر والآخر هدية من عمه لخديجة رضى الله تعالى عنها ؛ أو أنه صلى الله عليه وسلم زاد ذلك فى صداقها على صداق أبى طالب ، فكان الكل صداقا

(١) « سطتك » بكسر السين وفتح الطاء المهملة مخففة ـ أى : شرفك وسامى منزلتك

(٢) قال أبو ذر : « بن حجر : وقع فى الرواية هنا حجر ـ بحاء مهملة مضمومة وجيم ساكنة ـ وحجير ـ بالتصغير ـ وحجر ـ بفتحتين ـ وهكذا قيده الدارقطنى . وهو الصواب » اهـ

صداق خديجة

قال ابن هشام : وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضى الله عنها .

أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة

قال ابن إسحق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم ، إلا إبراهيم : القاسم ، وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر ، والطيب ، وزينب ، ورُقَية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام

قال ابن هشام : أكبر بنيه القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته رُقَيَّة ، ثم زينبُ ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة

وفيات أولاده صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا فى الجاهلية ، وأما بناته فكلهن أدركن الاسلام فأسلمن ، وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه مارية

قال ابن هشام : حدثنا عبدُ الله بن وَهْب ، عن ابن لِهَيعة ، قال : أمُّ إبراهيم ماريةُ سُرِّيَّة النبي صلى الله عليه وسلم التى أهداها إليه المقوقس من حَفْن من كورة أَنْصِنا [1]

خديجة تحدث ورقة بحديث ميسرة عن النبي

قال ابن إسحق : وكانت خديجة بنت خُوَيْلد قد ذكرت لوَرَقَة ابن نوفل بن أسد بن عبد الْعُزَّى — وكان ابن عمها ، وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس — ماذكر لها غُلامُها مَيْسَرَةُ من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظلانه ، فقال ورقةُ : لئن كان هذا حقًّا ياخديجةُ إن محمدًا لنبيٌّ هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن

---

(١) انظر (ص ٤) من هذا الجزء ، واقرأ الهامشة (٢)

لهذه الأمة نبي يُنْتَظر ، هذا زمانه ، أو كما قال ، فجعل ورقةُ يستبطىء الأمر ، ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقة فى ذلك :

ورقة يستبطىء بعثة النبى

لَجِجْتَ وَكُنْتَ فِى الذِّكْرَى لَجُوجَا ‏ لِهَمٍّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا (١)

وَوَصْفٍ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ ‏ فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِى يَا خَدِيجَا

بِبَطْنِ الْمَكَّتَيْنِ عَلَى رَجَائِى ‏ حَدِيثَكِ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا (٢)

بِمَا خَبَّرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ ‏ مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا (٣)

---

(١) النشيج : البكاء مع صوت

(٢) قال السهيلى : « ثنى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر . . . على أن للعرب مذهبا فى أشعارها فى تثنية البقعة الواحدة وجمعها ، نحو قوله

تَسْقِى الرِّيَاحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَزَّات

(انظر ص ١٥١ س ٧) يريد بغزة ، وقولهم بغادين فى بغدان ، وأما التثنية فكثير نحو قوله :ـ

(لَيْثٌ هِزَبْرٌ مُدِلٌّ عِنْدَ خيسَتِهِ) ‏ بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٍ وَأَعْرَاسُ

وقول زهير :ـ

وَدَار لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ (كَأَنَّهَا ‏ مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِى نَوَاشِرِ مِعْصَمِ)

وإنما مقصد العرب فى هذا الاشارة إلى جانبى كل بلدة ، أو الاشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى ، وقد قالوا : صدنا بقنوين ، وهو قنا اسم جبل ، وقول عنترة :ـ

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ (فَأَصْبَحَتْ

عَسِرًا عَلَيَّ طِلَابُكِ ابْنَةَ مَخرم)

هو من هذا الباب فى أصح القولين » اهـ كلامه مع زيادة تكملة الشواهد التى أشار إليها

(٣) القس : عابد النصارى . ويعوج : يقف أو يرجع ، يريد يخشى تأخره

بأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا
وَيَخصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجاَ(١)
وَيَظْهَرُ فِي الْبِلاَدِ ضِيَاءُ نورٍ يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا(٢)
فَيلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَاراً وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا(٣)
فَيَالَيْتِي إِذَا مَاكَانَ ذَاكُمْ
شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَكْثَرَهُمْ وُلُوجَا(٤)
وَلوْ جَاَى الَّذِى كَرِهَتْ قُرَيْشٌ وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجاَ(٥)
أُرَجِّى بِالَّذِى كَرِهُوا جَمِيعاً إِلَى ذِى الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجَا(٦)
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفرٍ بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا(٧)
فَإِنْ يَبْقَوْا وَأَبْقَ تَكُنْ أُمُورٌ يَضِجُّ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجاَ
وَإِنْ أَهْلِكْ فَكُلُّ فَتًي سَيَلْقَى مِنَ الْأَقْدَارِ مَتْلَفَةً حَرُوجَا(٨)

---

(١) يخصم : يغلب فى الخصومة . والحجيج : المناظر

(٢) تموج : يضطرب بعضها فى بعض

(٣) الفلوج : الظهور على العدو والخصم

(٤) ليتى : يريد ليتنى ، وهو من شواهد النحاة ، وقوله « أكثرهم ولوجاء » يروى فى مكانه « أولهم ولو جا »

(٥) عجت عجيجا : ارتفعت أصواتها

(٦) العروج : الصعود والعلو

(٧) سمك : بنى ورفع

(٨) المتلفة : المهلكة . والحروج : الكثيرة التصرف قاله أبو ذر

حديث بنيان الكعبة
وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين قريش فى وضع الحجر

حالة الكعبة قبل بنائها

قال ابن إسحق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنةً اجتمعت قريشٌ لبنيان الكعبة ، وكانوا يهمُّون بذلك ليُسَقِّفوها ويهابون هَدْمَهَا ، وإنما كانت رَضْماً (١) فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك أن نفرًا سرقوا كنزًا للكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة ، وكان الذى وجد عنده الكنز دُوَيْكًا مولًى لبنى مُليح بن عمرو من خزاعة . (قال ابن هشام : فقطعت قريش يده ، وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك) وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الرُّوم فتحطمت ، فأخذوا خشبها ، فأعدوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قِبْطى نجار ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعضُ مايصلحها ، وكانت حيةٌ تخرج من بئر الكعبة التى كانت يُطرح فيها مايُهْدى لها كلَّ يوم ، فتَتَشَرَّق (٢) على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لايدنو منها أحد إلا احزَأَلَّتْ وَكَشَّتْ (٣) وفتحت فاها ، وكانوا

---

(١) «رضما» قال أبوذر : «الرضم الحجارة يجعل بعضها على بعض » اهـ

(٢) « تتشرق » أى : تبرز للشمس ، تقول : تشرقت ، إذا قعدت للشمس لايحجبك عنها شىء

(٣) « احزألت » أى : رفعت رأسها ، و« كشت » أى : صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض ، وقال أبو ذر « احزألت : رفعت ذنبها ، والمحزئل : المرتفع ، وكشت : صوتت »

يهابونها ، فبينا هى ذات يوم تَتَشَرَّقُ على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائراً فاختطفها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ماأردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية

اجماع قريش على بنائها ونصيحة أبى وهب لهم

فلما أجمعوا أمرهم فى هَدْمها و بنائها قام أبو وَهْب بن عمرو بن عائذ ابن عَبْد بن عِمْران بن مخزوم (قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن مخزوم) فتناول من الكعبة حَجَراً ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يامعشر قريش ، لاتُدْخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لايدخل فيه مهر بغى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس (١)

والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

قال ابن إسحق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نَجِيح المكى ، أنه حُدِّث ، عن عبد الله بن صَفْوان بن أُمَية بن خَلَف بن وَهْب بن حذَافة ابن جُمَحَ بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَى ، أنه رأى ابنا لجَعْدَةَ ابن هُبَيْرة بن أبى وَهْب بن عَمْرو يطوف بالبيت ، فسأل عنه ، فقيل : هذا ابن لجعدة بن هبيرة ، فقال عبد الله بنُ صفوان عند ذلك : جدُّ هذا (يعنى أبا وهب) الذى أخذ حجراً من الكعبة — حين أجمعت قريش لهدمها — فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : « يامعشرَ قريشٍ ، لا تُدْخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لاتدخلوا فيه مَهْرَ بَغِيٍّ ، ولا بَيْعَ ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس » (١) ؟ ؟

---

(١) وفى لفظ «لا تجعلوا فى نفقة هذا البيت شيئا أصبتموه غصبا ، ولا قطعتم فيه رحما ، ولا أنهكتم فيه ذمة أحد بينكم وبين أحد من الناس »

أبو وهب المخزومى

قال ابن إسحق : وأبو وهب : خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفا ، وله يقول شاعر من العرب : —

وَلَوْ بِأَبِي وَهْبٍ أَنَخْتُ مَطِيَّتِي غَدَتْ مِنْ نَدَاهُ رَحْلُهَا غَيْرُ خَائِبِ

بِأَبْيَضَ مِنْ فَرْعَيْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ إِذَا حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا فِي الذَّوَائِبِ (١)

أَبِيٌّ لِأَخْذِ الضَّيْمِ يَرْتَاحُ لِلنَّدَى تَوَسَّطَ جَدَّاهُ فُرُوعَ الْأَطَايِبِ

عَظِيمُ رَمَادِ الْقِدْرِ يَمْلَأُ جِفَانَهُ مِنَ الْخُبْزِ يَعْلُوهُنَّ مِثْلُ السَّبَائِبِ (٢)

قريش تقسم الكعبة فيما بينها فيأخذ كل قوم قسما

ثم إن قريشا تجزَّأت (٣) الكعبة : فكان شقُّ الباب لبنى عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبنى جُمَح وسَهْم ابنَيْ عَمْرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى ، وكان شق الحِجْر لبنى عبد الدار ابن قُصَى ولبنى أسد بن العُزَّى بن قصى ولبنى عَدِىّ بن كعب بن لؤى — وهو الحطيم — ثم إن الناس هابوا هَدْمَها وفَرِقُوا منه (٤) ، فقال الوليد ابن المغيرة : أنا أبْدَؤُكم فى هدمها ، فأخذ المِعْوَلَ (٥) ، ثم قام عليها وهو

الوليد بن المغيرة يبدأ هدم الكعبة

---

(١) الذوائب : الأعالى ، واحدها ذؤابة . وأراد بها هنا الأنساب الكريمة

(٢) السبائب : جمع سبيبة ، وهى فى الأصل ثياب رقيقة بيضاء ، فشبه الشحم الذى يعلو الجفان بها

(٣) يريد أنهم تقسموها أقساما . وفى بعض النسخ «جزأوها»

(٤) فرقوا : خافوا

(٥) المعول : الفأس التى تكسر بها الحجارة

يقول : اللهم لم تُرَعْ[1] (قال ابن هشام: ويقال لم نَزِغ) ، اللهم إنّا لانريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربّص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله صنعنا فهدمنا ، فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساسِ إبراهيم أفضَوْا إلى حجارة خُضْرٍ كالأسنمة[2] آخذٍ بعضُها بعضا

قال ابن إسحق : فحدثني بعض من يروى الحديث أن رجلا من قريش ، ممن كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تَنَقَّضَتْ[3] مكةُ بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس

قال ابن إسحق : وحُدِّثتُ أن قريشا وجدوا فى الركن كتاباً بالسُّرْيانية ، فلم يدروا ماهو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فاذا هو « أنا الله ذو بَكَّة : خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحَفَفْتُها بسبعة أملاك حُنَفاء ، لاتزول حتى يزول أخْشَبَاها ، مُبَارَكٌ لأهلها فى الماء واللبن »

قال ابن هشام : أخشباها : جبلاها

قال ابن إسحق : وحُدِّثت أنهم وجدوا فى المقام كتابا فيه « مكة

---

(١) قال أبو ذر : لم ترع (بالبناء للعلوم) أى : لم تفزع . ومن قال لم ترع (بالبناء للمجهول) فانما يعنى الكعبة ، فأضمرها لتقدم ذكرها . ومن قال لم نزغ فانما يعنى لم نمل عن دينك ولا خرجنا عنه ، يقال : زاغ عن كذا ، إذا خرج عنه » اه

(٢) « كالأسنمة » قال أبو ذر : «والأسنمة : جمع سنام ، وهو أعلى الظهر ، وأراد أن الحجارة دخل بعضها فى بعض ، فشبهها بها ، ومن رواه كالأسنة فهو جمع سنان الرمح ، شبهها بالأسنة فى الخضرة » اه

(٣) « تنقضت » أى : اهتزت

[بيت] الله الحرام ، يأتيها رزقها من ثلاثة سُبُلٍ ، لايُحِلُّهَا أوَّلُ مِنْ أهلها »

قال ابن إسحق : وزعم ليث بن أبي سُلَيم أنهم وجدوا حَجَرًا فى الكعبة قبلَ مَبْعَث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة — إن كان ماذكر حقا — مكتوبا فيه « مَنْ يَزْرَعْ خيرًا يَحْصِدْ غِبْطَةً ، ومَنْ يَزْرَعْ شَرًّا يَحْصِدْ نَدَامةً ، تعملون السيئات وتُجْزَوْنَ الحسنات !!! أجل ، كما لا يُجْتَنَى من الشوك العنب »

اختلاف قريش فى وضع الحجر الأسود

قال ابن إسحق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كلُّ قبيلة تجمع على حِدَةٍ ، ثم بَنَوْها ، حتى بلغ البنيان موضع الرُّكْن ،(١) فاختصموا فيه ، كلُّ قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا (٢) ، وتحالفوا ، وأعدُّوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جَفْنَةً مملوءة دَماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عديّ بن كعب بن لُؤَى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة ، فسُمُّوا لَعَقَةَ الدَّم ، فمكثت قريش على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد ، وتشاوروا ، وتناصفوا ؛ فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وكان عامئذ أسنَّ قريشٍ كلها ، قال :

---

(١) يعنى بالركن ههنا الحجر الأسود ، وسمى ركنا لأنه مبنى فى الركن . قاله أبو ذر

(٢) « تحاوروا » هو كذلك بالراء المهملة فى بعض النسخ ، ومعناه تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم ، وفى نسخة « تحاوزوا » بالزاى ، وعليها شرح أبو ذر ، وقال : « أى : انحازت كل قبيلة إلى جهة » اه

النبي صلى الله عليه وسلم يحكم بينهم فيحسم الخلاف

يامعشرَ قريشٍ ،اجعلوا بينكم — فيما تختلفون فيه — أوَّل من يدخل من باب هذا المسجد [1] يقضى بينكم فيه ، ففعلوا ، فكان أولَ داخلٍ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد ؛ فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر ، فقال صلى الله عليه وسلم : «هَلُمَّ إلَىَّ ثَوْباً» فأُتِى به ، فأخذ الركن ، فوضعه فيه بيده ، ثم قال : « لِتأْخُذْ كُلُّ قَبيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ من الثوب » [2] ثُمَّ ارفعوه جميعا ، ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه ، وكانت قريش تُسَمِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم — قبل أن ينزل عليه الوحى — : الأمين ؛ فلما فرغوا من البنيان وبَنَوْها على ماأرادوا قال الزُّبَيْرُ بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها : —

(١) هو باب بنى شيبة ، كان يقال له فى الجاهلية باب بنى عبد شمس ، ويقال له الآن باب السلام ، وفى رواية « أول من يدخل باب الصفا » وروى أن المشير على قريش مهشم بن المغيرة ويكنى أبا حذيقة

(٢) أى : بناحية من زواياه ، ولما فعلوا كان فى ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة ، وكان فى الربع الثانى زمعة ، وفى الثالث أبو حذيفة بن المغيرة ، وفى الرابع قيس بن عدى ، وقد تم بناء الكعبة قبل الهجرة بثمان عشرة سنة بعد أن حلت كلمة الوفاق محل الشقاق ، ورضى الكل بحكمه صلوات الله عليه ، وإلى قضية التحكيم يشير قول هبيرة بن وهب المخزومى : -

تَشَاجَرَتِ الْأَحْيَاءُ فِى فَصْلِ خُطَّةٍ ... جَرَتْ بَيْنَهُمْ بِالنَّحْسِ مِنْ بَعْدِ أَسْعُدِ
تَلَاقَوْا بِهَا بِالْبُغْضِ بَعْدَ مَوَدَّةٍ ... وَأَوْقَدَ نَاراً بَيْنَهُمْ شَرُّ مُوقِدِ
فَلَمَّا رَأَيْنَا الْأَمْرَ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ ... وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرُ سَلِّ الْمُهَنَّدِ
رَضِينَا وَقُلْنَا : الْعَدْلُ أَوَّلُ طَالِعٍ ... يَجِيءُ مِنَ الْبَطْحَاءِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
فَفَاجَأَنَا هَذَا الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ ... فَقُلْنَا : رَضِينَا بِالْأَمِينِ مُحَمَّدِ

شعر الزبير بن عبد المطلب فى بناء الكعبة

عَجِبْتُ لِما تَصَوَّبَتِ الْعُقَابُ ... إِلَى الثُّعْبَانِ وَهْىَ لَهَا اضْطِرَابُ
وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشُ ... وَأَحْيَانًا يَكُونُ لَهَا وِثَابُ (١)
إِذَا قُمْنَا إِلَى التَّأْسِيسِ شَدَّتْ ... تُهَيِّبُنَا الْبِنَاءَ وَقَدْ تُهَابُ
فَلَمَّا أَنْ خَشِينَا الرِّجْزَ جَاءَتْ ... عُقَابٌ تَتْلَئِبُّ لَهَا انْصِبَابُ (٢)
فَضَمَّتْهَا إِلَيْهَا ثُمَّ خَلَّتْ ... لَنَا الْبُنْيَانَ لَيْسَ لَهُ حِجَابُ
فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَي بِنَاءٍ ... لَنَا مِنْهُ الْقَوَاعِدُ وَالتُّرَابُ
غَدَاةَ نُرَفِّعُ التَّأْسِيسَ مِنْهُ ... وَلَيْسَ عَلَى مُسَوِّينَا ثِيَابُ
أَعَزَّ بِهِ الْمَلِيكُ بَنِي لُؤَيٍّ ... فَلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذَهَابُ
وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ ... وَمُرَّةُ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلَابُ
فَبَوَّأَنَا الْمَلِيكُ بِذَاكَ عِزًّا ... وَعِنْدَ اللهِ يُلْتَمَسُ الثَّوَابُ

قال ابن هشام: ويروى «وليس عَلَى مَسَاوِينَا ثِيَابُ»

وكانت الكعبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة

بِخَيْرِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا أَمْسِ شِيمَةً ... وَفِى الْيَوْمِ مَعْ مَا يُحْدِثُ اللهُ فِى غَدِ
فَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... أَعَمَّ وَأَرْضَى فِى الْعَوَاقِبِ وَالْبَدِ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الرِّدَاءِ وَكُلُّنَا ... لَهُ حِصَّةٌ مِنْ رَفْعِهَا قَبْضَةَ الْيَدِ
فَقَالَ: ارْفَعُوا، حَتَّى إِذَا مَا عَلَتْ بِهِ ... أَكُفُّهُمُ وَافَى بِهِ غَيْرَ مُسْنَدِ
وَكُلٌّ رَضِينَا فِعْلَهُ وَصَنِيعَهُ ... فَأَعْظِمْ بِهِ مِنْ رَأْيِ هَادٍ وَمُهْتَدِى
وَتِلْكَ يَدٌ مِنْهُ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ ... يَرُوحُ لَهَا هَذَا الزَّمَانُ وَيَغْتَدِى

(١) الكشيش: الصوت. والوثاب: المواثبة والوثوب

(٢) الرجز: العذاب، وذكر أبوذر أنه يروى الزجر، ومعناه المنع، و «تتلئب» تتابع فى سيرها فلا تعوج يمنة ولا يسرة.

ذِرَاعاً ، وكانت تكسى الْقَبَاطِيَّ (١) ثم كسيت الْبُرود (٢) ، وأولُ من كساها الديباج الحجَّاجُ بن يوسف

حديث الحمس

قريش تبتدع أشياء تزعمها دينا

قال ابن إسحق : وقد كانت قريش — لاأدرى أقبل الفيل أم بعده — ابتدعت رأى الْحُمْسِ (٣) رأيا رَأَوْهُ وأَدَارُوه ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحرمة ، وولاة البيت ، وقُطَّان مكة وساكنها ؛ فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ماتعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحِلِّ كما تعظمون الْحَرَم ؛ فانكم إن فعلتم ذلك استخفت العربُ بحرمتكم ، وقالوا : قد عَظَّموا من الحِلِّ مثل ماعظموا من الحرم : فتركوا الوقوف على عرفة ، والافاضة منها ، وهم يعرفون ويُقِرُّون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، ويَرَوْن لسائر العرب أن يَقِفُوا عليها ، وأن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها ، نحن الْحُمْسُ ، والْحُمْسُ أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم ، بودلاتهم إياهم يحل لهم مايحل لهم ، ويحرم عليهم مايحرم عليهم ، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك .

(١) القباطى : ثياب بيض كانت تصنع بمصر

(٢) البرود : ضرب من ثياب اليمن

(٣) الحمس - بضم الحاء وسكون الميم - جمع أحمس ، وهو الشديد الصلب . مأخوذ من الحماسة التى هى الشدة ، وإنما سموا الحمس لأنهم اشتدوا فى دينهم فى زعمهم

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة النحوىّ أن بنى عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك ، وأنشدنى لعَمْرو بن مَعْد يكرب .

أَعَبَّاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَاراً جِيَادُنَا ... بِتَثْلِيثَ مَا نَاصَيْتَ بَعْدِى الْأَحَامِسَا[1]

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم ، والشيار : الحسان[2] يعنى بالأحامس بنى عامر بن صعصعة ، وعباس : عباسُ بن مِرْداس السُّلَمى ، وكان أغار على بنى زبيد بتثليث ، وهذا البيت فى قصيدة لعمرو ، وأنشدنى للَقِيط بن زُرارة الدَّارِمىّ فى يوم جبلة : —

أَجْذِمْ إِلَيْكَ إِنَّهَا بَنُو عَبْسٍ ... اَلْمَعْشَرُ الْجِلَّةُ فِى الْقَوْمِ الْحُمْسِ[3]

يوم جبلة

لأن بنى عبس كانوا يوم جبلة حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة ، ويوم جبلة : يوم كان بين بنى حنظلة بن مالك بن زَيْد مَنَاةَ بن تميم وبين بنى عامر بن صعصعة ، فكان الظفر فيه لبنى عامر بن صعصعة على بنى حنظلة ، وقتل يومئذ لَقِيط بن زُرَاة بن عُدَس[4] ، وأسر حَاجب

---

(١) «ناصيت» أى : أخذت بناصيتهم ونازعتهم ، ومنه حديث عائشة «لم تكن واحدة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم تناصينى غير زينب» أى : تنازعى وتباريني ، وهو أن يأخذ كل واحد من المتنازعين بناصية الآخر ، وروى «ناصبت» بالباء الموحدة ، ومعناه عارضت وأردت المساواة بهم ، وقد يكون معناه أظهرت لهم العداوة .

(٢) «والشيار الحسان» ومنه الحديث «رأى امرأة شيرة عليها مناجد» أى : حسنة الشارة والهيئة

(٣) «أجذم إليك» هذه كلمة تزجر بها الخيل ، والمعشر الجلة ـ بالجيم أى : العظماء ، ورواه بعضهم «الحلة» بالحاء ، ومعناه الذين يسكنون الحل

(٤) قال أبو ذر : «جميع النسابين يقولون فيه عدس بضم الدال فى هذا ، وأبو عبيدة وحده يفتحها فى هذا» اه

ابن زُرَاة بن عُدَس ، وانهزم عَمْرو بن عَمْرو بن عُدَس بن زَيْد بن عَبْد الله ابن دَارِم بن مالك بن حَنْظلة ، ففيه يقول جرير للفرزدق : —

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطًا وَحَاجِباً   وَعَمْرَو بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَا لَدَارِمِ

يوم ذى نجب

وهذا البيت فى قصيدة له ، ثم التقوا يوم ذى نَجَب ، فكان الظفر لحنظلة على بنى عامر ، وقتل يومئذ حَسَّان بن مُعَاوية الْكِنْدِيّ ، وهو ابن كبشة ، وأُسر يزيد بن الصَّعِق الْكِلَابِى ، وانهزم الطُّفَيْلُ بن مالك ابن جَعْفر بن كِلاب أبو عامر بن الطُّفَيْلِ ؛ ففيه يقول الفرزدق : —

وَمِنْهُنَّ إِذْ نَجَّي طُفَيْلُ بْنُ مَالِكٍ
عَلَى قُرْزُلٍ رَجْلاً رَكُوضَ الْهَزَائِمِ (١)
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا هَامَةَ ابْنِ خُوَيْلِد
يَزِيدَ عَلَى أُمِّ الْفِرَاخِ الْجَوَاثِمِ (٢)

---

(١) البيتان فى ديوان الفرزدق (ص ٨٥٨) مع بعض تغيير فى أولها ؛ وقرزل ـ بالضم ـ اسم فرس لطفيل بن مالك ، وكان طفيل يلقب بفارس قرزل

(٢) قال أبو ذر : « أم الفراخ : الرماح . والجواثم : الساكنة اللاطئة مع الارض ، وهو استعارة أيضا » وهو بعيد ، وأحسن منه أن أم الفراخ كنية الرأس ، والفراخ : جمع فرخ وهو مقدم الدماغ ؛ وقد يراد منه الهامة التى كانوا يعتقدونها . فقد كانوا يقولون : إذا قتل الرجل منهم إن يوما يخرج من رأسه فلا يزال يصيح اسقونى اسقونى ، حتى يأخذوا بثأره ؛ وعلى ذلك يكون قوله « الجواثم » محتملا لما ذكره فى تفسيره ولأن يكون بالحاء المهملة ـ جمع حائمة ، هذا ، وقد روى ياقوت بيتا مثل هذا فى معجم البلدان (مادة : نجب) ونسبه لسحيم بن وثيل الرياحى ، وروايته هكذا : ـ

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا هَامَةَ ابْنِ خُوَيْلِدٍ   يَزِيدَ ، وَضَرَّجْنَا عُبَيْدَةَ بِالدَّمِ

وهذان البيتان فى قصيدة له ، فقال جرير : —

وَنَحْنُ خَضَبْنَا لِابْنِ كَبْشَةَ تَاجَهُ
وَلاَ قَى امْرَأً فِى ضَجَّةِ الْخَيْلِ مِصْقَعَا (١)

وهذا البيت فى قصيدة له ، وحديث يوم جَبَلة ويوم ذى نَجَبٍ أطْوَلُ مما ذكرنا، وإنما منعنى من استقصائه ماذكرت فى حديث يوم الفجار

قال ابن إسحق : ثم ابتدعوا فى ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا : لاينبغى للحُمْسِ أن يَأْتَقِطوا الأقِطَ ، ولا يَسْلأُوا السَّمْنَ (٢) وهم حُرُم ، ولا يدخلوا بيتا من شَعَرٍ ، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا فى بيوت الأَدَم ، (٣) ما كانوا حرما ، ثم رفعوا فى ذلك ، فقالوا : لاينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حُجَّاجا أو عُمَّارا ، ولا يَطَّوَّفُوا بالبيت إذا قدموا أولَ طوافهم إلا فى ثياب الحُمْس؛ فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عُرَاة ، فان تكرَّم منهم متكرم من رجل أوامرأة ولم يجد ثياب الحمس فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبدا ، وكانت العرب تسمى تلك الثياب (٤) اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العرَبَ ، فدانت به ، ووقفوا

عود إلى ذكر ما ابتدعه الحمس

---

(١) الضجة : الأصوات المختلطة ، وفى أكثر النسخ كالديوان (ص ٣٣٩) «ضمة الخيل» . والمصقع : مأخوذ من صقعه إذا ضربه على شىء يابس . قاله أبو ذر

(٢) الأقط ـ مثلثة ، ويحرك ، وككتف ورجل وإبل ـ شىء يتخذ من المخيض الغنمى ، وجمعه أقطان ، وأقط الطعام : عمله به ، ويقال : سلأت السمن واستلأته ، إذا طبخ وعولج ، والاسم السلاء ، بالكسر ممدودا .

(٣) « بيوت الأدم » هى الأخبية التى تصنع من الجلد

(٤) « اللقى » بفتح أوله مقصورا ـ هو الشىء الملقى ، ويقال : هو الشىء المتروك ، وجمعه ألقاء

على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عراة ، أما الرجال فيطوفون عُرَاةً ، وأما النساء فَتَضَعُ إحداهن ثيابها كلها إلا درعا مُفَرَّجًا [1] عليها ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب وهى كذلك تطوف بالبيت : —

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحل ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه : —

كَفَى حَزَنًا كَرِّى عَلَيْهَا كَأَنَّهَا لَقًى بَيْنَ أَيْدِى الطَّائِفِينَ حَرِيمُ

يقول : لا تُمَسُّ

القرآن يبطل ما ابتدعه الحمس

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشرع له سُنَنَ حَجِّه (٢ : ١٩٩) : (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يعنى قريشاً ؛ والناس : العرب ، فرفعهم فى سنة الحج إلى عرفات والوقوف عليها والافاضة منها ؛ وأنزل الله عليه فيما كانوا حَرَّمُوا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عُرَاةً وَحَرَّموا ماجاءوا به من الحل من الطعام (٧ : ٣١ — ٣٢) : (يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ [2] كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ

(١) « درعا مفرجا » مشقوقا من قدام أو من خلف

(٢) المراد بالزينة اللباس وعدم التعرى ، ومما نزل فى ذلك قوله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) لأنهم كانوا يطوفون عراة ويصفقون بأيديهم ، ويصفرون ، وكذلك نزل فيهم قوله تعالى : (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) لأنهم كانوا لا يدخلون تحت سقف ، ولا يحول بينهم وبين السماء عتبة باب ولا غيرها ، فان احتاج بعضهم إلى حاجة فى داره تسنم البيت من ظهره ، فقال سبحانه وتعالى : (وأتوا البيوت من أبوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون)

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قُلْ : هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فوضع الله تعالى أمر الحمس ، وما كانت قريش ابتدعت منه ، عن الناس بالاسلام ، حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

رسول الله يبطل ما ابتدعه الحمس قبل نزول القرآن

قال ابن إسحق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن عمه نافع بن جبير ، عن أبيه جبير بن مطعم ، قال : لَقَدْ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها ، توفيقاً من الله له صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

إخبار الكهان من العرب والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى

أحبار اليهود ورهبان النصارى ومصدر علمهم بصفات النبي

قال ابن إسحق : وكانت الأحبار من يهود والرهبان من النصارى والكُهَّان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، لما تقارب من زمانه : أمَّا الأحبار من يهود والرهبان من النصارى فَعَمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه ، وأما الكُهَّان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع ، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف من النجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكرُ بعض أموره ، لا تُلْقِي العربُ لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت

تلك الأمور التى كانوا يذكرون ؛ فعرفوها ؛ فلمّا تَقَارَبَ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَضَرَ مَبْعَثُه حُجِبت الشياطين عن السمع ، وحِيلَ بينها و بين المقَاعِد التى كانت تَقْعُد لاستراق السمع فيها، فَرُمُوا بالنجوم فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله فى العباد ؛ يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم — حين بعثه — وهو يقصّ عليه خبر الجن إذ حُجبوا عن السمع فعرفوا ماعرفوا وماأنكروا من ذلك حين رأوا مارأوا

الشهب ترجم مسترق السمع

(٧٢ : ١ — ١٠) (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَي الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَي جَدُّ (٢) رَبِّنَا مَااتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا (٣) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهقًا — إلى قوله : وأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٤) وَأَنَّا لاَ نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ

(١) أى : عجيبا ، مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه ، والعجب : ما يكون خارجا عن العادة ، وهو مصدر وضع موضع العجيب

(٢) الجد : العظمة ، يقال : جد فلان فى عينى ، إذا عظم ؛ ومنه قول سيدنا عمر رضى الله عنه « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدفينا » أى : عظم فى عيوننا

(٣) المراد به الكفر ، من قولهم : شطت الدار ، إذابعدت ، فكأنهم بنسبتهم الصاحبة والولد إليه جل شأنه بعدوا عن الصواب

(٤) بمعنى الراصد ، أى : يجدشهابا راصدا له ؛ أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم ، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب و يمنعونهم من الاستماع

بهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)فلما سمعت الجنُّ القرآنَ عرفت أنها إنما منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحى بشىء من خبر السماء ؛ فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ؛ لوقوع الحجة ، وقطع الشبهة ، فآمنوا وصدقوا ، ثم ولوْا إلى قومهم منذرين (٤٦ : ٣٠) : (قَالُو يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسٰى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَي الْحَقِّ وَإِلَي طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ـ الآية) وكان قول الجن (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أنه كان الرجل من العرب ، من قريش وغيرهم ، إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه قال : إنى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلةَ من شر مافيه

تفسير الرهق

قال ابن هشام : الرَّهَقُ : الطغيان والسفه ؛ قال رؤبة بن العجاج :

* إذْ تَسْتَبِى الْهَيَّامَةَ الْمُرَهَّقَا (١) *

وهذا البيت فى أرجوزة له ؛ والرهق أيضا : طلبك الشىء حتى تدنو منه فتأخذه أولا تأخذه ؛ قال رؤبة بن العجاج يصف حَمِيرَ وَحْشٍ : —

* بَصْبَصْنَ وَاقْشَعْرَرْنَ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقْ (٢) *

وهذا البيت فى أرجوزة له ؛ والرهق أيضا : مصدر لقول الرجل للرجل : رَهِقْتُ الإثْمَ أوالعُسْرَ الذى أرْهَقْتَنِى رَهَقًا شَدِيدًا ، أى : حَمَلْتُ الإثم أوالعسر الذى حملتنى حملا شديدا ، وفى كتاب الله تعالى (١٨ : ٨٠)

---

(١) قال أبو ذر : « تستبى : أى تذهب بعقله ، والهيامة : الكثير الهيام ، وأصل الهيام داء يصيب الابل فتشتد حرارة أجوافها ، فلا تروى من الماء إذا شربت ، ومنه قوله تعالى : (فشاربون شرب الهيم) » اه كلامه .

(٢) « بصبصن » معناه حركن أذنابهن .

(نَخَشِينَا أنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) وقوله (١٨ : ٧٣) : (وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)

عمرو بن أمية يذكر لثقيف رأيا فى الشهب

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبَة بن المُغيرة بن الأخنس، أنه حُدِّثَ ، أن أول العرب فزع للرَّمْى بالنُّجوم — حين رُمِى بها — هذا الحَىّ من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عَمْرو بن أُمَيَّة أحد بنى عِلاَج ؛ قال : وكان أَدْهَى العرب وأنكرَهَا [1] رأيا ، فقالوا له : يا عَمْرُو ، ألم تَرَ ماحدث فى السماء من القَذْف بهذه النجوم ؟ قال : بلى ، فانظروا : فان كانت معالِمُ [2] النجوم — التى يُهْتَدَى بها فى البر والبحر وتُعْرف بها الأنْوَاء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس فى معايشهم — هى التى يُرْمَى بها فهو والله طَىُّ الدنيا وهَلاَكُ هذا الخلق الذى فيها ، وإن كانت نجوما غيرها ، وهى ثابتة على حالها ؛ فهذا لأمرٍ أراد الله به هذا الخلق فما هو

النبي صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن الشهب

قال ابن إسحق : فذكر محمد بن مُسْلم بن شِهاب الزُّهْرِى ، عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، عن عبد الله بن عباس ، عن نفر من الأنصار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : «ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِى هذا النَّجْمِ الَّذِى يُرْمَى بِهِ » ؟قالوا: يانبى الله ، كنا نقول حين رأيناها يُرْمى بها : مات ملك ، مُلِّكَ مَلِكٌ ، ولد مولود ، مات مولود ،

---

(١) « وأنكرها رأيا » قال أبو ذر : «يروى بالباء بالنون ، فمن رواه بالنون فمعناه أهداها رأيا ، من النكر - بفتح النون - وهو الدهاء ، ومن رواه بالباء فمعناه أشدهم إبداء لرأى لم يسبق إليه ، من البكور فى الشىء ، وهو أوله » اه قلت : وفى بعض نسخ الكتاب « وأمكرها رأيا » بالميم

(٢) « معالم النجوم » يعنى النجوم المشهورة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ . وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ إِذَا قَضَى فِي خَلْقِهِ أَمْرًا سَمِعَهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ، فَسَبَّحُوا فَسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ ، فَسَبَّحَ لِتَسْبِيحِهِمْ مَنْ تَحْتَ ذَلِكَ ، فَلَا يَزَالُ التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسَبِّحُوا ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : سَبَّحَ مَنْ فَوْقَنَا فَسَبَّحْنَا لِتَسْبِيحِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : أَلَا تَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَكُمْ مِمَّ سَبَّحُوا ، فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : قَضَى اللَّهُ فِي خَلْقِهِ كَذَا وَكَذَا ، لِلْأَمْرِ الَّذِى كَانَ ، فَيَهْبِطُ بِهِ الْخَبَرُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَتَحَدَّثُوا بِهِ ، فَتَسْتَرِقُهُ الشَّيَاطِينُ بِالسَّمْعِ عَلَى تَوَهُّمٍ وَاخْتِلَافٍ ، ثُمَّ يَأْتُوا بِهِ الْكُهَّانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَيُحَدِّثُوهُمْ بِهِ ، فَيُخْطِئُونَ وَيُصِيبُونَ ، فَيَتَحَدَّثُ بِهِ الْكُهَّانُ فَيُصِيبُونَ بَعْضًا وَيُخْطِئُونَ بَعْضًا ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَجَبَ الشَّيَاطِينَ بِهَذِهِ النُّجُومِ الَّتِي يُقْذَفُونَ بِهَا ، فَانْقَطَعَتِ الْكِهَانَةُ الْيَوْمَ ، فَلَا كِهَانَةَ »

قال ابن إسحق : وحدثنى عمرو بن أبى جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى لَبيبة ، عن على بن الحسين بن على رضى الله عنه ، بمثل حديث ابن شهاب عنه .

الغيطلة كاهنة بنى سهم

قال ابن إسحق : وحدثنى بعضُ أهل العلم ، أن امرأة من بنى سهم يقال لها الغَيْطَلة ، كانت كاهنةً فى الجاهلية ، فلما جاءها صاحبُها فى ليلة من الليالى ، فأنقضَ تحتها (١) ، ثم قال :

(١) « فأنقض تحتها » قال أبو ذر : « من رواه أنقض (بوزن أكرم)

أدْرما أدْر[1]، يوم عقْرٍ ونَحْرْ؛ قالت قريش ـ حين بلغها ذلك ـ: مايريد؟ ثم جاءها ليلةً أخرى، فانقض تحتها، ثم قال: شُعُوبٌ ماشُعُوبْ[2]، تُصْرَعُ فيه كَعْبٌ لِجُنُوب؛ فلما بلغ ذلك قريشا قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا لأمرٌ هو كائن، فانظروا ماهو؟ فما عرفوه حتى كانت وقعةُ بدرٍ وأحد بالشِّعب؛ فعرفوا أنه الذى كان جاء به إلى صاحبته

قال ابن هشام: الغَيْطَلَة: من بنى مُرَّة بن عَبْد مَنَاة بن كِنانة إخوة مُدْلِج بن مُرَّة، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبوطالب فى قوله: —

لَقَدْ سَفُهَتْ أَحْلاَمُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بَنِى خَلَفٍ قَيْظًا بِنَا وَالْغَيَاطِلِ[3]

فقيل لولدها «الغياطل» وهم من بنى سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص؛ وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها؛ إن شاء الله تعالى

كاهن جنب يخبر قومه بنبوة النبى

قال ابن إسحق: وحدثنى على بن نافع الجرشى، أن جَنْباً، بَطْناً من اليمن، كان لهم كاهن فى الجاهلية، فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب قالت له جَنْبٌ: انظر لنا فى أمر هذا الرجل، واجتمعوا له فى أسفل جبله، فنزل عليهم ـ حين طلعت الشمس ـ

فمعناه صوت، أى: تكلم بصوت خفى، تقول: سمعت نقيض الباب، ونقيض الرجل، أى: صوته، ومن رواه فانقض (بوزن احمر) فمعناه سقط تحتها يقال: انقض الطائر، إذا سقط على الشيء» اه كلامه

(١) فى بعض الروايات فى هذه القصة «بدر مابدر»

(٢) «شعوب» قال أبو ذر: «من رواه بالضم فهو جمع شعب (بكسر فسكون) وهو الموضع الخفى بين جبلين، ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمنية لا ينصرف» اه قلت: المحمل الثانى بعيد لقولها تصرع فيه ـ الخ

(٣) «قيضابنا» أى: عوضامنا، تقول: قاضه بكذا، أى: عوضه به

فوقف لهم قائما متكئا على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلا ، ثم جعل ينزو (١) ، ثم قال : أيها الناسُ ، إنَّ الله أكرم محمداً واصطَفَاه ، وطَهَّر قلبه وحَشاه ، ومُكْثه فيكم أيها الناس قليل ؛ ثم اشتدَّ (٢) فى جبله راجعاً من حيث جاء

عمر بن الخطاب وسواد بن قارب

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان ، أنه حدث ، أن عمر بن الخطاب بَيْنَا هو جالسٌ فى الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ أقبل رجلٌ (٣)

---

(١) « ينزو » أى : يثب ؛ يقال : نزا ينزو ، إذا وثب

(٢) « اشتد » أسرع ، وفى نسخة « أسند » أى : علا فيه وارتفع

(٣) هذا الرجل هو سواد بن قارب : كان كاهنا فى الجاهلية ثم أسلم وقد روى قصته محمد بن كعب القرظى على غير هذا الوجه مشتملة على سياقة حسنة وزيادة مفيدة ؛ قال : بينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالسا إذ مر به رجل ، فقيل : ياأمير المؤمنين ، أتعرف هذا المار ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سواد بن قارب الذى أتاه رئيه - أى : تابعه من الجن - الذى يرى له ، أتاه بظهور النبى عليه السلام ، قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟ قال : فغضب ، وقال : مااستقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت ياأمير المؤمنين ، فقال له عمر : سبحان الله !! ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك . فأخبرنى ما نبأ رئيك بظهور رسول الله عليه السلام قال : نعم ياأمير المؤمنين ، بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتانى رئيى فضربنى برجله ، وقال : قم ياسواد بن قارب ، واسمع مقالتى واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ؛ ثم أنشد يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلاَبِهَا ... وشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَقْتَابِهَا
تَهْوِى إلَى مَكَّةَ تَبْغِى الْهُدَى ... مَاصَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَّابِهَا

من العرب داخلا المسجدَ يريد عمر بن الخطاب ؛ فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه قال : إنّ هذا الرجل لَعَلَى شِرْكه مافارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهنا

فَادْخُلْ إلَي الصفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْنَابِهَا

قال : قلت : دعنى أنام ، فانى أمسيت ناعسا ، فلما كانت الليلة الثانية أتانى ، فضربنى برجله وقال: قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالتى ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول : ـ

عَجِبْتُ للجِنِّ وَتَخْبَارِهَا وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهْوِى إلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَكُفَّارِهَا
فَارْحَلْ إلَي الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

قال : قلت : دعنى أنام ، فانى أمسيت ناعسا ، فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله ، وقال : قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالتى ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله عزوجل وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول : ـ

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وَتَجْسَاسِهَا وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا
تَهْوِى إلَي مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَاخَيِّرُ الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا
فَادْخُلْ إلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَارْمِ بِعَيْنَيْكَ إلَي رَاسِهَا

فقمت فقلت : قد امتحن الله قلبى ، فرحلت ناقتى ، ثم أتيت المدينة ، (وفى رواية حتى أتيت مكة ، وهى أقرب إلى الصحة ، لأن الجن إنما جاءت إليه عليه السلام للايمان به فى مكة) فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله ، فلما رآنى قال : مرحبا ياسواد بن قارب ، قد علمنا ماجاء بك . فقلت : يارسول الله ، قد قلت شعرا ، فاسمع مقالى يارسول الله ، فقال : هات ، فأنشأ يقول : ـ

أَتَانِي رَئِيِّ بَعْدَ هَدْءٍ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ

فى الجاهلية ؛ فسلَّم عليه الرجل ؛ ثم جلس ؛ فقال له عمر رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهنا فى الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! ! ! لقد خِلْتَ فىَّ واستَقْبلتنى بأمر ماأراك قُلْته لأحَدٍ من رعيتك منذ وَليتَ ماوليت ، فقال عمر : اللهمَّ[1] غَفْراً ؛ قد كنا فى الجاهلية على شَرٍّ من هذا : نَعْبُدُ الأصنام ونعتنق الأوثان ؛ حتى أكرمنا الله برسوله وبالاسلام ؛ قال : نعم والله

ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ
فَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِ الْإِزَارِ وَوَسَّطَتْ
بِى الذِّعْلِبُ الْوَجْنَاءُ بَيْنَ السَّبَاسِبِ
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَارَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ
وَأَنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةً
إِلَي اللهِ يَاابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَاخَيْرَ مُرْسَلٍ
وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَاذُو شَفَاعَةٍ
سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

قال : ففرح النبي عليه السلام هو وأصحابه بمقالتى فرحا شديدا حتى رؤى الفرح فى وجوههم ، وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال : أفلحت ياسواد ، فرأيت عمر رضى الله عنه التزمه ، وقال : كنت أشتهى أن أسمع هذا الحديث منك ، فهل يأتيك رئيك اليوم ، قال : أمامنذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله عز وجل

(١) « اللهم غفرا » هذه كلمة تقولها العرب إذا أخطأ الرجل على الرجل ، ومعناه اللهم اغفرلى

يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً فى الجاهلية ؛ قال : فأخبرنى ماجاءك به صاحبك ؛ قال : جاءنى قبل الاسلام بشهر أو شَيْعِهِ [1] ؛ فقال : ألم تَرَ إلى الجن وإبلاسها ، وإياسها من دينها ، ولُحُوقها بالقِلاَص وأحلاَسها [2]

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر

قال عبد الله بن كعب : فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس : والله إنِّى لعِنْدَ وَثَنٍ من أوثان الجاهلية فى نَفَرٍ من قريش قد ذَبَح له رجل من العرب عِجْلاً ، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه إذ سمعت من جوف العِجْل صوتاً ما سمعتُ صوتا قط أنْفَذَ منه ، وذلك قبيل الاسلام بشهر أوشَيْعِهِ [1] ، يقول : ياذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح ، يقول لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول لاإله إلا الله

وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر : —

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وَإِبْلاَسِهَا وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَحْلاَسِهَا [3]
تَهْوِى إلَى مَكَّةَ تَبْغِى الْهُدَى مَامُؤْمِنُو الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا

---

(١) « أو شيعه » يعنى أودونه بقليل

(٢) « إبلاسها » تقول : أبلس الرجل ، إذا سكت ذليلا أو مغلوبا ؛ والاياس واليأس واحد . والقلاص : الابل الفتية . والاحلاس : جمع حلس ـ بكسر فسكون ـ وهو كساء جلد يوضع على ظهر البعير ثم يوضع عليه الرحل ليقيه من الدبر .

(٣) العيس : الابل الكرام . وتقدم تفسير سائر ألفاظ البيتين

قال ابن إسحق : فهذا مابلغنا عن الكهان من العرب

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

اليهود تنذر العرب بمبعث النبي

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن مما دعانا إلى الاسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه ، لمَا كُنَّا نسمع من رجال يهود ، كنا أهلَ شرك ، أصحابَ أوثان ، وكانوا أهلَ كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه تقارب زمانُ نبي يبعث الآن نقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرم ، فكنا كثيرا مانسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعَّدُوننا به فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة(٢ : ٨٩) : (وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ مَاعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكافِرِينَ)

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتحاكمون ، وفى كتاب الله تعالى (٧ : ٨٩) : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)

قال ابن إسحق : وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف عن محمود بن لَبيد أخى بنى عبد الأشهل ، عن سلمة بن سلامة بن وقش (وكان سلمة من أصحاب بدر) قال : كان لنا جارٌ من يهود فى بنى عبد الأشهل ، قال : فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بنى عبد الأشهل ، قال سلمة : وأنا يومئذ أحدَثُ من فيه سنًّا عليَّ بُرْدَةٌ لى مُضْطَجِعٌ فيها بفناء أهلى ، فذكر

القيامةَ والبعثَ والحسابَ والميزانَ والجنةَ والنار، قال : فقال ذلك لقوم أهل شركٍ أصحاب أوثان ، لا يَرَوْن أنَّ بعثاً كائنٌ بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يافلان !!! أو ترى هذا كائنا أنَّ الناس يُبْعَثُون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يُجْزَوْنَ فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم والذى يُحْلَفُ به ، ويَوَدُّ أن له بحظِّه من تلك النار أعْظَمَ تَنُّورٍ فى الدار ، يُحْمُونه ثم يُدْخلونه إياه فيطينونه عليه ؛ بأن يَنْجُوَ من تلك النار غدا ، فقالوا له : ويحك يافلان !!! فما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده إلى مكة واليمن ، فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلىَّ وأنا من أحْدَثهم سنًّا فقال : إن يَسْتنفدْ هذا الغلامُ عمرَهُ يُدْرِكه ، قال سلمة : فوالله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حى بين أظهرنا ، فآمنَّا به ، وكفر به بَغْياً وحَسَدًا ، قال : فقلنا له : ويحك يافلان !!! ألست الذى قلت لنا فيه ماقلت ! قال : بلى ولكن ليس به .

ابن الهيبان ينذر اليهود بمبعث النبى

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة ، عن شيخ من بنى قُرَيْظة، قال : قال لى : هل تدرى عَمَّ كان إسلام ثعلبة بن سعية[1] وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد؟؟ (نفر من بنى هدل إخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم فى الاسلام) قال : قلت : لا ، قال : فانَّ رجلاً من يهود من أهل الشام ، يقال ابن الهَيَّبَان[2] ، قدم علينا قبيل الاسلام

(١) «أسيد بن سعية» قال أبو ذر : « وقع فى الرواية بضم همزة أسيد وفتحها ، وسعية بالياء المثناة وبالنون ، وأسيد بفتح الهمزة هو الصواب فيه ، قاله الدارقطنى وعبد الغنى » اه كلامه بحروفه

(٢) « الهيبان » بفتح الهاء وتشديد الياء مفتوحة بعدها باء موحدة وآخره نون ، وأصله صفة ، يقال : قطن هيبان ، إذا كان منفوشا . د

بسنين ، فحلَّ بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلا قطُّ لايصلى الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا ، فكنا إذا قَحِطَ عنا المطر قلنا له : اخرج ياابن الْهَيَّبَانِ فاستسق لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تُقَدِّموا بين يدى مَخْرَجِكم صدقةً ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مُدَّيْن من شعير ، قال : فنُخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتِنَا فيستسق الله لنا ، فوالله ما يَبْرَحُ مجلسه حتى تمر السحابة ونسقى ، قد فَعَلَ ذلك غَيْرَ مرةٍ ولا مرتين ولا ثلاث ، قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يامعشر يهود ، ماتَرَوْنَه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ، قال : فانى إنما قدمت هذه البلدة أَتَوَكَّفُ (١) خروج نبى قد أظَلَّ زَمَانُه (٢) ، وهذه البلدة مُهَاجَرُهُ ، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقدأظَلَّكم زمانه ، فلاتُسْبَقُنَّ إليه يامعشر يهود ، فانه يُبْعث بسَفْك الدماء ، وسَبْى الذَّرَارى والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَاصَرَ بنى قريظة قال هؤلاء الفتية — وكانوا شبابا أحداثا — : يابنى قُرَيْظَة ، والله إنه لَلنَّبِىُّ الذى كان عهد إليكم فيه ابن الْهَيَّبَان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى ، والله إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .

قال ابن إسحق : فهذا مابلغنا عن أخبار يهود

حديث إسلام سَلْمَان رضى الله عنه

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن — منها سلمان الفارسى

(١) « أتوكف خروج نبى » معناه أنتظر خروجه وأستشعره
(٢) « أظل زمانه » معناه أشرف عليكم وقرب

محمود بن لَبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثنى سَلْمَانُ الْفَارِسِى مِنْ فِيه قال : كنتُ رجلا فارسيا من أهل أصبهان ، من أهل قرية يقال لها جَىّ ؛ وكان أبى دِهْقَانَ [1] قريته ، وكنت أحَبَّ خلق الله إليه ، لم يزل به حبه إياى حتى حَبَسَنى فى بيته كما تُحْبَس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قَطَنَ [2] النار الذى يُوقدُهَا ، لايتركها تخبو ساعة ، قال : وكانت لأبى ضَيْعَةٌ عظيمة ، قال : فشُغِل فى بُنْيان له يوما ، فقال لى : يابُنَىَّ ، إنى قد شُغِلت فى بُنْيَانِى هذا اليومَ عن ضيعتى ، فاذهب إليها فاطّلعها ، وأمَرَنى فيها ببعض مايريد ، ثم قال لى : ولا تَحْتَبِسْ عنى ؛ فانك إن احتبست عنى كنت أهَمَّ إلى من ضيعتى ، وشغلْتَنِى عن كل شىء من أمرى ، قال : فخرجت أريد ضَيْعَته التى بعثنى إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يُصَلّون ، وكنت لاأدرى ماأمْرُ الناس ؛ لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر مايصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم ، وقلت : هذا والله خَيْرٌ من الدين الذى نحن عليه ، فوالله مابرحتهم حتى غَرَبَت الشمس ، وتركت ضَيْعَةَ أبى فلم آتها ، ثم قلت لهم : أين أصْلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، فرجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى ، وشغَلْتُهُ عن عمله كله ، فلما جئته قال : أىْ بُنَىَّ ، أين كنت ؟ أوَلَمْ أكن عَهِدْتُ إليك ماعهدت ؟ قال : قلت : ياأبَتِ ، مررتُ بأناس يُصَلُّون فى كنيسةٍ لهم ، فأعجبنى مارأيت من دينهم ، فوالله

(١) الدهقان ـ بكسر فسكون ـ شيخ القرية العارف بالفلاحة ومايصلح بالأرض من الشجر ، يلجأ إليه فى معرفة ذلك .

(٢) قطن النار : هو خادمها الذى يخدمها ويمنعها من أن تنطفىء .

مازلت عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أىْ بُنَىَّ ، ليس فى ذلك الدين خير ، دينُكَ ودينُ آبائك خيرٌ منه ، قال : قلت له : كلاَّ ، والله إنه لخير من ديننا ؛ قال : فخافنى ، فجعل فى رجلى قَيْدًا ، ثم حبسنى فى بيته ، قال : وبعثتُ إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدِمَ عليكم رَكْبٌ من الشأم فأخبرونى بهم ، قال : فقدم عليهم ركب من الشأم تُجَّار من النصارى ، فأخبرونى بهم ، فقلت لهم : إذا قَضَوْا حوائجهم وأرادوا الرَّجْعَة إلى بلادهم فآذنونى بهم ، قال : فلما أرادوا الرَّجْعَة إلى بلادهم أخْبَرونى بهم ، فألقيت الحديد من رجلى ، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشأم ، فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين عِلْماً ؟ قالوا : الأسْقُفُّ (١) فى الكنيسة ، قال : فجئته ، فقلت له : إنى قد رغبت فى هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك ، وأخدمك فى كنيستك ، فأتعلم منك ، وأصلى معك ، قال : ادخل ، فدخلت معه : قال : وكان رجل سوء : يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فاذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سَبْعَ قِلاَلٍ من ذهب ووَرِق قال : فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ، ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إنَّ هذا كان رجلَ سَوْء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا قال : فقالوا لى : وما علمك بذلك ؟ قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدُلَّنَا عليه ، قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا سَبْعَ قِلاَلٍ مملوءةً ذهباً ووَرِقاً ، قال : فلما رأوها قالوا : والله لاندفنه أبدا ، قال :

والفرس كانوا مجوسا يعظمون النار ويعبدونها

(١) الأسقف : هو عالم النصارى الذى يقيم لهم أمر دينهم ، يقال بضم الهمزة وسكون السين وضم القاف ، والفاء مشددة أو مخففة

فصلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، قال : يقول سلمان : فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى أنه كان أفضل منه ، وأزهد فى الدنيا ، ولا أرغب فى الآخرة ، ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه ، قال : فأحببته حُبًّا لم أحبه شيئا قبله مثله ، قال : فأقمت معه زمانا ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يافلان ، إنى قد كنت معك ، وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى مَنْ توصى بى ؟ وبم تأمرنى؟ قال : أىْ بُنَىَّ ، والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه ، فقد هلك الناس ، وبَدَّلوا ، وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلا بالمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ماكنت عليه ، فالْحَقْ به

سلمان يرحل ليلحق بقس الموصل

فلما مات وغُيِّبَ لَحَقْتُ بصاحب الموصل ، فقلت له : يافلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، قال : فقال لى : أَقِمْ عندى ، فأقمت عنده ، فوجدته خَيْرَ رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات ، فلماحضرته الوفاة قلت له : يافلان ، إن فلانا أوصى بى إليك ، وأمرنى باللّحُوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ماترى ، فإلى مَنْ توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : يا بُنَىَّ ، والله ماأعلم رجلا على مثل ما كُنَّا عليه إلاّ رجلا بنصِيبِينَ ، وهو فلان ، فالْحَقْ به

سلمان يلحق بقس نصيبين

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبرى ، وما أمرنى به صاحباى ، فقال : أَقِمْ عندى ، فأقمت عنده ، فوجدته على أمْر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله مالبث أن نَزَل به الموت، فلما حُضِرَ قلت له : يافلان ، إن فلانا كان أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى مَنْ توصى بى؟ وبم تأمرنى ؟ قال : يا بُنَىَّ ، والله ماأعلمه

بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه ، إلاّ رجلا بعَمُّورِيَة من أرض الروم ؛ فانه على مثل مانحن عليه ، فان أحببت فأْتِه ، فانه على أمرنا ،

سلمان يلحق بقس عمورية فيوصيه باتباع النبي ويصفه له

فلما مات وغُيِّبَ لَحِقْتُ بصاحب عَمُّورِيَة ، فأخبرته خبرى ، فقال : أَقِمْ عندى ، فأقمت عند خير رجل على هَدْى أصحابه وأمرهم ، قال : واكتسبت حتى كانت لى بَقَرَاتٌ وغُنَيْمة ، قال: ثم نزل به أمر الله ، فلما حُضِر قلت له : يافلان ، إنى كنت مع فلان فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، [ثم أوصى بى فلان إلى فلان] ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فالى مَنْ توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : أىْ بُنَىَّ ، والله ماأعلمه أصْبَحَ اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبى ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مُهَاجَرُهُ إلى أرض بين حَرَّتَيْنِ (١) بينهما نَخلٌ ، به علامات لاتخفى : يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فان استطعت أن تَلْحَقَ بتلك البلاد فافعَلْ .

سلمان يرتحل الى أرض العرب مع قوم من بنى كلب

قال : ثم مات وغُيِّبَ ، ومكثت بعَمُّورِيَة ماشاء الله أن أمكث ، ثم مر بى نفر من كَلْبٍ تُجَّار ، فقلت لهم : أحملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بَقَرَاتى هذه وغُنَيْمتى هذه ، قالوا : نعم ، فأعطيتهموها ، وحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى ، فباعونى من رجل يهودى عَبْدًا . فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فَرَجَوْتُ أن يكون البلد الذى وَصَفَ لى صاحبى ، ولم يَحِق فى نفسى ، فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم

سلمان يقدم المدينة

له من بنى قُرَيْظَة من المدينة . فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ماهو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى . فأقمت بها ، وبعث رسول الله

(١) الحرة : كل أرض ذات حجارة سود

صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام لاأسمع له بذكر ، مع ما أنا فيه من

سلمان يسمع بمهاجر النبي صلى الله عليه وسلم

شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفى رأس عَذْقٍ[1] لسيدى أعمل له فيه بعض العمل ، وسيدى جالس تحتى ؛ إذ أقبل ابن عم له ، حتى وقف عليه ، فقال : يافلان ، قاتل الله بنى قَيْلَةَ ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبى

نسب قيلة

قال ابن هشام : قَيْلَةُ : بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسْلُم بن إلحاف بن قضاعة ، أم الأوس والخزرج ، قال النعمَان بن بَشير الأنصارى يمدح الأوس والخزرج : —

بَهَالِيلُ مِنْ أَوْلَادِ قَيْلَةَ لَمْ يَجِدْ ... عَلَيْهِمْ خَلِيطٌ فِى مُخَالَطَةٍ عَتْبَا[2]
مَسَامِيحُ أَبْطَالٌ يُرَاحُونَ لِلنَّدَى ... يَرَوْنَ عَلَيْهِمْ فِعْلَ آبَائِهِمْ نَحْبَا[3]

وهذان البيتان فى قصيدة له

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عُمَر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال سلمان : فلما سمعتها أخَذَتنِى العُرَوَاء (قال ابن هشام : الْعُرَوَاء : الرعدة من البرد والانتفاض ؛ فان كان مع ذلك عَرَق فهى الرُّحَضَاء ، وكلاها ممدود) حتى ظننت أنى سأسقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ فغضب سيدى ، فلكمنى لكمةً شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبِلْ على عملك ، قال : قلت : لاشىء ، إنما أردت أن أسْتَثْبِته

---

(١) « عذق» هو بفتح العين النخلة، وبكسرها الكباسة وهو عنقود النخلة

(٢) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد ،

(٣) مساميح : هم الأجواد الكرام ، وأبطال : شجعان ، ويراحون : يهتزون ، والنحب : النذر ، وكل ما وجب عليك أداؤه

عمَّا قال ، وقد كان عندى شىء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غُرَباء ذوو حاجة ، وهذا شىء قد كان عندى للصدقةِ ، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « كلوا » وأمسك يده فلم يأكل ، قال : فقلت فى نفسي : هذه واحدة ، قال : ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحوَّلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئته به ، فقلت له : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها ، قال : فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، فقلت فى نفسى : هاتان ثنتان ، قال : ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغَرْقَد قد تَبِعَ جِنَازة رجل (١) من أصحابه ، عَلَىَّ شَمْلَتَان (٢) لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذى وَصَفَ لى صاحبى ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عَرَفَ أنّى أستثبت فى شىء وصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرتُ إلى الخاتم ، فعرفته ، فأكببت عليه أقبله وأبكى ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَحَوَّلْ » فتحولت ، فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم شغل سَلْمَانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بَدْرٌ وأُحد ؛ قال سلمان : ثم قال لى رسول الله

سلمان يستثبت من صفات النبى صلى الله عليه وسلم

(١) الميت هو كلثوم بن الهرم ، قاله أبو ذر

(٢) الشملة : الكساء الغليظ يشتمل به الانسان ، أى : يلتحف به

النبي يأمر سلمان ان يكاتب عن نفسه ويأمر أصحابه باعانته

صلى الله عليه وسلم « كَاتِبْ يَاسَلْمَانُ » فكاتبت صاحبي على ثلمائة نخلة أُحْيِيها له بالْفَقِيرِ (١) وأربعين أُوقيةً ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : «أَعِينُوا أَخَاكُمْ» فأعانونى بالنخل : الرجلُ بثلاثين وَدِيَّةً (٢) ، والرجلُ بعِشْرِين وَدِيَّةً ، والرجلُ بخَمْسَ عشْرةَ وَدِيَّةً ، والرجلُ بعَشْرٍ ، يُعين الرجل بقدر ماعنده ، حتى اجتمعت لى ثلثمائة وَدِيَّةٍ فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذْهَبْ يَاسَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا ؛ (٣) فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُنْ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدِي » قال : فَفَقَّرْتُ وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معى إليها ، فجعلنا نُقَرِّب إليه الوَدِيَّ ويَضَعُه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ،حتى فرغنا ، فوالّذى نفسُ سَلْمان بيده ماماتت منها وَدِيَّةٌ واحدة ، فأدَّيْتُ النخل ، وبقى علىَّ المالُ ، فأُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بَيْضَة الدّجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال : « مَافَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ » ؟ قال : فدُعيتُ له ؛ فقال : « خُذْ هٰذِهِ فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَاسَلْمَانُ » قال : قلت : وأين تقع هذه يارسول الله مما علىّ ؟ فقال « خُذْهَا فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ » قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها ، والّذى نفسُ سَلْمان بيده ، أربعين أوقيةً ، فأوْفَيْتُهُمْ حَقَّهم منها ،

---

(١) « بالفقير » قال فى القاموس « الفقير : البئر تغرس فيها الفسيلة ، الجمع فقر ـ بضمتين ـ وقد فقر لها تفقيرا » اه ، وقال أبو ذر : « بالفقير . أى : بالحفر وبالغرس ، يقال : فقرت الأرض ، إذا حفرتها ، ومنه سميت البئر فقيرا ، وقال الوقشى : الصواب هنا التفقير ، وأراد الوقشى هنا المصدر وهو أحسن » اه كلامه

(٢) الودية : واحد الودى ، وهو فراخ النخل الصغار

(٣) فقرلها : أى احفر لها

وعَتَقَ سلمان ، فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الخندقَ حرًّا ، ثم لم يفتنى معه مَشْهَدٌ .

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن رجل من عبد القيس ، عن سَلْمَان ، أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذى علىّ يارسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ، ثم قال : « خُذْهَا فَأَوْفِهِمْ مِنْهَا » فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كلَّه : أربعين أوقية .

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حدثنى من لاأتهم ، عن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، قال : حُدِّثْتُ عن سَلْمان أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره خبره : إن صاحب عَمُّورِيَةَ قال له : ائْتِ كَذَا وكذا من أرض الشام ؛ فان بها رجلا بَيْنَ غَيْضَتَيْن (١) يَخْرُجُ فى كل سنة من هذه الغَيْضَة إلى هذه الغيضة مستجيزا ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد منهم إلا شفى ، فاسأله عن هذا الدِّين الذى تبتغى ؛ فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجت حتى أتيت حيث وصف لى ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بِمَرْضَاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة مُسْتَجيزا من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغَشيه الناس بمرضاهم لايدعو لمريض إلا شفى ، وغلبونى عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التى يريد أن يدخل ، إلا منكبه ، قال : فتناولته ، فقال : من هذا ؟ والتفت إلىّ ، فقلت : يرحمك الله ، أخبرنى عن الحنيفية دين إبراهيم . قال : إنك تسألنى عن شىء مايسأل عنه الناس اليوم ، قد أظَلَّكَ زمان نبى يبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فأْتِهِ فهو يحملك عليه ، قال : ثم دخل . قال :

---

(١) « غيضتين » الغيضة : الشجر الملتف

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان : « لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي يَاسَلْمَانُ لَقَدْ لَقِيتَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ » على نبينا وعليه السلام

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحق : واجتمعت قريشٌ يوماً فى عيدٍ لهم عند صَنَمٍ من أصنامهم ، كانوا يعظمونه ، وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويديرون به ، وكان ذلك عيدًا لهم فى كل سنة يوما ، فَخَلَصَ منهم أربعةُ نفرٍ نَجِيًّا (١) ثم قال بعضهم لبعض : تَصَادقوا وليَكْتُمْ بعضُكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهُمْ : وَرَقَة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وعُبَيْد الله بن جحش بن رِئاب ابن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرَّة بن كبير بن غَنْم بن دودَان بن أَسَد بن خزيمة ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب ؛ وعُثْمان بن الْحُوَيْرث بن أَسَد بن عبد الْعُزَّى بن قصى ؛ وزَيْد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد الْعُزَّى ابن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاح بن رَزَاح بن عَدِيّ بن كعب بن لؤى ؛ فقال بعضهم لبعض : تَعَلَّمُوا والله ماقَوْمُكم على شيء ، لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم ، ماحَجَرٌ نُطِيف به لايَسْمَع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ! ! ! ياقوم التمسوا لأنفسكم ؛ فانكم والله ماأنتم على شيء ، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفة دين إبراهيم

---

(١) « نجيا » النجى : الجماعة يتحدثون سرا يتمون حديثهم عن غيرهم وهو لفظ يستوى فيه الواحد والاثنان والجماعة ، قال الله تعالى : (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا)

فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم عِلْماً من أهل الكتاب ورقة بن نوفل

وأما عُبيد الله بن جَحْش فأقام على ماهو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مُسْلِمَةً ؛ فلما قدمها تَنَصَّر وفارق الاسلام ، حتي هلك هنالك نصرانيا عبيد الله بن جحش

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : كان عبيدالله ابن جحش حين تنصر يَمُرُّ بأصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم — وهم هنالك من أرض الحبشة — فيقولون : فَقَّحْنَا وصَأْصَأْتُم (أى: أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تبصروا بعد ، وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر صأصأ لينظر ، وقوله « فَقَّح » فتح عينيه) قال cf. III. 417

قال ابن إسحق : وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن على بن حسين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها إلى النجاشى عمرو بن أمية الضَّمْرِىّ ، فخطبها عليه النجاشى ، فزوجه إياها وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار ، فقال محمد بن على : ماترى عبدَ الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك ؟ وكان الذى أملكها للنبى صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص

قال ابن إسحق : وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قَيْصَر ملك الروم فتنصر وحَسُنَت منزلته عنده عثمان بن الحويرث

قال ابن هشام : ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث منعنى من ذكره ماذكرت فى حديث حرب الفجار

زيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحق : وأما زيد بن عمرو بن نُفَيْل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل المو ءودة ، وقال : أَعْبُدُ ربَّ إبراهيم ، وبَادَى قومَهُ بعيب ماهم عليه

قال ابن إسحق : وحدثنى هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن أمه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيت زَيْدَ بن عَمْرو ابن نُفَيل شَيْخاً كبيرا مسندا ظهره إلى الكعبة وهو يقول : يامَعْشَرَ قريش ، والذى نفسُ زيد بن عمرو بيده ماأصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللَّهم لو أنى أعلم أىّ الوجوه أحبّ إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته .

قال ابن إسحق : وحُدِّثْتُ أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل وعُمَرَ بن الخطاب ـ وهو ابن عمه ـ قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنستَغْفِرُ لزيد بن عمرو ؟ قال: « نَعَمْ ؛ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ» وقال زيد بن عَمْرو بن نُفَيل فى فراق دين قومه ، وما كان لقى منهم فى ذلك : —

أَرَبًّا واحِـدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ ... أَدِينُ إِذَا تُقُسِّمَتِ الْأُمُورُ
عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعاً ... كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصَّبُورُ
فَلَا عُزَّى أَدِينُ وَلَا ابْنَتَيْهَا ... وَلَا صَنَمَىْ بَنِى عَمْرٍو أَزُورُ
وَلَا غَنْماً أَدِينُ وَكَانَ رَبًّا ... لَنَا فِى الدَّهْرِ إِذْ حِلْمِى يَسِيرُ (١)
عَجِبْتُ وَفِى اللَّيَالِي مُعْجَبَاتٌ ... وَفِى الْأَيَّامِ يَعْرِفُهَا الْبَصِيرُ
بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَفْنَى رِجَالًا ... كَثِيراً كَانَ شَأْنَهُمُ الْفُجُورُ

(١) « غنما » كذلك وقع فى أصول الكتاب والذى فى الأصنام « ولا هبلا ـ الخ »

وَأَبْقَى آخَرِينَ بِبِرِّ قَوْمٍ
فَيَرْبِلُ مِنْهُمُ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ (١)

وَبَيْنَا الْمَرْءُ يَعْثُرُ ثَابَ يَوْماً كَمَا يَتَرَوَّحُ الْغُصْنُ الْمَطِيرُ (٢)
وَلٰكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمٰنَ رَبِّي لِيَغْفِرَ ذَنْبِيَ الرَّبُّ الْغَفُورُ
فَتَقْوَى اللهِ رَبِّكُمُ احْفَظُوهَا مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا لَا تَبُورُوا (٣)
تَرَى الْأَبْرَارَ دَارُهُمُ جِنَانٌ وَلِلْكُفَّارِ حَامِيَةً سَعِيرُ
وَخِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا يُلَاقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً (قال ابن هشام : هي لأمية بن أبي الصلت في قصيدة له ، إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا ، وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحق) : —

إِلَى اللهِ أُهْدِي مِدْحَتِي وَثَنَائِيَا
وَقَوْلاً رَصِيناً لَا يَنِي الدَّهْرَ بَاقِيَا (٤)

إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
إِلٰهٌ وَلَا رَبٌّ يَكُونُ مُدَانِيَا

أَلَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِيَّاكَ وَالرَّدَى فَإِنَّكَ لَا تُخْفِي مِنَ اللهِ خَافِيَا
وَإِيَّاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ فَإِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا

---

(١) « فيربل » يقال : ربل الطفل ، كنصر وكضرب ، إذا شب وكبر.

(٢) « يتروح الغصن » يهتز ويخضر ، ويروى « وبينا المرء يفتر — الخ »

(٣) « لا تبوروا » لا تهلكوا

(٤) « قولا رصينا » بالصاد — هو هكذا في رواية أبي ذر : والرصين : الثابت المحكم ، و« لا يني » أي : لا يفتر ولا يضعف

حَنَانيْكَ إِنَّ الْجِنَّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ
وَأَنْتَ إِلٰهِي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا(١)
رَضِيتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبًّا فَلَنْ أُرَى أَدِينُ إِلٰهًا غَيْرَكَ اللهُ ثَانِيَا(٢)
وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلِ مَنٍّ وَرَحْمَةٍ بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولاً مُنَادِيَا
فَقُلْتَ لَهُ يَااذْهَبْ وَهٰرُونَ فَادْعُوَا إِلَى اللهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا
وَقُولاَ لَهُ آأَنْتَ سَوَّيْتَ هٰذِهِ بِلاَ وَتِدٍ حَتَّى اطْمَأَنَّتْ كَمَا هِيَا
وَقُولاَ لَهُ آأَنْتَ رَفَعْتَ هٰذِهِ بِلاَ عَمَدٍ أَرْفِقْ إِذًا بِكَ بَانِيَا(٣)
وَقُولاَ لَهُ آأَنْتَ سَوَّيْتَ وَسْطَهَا مُنِيراً إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا
وَقُولاَ لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدْوَةً
فَيُصْبِحَ مَامَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَاحِيَا(٤)
وَقُولاَ لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الْحَبَّ فِي الثَّرَى
فَيُصْبِحَ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا(٥)
وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُءُوسِهِ وَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا
وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُساً
وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا
وَإِنِّي لَوْ سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا لَأُكْثِرُ إِلاَّ مَا غَفَرْتَ خَطَائِيَا

---

(١) « حنانيك » مثنى حنان ، وأريد بتثنيته تكرير معناه ، والمراد حنانا بعد حنان ، والحنان : العطف ، والرحمة

(٢) « أدين إلها » أى : أعبد

(٣) « أرفق إذاً بك بانيا » هذا على التعجب ، أى : ماأرفقك بانيا ! ! ومثله قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر)

(٤) « ضاحيا » بارزا للشمس

(٥) « رابيا » ظاهرا على وجه الأرض

فَرَبَّ الْعِبَادِ ، أَلْقِ سَيْباً وَرَحْمَةً   عَلَيّ وَبَارِكْ فِي بَنِيّ وَمَالِيَا (١)

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمى (قال ابن هشام : واسم الحضرمى عبد الله بن عباد (٢) [بن أكبر] أحد الصدف ، واسم الصدف : عمرو بن مالك أحد السَّكون بن أشرس بن كِنْدى ، ويقال : كِنْدَةُ : ابن ثور بن مرتع بن عفير بن عدىّ بن الحرث بن مُرَّة ابن أدَدَ بن زيد بن مهسع بن عَمْرو بن عَريب بن زَيْد بن كهلان ابن سبأ ، ويقال : مرتعٌ : ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ)

قال ابن إسحق : وكان زيد بن عَمْرو قد أجمع الخروج من مكة يضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فكانت صفية بنت الحَضْرَمِىّ كُلَّما رأته قد تهيَّأ للخروج وأراده آذنت به الخَطَّاب بن نُفَيل ؛ وكان الخطاب بن نُفَيل عَمَّه وأخاه لأمه ، وكان يعاتبه على فراق دين قومه ، وكان الخطاب قد وَكَّلَ صفيةَ به ، وقال : إذا رأيته قد هَمَّ بأمر فآذنينى به ، فقال زيد : —

لَا تَحْبِسِينِي فِي الْهَوَا   نِ صَفِيّ مَا دَابِي ودَابُهْ (٣)
إنِّى إذَا خِفْتُ الْهَوَا   نَ مُشَيَّعٌ ذُلُلٌ رِكَابُهْ (٤)

---

(١) السيب : العطاء والرحمة

(٢) قال أبو ذر : « كذا وقع . والصواب عماد مكان عباد . قاله ابن الدباغ وابن أبى الخصال وغيرهما » اهـ

(٣) « صفى » أصله ياصفية ، فحذف حرف النداء ورخم . والدأب : العادة ، وسهل همزته لحاجته إلى التسهيل للشعر

(٤) المشيع : الجرىء الشجاع . والذلل : جمع ذلول ، وهو السهل الذى قد ارتاض

دُعْمُوصُ أَبْوَابِ المُلُو ... كِ وَجَائِبٌ لِلْخَرْقِ نَابُهْ(١)
قَطَّاعُ أَسْبَابٍ تَذِ ... لُّ بِغَيْرِ أَقْرَانٍ صِعَابُهْ(٢)
وَإِنَّمَا أَخَذَ الْهَوَا ... نَ الْعَيْرُ إِذْ يُوهَى إِهَابُهْ(٣)
وَيَقُولُ إِنِّي لاَ أَذِ ... لُّ بِصَكِّ جَنْبَيْهِ صِلاَبُهْ(٤)
وَأَخِي ابْنُ أُمِّي ثُمَّ عَمِّ ... ى لا يُوَاتِينِي خِطَابُهْ(٥)
وَإِذَا يُعَاتِبُنِي بِسُو ... ءٍ قُلْتُ أَعْيَانِى جَوَابُهْ
وَلَوْ أَشَاءُ لَقُلْتُ مَا ... عِنْدِي مَفَاتِحُهُ وَبَابُهْ

قال ابن إسحق : وحُدِّثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجدقال : لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا ، تعبُّدًا ورِقًّا ، عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إبراهيم مستقبلَ الكعبة وهو قائم إذْ قال :

أَنْفِي لَكَ اللهُمَّ عَانٍ رَاغِمُ ... مَهْمَا تُجَشِّمْنِي فَإِنِّي جَاشِمُ

الْبِرَّ أَبْغِي لاَ الْخَالَ ، ليس مُهَجِّرٌ كمن قال (٦)

قال ابن هشام : ويقال : البرَّ أبْقَى لاالخال ، ليس مُهَجِّر كمن قال ، قال : وقوله « مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم

---

(١) الدعموص فى الأصل : دويبة تغوص فى الماء مرة بعد مرة ، يشبه بها الرجل إذا كان يكثر الدخول فى الأمور ، وجائب : قاطع ، تقول : جاب الأرض يجوبها ، إذا قطعها ؛ والخرق : الفلاة الواسعة

(٢) الأقران : جمع قرن ـ بفتحتين ـ وهو الحبل .

(٣) «يوهى » يشق ، والأهاب : الجلد

(٤) « صلابه » جمع صلب

(٥) « لايواتيني » لايوافقنى

(٦) الخال : الخيلاء والكبر . والمهجر : الذى يسير فى الهاجرة ، وهى منتصف النهار حين يشتد الحر ، و« قال » من القيلولة ، وهى : النوم فى ذلك الوقت

قال ابن إسحق : وقال زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل : —

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالَا
دَحَاهَا فَلَمَّا رَآهَا اسْتَوَتْ عَلَى الْمَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا (١)
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالَا (٢)
إِذَا هِيَ سِيقَتْ إِلَى بَلْدَةٍ أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالَا (٣)

وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حِرَاء مقابل مكة ، ووكَّلَ به الخطابُ شبابا من شباب قريش ، وسُفَهَاءَ من سفهائهم ، فقال لهم : لاتتركوه يدخل مكة ، فكان لايدخلها إلا سرًّا منهم ، فاذا علموا بذلك آذَنُوا به الخطاب ، فأخرجوه ، وآذَوْهُ كراهيةَ أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فراقه ، فقال وهو يعظِّم حُرْمته على من استحل منه مااستحل من قومه : —

لَاهُمَّ إِنِّي مُحْرِمٌ لَا حِلَّهْ (٤) وَإِنَّ بَيْتِي أَوْسَطَ الْمَحِلَّهْ
* عِنْدَ الصَّفَا لَيْسَ بِذِي مَضَلَّهْ * (٥)

ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار زيد وقس البلقاء.

(١) « دحاها » بسطها ، وفى التنزيل : (والأرض بعد ذلك دحاها) و « أرسى » أى : أثبتها عليها وثقلها بها
(٢) المزن : السحاب ؛ وخصه بعضهم بالأبيض منه
(٣) السجال : جمع سجل ، وهو الدلو المملوءة ماء ، استعارها للمطر الكثير
(٤) « محرم » أى : ساكن الحرم ؛ وقوله « لاحله » بكسر الحاء وتشديد اللام ـ أراد ساكن الحل ، والحل : ماخرج عن دائرة الحرم ، ويقال للواحد والجمع والمذكر والمؤنث : حل ، وحله
(٥) الصفا : جبل معروف بمكة .

حتى بلغ المَوْصِل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجال الشام كلها ، حتى انتهى إلى راهب بِمَيْفَعَةٍ [(١)] من أرض البلقاء [(٢)] ، كان ينتهى إليه علمُ أهل النصرانية ، فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطلب دينا ماأنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظلَّ زمانُ نبي يخرج من بلادك التى خرجت منها ، يُبْعَثُ بدين إبراهيم الحنيفية ، فالْحَقْ بها فانه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شَامَ اليهودية والنصرانية فلم يَرْضَ شيئا منهما ، فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ماقال ، يريد مكة ، حتى إذا توسَّط بلاد لَخْمٍ عَدَوْا عليه فقتلوه ، فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه : —

ورقة بن نوفل يرثى زيدا

رَشِدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنَّمَا ... تَجَنَّبْتَ تَنُورًا مِنَ النَّارِ حَامِيَا
بِدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبٌّ كَمِثْلِهِ ... وَتَرْكِكَ أَوْثَانَ الطَّوَاغِى كَمَا هِيَا [(٣)]
وَإِدْرَاكِكَ الدِّينَ الَّذِى قَدْ طَلَبْتَهُ ... وَلَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ سَاهِيَا
فَأَصْبَحْتَ فِى دَارٍ كَرِيمٍ مُقَامُهَا ... تُعَلَّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيَا
تُلَاقِى خَلِيلَ اللهِ فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ ... مِنَ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَى النَّارِ هَاوِيَا
وَقَدْ تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ ... وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَادِيَا

---

(١) « بميفعة » أصل الميفعة : الموضع المرتفع من البقاع ، وفى بعض النسخ بيفعة — بدون ميم — والذى فى القاموس يفع ويفاع — بفتح أولهما بلا تاء

(٢) البلقاء : كورة من أعمال دمشق قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة . قاله ياقوت

(٣) الطواغى : جمع طاغية ، وهو هنا ما عبد من دون الله ، قاله أبو ذر

قال ابن هشام : يروى لأمية بن أبى الصلت البيتان الأولان منها وآخرها بيتا فى قصيدة له ، وقوله « أوثان الطواغى » عن غير ابن إسحق

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

عيسى ابن مريم يذكر مبعث النبى

قال ابن إسحق : وقد كان ، فيما بلغنى ، عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله فى الانجيل لأهل الإنجيل ، من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثْبَتَ يُحَنِّسُ الْحَوَارِىُّ لهم حين نسخ لهم الانجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام فى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بَطِروا وظنوا أنهم يَعُزُّونَنِى [1] وأيضا للرب ، ولكن لابد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس ، إنهم أبغضونى مجانا ، أى : باطلا ، فلو قد جاء الْمُنْحَمَنَّا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب روح القدس ، هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد على ، وأنتم أيضا ؛ لأنكم قديما كنتم معى فى هذا ، قلت لكم لكيما لا تشكوا .

والْمُنْحَمَنَّا بالسريانية محمد ، وهو بالرومية الْبَرَقْلِيطِس ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

مبعث النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

[قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائى ، عن محمد بن إسحق المطلبى ،] قال : فلما بلغ محمد رسول

---

(١) « يعزونى » أى : يغلبونى ؛ تقول : عز الرجل أخاه ، إذا غلبه ومنه قوله تعالى : (وعزنى فى الخطاب) أى : غلبنى ، وبابه رد على الأصل فى المضعف الثلاثى المتعدى

الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنةً بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافَّةً للناس بشيرا ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يُؤَدُّوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدَّوْا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (٣ : ٨١) : (وإذْ أخَذَ اللهُ ميثَاقَ النَّبيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَالِكُمْ إِصْرِى) أى : ثقل ماحملتكم من عهدى (قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَامَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدَّوْا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين

الرؤيا الصادقة

قال ابن إسحق : فذكر الزُّهْرِى ، عن عُرْوَة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنها حدثته ، أنَّ أوَّل مابُدِىء به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به — الرُّؤْيا الصادقة ، لايَرَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى نومه إلا جاءت كفَلَق الصبح ، قالت : وحَبَّبَ الله تعالى اليه الخَلْوَة ، فلم يكن شىء أحَبَّ إليه من أن يخلو وحده

زمان مبدأ الوحى

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الملك بن عبيد الله بن أبى سفيان ابن العلاء بن جارية الثقفى ، وكان واعيةً (١) عن بعض أهل العلم ،

(١) « واعية » أى : حافظا ، من قولهم : وعى العلم يعيه ، إذا حفظه وأدخلت التاء فى واعية للمبالغة

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين أراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة — كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى تحسر [١] عنه البيوت ، ويُفْضِي إلى شِعَابِ [٢] مكة وبطون أوْدِيَتِهَا ، فلا يَمُرُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بحَجَرٍ ولا شَجَرٍ إلا قال : السلام عليك يارسول الله ، قال : فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ، ماشاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء فى شهر رمضان

قال ابن إسحق : وحدثنى وَهْب بن كَيْسان مولى آل الزبير ، قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عُمَيْر بن قتادة الليثى : حدِّثْنا ياعبيدُ كيف كان بدء ماابتدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام ، قال : فقال عبيد ، وأنا حاضر يُحَدِّثُ عبدَ الله بن الزبير ومن عنده من الناس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجَاوِر [٣] فى حِرَاء من كل سنة شهرًا ، وكان ذلك مما تَحَنَّثُ [٤] به قريش فى الجاهلية (والتحنث : التبرر)

قال ابن إسحق : وقال أبو طالب : —

---

(١) « تحسر » أى : تبعد عنه ويتخلى عنها

(٢) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال

(٣) « يجاور » يريد يعتكف

(٤) « تحنث » قال أبو ذر : « قد فسره ابن هشام على أنهم يريدون به الحنيفية ؛ فأبدلوا من الفاء ثاء ، والجيد فيه أن يكون التحنث هو الخروج من الحنث — أى : الاثم — كما يكون التأثم الخروج عن الاثم ؛ لأن تفعل قد تستعمل فى الخروج عن الشىء وفى الانسلاخ منه ، ولايحتاج فى هذا إلى الابدال الذى ذكره ابن هشام » اهـ

وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيراً مَكَانَهُ ... وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ

العرب تبدل الثاء فاء

قال ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف ، يريدون الحنيفية ، فيبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جَدَفٌ وجَدَثٌ ، يريدون القبر ، قال رؤبة بن العجاج : —

* لَوْ كَانَ أَحْجَارِى مَعَ الْأَجْدَافِ *

يريد الأجداث ، وهذا البيت فى أرجوزة له ، وبيت أبى طالب فى قصيدة له سأذكرها — إن شاء الله — فى موضعها

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول : فُمَّ ، فى موضع ثُمَّ ؛ يبدلون الفاء من الثاء .

مجىء جبريل الى النبى فى حراء

قال ابن إسحق : حدثنى وَهْب بن كَيْسان قال : قال عُبَيْدٌ : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجَاور ذلك الشَّهْرَ من كل سنة يطعِمُ مَنْ جاءه من المساكين ؛ فاذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جِوَاره من شهره ذلك كان أولَ ما يبدأ به — إذا انصرف من جواره — الكعبةُ ، قبل أن يدخل بيته ؛ فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السَّنة التى بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ؛ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره ، ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ ؛ فَقَالَ :

اُقْرَأْ ، قَالَ : قُلْتُ : مَا أَقْرَأ(١) ، قال : فَغَتَّنِي(٢) بِهِ حَتّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقَالَ : اُقْرَأْ ، قال : قُلْتُ : ما أَقْرَأُ ، قال: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقَالَ : اقْرَأْ ، قال: قُلْتُ : مَاذَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقَالَ : اُقْرَأْ ، قال : فَقُلْتُ : مَاذَا أَقْرَأُ ؟ مَا أَقُولُ ذٰلِكَ إِلاَّ اُفْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَاصَنَعَ بِى فقال(٩٦ : ١ ـ ٥) : اُقْرَأْ ، بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اُقْرَأْ وَرَبكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . قَالَ : فقرأْتُهَا ، ثُمَّ انْتَهَى فَانْصَرَفَ عَنِّي وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِى فَكَأَنَّمَا كُتِبَتْ فِى قَلْبِي كِتَاباً ، قال: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِى وَسَطٍ مِنَ الْجَبلِ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ : يَامُحَمَّدُ ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَأَنا جِبْرِيلُ ، قال : فَرَفَعْتُ رَأْسِى إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ فَإِذَا جِبْرِيلُ فِى صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍّ قَدَمَيْهِ فى أُفُقِ السماء ، يقول : يامحمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فَوَقَفْتُ أنظر إليه ، فَما أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ ، وجعلت أَصْرِفُ وجهى عنه فى آفَاقِ السماء ، قال : فَلَا أَنْظُرُ فى ناحيةٍ منهَا إلاَّ رأيته كذلك ، فما زِلْتُ واقفاً ما أَتَقَدَّمُ أمامى وما أَرْجِعُ ورائى ، حَتَّى بَعَثَتْ خديجةُ رُسُلَهَا فى طَلَبى فبلَغُوا أَعْلَى مَكَّةَ

---

(١) الذى فى الروايات « ماأنا بقارىء » ، والمراد أنه صلى الله عليه وسلم يقول : أنالست ممن يقرأون لأنني لاأعرف القراءة

(٢) قال أبو ذر : « يقال غتنى بالتاء . وغطنى بالطاء أيضا ، ومعناه شدنى » اه لكن المعروف أن الغط والغت معناهما حبس النفس ، قال ابن الأثير : « الغت والغط سواء ، كأنه أراد عصرنى عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة كما يجد من يغمس فى الماء قهرا » اه وقال فى حديث يغتهم الله فى العذاب غتا : « أى يغمسهم فيه غمسا متتابعا »

ورَجعُوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى ، وانصرفتُ راجعا إلى أهلى ، حتى أتيت خديجةَ ، فجلست إلى فخذها مُضيفاً إليها [١] فقالت : ياأَبَا الْقَاسِمِ ، أَيْنَ كُنْتَ ؟ فوالله لَقَدْ بَعَثْتُ رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لى ، ثم حَدَّثْتُهَا بالذى رأيت ، فقالت : أَبْشِرْيَا أَبْنَ عَمِّ واثْبُتْ ، فَوَ الَّذِى نَفْسُ خديجةَ بِيَدِهِ إنّى لأرجو أن تكون نبىَّ هـذه الأمة ، ثم قامت فَجَمَعَتْ عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفل بن أَسَد بن عبد الْعزَّى بن قُصَى — وهو ابن عمها ، وكان وَرَقة قد تَنَصَّر ، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والانجيل — فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قُدُّوسٌ قدوس ، والذى نفسُ وَرَقة بيده لَئِنْ كُنْتِ صَدَقْتِينِي ياخديجة لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوس [٢] الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لَنَبِيُّ هذه الأمة ، فقولى له فَلْيَثْبُتْ ، فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل

خديجة تحدث ورقة بن نوفل حديث النبى

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع : بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيه وَرَقَةُ بن نَوْفل وهو يطوف بالكعبة ، فقال : ياابن أخى ، أَخْبِرْنى بما رأيتَ وسمعتَ ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : والذى نَفْسى بيده إنَّكَ لنبىٌّ هذه

رسول الله يخبر ورقة بن نوفل بشأنه فى الكعبة

---

(١) « مضيفا » أى : ملتصقابها مائلاإليها ، يقال : أضفت إلى الرجل ؛ إذا ملت نحوه ولصقت به ، ومنه سمى الضيف ضيفا ، لأنه يميل إلى بيت المضيف عن طريقه الذى كان فيه

(٢) أصل الناموس هو صاحب سر الرجل فى خيره وشره . فعبر عن الملك الذى جاءه بالوحى بذلك

الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ؛ ولَتُكَذَّبَنَّهْ (١) وَلَتُؤْذَيَنَّهْ ولَتُخْرَجَنَّهْ ولَتُقَاتَلَنَّهْ ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنْصُرَنَّ الله نصرًا يعلمه ، ثم أدْنَى رأسَه منه فقبَّلَ يَأفوخَه(٢) ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله

خديجة تريد أن تستوثق من مجىء الملك النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثنى إسمعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير ، أنه حُدِّث عن خديجة رضى الله عنها ، أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أَىِ ابْنَ عَمّ ، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : « نَعَمْ » قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به ، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة « يَاخَدِيجَةُ ، هٰذَا جِبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِى » قالت : قُمْ ياابن عم فاجلس على فخذى اليسرى ، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : « نَعَمْ » قالت : فتحوَّلْ فاجلس على فخذى اليمنى ، قالت : فتحوَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : « نَعَمْ » قالت : فتحوَّلْ فاجلس فى حِجْرى ، قالت : فتحوَّلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فى حجرها ، قالت :

---

(١) « ولتكذبنه » بضم التاء ، وفتح الكاف ، وتشديد الذال المعجمة مفتوحة : مبنيا للمجهول ، والهاء للسكت ، وكذا قوله « ولتؤذينه » و « لتخرجنه » و « لتقاتلنه » كلها مبنية للمجهول والهاء للسكت : قال أبو ذر — : « الهاء فى قوله ولتكذبنه وفيما بعدها للسكت ، كذا جاءت الرواية بسكونها وقد كان يحتمل أن يكون ضميراً منتصبا بالفعل ، لكن كذا جاءت الرواية » اه قلت : جعل الهاء ضميرا منصوب المحل إن أمكن فى لتكذبنه بتمحل فهو غير ممكن فى الفعلين بعده

(٢) « يافوخه » اليافوخ : وسط الرأس

هل تراه ؟ قال : « نَعمْ » قال : فَتَحَسَّرَت (١) وألقت خِمَارَهَا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ، ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : «لا» قالت : ياابْنَ عَمِّ اثْبُتْ وأبْشِرْ ؛ فو الله إنه لَمَلَكٌ وما هَذَا بِشَيْطَان .

قال ابن إسحق : وقد حَدَّثْتُ عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدْخَلَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين دِرْعِهَا ، فذهب عند ذلك جبريل ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ هذا لَمَلَكٌ وما هو بشيطان .

الاستدلال بالقرآن على أن بدء نزوله كان فى شهر رمضان

قال ابن إسحق : فابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل فى شهر رمضان ، يقول الله عز وجل (٢ : ١٨٥) : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) وقال الله تعالى (٩٧ : ١ ـ ٥) : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) وقال الله تعالى : (٤٤ : ١ ـ ٥) : (حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِين) وقال تعالى (٨ : ٤١) : (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) وذلك مُلْتَقَى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين ببدر

قال ابن إسحق : وحدثنى أبو جعفر محمد بن على بن حسين ، أن

---

(١) قال أبو ذر : « فتحسرت قد فسره بقوله ألقت خمارها ، ويقال أيضا : تحسر الرجل ، إذا ألقى عمامته عن رأسه»

رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون ببَدْرٍ يوم الجمعة صبيحة سَبْعَ عَشْرَةَ من رمضان

قال ابن إسحق : ثم تَتَامَّ الوحْيُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مؤمن بالله ، مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمَّل منه ما حُمِّلَه ، على رضا العباد وسخطهم ، والنبوة أثقال ومؤنة لايحملها ولايستطيع بها إلا أهل القوة والْعَزْمِ من الرُّسُل بعَوْن الله تعالى وتوفيقه ، لما يَلْقَوْنَ من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى

خديجة تبادر إلى الايمان بالله ورسوله وتوازر النبي وتثبته

قال : فَمَضَى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على مايَلْقَى من قومه من الخِلاَف والأذى ،

وآمنت به خديجةُ بنتُ خُوَيْلد ، وصَدَّقت بماجاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أولَ مَنْ آمن بالله و برسوله وصَدَّق بماجاء منه ، فخفَّفَ الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم : لايسمع شيئا مما يكرهه من رَدٍّ عليه وتكذيب له فيُحْزِنَهُ ذلك إلا فَرَّجَ الله عنه بها إذا رجع إليها : تُثَبِّته ، وتخَفِّفُ عليه ، وتصدِّقه ، وتهوِّن عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

بشارة النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة

قال ابن إسحق : وحدثني هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه عُرْوَة بن الزُّبَير ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ ببَيْتٍ من قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ »

قال ابن هشام : القَصَبُ ههنا : اللؤلؤ المجوف

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به ، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أَقْرِئْ خَدِيجَةَ السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَاخَدِيجَةُ ، هٰذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ مِنْ

رَبِّكِ » فقالت خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام .

فترة الوحى ونزول سورة الضحى

قال ابن إسحق : ثم فَتَرَ الوحىُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتْرَةً من ذلك ، حتى شَقَّ ذلك عليه فأحزنه ، فجاءه جبريل بسُورَة الضُّحَى يقسم له ربه — وهو الذى أكرمه بما أكرمه به — ماودعه ربُّهُ وما قَلَاه ؛ فقال تعالى : (٩٣ : ١ — ٨) : (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) يقول : ماصَرَمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) أى : لَمَا عندى فى مَرْجعك إلىَّ خير لك مما عَجَّلْتُ لك من الكرامة فى الدنيا (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) من الفَلْجِ [1] فى الدنيا والثواب فى الآخرة (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى) يعرفه الله ماابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ، ومَنِّه عليه فى يُتْمه وعَيْلته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته

قال ابن هشام : سَجَى : سكن ، قال أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْتِ الثقفى : —

إِذْ أَتَى مَوْهِناً وَقَدْ نَامَ صَحْبِى وَسَجَى اللَّيْلُ بِالظَّلَامِ الْبَهِيمِ [2]

تفسير سجى

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعين إذا سكن طرفها : ساجية ، وسجا طرفها ، قال جرير بن الخَطَفَى : —

---

(١) « الفلج » الظهور والنصر والظفر ، يقال : فلج الرجل على خصمه إذا ظهر عليه ، قاله أبو ذر ؛ وقال الرازى : « الفلج - بوزن الفلس - الظفر والفوز ، وفلج على خصمه - من باب نصر - وفى المثل : من يأت الحكم وحده يفلج ، وأفلجه الله عليه ، والاسم الفلج بالضم » اه

(٢) الموهن : ساعة من الليل ، والبهيم : الشديد السواد ليس فيه ضياء وكذا البهيم فى ألوان الخيل هو الذى ليس فيه بياض من غرة ولا تحجيل ولا غير ذلك ، قاله أبو ذر

وَلَقَدْ رَمَيْنَكَ حِينَ رُحْنَ بِأَعْيُنٍ
يَقْتُلْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ سَوَاجِي (١)

وهذا البيت فى قصيدة له ، والعائل : الفقير ، قال أبو خِرَاشٍ الهذلىّ : — تفسير العائل

إِلَىٰ بَيْتِهِ يَأْوِى الضَّرِيكُ إِذَا شَتَا
ومُسْتَنْبِحٌ بَالِي الدَّرِيسَيْنِ عَائِلُ (٢)

وجمعه عَالَة وعُيَّل ، وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله ، والعائل أيضا : الذى يَعُول العيال ، والعائل أيضا : الخائف ، وفى كتاب الله تعالى (٤ — ٣) : (ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا) وقال أبو طالب : —

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لاَ يُخِسُّ شَعِيرَةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها إن شاء الله فى موضعها ، والعائل أيضا : الشىء المُثْقِلُ المعيى ، يقول الرجل : قد عالنى هذا الأمر ، أى : أثقلنى وأعيانى ، قال الفرزدق : —

تَرَىٰ الْغُرَّ الجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ
إِذَا مَا الْأَمْرُ فِى الحَدَثَانِ عَالاَ (٣)

---

(١) « خلل الستور » الشق الذى يكون بينها ، يعنى ستور الهوادج ، قاله أبو ذر

(٢) « الضريك » أى : الفقير ، وقوله « إذا شتا » أى : أجدب فى الشتاء ، وذلك لأن الشتاء عندهم زمان الجدب والقحط . والمستنبح : الذى يضل بالليل فينبح نباح الكلاب لتسمعه الكلاب فتجاوبه فيعلم موضع البيوت فيقصدها ، والدريس : الثوب الخلق ، وثناه لأنه أراد إزاره ورداءه وهما أقل ما يكون للرجل من اللباس : قاله أبو ذر بحروفه

(٣) قال أبو ذر : « الغر : المشهورون ، وأصله السادة ، وهو جمع أغر ،

وهذا البيت فى قصيدة له :

(٩٣ ـ ٩ ـ ١١) : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) أى لاتكن جبارا ، ولامتكبرا ، ولافحَّاشا فظا على الضعفاء من عباد الله (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) أى : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث : أى اذكرها وادع إليها

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سِرًّا ، إلى من يطمئن إليه من أهله ،

وافترضت عليه الصلاة ، فصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته

ابتداء ما افترض الله سبحانه على النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، وأوقاتها

فرضت الصلاة ركعتين ركعتين

قال ابن إسحق : وحدثنى صالح بن كَيْسان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ؛ قالت : افْتُرِضَت الصلاة على رسول الله صلى الله

والجحاجح : السادة ، واحدهم جحجاح ، وكان الوجه أن يقال الجحاجيح بالياء فحذفها لاقامة وزن الشعر ، والحدثان : حوادث الدهر ، وهذا الشعر يقوله الفرزدق يمدح به سعيد بن العاص ، وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية رحمه الله ، وكان يوليه معاوية سنة ويولى مروان سنة أخرى ، فأنشد الفرزدق سعيد بن العاص بحضرة مروان هذه القصيدة وفيها البيت ويتصل به :ـ

قِيَاماً يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ ... كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ الْهِلَالَا

فقال له مروان : قل قعودا ينظرون ، فقال : لاأقول إلا قياما ، وإنك ياأبا عبد الملك لصافن من بينهم ، يقال : صفن الفرس ، إذا وقع على ثلاث قوائم ورفع الواحدة ، ويقال : صفن الرجل ، إذا رفع إحدى قدميه ووقف الأخرى » اهـ كلامه

عليه وسلم أولَ ما افترضت عليه رَكْعَتَيْن ركعتين كل صلاة ، ثم إن الله تعالى أتمَّهَا فى الْحَضَر أربعًا ، وأَقَرَّهَا فى السَّفَر على فرضها الأول ركعتين

أول فرض الصلاة والوضوء

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريلُ وهو بأعلى مكة ، فَهَمَزَ له بعقبه فى ناحية الوادى ، فانفجرت منه عَيْنٌ ، فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه لِيُرِيَه كَيْفَ الطُّهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريلَ توضأ ، ثم قام به جبريل فصلَّى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام

رسول الله يعلم خديجة الوضوء والصلاة

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجةَ فتوضأ لها ليريها كيف الطُّهور للصلاة كما أراه جبريل ؛ فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه السلام ، ثم صلَّى بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل ، فصلت بصلاته ،

مواقيت الصلاة

قال ابن إسحق : وحدثنى عُتْبَة بن مُسْلِم مولى بنى تَيْم ، عن نافع ابن جبير بن مطعم ـ وكان نافعٌ كثيرَ الرواية عن ابن عباس ـ قال : لما افْتُرِضَت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريلُ عليه السلام فصلَّى به الظهر حين مَالَت الشمسُ ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخِرَةَ حين ذهب الشفقُ ، ثم صلى به الصبحَ حين طَلَعَ الفجرُ ، ثم جاءه فصلى به الظهر من غدٍ حينَ كان ظلُّه مثلَه ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغربَ حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ؛ ثم صلى به العشاءَ الآخرةَ حين ذهب ثلث الليل الأول ، ثم صلى به الصبح مُسْفِرًا غير مشرق ، ثم قال : يامحمد ، الصلاةُ فيما بين صلاتِكَ اليومَ وصلاتك بالأمس :

أول الناس إيمانا برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : ثم كان أول ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلّي معه وصدّق بما جاءه من الله تعالى علىُّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، ابن عبد المطلب بن هاشم ، وهو ابن عشرِ سنين يومئذ ، وكان مما أنعم الله على علىٍّ بن أبي طالب رضى الله عنه أنه كان فى حِجْر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام

قال ابن إسحق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علىٍّ بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراده به من الخير ـ أن قريشا أصابتهم أزمة (١) شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه ـ وكان من أيسر بنى هاشم ـ : « يا عَبَّاس ، إنَّ أَخاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ ، وقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هٰذِهِ الْأَزمَةِ (١) ، فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ فَلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِه آخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلاً وَتَأْخُذُ أَنْتَ رَجُلاً فَنَكِلُهمَا عَنْهُ » فقال العباس : نعم ، فانطلقا ، حتى أتيا أبا طالب فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لى عَقِيلاً فاصنعا ماشئتما

قال ابن هشام : ويقال : عقيلا وطَالبا

فأَخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرا فضمَّه إليه ، فلم يَزَلْ علىٌّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا ، فاتبعه علىٌّ رضى الله عنه ، وآمن به ، وصدّقه ولم يزل جَعْفَر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه

---

(١) الأزمة : هى الشدة ، وأراد بها سنة القحط والجوع ، يقال : أزم يأزم ــ إذا اشتد

أبو طالب يرى رسول الله مع على يصليان

قال ابن إسحق : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاةُ خرج إلى شِعاب مكة وخرج معه علىٌّ بن أبى طالب مستخفيا من أبيه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلِّيان الصلوات فيها ، فإذا أمْسَيَا رجعا ، فمكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا ، ثم إن أبا طالب عَثَرَ عليهما يوما وهما يُصَلِّيان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخى ، ماهذا الدِّينُ الذى أراك تدين به ؟ قال : « أَىْ عَمِّ ، هٰذَا دِينُ اللهِ وَدِينُ مَلَائِكَتِهِ وَدِينُ رُسُلِهِ وَدِينُ أَبِينَا إِبْرَاهِيم » أو كما قال صلى الله عليه وسلم « بَعَثَنِي اللهُ بِهِ رَسُولاً إِلَى الْعِبَادِ وَأَنْتَ أَىْ عَمِّ أَحَقُّ مَنْ بَذَلْتُ لَهُ النَّصِيحَةَ وَدَعَوْتُهُ إِلَى الْهُدٰى ، وَأَحَق مَنْ أَجَابَنِي إِلَيْهِ وَأَعَانَنِي عَلَيْهِ » أو كما قال ، فقال أبو طالب : أى ابن أخى ، إنى لا أستطيعُ أن أفارقَ دينَ آبائى وما كانوا عليه ، ولكن والله لايُخْلَصُ[1] إليك بشىء تكرهه مابقيتُ ؛ وذكروا أنه قال لعلى : أىْ بُنَىَّ ، ماهذا الدين الذى أنت عليه ؟ فقال : ياأبت آمنت بالله وبرسول الله ، وصدَّقته بما جاء به ، وصليت معه لله ، واتبعته ؛ فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يَدْعُك إلا إلى خير ، فالزمه

اسلام زيد بن حارثة

قال ابن إسحق : ثم أسلم زَيْدُ بن حارثة بن شُرَحْبيلَ بن كَعْب ابن عبد الْعُزَّى بن امرىء القيس الكلبى ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد على بن أبى طالب

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شُرَحْبيل بن كَعْب بن عبد الْعُزَّى ابن امرىء القيس بن عامر بن النُّعْمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عَوْف بن

---

(١) « لايخلص إليك بشىء » أى : لايوصل إليك ، يقال : خلصت إليه ، أى : وصلت إليه ، قاله أبو ذر

كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زَيْدِ الله بن رُفَيْدة بن ثَوْر ابن كَلْب بن وَبرة ، وكان حكيم بن حزام بن خُوَيلد قدم من الشام برقيق فيهم زيدُ بن حارثة وصيف ، فدخلت عليه عمته خديجةُ بنت خويلد ، وهي يومئذٍ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : اختارى ياعمةُ أىَّ هؤلاء الغلمان شئتِ فهو لك ، فاختارت زيدا ، فأخذته ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتَبَنّاه ، وذلك قبل أن يُوحَى إليه ، وكان أبوه حارثةُ قد جَزِعَ عليه جزَعاً شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال : —

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلْ
أَحَىٌّ فَيُرْجَى أَمْ أَتَى دُونَهُ الْأَجَلْ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِى وَإِنِّى لَسَائِلٌ
أَغَالَكَ بَعْدِى السَّهْلُ أَمْ غَالَكَ الْجَبَلْ(١)
وَيَالَيتَ شِعْرِى هَلْ لَكَ الدَّهْرَ أَوْبَةٌ
فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا رُجُوعُكَ لِي بَجَلْ(٢)
تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا
وَتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا غَرْبُهَا أَفَلْ(٣)

(١) يقال : غال الشىء ، إذا أهلكه

(٢) الأوبة : الرجوع ، وبجل : كلمة بمعنى حسب ، ومعناهما جميعا الاكتفاء بالشىء ، قاله أبو ذر

(٣) قال أبو ذر : «الأفول : غيبوبة الشمس ؛ يقال : أفلت الشمس ، إذا غابت ، ونسب الأفول إلى الغروب اتساعا ومجازا » اه

وَإِنْ هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ هَيَّجْنَ ذِكْرَهُ
فَيَاطُولَ مَاحُزْنِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلْ(١)
سَأُعْمِلُ نَصَّ الْعِيسِ فِي الْأَرْضِ جَاهِداً
وَلَا أَسْأَمُ التَّطْوَافَ أَوْ تَسْأَمَ الْإِبِلْ (٢)
حَيَـاتِيَ أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي
فَكُلُّ امْرِئٍ فَانٍ وَإِنْ غَرَّهُ الْأَمَلْ

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ شِئْتَ فَأَقِمْ عِنْدِي وَإِنْ شِئْتَ فَانْطَلِقْ مَعَ أَبِيكَ » فقال : بل أقيم عندك ؛ فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم وصلى معه ، فلما أنزل الله عز وجل (٥ : ٣٣) : (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ) قال : أنا زيد بن حارثة

أبو بكر رضى الله عنه واسلامه واسلام من أسلم باسلامه

قال ابن إسحق : ثم أسلم أبو بكر بن أبى قُحافة ، واسمه عَتيق ، واسم أبى قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر

قال ابن هشام : واسم أبى بكر عبدُ الله ، وعتيق لقبٌ لحسن وجهه وعتقه .

---

(١) الأرواح : جمع ريح . جمعه على الأصل ؛ لأن أصل هذه الياء التى فى المفرد واو . والوجل: الخوف . وما فى قوله «فياطول ماحزنى وياطول ماوجل» زائدة بين المضاف والمضاف إليه ، مثل زيادتها بين الجار والمجرور فى نحو قوله تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم . . عمـا قليل ليصبحن نادمين . . . مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا)

(٢) النص : أرفع السير وأسرعه ؛ والعيس : الابل البيضاء الكرام

قال ابن إسحق : فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله ، وكان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه ، مُحَبَّباً سَهْلا وكان أنسبَ قريش لقريش ، وأعلمَ قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرًا ذا خلقٍ ومعروفٍ ، وكان رجالُ قومه يأتونه ويَأْلفونه لغير واحد من الأمر ؛ لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله وإلى الاسلام مَنْ وَثِقَ به من قومه مِمَّنْ يَغْشَاه ويجلس إليه ، فأسلم بدعائه — فيما بلغنى — عثمانُ بن عفَّان بن أبى العاص بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس بن عبد مَنَاف بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب ؛ وَالزُّبَيْرُ بن العَوَّام بن خُوَيلد بن أسَد ابن عبد العُزَّى بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَى ؛ وعبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبدعَوْف بن عَبْد بن الحرث بن زُهْرة بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤى ؛ وسَعْدُ بن أبى وَقَّاص ، واسم أبى وقاص مالك ابن أهيب بن عَبْد مناف بن زُهْرة بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَى ، وطَلْحَةُ بن عُبَيْد الله بن عُثْمان بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَى ، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — حينَ استجابوا له — فأسلموا وصَلَّوْا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنى : «مَا دَعَوْتُ أحَداً إلَي الإسْلَامِ إلاَّ كَانَتْ فِيهِ عِنْدَهُ كَبْوَةٌ (١) وَنَظَرٌ وَتَرَدُّدٌ ، إلاّ مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ ، مَا عَكَمَ عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ لَهُ وَمَا تَرَدَّدَ فِيهِ » .

(١) « كبوة » يعنى تأخيرا وقلة إجابة ؛ وهو من قولهم : كبا الزند . ذا لم يور نارا ؛ قاله أبو ذر . وقال ابن الأثير : « الكبوة : الوقفة كوقفة العاثر ، أو الوقفة عند الشيء يكرهه الانسان ، ومنه كبا الزند ، إذا لم يخرج نارا »

قال ابن هشام : قوله « بدعائه » عن غير ابن إسحق

قال ابن هشام : قوله « عكم » تلبَّثَ ، قال رؤبة بن العجاج

* فَانْصَاعَ وثّابٌ بِهَا وَمَا عَكَمْ[١] *

قال ابن إسحق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام ، فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله

اسلام أبي عبيدة وآخرين

ثم أسلم أبو عُبَيْدَةَ ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجَرَّاح بن هِلال ابن أُهَيْب بن ضَبَّةَ بن الحرث بن فهر ، وأبُو سَلَمة ، واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة بن كعب ابن لُؤى ، والأرقمُ بن أبى الأرقم ، واسم أبي الأرقم عبدُ مَنَاف بن أسد وكان أسدٌ يُكْنى أبا جُنْدب بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم بن يَقَظة ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤى ؛ وعثمانُ بن مَظْعُون بن حَبيب بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤى ، وأخواه قُدامةُ وعَبْدُ الله ابنا مَظْعون بن حبيب ؛ وعُبَيْدَة بن الحرث بن المُطَّلب بن عَبْد مَنَاف بن قُصَى بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤى ، وسَعيد بن زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رزاح بن عَدِىٍّ بن كَعْب بن لؤى ، وامرأتُه فاطمةُ بنت الخَطَّاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بنى رَزاح بن عَدِىّ ابن كَعْب بن لُؤَى أختُ عُمَرَ بن الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وعائشةُ بنت أبي بكر ، وهى يومئذ صغيرة ، وخَبَّاب بن الأَرَتّ حليفُ بنى زُهْرَةَ

قال ابن هشام : خَبَّاب بن الأَرَتّ من بنى تميم ، ويقال : هو من خزاعة

(٢) انصاع : ذهب ، و« عكم » قد فسره ابن هشام

قال ابن إسحق : وعُمَيْر بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود بن الحرث بن شَمْخ بن مَخْزوم بن صَاهلة بن كاهل ابن الحرث بن تميم بن سعد بن هُذَيْل حليف بنى زُهْرة ، ومَسْعودُ بن القَارِىّ ، وهو مسعود بن ربيعة بن عَمْرو بن سَعْد بن العزى بن حَمَالَة ابن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سبيع بن الهُون بن خزيمة من القارة

قال ابن هشام : والقَارةُ : لقب ، ولهم يقال : ـ

قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا(١)

وكانوا رُمَاةً

قال ابن إسحق : وسَلِيط بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فهر ، وأخوه حاطب بن عمرو ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم بن يقظة بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ ، وامرأته أسماء بنت سلامة بن مُخَرِّبة التميمية ، وخُنَيْس (٢) بن حُذَافة بن قَيْس بن عَدِىّ بن سُعَيد (٣) بن سَهْم بن عَمْرو

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، يجرى مجرى الأمثال ، بعده فيما يروون : ـ

إِنَّا إِذَا مَا فِئَةٌ نَلْقَاهَا نَرُدّ أُولاَهَا عَلَى أُخْرَاهَا

وكان هؤلاء القوم رماة لا يقوم لهم أحد ، فجاء قوم من رماة الفرس فعارضوهم فى الرمى ، فقال الناس : قد أنصف القارة من راماها ، فجرى مثلا ، قاله أبو ذر ، وقال السهيلى : «وسمى بنو الهون بن خزيمة قارة لقول الشاعر منهم فى بعض الحروب : ـ

دَعُونَا قَارَةً لاَ تَذْعَرُونَا فَنُجْفِلَ مِثْلَ إِجْفَالِ الظَّلِيم

وهكذا أنشده أبو عبيدة فى كتاب الأنساب ، وأنشده قاسم فى الدلائل : ـ

دَعُونَا قَارَةً لاَ تَذْعَرُونَا فَتَنْبتكَ الْقَرَابَةُ وَالذِّمَامُ

(٢) «خنيس» خنيس هذا كان زوج حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم

(٣) قال أبو ذر : « كذا وقع ، وصوابه سعد ، وإنما سعيد ابنه » اه

ابن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤَى ، وعامرُ بن ربيعة ، من عنز[1] بن وائل ، حليفُ آل الخطاب بن نفيل بن عبد العزى

قال ابن هشام : عَـنْز[1] : ابن وائل ، أخو بكر بن وائل ، من ربيعة ابن نزار

قال ابن إسحق : وعبد الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرة بن مُرَّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة ، وأخوه أبو أحمد بن جَحْش ، حليفا بنى أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس، وجعفرُ بن أبى طالب ، وامرأته أسْمَاء بنت عُمَيْس بن النُّعمان بن كَعْب بن مالك بن قُحافة ، من خَثْعَم ؛ وحاطبُ بن الحرث بن مَعْمَر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ابن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤى ؛ وامرأتُهُ فاطمة بنت المجلّل بن عبد الله بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر ؛ وأخوه حَطَّابُ بن الحرث ، وامرأته فُكَيهة بنت يَسَار ؛ ومَعْمَرُ بن الحرث بن معمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى ؛ والسائبُ بن عُثْمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب ؛ والْمُطَّلب بن أَزْهَر بن عَبْد عَوْف بن عبد ابن الحرث بن زُهْرة بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤى ؛ وامرأتُهُ

كلامه ، وقال السهيلى : « وحيثما تكرر نسب عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق : سعيد ، والناس على خلافه ، إنما هو سعد ، وفى شعر عبد الله ابن قيس شاهد على ذلك ، وإنما سعيد بن سهم أخو سعد وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، وفى سهم سعيد آخر ، وهو ابن سعد المذكور » اه كلامه

(١) قال السهيلى: «عنز- بسكون النون- ، ويذكر عن على بن المدينى أنه قال فيه عنز بفتح النون ، والسكون أعرف » اه

رَمْلَةُ بنت أبى عَوْف بن صُبَيْرة(١) بن سُعَيد [بن سَعْد](٢) بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَى ؛ والنَّحَّام ، واسمه نُعَيْم بن عبد الله بن أسِيد ، أخو بنى عدىّ بن كعب بن لؤى

قال ابن هشام : هو نُعَيْم بن عَبْد الله بن أسِيد بن عبد الله بن عَوْف (٣) بن عَبيد بن عويج بن عدىّ بن كعب بن لؤى ، وإنما سمى النَّحَّام لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لَقَدْ سَمِعْتُ نَحْمَهُ فِي الْجَنَّةِ » .

قال ابن هشام : نَحْمُه : صوته وحِسُّه

قال ابن إسحق : وعامر بن فُهَيْرة ، مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

قال ابن هشام : عامر بن فُهَيْرَة مُوَلَّد من مُوَلَّدى الأسْد ، أسْوَدُ ، اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم .

قال ابن إسحق : وخالد بن سَعيد بن الْعَاص بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس ابن عَبْد مَنَاف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ ، وامرأته

---

(١) قال السهيلى : وقد قيل فى صبيرة : ضبيرة ـ بالضاد المعجمة ـ وهو الذى كان شابا جميلا يلبس حلة ويقول للناس : هل ترون بأسا بى ؛ إعجابا بنفسه ، فأصابته المنية بغتة ، فقال الشاعر فيه :ـ

مَنْ يَأْمَنُ الحِدْثَانَ بَعْـ ـدَ صُبَيْرَةَ الْقُرَشِىِّ مَاتَا
سَبَقَتْ مَنِيَّتُهُ الْمَشِيبَ وَكَانَ مِيتَتُهُ افْتِلاتَا

(٢) الزيادة عن السهيلى

(٣) قال أبو ذر : «قوله أسيد بن عبد الله بن عوف بن عبيد ، هكذا وقع، والصواب أسيد بن عبد عوف ، قاله ابن الكلبى وأبو عمر بن عبد البر» اه

أُمَيْنَةُ [١] بنت خَلَف بن أسْعَد بن عامر بن بَيَاضة بن يُثَيْع [٢] بن جِثْمَةَ [٣] بن سَعْد بن مُلَيح بن عَمْرو ، من خزاعة

قال ابن هشام : ويقال : هُمَيْنة بنت خَلَف

قال ابن إسحق : وحاطب بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤى بن غالب بن فِهْر ؛ وأبو حُذَيفة [ابن عتبة بن ربيعة] ، واسمه مِهْشَم [٤] فيما قال ابن هشام ، بن عُتْبه بن رَبيعة بن عَبْد شَمْس بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ ؛ ووَاقدُ بن عَبْـد الله بن عَبْد مَنَاف بن عَرِين بن ثَعْلَبة بن يَرْبُوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زَيْد مَنَاةَ بن تميم ، حليف بنى عدى بن كعب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلةُ فباعوه من الخطاب بن نفيل ، فتبَنَّاه ، فلما أنزل الله تعالى (٣٣ : ٥) : (ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ) قال : أنا واقد بن عَبْد الله ، فيما قال أبو عمرو المدنى

قال ابن إسحق : وخالدٌ وعامرٌ وعاقلٌ وإياس بنو البُكَيْر بن

---

(١) قال أبو ذر « وامرأته أمينة بنت خلف ، يروى هنا أمينة بالنون وأميمة بالميم ، وأمينة بالنون هو الصواب » اه كلامه بمعناه

(٢) قال أبو ذر : « وقوله فى نسب أمينة : بن بياضة بن سبيع ، كذا وقع هنا ، وصوابه يثيع : بياء مضمومة مثناة النقط وثاء مثلثة »اه

(٣) قال أبو ذر : « وقوله بن خثعمة بن سعد ، وقع هنا بخاء معجمة مفتوحة ، وصوابه جعثمة بجيم مكسورة وعين ساكنة وثاء مثلثة مكسورة» اه

(٤) قال أبو ذر : « أبو حذيفة هذا اسمه قيس بن عتبة ، وإنما مهشم أبو حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم » اه ومثل هذا فى كلام السهيلى

عبد ياليل بن ناشب بن غِيَرَة ، من بنى سَعْد (١) بن لَيْث بن بَكْر بن عَبْد مَنَاةَ بن كِنانة ، حُلَفاء بنى عدى بن كعب ، وعَمَّار بن ياسر ، حليفُ بنى مَخْزوم بن يقظة

قال ابن هشام : عَمَّار بن ياسر عَنْسى من مَذْحج

قال ابن إسحق : وصُهَيْب بن سِنَان أحد النَّمر بن قاسط ، حليف بنى تَيْم بن مُرَّة .

قال ابن هشام : النَّمر بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار ، ويقال : أفْصى بن دُعْمِي بن جَديلة بن أسد ، ويقال : صُهَيْبٌ مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، ويقال : إنه رومىّ ، فقال بعض من ذكر أنه من النمر بن قاسط : إنما كان أسيرا فى أرض الروم فاشْتُرِى منهم ، وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « صُهَيْبٌ سابِقُ الرُّومِ »

رسول الله يجهر بالدعوة الى دين الله

قال ابن إسحق : ثم دخل الناس فى الاسلام أرْسَالاً من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الاسلام بمكة ، وتُحُدِّث به ، ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يُبَادى الناس بأمره ، وأن يدعو إليه ، وكان بين ماأخفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى باظهار دينه ثلاثُ سنين ، فيما بلغنى ، من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له : (١٥ : ٩٤) : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) وقال تعالى (٢٦ : ٢١٤ ـ ٢١٦) (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)

---

(١) فى نسخة « بن غيرة بن سعد بن ليث »

قال ابن هشام : فاصدع : افْرُقْ بين الحق والباطل ، قال أبو ذؤيب الهذلى (واسمه خُوَيْلد بن خالد) يصف أُتُنَ (١) وَحْش وفَحْلها : —

وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرٌ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ (٢)

أى : يفرق على القداح ويبين أَنْصِباءها ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال رؤبة بن العجاج : —

أَنْتَ الْحَلِيمُ وَالْأَمِيرُ الْمُنْتَقِمْ تَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَتَنْفِى مَنْ ظَلَمْ

وهذان البيتان فى أرجوزة له

أصحاب النبى يصلون خفية

قال ابن إسحق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صَلَّوْا ذهبوا فى الشِّعاب ، واسْتَخْفَوْا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سَعْد بن أبى وَقَّاص فى نَفَرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شِعْبٍ من شِعاب مكة إذْ ظهر عليهم نَفَرٌ من المشركين ، وهم يُصَلُّون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم مايصنعون ، حتى قاتلوهم ؛ فَضَرَبَ سعد بن أبى وَقَّاص يومئذ رجُلا من المشركين بلَحْى (٣) بعيرٍ فشَجَّه (٤) فكان أول دم أُهَرِيق فى الاسلام .

المشركون يظهرون على أصحاب النبى فيقاتلونهم وصنيع سعد بن أبى وقاص

قال ابن إسحق : فلمَّا بَادَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومَه بالاسلام ، وصَدَع به كما أمره الله ؛ لم يبعد منه قومُه ، ولم يَرُدُّوا عليه —

---

(١) الأتن — بضمتين — جمع أتان ، وهى الأنثى من الحمر

(٢) الربابة : خرقة تلف فيها القداح ، وتكون أيضا جلدا ، واليسر — بفتح الياء والسين — الذى يدخل فى الميسر ؛ والقداح : جمع قدح ؛ وهو السهم

(٣) الذى فى شرح السيرة لأبى ذر « بلحيى بعير » قال أبو ذر : « هو تثنية لحى ، واللحى : العظم الذى على الخد ، وهو من الانسان العظم الذى تنبت عليه اللحية » اه

(٤) « شجه » جرحه

فيما بلغنى — حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعْظَموه . ونا كروه ، وأجمعوا خِلاَفه وعَدَاوَته ، إلا من عَصَم الله تعالى منهم بالاســـلام ، وهم قليل مُسْتَخفُون ، وحَدِب [1] على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّه أبو طالب ، ومنعه ، وقام دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مُظْهِراً لأمره : لا يَرُدُّه عنه شيء

جماعة من المشركين يذهبون الى أبى طالب يسألونه أن يكف عنهم رسول الله

فلما رأت قريشٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعتِبهم [2] من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيْب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم ؛ مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعةَ بن عَبْدِ شَمْس بن عبد مَنَاف بن قُصَى بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤَىّ بن غالب ، وأبو سفْيَان بن حَرْب بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس بن عبد مناف بن قُصى بن كلاب بن مُرَّة ابن كَعْب بن لُؤَى بن غالب بن فِهر

قال ابن هشام : واسم أبى سفيان صَخْر

قال ابن إسحق : وأبو الْبَخْتَرِىّ ، واسْمُه العاص بن هِشام [3] بن الحرث بن أسَد بن عَبْدالعزَّى بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤى

قال ابن هشام : أبو البخترى العاص بن هاشم [3]

---

(١) «حدب» معناه عطف عليه ومنعه ، يقال : فلان حدب على فلان ، إذا كان عاطفا عليه ومانعا له .

(٢) « لايعتبهم من شيء » أى : لايرضيهم ، يقال : استعتبنى فأعتبته ، أى : أرضيته وأزلت العتاب عنه . ومن هنا تفهم أن الهمزة فى « أعتب » للازالة ، كالهمزة فى «أعجم» ونحوه

(٣) قال أبو ذر : « وافق ابن الكلبى ابن إسحاق على هشام ، ووافق مصعب الزبيرى ابن هشام على هاشم» اه

قال ابن إسحق : والأسود بن المُطّلب بن أسَد بن عبد العُزّى بن قصَى بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَى ، وأبو جَهْل (واسْمه عَمْرو ، وكان يُكْنَى أبا الحكم) بن هِشام بن المُغيرة بن عَبْد الله بن عُمَر ابن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كَعْب بن لؤى ؛ والْوَليدُ بن المُغيرة بن عَبْدالله بن عُمَر بن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كَعْب بن لؤى ، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعْد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى ؛ والعاصُ بن وائل

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم [1] بن سعد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصيْص بن كَعْب بن لُؤَى

قال ابن إسحق : أوْ مَن مشى منهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ ابن أخيك قد سَبَّ آلهتنا ، وعابَ دينَنَا ، وسَفَّهَ أحلامنا ، وضَلَّلَ آباءنا ، فاما أنْ تَكُفَّه عَنَّا وإما أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه ، فانك على مِثْلِ ما نحن عليه من خِلافِه ، فنكفيكه ؛ فقال لهم أبو طالب قَوْلاً رَفيقاً ، وردهم ردا جميلا ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماهو عليه : يُظْهِر دينَ الله ، ويدعو إليه ، ثم شَرِيَ الأمر [2] بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال وتَضاغنوا [3] ؛ وأكثرت قريشٌ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، وتذامروا فيه [4] ، وحضّ بعضُهم بعضا عليه ، ثم

---

(١) فى نسخة «ابن وائل بن هشام بن سعيد»

(٢) قال أبو ذر : «معناه كثر وتزيد ، يقال : شرى البرق يشرى (كرضى يرضى) إذا كثر لمعانه ، ويقال : شرى الرجل ، إذا غضب» اه

(٣) «تضاغنوا» أى : تعادوا ، والضغن : العداوة والحقد

(٤) فى بعض النسخ «فتذامروا» بالفاء ، وفى بعضها بالواو وهو كذلك

إنهم مَشَوْا إلى أبي طالب مَرَّةً أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سناًّ وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استَنْهيناكَ من ابن أخيك فلم تَنْهَهُ عنا ، وإنا والله لا نَصْبِر على هذا من شَتْم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعَيْب آلهتنا حتى تَكُفَّه عنا أو نُنَازله (١) وإياك فى ذلك حتى يَهْلِك أحدُ الفريقين ، أو كما قالوا له ، ثم انصرفوا عنه ، فعَظُم على أبى طالب فِراقُ قومه وعَداوتهم ، ولم يَطِبْ نَفْساً باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، ولا خِذْلانه (٢)

أبو طالب يعرض على النبى ترك ما هو عليه فيأبى النبى فيشجعه على التمسك به

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخنس ، أنه حُدِّث ، أن قريشا حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخى ، إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ، للذى كانوا قالوا له ، فأبْقِ علىَّ وعلى نفسك ، ولا تُحَمِّلْنى من الأمر ما لا أطيق ، قال : فظنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاء ، وأنه خاذلُه ومُسْلِمُه ، وأنه قد ضعف عن نُصْرته والقيام معه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَاعَمِّ والله لَوْ وضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هٰذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِمَا تَرَكْتُه » قال : ثم استَعْبَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ، ثم قام ، فلما وَلَّى ناداه أبو طالب فقال : أقْبِلْ يا ابن أخى ، قال : فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أُسْلِمُك لشىء أبدا

. فى الطبرى (ج ٢ ص ٢٢٠) عن ابن إسحق ، و « تذامروا » معناه حض بعضهم بعضا

(١) « ننازله وإياك » أى : نحاربكما ، تقول : تنازل القوم ، إذا تحاربوا

(٢) « خذلانه » تركه ، تقول : خذلت الرجل ، إذا تركته ولم تنصره

قريش تعرض على أبى طالب ان يسلم النبى اليهم ويأخذ به عمارة بن الوليد

قال ابن إسحق : ثم إن قريشا — حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذْلاَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه وإجْمَاعَه لفراقهم فى ذلك وعَدَاوتهم — مَشَوْا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له — فيما بلغنى — : ياأطالب هذا عمارة بن الوليد أنْهَدُ فتًى (١) فى قريش وأجْمَلُه ، فخذه فلك عَقْلُه (٢) ونَصْرُه ، واتَّخِذْه وَلَدًا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفَرَّق جماعةَ قومك ، وسَفَّه أحلامهم فنقتله ، فإنما هو رجل برجل ، قال : والله لَبِئْسَ مَا تَسُومُونَنى (٣) أتُعْطُوننى ابنكم أغْذُوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ ! هذا والله مالا يكون أبدا ، قال : فقال المُطْعِم بن عَدِىّ بن نَوْفل بن عبد مناف بن قصى : والله ياأبا طالب لقد أنْصَفَكَ قومُك وجهدوا على التخلص ممَّا تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا ، فقال أبو طالب للمطعم : والله ماأنصفونى ، ولكنك قد أجْمَعْتَ خِذْلانى ومُظَاهَرَةَ القوم (٤) علىّ ، فاصنع مابدالك ، أو كما قال

قال : فحَقِبَ الأمر (٥) ، وحَمِيت الحرب ، وتَنَابَذ (٦) القوم ، وبَادَى بعضهم بعضًا ، فقال أبو طالب عند ذلك يُعَرِّض بالمطعم بن عَدِىّ ويَعُمُّ من خَذَله من عبد مَنَاف ومَنْ عَاداه من قبائل قريش ، ويذكر ماسألوه وما تباعد من أمرهم : —

---

(١) «أنهد فتى» يعنى أشده وأقواه ، والفرس النهد : هو الغليظ
(٢) «فلك عقله» أى : ديته إذا قتل
(٣) «تسومونى» تكلفونى ، تقول : سمت الرجل كذا ، إذا كلفته إياه
(٤) «مظاهرة القوم» يريد إعانتهم ، تقول : ظاهر فلان فلانا ، إذا عاونه
(٥) «حقب الأمر» زاد واشتد
(٦) «تنابذ القوم» تركوا ماكان بينهم من عهد

طالب يهجو من خذله من قبائل قريش

أَلاَ قُلْ لِعَمْرٍو والْوَلِيدِ وَمُطْعِمٍ
أَلاَ لَيْتَ حَظِّى مِنْ حِيَاطَتِكُمْ بَكْرُ(١)

مِنَ الْخُورِ حَبْحَابٌ كَثِيرٌ رُغَاؤُهُ
يُرَشُّ عَلَى السَّاقَيْنَ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرُ(٢)

تَخَلَّفَ خَلْفَ الْوِرْدِ لَيْسَ بِلاَحِقٍ
إِذَا مَا عَلاَ الْفَيْفَاءَ قِيلَ لَهُ وَبْرُ(٣)

أَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَبِينَا وأُمِّنَا
إِذَا سُئِلاَ قَالاَ إِلَي غَيْرِنَا الْأَمْرُ

بَلَى لَهُمَا أَمْرٌ وَلٰكِنْ تَجَرْجَمَا
كَمَا جَرْجَمَتْ مِنْ رَأْسِ ذِى عَلَقٍ صَخْرُ(٤)

أَخُصُّ خُصُوصاً عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً
هُمَا نَبَذَانَا مِثْلَ مَا يُنْبَذُ الْجَمْرُ

هُمَا أَغْمَزَا لِلْقَوْمِ فِى أَخَوَيْهِمَا
فَقَدْ أَصْبَحَا مِنْهُمْ أَكُفُّهُمَا صِفْرُ(٥)

---

(١) يروى « من حياطتكم » كما هنا ، ويروى «من حفاظكم» والحفاظ والحفيظة : الغضب ، وخصه بعضهم بالغضب فى الحرب ، والبكر : الفتى من الابل

(٢) الخور : جمع أخور ، وهو الضعيف ، و «حبحاب» يروى بالحاء المهملة ، ومعناه القصير ، ويروى بالجيم ، ومعناه فى الأصل الكثير الكلام ، فاستعاره هنا للكثير الرغاء ، ويروى بالخاء المعجمة ، ومعناه الضعيف

(٣) الفيفاء : الأرض القفر ، ووبر : دويبة على قدر الهرة

(٤) تجرجما : سقطا وانحدرا ، تقول : تجرجم الشىء ، إذا سقط ، وذو علق : جبل فى ديار بنى أسد

(٥) أغمزا : طعنا . والصفر : الخالى

هُماَ أَشْرَكَا فِى الَمجْدِ مَنْ لاَ أَباَلَهُ
مِنَ النَّاسِ إلاَّ أَنْ يُرَسَّ لَهُ ذِكْرُ(١)
وَتَيْمٌ وَمَخْزُومٌ وَزُهْرَةُ مِنْهُمُ
وَكَانُوا لَناَ مَوْلًى إذَا بُغِيَ النَّصْرُ
فَوَاللهِ لاَ تَنفَكُّ مِنَّا عَداوَةٌ
وَلاَ مِنْهُمُ ماَ كَانَ مِنْ نَسْلِناَ شَفْرُ(٢)
فَقَدْ سَفِهَتْ أَحْلاَمُهُمْ وَعُقُولُهُمْ
وَكَانُوا كَجَفْرٍ بِئْسَ ماَ صَنَعَتْ جَفْرُ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما

قال ابن إسحق : ثم إن قريشا تَذَامَروا بينهم على مَنْ فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه ؛ فوثبت كلُّ قبيلة على من فيهم من المسلمين : يعذبونهم ، ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه أبى طالب ، وقد قام أبوطالب — حين رأى قريشا يصنعون مايصنعون — فى بنى هاشم وبنى المطلب فدعاهم إلى ماهو عليه مِنْ مَنْع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى مادعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لَهَب عَدُوِّ الله الملعون

ابو طالب يمنع رسول الله ويدعو لذلك قومه فيجيبونه

فلما رأى أبو طالب من قومه ماسَرَّه فى جَهْدهم معه وحَدَبهم عليه ،

(١) « يرس له ذكر » معناه أن يذكر ذكرا خفيفا ، وتقول : رسست الحديث ، إذا حدثت به فى خفاء

(٢) «شفر» أى : أحد ؛ يقال : مابالدار أحد ، وما بها شفر ، ومابها كتيع ، وما بها عريب ، وما بها نافخ ، كل ذلك بمعنى

جَعَل يمدحهم ، ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، ومكانه منهم ؛ ليشد لهم رأيهم ، وليَحْدبوا معه على أمره ، فقال : —

أبوطالب يمدح من وافقه على منع رسول الله ويذكر فضل النبي

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْماً قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنَافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا (١)

فَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدِ مَنَافِهَا فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا (٢)

وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْماً فَإِنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا

تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غَثُّهَا وَسَمِينُهَا

عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا (٣)

وَكُنَّا قَدِيماً لاَ نُقِرُّ ظُلاَمَةً

إِذَا مَاثَنَوْا صُعْرَ الْخُدُودِ نُقِيمُهَا (٤)

وَنَحْمِي حِمَاهَا كُلَّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ

وَنَضْرِبُ عَنْ أَحْجَارِهَا مَنْ يَرُومُهَا (٥)

---

(١) « سرها وصميمها » أى : خالصها وكريمها ، يقال : فلان من سر قومه : أى من خيارهم ولبابهم وأشرافهم

(٢) « أشراف عبد منافها » وفى رواية «أنساب عبد منافها»

(٣) « غثها وسمينها » أصل الغث اللحم الضعيف ، فاستعاره هنا لمن ليس نسبه هنالك ، والسمين : مقابله أصلا واستعارة ، وأراد أنها اجتمعت كلها ؛ و « طاشت حلومها » أى : ذهبت عقولها

(٤) « ثنوا » عطفوا ، و«صعر» جمع أصعر ، وهو المائل ؛ يقال : صعر خده ، إذا أماله إلى جهة كما يفعل المتكبر ، وفى التنزيل : (ولا تصعر خدك للناس)

(٥) « ونضرب عن أحجارها » يريد ندفع عن حوزتهم ومواضعهم المانعة لهم ، ويروى بتقديم الجيم على المهملة وعكسه

بِنَا انْتَعَشَ الْعُودُ الذَّوَاءِ وَإِنَّمَا ... بِأَكْنَافِنَا تَنْدَى وَتَنْمِي أُرُومُهَا[١]

الوليد بن المغيرة وقريش يتناقشون فى أمر النبى

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سِنٍّ فيهم ، وقد حضر المَوْسِمُ ، فقال لهم : يامعشرَ قريشٍ ، إنه قد حَضَر هذا الموسمُ ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأَجْمِعُوا فيه رأيا واحدًا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويَرُدَّ قولكم بعضُه بعضاً ، قالوا : فأنت ياأبا عبد شمس فَقُلْ وأَقِمْ لنا رأيا نَقُلْ به ، قال : بل أنتم فقولوا أَسْمَعْ ؛ قالوا : نقول : كاهن ، قال: لا والله، ماهو بكاهن ، لقد رأينا الكُهَّانَ فما هو بِزَمْزَمَةِ[٢] الكاهن ولا سَجْعه قالوا : فنقول : مَجْنُون ، قال : ماهو بمجنون ، لقد رأينا الُجْنُونَ وعرفناه فما هو بَخَنْقِهِ ولا تَخَالُجِهِ ولا وَسْوَسته[٣] قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كلَّه رَجَزَه وهَزَجَه وقَرِيضَه ومَقْبُوضه ومَبْسُوطه[٤] ، فماهو بالشعر ؛ قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ماهو بساحر قد رأينا السحَّار وسِحْرَهم ، فما هو بنَفْثِهِم ولا عَقْدِهم[٥] ، قالوا : فما نقول

---

(١) «انتعش» حي وظهرت فيه الخضرة . و«العود الذواء» الذى جفت رطوبته وأثر فيه اليبس . و«الأكناف» النواحى . و«الأرومة» الأصل .

(٢) «زمزمة الكاهن» كلام خفي لايفهم ، و«سجعه» أن يجعل لكلامه المنثور نهايات كنهايات الشعر .

(٣) الخنق : الاختناق الذى يصيب المجنون ؛ والتخالج : اختلاج الأعضاء وتحركها عن غير إرادة ، والوسوسة : مايلقيه الشيطان فى نفس الانسان

(٤) هذه كلها أنواع من الشعر

(٥) « بنفثهم ولا عقدهم » هذا إشارة إلى ماكان يفعل الساحر ؛ إذ كان يأخذ خيطا فيعقده ثم ينفث عليه ؛ ومن ذلك قوله تعالى : (ومن شر النفاثات فى العقد) أراد الساحرات

ياأبا عبد شمس ؟؟ قال : والله إنَّ لقوله لَحَلاَوةً وإن أصله لَعَذَق وإن فَرْعه لَجَنَاة (١) (قال ابن هشام : ويقال لغَدَق) وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلاَّ عُرِف أنه باطل ، وإنَّ أقرب القول فيه لَأنْ تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحرٌ يُفَرِّق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك : فجعلوا يجلسون بسُبُل (٢) الناس — حين قدموا الموسم — لايَمُرُّ بهم أحد إلاَّ حَذَّروه إياه . وذكروا لهم أمره ؛ فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة وفى ذلك من قوله : (٧٤ : ١١ — ١٦) : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) أى : خصيما

قال ابن هشام : عنيد : معاند مخالف ، قال رؤبة بن العجاج ـ :

* وَنَحْنُ ضَرَّابُونَ رَأْسَ الْعُنَّدِ (٣) *

وهذ البيت فى أرجوزة له

(٧٤ : ١٧ ـ ٢٢) : (سَأُرْهِقُهُ صَعُودا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ)

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه ، قال العجاج :ـ

---

(١) «العذق» العذق : الكثير الشعب والأطراف ؛ ومن رواه غدق بالغين المعجمة والدال المهملة ـ فمعناه كثير الماء ؛ ومنه قوله تعالى : (ماء غدقا) وقوله «لجناة» أى : فيه ثمر يجنى ، ومنه قول الراجز :ـ

هَذَا جَنَاىَ وَخِيَارُهُ فِيهْ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَي فِيهْ

(٢) السبل : طرق الناس ، واحدها سبيل

(٣) أصل العند أن يكون جمعا لعاند ، مثل راكع وركع ؛ ولكنهم أماتوا المفرد وأبقوا جمعه

* مُضَبَّرُ اللَّحْيَيْنِ بَسْرًا مِنْهَسَا (1) *

يصف كراهية وجهه، وهذا البيت فى أرجوزة له

(٧٤ : ٢٣ ـ ٢٥) : (ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هٰذا إلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هٰذَا إلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ)

قال ابن إسحق : وأنزل الله تعالى [فى رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى وَ] فى النفر الذين كانوا معه يُصَنِّفُون القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى (١٥ ـ ٩٠ ـ ٩٣) : (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الذينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) أى : أصنافا (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

قال ابن هشام : واحدة العضين عِضَةٌ ، يقول : عَضَّوْهُ : فرّقوه (2)

قال رؤبة بن العجاج : —

* وَلَيْسَ دِينُ اللهِ بِالْمُعَضَّى *

وهذا البيت فى أرجوزة (3) له

---

(1) «مضبر» أى : شديد الخلق . واللحيان : العظمان اللذان فى وجهه ، واحدهما لحى ، بفتح فسكون . والمنهس : الكثير النهس ؛ وهو العض ، والأرجوزة سينية ثابتة فى ديوان رجزه (ص ٣١ - ٣٣)

(2) هذا أحد وجهين فى هذه الكلمة ، وحاصله أن لام عضة المحذوفة أصلها واو ، وذلك لأنهم وجدوا العضو الذى هو واحد أعضاء الانسان واوى اللام ، ووجدوا العرب تجمع عضة على عضوات ، ووجدوا مثل قول العجاج يدل على ملاحظة هذا الاشتقاق . والرأى الثانى أن لام العضة المحذوفة هاء ، وأصلها عضهة ، وقد بسطنا القول على هذين الرأيين وشرحناهما بأدلتهما شرحا وافيا فى كتابتنا على شرح الأشمونى

(3) هى أرجوزة ثابتة فى ديوان أراجيزه (ص ٧٩ - ٨١) وفيها البيت الذى استشهد به

قال ابن إسحق : فجعل أولئك النفر يقولون ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لَقُوا من الناس ، وصَدَرَت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها

أبو طالب يعتب على قريش ويخبرهم أنه غير مسلم النبى لهم

فلما خشى أبو طالب دَهْمَاء العرب [1] أن يركبوه مع قومه ، قال : قصيدته التى تَعَوَّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتَوَدَّدَ فيها أشْرَافَ قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى ذلك من شعره أنه غير مُسْلِمٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه لشىء أبدا ، حتى يهلك دونه . فقال أبو طالب : —

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَاوُدَّ فِيهِمُ ... وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ [2]
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى ... وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْماً عَلَيْنَا أَظِنَّةً ... يَعَضُّونَ غَيْظاً خَلْفَنَا بِالْأَنَامِلِ [3]
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِى بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ
وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ الْمَقَاوِلِ [4]
وأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِى وَإِخْوَتِى
وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ [5]

---

(١) دهماء العرب : عامتهم وجماعتهم

(٢) الوسائل : جمع وسيلة ، وهى القربة . وتقول : وسل فلان إلى فلان وسيلة ، إذا تقرب إليه ، والوسيلة أيضا : المنزلة عند الملك

(٣) أظنة : جمع ظنين ، وهو المتهم ؛ والأنامل : جمع أنملة . وهى طرف الأصبع

(٤) « سمراء سمحة » أراد بها قناة لينة تسمح بالانعطاف عند هزها ، والعضب : القاطع ، والمقاول : أراد بهم السادات ، وأصله الذى يخلف الملك عند حمير

(٥) الوصائل : ثياب حمر فيها خطوط كان البيت يكسى بها

قِيَاماً مَعاً مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ
لَدَى حَيْثُ يَقْضِي حَلْفَهُ كُلُّ نَافِلِ (١)

وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ
بِمُفْضَى السُّيُولِ مِن إِسَافٍ وِنَائِلِ (٢)

مُوَسَّمَةُ الْأَعْضَادِ أَوْ قَصَرَاتِهَا مُخَيَّسَةٌ بَيْنَ السَّدِيسِ وَبَازِلِ (٣)

تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا وَالرُّخَامَ وزِينَةً بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةً كَالْعَثَاكِلِ (٤)

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ

وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَي لَنَا بِمَعِيبَةٍ وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَالَمْ نُحَاوِلِ

وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيراً مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءِ وَنَازِلِ (٥)

---

(١) « كل نافل » يعنى كل متبرىء ، يقال : انتفل من كذا ، إذا تبرأ منه ، فاستعمل اسم الفاعل من الثلاثى المجرد ، وقال الأعشى أعشى قيس : ـ

لاَتَلْقَنَا عَنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْتَفِلُ

(٢) سبق ذكر هذا البيت . فانظر (ص ٨٦)

(٣) موسمة : يعنى معلمة ، تقول : وسمه ، إذاعلمه ، والسمة : العلامة . والقصرات : أصول الأعناق ، واحدتها قصرة ، ومخيسة : مذللة ، والسديس من الابل : الذى دخل فى سنته الثامنة ، والبازل : الذى خرج نابه . وذلك فى السنة التاسعة

(٤) الودع : الخرز ، وفيها : أى فى أعناقها ، والعثاكل : الأغصان التى ينبت عليها التمر ، واحدها عثكال وعثكول ، وكان حق الجمع أن يكون عثاكيل ، فحذف الياء تخفيفا

(٥) ثور وثبير وحراء : جبال فى مكة

وَبِالْبَيْتِ حَقِّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةٍ
وَبِاللهِ إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِغَافِلِ
وَبِالْحَجَرِ الْمُسْوَدِّ إِذْ يَمْسَحُونَهُ إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ (١)
وَمَوْطِىءِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً
عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِياً غَيْرَ نَاعِلِ
وأَشْوَاطِ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ إِلَي الصَّفَا وَمَا فِيهِمَا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَاثِلِ (٢)
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ
وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ
إِلَالٍ إِلَي مُفْضَى الشِّرَاجِ الْقَوَابِلِ (٣)

---

(١) اكتنفوه : أى أحاطوا به ، وروى كثفوه ، ومعناه ازدحموا حوله ، مأخوذ من الشىء الكثيف ، وهو الملتف

(٢) الأشواط : جمع شوط ، وهو الجرى إلى الغاية مرة ، وأراد بالأشواط هنا السعى بين الصفا والمروة . والتماثيل : الصور ، واحدها تمثال ، وأسقط الياء هنا كما أسقطها فى العثاكل

(٣) «إلال» فى القاموس : «وكسحاب وكتاب جبل بعرفات ، أوجبل رمل عن يمين الامام بعرفة » اه وقال ياقوت بعد ذكر ذلك : « وقيل : إلال جبل عرفة نفسه ، قال النابغة الذبيانى :-

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ
بِمُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لِصَافٍ وَثَبْرَةٍ يَزُرْنَ أَلَالاً سَيْرُهُنَّ التَّدَافُعُ

وقال الزبير بن بكار : إلال هو البيت الحرام ، والأول أصح» اه كلامه . والشراج : مسايل الماء فى الحرة ، والقوابل : التى يقابل بعضها بعضاً ، ويقال : هى رءوس السواقى .

وَتَوْقَافِهِمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً يُقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرَّوَاحِلِ (١)
وَلَيْلَةِ جَمْعٍ وَالْمَنَازِلِ مِنْ مِنًى
وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
وَجَمْعٍ إِذَا مَا الْمُقْرَبَاتُ أَجَزْنَهُ
سِرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعِ وَابِلِ (٢)
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا لَهَا
يَؤُمُّونَ قَذْفًا رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ (٣)
وَكِنْدَةَ إِذْ هُمْ بِالْحِصَابِ عَشِيَّةً
تُجِيزُ بِهِمْ حُجَّاجُ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ (٤)
حَلِيفَانِ شَدَّا عَقْدَ مَا احْتَلَفَا لَهُ وَرَدَّا عَلَيْهِ عَاطِفَاتِ الْوَسَائِلِ
وَحَطْمِهِمُ سُمْرَ الرِّمَاحِ وَسَرْحَهُ وَشِبْرِقَهُ وَخْدَ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ (٥)

---

(١) توقافهم : أى وقوفهم . والرواحل : جمع راحلة

(٢) المقربات : الخيل التى تقرب مرابطها من البيوت لكرمها . والوابل : المطر الشديد

(٣) صمدوا : قصدوا

(٤) الحصاب : موضع رمى الجمار ، مأخوذ من الحصباء وأصل الحصاب مصدر فنقل إلى المكان

(٥) الحطم : الكسر ، والسمر : يحتمل أن يكون أصله سمرا - بفتح فضم - وهو من شجر الطلح ، ثم نقل حركة العين إلى الفاء بعد سلب حركتها فصار بضم فسكون ، وأن يكون جمع أسمر أو سمراء ، والرماح : جمع رمح ويروى فى مكانه الصفاح ، وهو جمع صفح ، وهو عرض الجبل ، ويقال : أسفله حيث يسيل ماؤه . وعندنا أن من روى « سمر الصفاح » فالسمر عنده على المعنى الأول ، ومن روى « سمر الرماح » فالسمر عنده على المعنى الثانى والسرح : شجر ، والشبرق : نبات ، والوخد : السير السريع ، والجوافل : الذاهبة المسرعة ، واحدتها جافلة

فَهَلْ بَعْدَ هٰذَا مِنْ مَعَاذٍ لِعَائِذٍ وَهَلْ مِنْ مُعِيذٍ يَتَّقِي اللهَ عَاذِلِ
يُطَاعُ بِنَا أَمْرُ الْعِدَا وَدَّ أَنَّنَا تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابُ تُرْكٍ وَكَابُلِ (١)
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نَتْرُكُ مَكَّةً وَنَظْعَنَ إِلاَّ أَمْرُكُمْ فِي بَلاَبِلِ (٢)
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ (٣)
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ وَنُذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلاَئِلِ (٤)
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمُ نُهُوضَ الرَّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلاَصِلِ (٥)

---

(١) يروى هذا البيت كما ترى ، وضمير « ود » حينئذ يعود إلى واحد العدى ، أى : كل واحد منهم ود أننا — الخ ؛ ويروى هكذا : —

* يُطَاعُ بِنَا الْعُدَّى وَوَدُّوا لَوَ أَنَّنَا *

والعدى : جمع عاد ، وهو اسم فاعل من عدا يعدو ، وجمع معتل اللام يجيء كثيرا على هذا نحو غاز وغزى وعاف وعفى ، قال أبوذر : « والعدى جمع عاد من عدا عليه يعدو ، كما قالوا : غاز وغزى وعاف وعفى » اه : وترك وكابل : جيلان من العجم

(٢) بلابل : هى وساوس الهموم ، واحدها بلبال ، ويروى « أمركم فى تلاتل » أى : فى حركة واضطراب

(٣) نبزى : أى نغلب عليه ونسلبه ، ونناضل : أى نرامى بالسهام

(٤) الحلائل : الزوجات ، واحدتها حليلة

(٥) الروايا : الابل التى تحمل الماء ، واحدتها راوية ، والصلاصل : جمع صلصلة ، وهى الصوت ، وذات الصلاصل : المزادات التى فيها بقية من الماء يسمع لها صوت حين تسير الابل

وَحَتَّى نَرَى ذَا الضِّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ
مِنَ الطَّعْنِ فِعْلَ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ (١)
وَإِنَّا لَعَمْرُ اللهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى لَتَلْتَبِسًا أَسْيَافُنَا بِالْأَمَاثِلِ
بِكَفَّيْ فَتًى مِثْلِ الشِّهَابِ سَمَيْدَعٍ
أَخِي ثِقَةٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ بَاسِلِ (٢)
شُهُورًا وَأَيَّامًا وَحَوْلًا مُجَرَّمًا عَلَيْنَا وَتَأْتِي حِجَّةٌ بَعْدَ قَابِلِ (٣)
وَمَا تَرْكُ قَوْمٍ — لَا أَبَالَكَ — سَيِّدًا
يَحُوطُ الذِّمَارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَاكِلِ (٤)
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
ثِمَالَ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ (٥)
يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى أَسِيدٌ وَبَكْرُهُ إِلَى بُغْضِنَا، وَجَزَّآنَا لِآكِلِ

---

(١) الضغن : العداوة ؛ ويقال : ركب ردعه ، إذا خر صريعا لوجهه ، والأنكب : الذى يمشى على شق

(٢) سميدع : سيد ، وباسل : شجاع كريه

(٣) حولا مجرما : أى مكملا ، تقول : تجرمت السنة ، إذا كملت وانقضت

(٤) الذمار : ما يلزمك أن تحميه ، وذرب : فاسد ، ومواكل : يتكل على غيره

(٥) ثمال اليتامى : أى قائما بأمرهم غياثا لهم

وَعُثْمَانُ لَمْ يَرْبَعْ عَلَيْنَا وَقُنفُذٌ
وَلَـكِنْ أَطَاعَا أَمْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ (١)

أَطَاعَا أُبَيًّا وَابْنَ عَبْدِ يَغُوثِهِمْ وَلَمْ يَرْقُبَا فِينَا مَقَالَةَ قَائِلِ
كَمَا قَدْ لَقِينَا مِنْ سُبَيْعٍ وَنَوْفَلٍ وَكُلٌّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لَمْ يُجَامِلِ

فَإِنْ يُلْفَيَا أَوْ يُمْكِنِ اللهُ مِنْهُمَا
نَكِلْ لَهُمَا صَاعًا بِصَاعِ الْمُكَايِلِ (٢)

وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبَى غَيْرَ بُغْضِنَا لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ (٣)
يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُمْسًى وَمُصْبَحٍ فَنَاجِ أَبَا عَمْرٍو بِنَا ثُمَّ خَاتِلِ (٤)
وَيُؤْلِي لَنَا بِاللهِ مَا إِنْ يَغُشُّنَا بَلَى قَدْ تَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَائِلِ (٥)

أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْضُنَا كُلَّ تَلْعَةٍ
مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبٍ فَمَجَادِلِ (٦)

---

(١) لم يربع : لم يعطف ، وستقف على حقيقة هذه الأعلام فى كلام المؤلف

(٢) «فان يلفيا» مبنى للمجهول من ألفيته إذا وجدته ، وفى نسخة «فان يلقيا» بالقاف ، وهو مبنى للمعلوم ، والمراد فان يلقيا عنهما العناد والمباداة بالشر ، ويلزمه أن يطيعا ويخضعا ، و«نكل» مضارع كاله يكيله

(٣) الجامل : اسم لجماعة الجمال ، ومثله الباقر اسم لجماعة البقر

(٤) «خاتل» من الختل ، وهو الخداع والغدر

(٥) «يؤلى» أى : يحلف ويقسم ، والألية : اليمين

(٦) التلعة : المشرف المرتفع من الأرض ، وهى أيضا مسيل الماء من حوف الوادى إلى وسطه ، والأخشب يروى فى هذا البيت بضم الشين ، وعلى هذه الرواية شرح أبو ذر ، قال : «والأخشبان : جبلان بمكة ، فجمعهما مع

وسائِلْ أَبَا الْوَلِيدِ مَاذَا حَبَوْتَنَا ... بِسَعْيِكَ فِينَا مُعْرِضًا كَالْمُخَاتِلِ
وَكُنْتَ امْرَأً مِمَّنْ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ ... وَرَحْمَتِهِ فِينَا وَلَسْتَ بِجَاهِلِ
فَعُتْبَةُ ، لاَ تَسْمَعْ بِنَا قَوْلَ كَاشِحٍ
حَسُودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضٍ ذِي دَغَاوِلِ[1]
وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّيَ مُعْرِضاً ... كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِنَ عِظَامِ الْمَقَاوِلِ
يَفِرُّ إِلَي نَجْدٍ وَبَرْدِ مِيَاهِهِ ... وَيَزْعُمُ أَنِّي لَسْتُ عَنْكُمْ بِغَافِلِ[2]
وَيُخْبِرُنَا فِعْلَ الْمُنَاصِحِ أَنَّهُ ... شَفِيقٌ وَيُخْفِي عَارِمَاتِ الدَّوَاخِلِ[3]
أَمُطْعِمُ ، لَمْ أَخْذُلْكَ فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ
وَلاَ مُعْظِمٍ عِنْدَ الْأُمُورِ الْجَلاَئِلِ
وَلاَ يَوْمِ خَصْمٍ إِذْ أَتَوْكَ أَلِدَّةٍ
أُولِي جَدَلٍ مِنَ الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ[4]

ما اتصل بهما على غير قياس ، وقياسه الأخاشب » اهـ : ويروى بفتح الشين ، قال أبو ذر أيضا : « ومن رواه بفتح الشين فقد أفرده ومراده به التثنية لشهرة الأخشبين » اهـ . والمجادل : القصور والحصون فى رءوس الجبال

(١) كاشح : عدو ، والدغاول : الأمور الفاسدة

(٢) نجد : هو ما ارتفع من بلاد الحجاز

(٣) عارمات : يروى بالراء المهملة وبالزاى الموحدة ، قال أبو ذر : « من رواه بالراء فمعناه الشديدات ، ومن رواه بالزاى فهى التى عزم على إنفاذها ، والدواخل ـ بالدال المهملة والخاء ـ النمائم والافساد بين الناس ، ويروى الذواحل ـ بالذال المعجمة والحاء المهملة ـ وهى العداوات ، مأخوذ من الذحل ، وهو طلب الثأر » اهـ كلامه

(٤) المساجل : يروى بالجيم الموحدة وبالحاء المهملة : فمن رواه بالجيم فمعناه الذين يعارضونه فى الخصومة ويغالبونه ، وأصله من المساجلة ، وهى

أَمُطْعِمُ ، إِنَّ ٱلْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً
وَإِنِّى مَتَى أُوكَلْ فَلَسْتُ بِوَائِلِ (١)

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً
عُقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلِ

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لاَ يُخِسُّ شَعِيرَةً
لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ (٢)

لَقَدْ سَفُهَتْ أَحْلاَمُ قَوْمٍ تبدَّلُوا بَنِى خَلَفٍ قَيْضًا بِنَا وَالْغَيَاطِلِ (٣)

وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ وَآلِ قُصَىٍّ فِى الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ

وَسَهْمٌ وَمَخْزُومٌ تَمَالَوْا وَأَلَّبُوا
عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلِ (٤)

فعَبْدَ مَنَافٍ ، أَنْتُمُ خَيْرُ قَوْمِكُمْ فَلاَ تُشْرِكُوا فِى أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاغِلِ (٥)

أن يأتى الرجل بمثل ما أتى به صاحبه ، ومن رواه بالحاء فهم الخطباء البلغاء ، واحدهم مسحل

(١) ساموك : أى كلفوك ، ولست بوائل : أى لست بناج ، يقال : ما وأل من كذا ، أى : ما نجا منه

(٢) لا يخس : أى لا ينقص ، ويروى «لا يخيس» من قولهم : خاس بالعهد ، إذا نقضه وأفسده ، وعائل : أى جائر

(٣) انظر (ص ٢٢٦ من هذا الجزء)

(٤) الطمل : الرجل الفاحش لايبالى ماصنع ، واللئيم ، والأحمق ، واللص الفاسق

(٥) « كل واغل» أراد كل ملصق بكم ليس من صميمكم ، وأصل الواغل الداخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى

لَعَمْرِى لَقَدْ وَهَنْـــتُمُ وَعَجَزْتُمُ
وَجِئْتُمْ بِأَمْرٍ مُخْطِيءِ الْمَفَاصِلِ (١)
وَكُنْتُمْ حَدِيثاً حَطْبَ قِدْرٍ وَأَنْتُمُ أَلاَنَ حِطَابُ أَقْدُرٍ وَمَرَاجِلِ (٢)
لِيَهْنِ بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ عُقُوقُنَا
وَخِذْلاَنُنَا وَتَرْكُنَا فِى الْمَعَاقِلِ (٣)
فَإِنْ نَكُ قَوْمًا نَتَّئِرْ مَا صَنَعْتُمُ وَتَحْتَلِبُوهَا لِقْحَةً غَيْرَ بَاهِلِ (٤)
وَسَائِطُ كَانَتْ فِى لُؤَىِّ بْنِ غَالِبٍ نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلُّ صَقْرٍ حُلاَحِلِ
وَرَهطُ نُفَيْلٍ شَرُّ مَنْ وَطِىءَ الْحَصَى
وَأَلأَمُ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلِ
فَأَبْلِـغْ قُصَيًّا أَنْ سَيُنْشَرُ أَمْرُنَا
وَبَشِّرْ قُصَيًّا بَعْدَنَا بِالتَّخَاذُلِ
وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلاً قُصَيًّا عَظِيمَةٌ إِذًا مَالَجَأْنَا دُونَهُمْ فِى الْمَدَاخِلِ
وَلَوْ صَدَقُوا ضَرْبًا خِلاَلَ بُيُوتِهِمْ
لَكُنَّا أُسًى عِنْدَ النِّسَاءِ الْمَطَافِلِ (٥)

---

(١) « مخطىء المفاصل » يريد أنه لا يوافق صواب الأمور

(٢) المراجل : القدور ، واحدها مرجل ، وخصه بعض أهل البصر باللغة بالقدر إذا كانت من نحاس

(٣) « ليهن ـ الخ » دخله الكف ، وهو حذف السابع من مفاعيلن فى قوله « بنى عبد » وهو قبيح عند الخليل

(٤) « نتئر ماصنعتم » أى : نأخذ بثأرنا منكم ، ويروى « نبتئر » ومعناه ندخره ونحتفظ به حتى ننتصف منكم ، تقول : ابتأرت الشيء ، إذا خبأته وادخرته . واللقحة : الناقة ذات اللبن ، و« غير باهل » تقول : ناقة باهل : أى غير مصرورة مباحة لكل حالب

(٥) أسى : جمع أسوة ، وهى القدوة ، يريد لاقتدى بعضنا ببعض ، والمطافل : جمع مطفل ، وهى التى لها طفل

فكلُّ صَديقٍ وَابْن أُخْتٍ نَعُدّهُ   لَعَمْري وَجَدْنَا غِبَّهُ غَيْرَ طَائِلِ

سِوَى أَنَّ رَهطاً مِنْ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةٍ
بَرَاء إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةِ خَاذِلِ (١)

وَهنا لَهُمْ حَتَّى تَبَدَّدَ جَمْعُهُمْ   وَيَحْسُرَ عَنَّا كُلُّ بَاغٍ وَجَاهِلِ

وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السِّقَايَةِ فِيهِمُ
وَنَحْنُ الْكُدَى مِنْ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِلِ (٢)

شَبَابٌ مِنَ الْمُطَيَّبِينَ وَهَاشِمٍ
كَبِيضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصَّيَاقِلِ

فَمَا أَدْرَكُوا ذَحْلاً وَلاَ سَفَكُوا دَماً
وَلاَ حَالَفُوا إِلاَّ شِرَارَ الْقَبَائِلِ

بِضَرْبٍ تَرَى الْفِتْيَانَ فِيهِ كَأَنَّهُمْ
ضَوَارِي أُسُودٍ فَوْقَ لَحْمٍ خَرَادِلِ (٣)

بَنِي أَمَةٍ مَحْبُوبَةٍ هِنْدِكِيَّةٍ   بَنِي جُمَحٍ عُبَيْدِ قَيْسِ بْنِ عَاقِلِ (٤)

---

(١) براء ـ بفتح الباء ـ مصدر مثل سلام ، ولهذا يوصف به الواحد والاثنان والجمع ، تقول : رجل براء ، وامرأة براء ، ورجلان براء ، ورجال براء ، وهو بكسر الباء جمع برىء ، مثل كريم وكرام وطويل وطوال ، ولا يوصف به حينئذ إلا الجمع . والمعقة : العقوق ، والخاذل : ضد الناصر

(٢) الكدى : جمع كدية ـ بضم الكاف فيهما ـ وهى فى الأصل الصفاة الشديدة ، وأراد أنهم مثلها فى العز والامتناع . والكواهل : جمع كاهل ، والمراد به سند القوم الذى يرجعون فى أمورهم إليه

(٣) «خرادل» أى : قطع عظيمة

(٤) قال فى القاموس : «رجل هندكى ـ بكسر الهاء والدال ـ من أهل الهند ، وليس من لفظه لأن الكاف ليست من حروف الزيادة » اه

وَلَكِنَّنَا نَسْلٌ كِرَامٌ لِسَادَةٍ   بِهِمْ نُعِيَ الأَقْوَامُ عِنْدَ الْبَوَاطِلِ
وَنِعْمَ ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرَ مُكَذَّبٍ
زُهَيْرٌ حُسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ
أَشَمُّ مِنَ الشُّمِّ الْبَهَالِيلِ يَنْتَمِي
إِلَى حَسَبٍ فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ (١)
لَعَمْرِي لَقَدْ كَلِفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدٍ   وَإِخْوَتِهِ دَأْبَ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِلِ (٢)
فَلاَ زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالاً لِأَهْلِهَا   وَزَيْنًا لِمَنْ وَالاَهُ رَبُّ الْمَشَاكِلِ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمِّلٍ   إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ   يُوَالِي إِلَهاً لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
فَوَاللهِ لَوْلاَ أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ   تَجُرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ   مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لاَ مُكَذَّبٌ   لَدَيْنَا وَلاَ يُعْنَى بِقَوْلِ الأَبَاطِلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ فِي أَرُومَةٍ   تُقَصِّرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ (٣)
حَدِبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمَيْتُهُ
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالْكَلاَكِلِ (٤)
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ   وَأَظْهَرَ دِيناً حَقُّهُ غَيْرُ بَاطِلِ

---

(١) أشم : أى عزيز ؛ والبهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد

(٢) كلفت : أولعت

(٣) « سورة المتطاول » يروى بضم السين وبفتحها ؛ فمن رواه بضمها فالسورة المنزلة ، ومن رواه بفتحها فالسورة الشدة والبطش

(٤) حدبت : عطفت ومنعت ، والذرا : جمع ذرة ، وهى أعلى ظهر البعير ، والكلاكل : جمع كلكل ، وهو معظم الصدر

رِجَالٌ كِرَامٌ غَيْرُ مِيلٍ نَمَاهُمُ ... إِلَى الْخَيْرِ آبَاءٌ كِرَامُ الْمَحَاصِلِ
فَإِنْ تَكُ كَعْبٌ مِنْ لُؤَيٍّ صَقِيبَةً ... فَلَا بُدَّ يَوْماً مَرَّةً مِنْ تَزَايُلِ

قال ابن هشام : هذا ماصح لى من هذه القصيدة ، و بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها

رسول الله يستسقى لاهل المدينة فيسقيهم الله فيتمنى أن ابا طالب حى

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به ، قال : أقحط أهلُ المدينة ، فَأَتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فشَكَوْا ذلك إليه ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فاستسقى ، فما لبث أن جاء من المطر ماأتاه أهل الضواحى (١) يَشْكون منه الغرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَاعَلَيْنَا » فانجاب السحاب (٢) عن المدينة ، فصار حواليها كالاكليل (٣) ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَدْرَكَ أَبُو طَالِبٍ هٰذَا الْيَوْمَ لَسَرَّهُ » فقال له بعض أصحابه : كأنك يارسول الله أردت لقوله :ــ

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالَ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ

قال : « أجل »

ترجمة الاعلام التى ذكرها أبوطالب فى قصيدته

قال ابن هشام : وقوله « وشِبْرِقَهُ » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : والغياطل من بنى سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص ؛ وأبو سفيــان : ابن حرب بن أمية ، ومطعم : ابن عدى بن نوفل بن

(١) « أهل الضواحى » أراد بهم أهل البادية ، وإنما قيل لهم ذلك لأنهم فى الغالب ليس لهم جدران يستترون بها ، وهم بارزون للشمس ، من قولهم : ضحى الرجل يضحى ، إذا ظهر للشمس

(٢) « انجاب السحاب» انقطع بعضه عن بعض

(٣) الأكليل : خيط منظوم ، ومنه يقال : تكلل السحاب ، إذا علا بعضه بعضا واتصل

عبد مناف ، وزهير : ابن أبي أمَيَّة بن الْمُغيرة بن عبدالله بن عُمَر بن مخزوم وأمُّهُ عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحق : وأَسيدٌ ، وبِكْرَه : عتاب بن أَسيدِ بن أبي الْعِيص ابن أُمَيَّة بن عَبْد شمْس بن عبد مَنَاف بن قصي، وعثمانُ : ابن عُبَيْدالله أخو طَلْحة بن عُبَيْد الله التَّيْميّ ، وقُنْفُذ: ابن عُمَير بن جُدْعان بن عَمْرو ابن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة ، وأبو الوليد: عتبة بن ربيعة ، وأُبيٌّ : الأخنسُ بن شريق الثَّقَفي ، حليف بني زهرة بن كلاب

قال ابن هشام : وإنما سمي الأخنس لأنه خَنَسَ بالقوم يوم بدر ، وإنما اسمه أُبيٌّ ، وهو من بني عِلاج ؛ وهو عِلاجُ بن أبي سَلَمة بن عَوْف ابن عُقْبة(١)

والأسود : ابن عَبْد يَغُوث بن وَهْب بن عَبْد مناف بن زُهْرة بن كِلاب ، وسُبَيْع : ابن خالد ، أخو بَلْحرث بن فِهْر ؛ ونَوْفَل: ابن خُوَيلد ابن أسَد بن عبد الْعُزَّى بن قُصيٌّ ، وهو ابن الْعَدَوِيَّة ، وكان من شياطين قريش ، وهو الذي قَرَنَ بين أبي بكر الصديق وطَلْحة بن عبيد الله ، رضي الله عنهما ، في حَبْل حين أسلما ، فبذلك كانا يسميان القرينين ، قَتَلَهُ عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر ، وأبو عَمْرو : قُرظَة بن عَبْدعَمْرو بن نَوْفَل بن عبد مناف ، و « قوم علينا أظِنَّةٌ » بنو بكر بن عبد مَنَاةَ بن كنانة ؛ فهؤلاء الذين عَدَّد أبو طالب في شعره من العرب

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتشر في العرب وبين أهل المدينة

فلما انتشر أمْرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرب ، وبلغ الْبُلْدَان ذُكِرَ بالمدينة ، ولم يكن حَيٌّ من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين ذكر ، وقبل أن يذكر — من هذا الحي من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود، وكانوا لهم حُلَفَاء ومعهم

(١) في نسخة « بن عقدة »

فى بلادهم ، فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدّثوا بما بَيْنَ قُرَيشٍ فيه من الاختلاف قال أبو قَيْس بن الأسْلَت أخو بنى وَاقِفٍ

نسب أبى قيس ابن الأسلت

قال ابن هشام : نسب ابن إسحق أبا قيس هذا ههنا إلى بنى واقف ، ونسبه فى حديث الفيل (١) إلى خَطْمَةَ ؛ لأن العرب قد تنسب الرجال إلى أخى جده الذى هو أشهر منه

ذكر بعض من نسبوه إلى أخوة جدهم

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، أن الحَكَم بن عَمْرو الْغِفَارى من ولد نُعَيْلَة (٢) أخى غِفَار ، وهو غِفَارُ بْنُ مُلَيْل ، وَنُعَيْلَة (٢) : ابن مُلَيْل بن ضَمْرة بن بَكْر بن عبد مَنَاةَ ، وقد قالوا : عُتْبَةُ بن غَزْوان السُّلَمى ، وهو من والد مازن بن مَنْصور ، وَسُلَيم : ابن مَنْصور

قال ابن هشام: فأبو قيس بن الأسلت من بنى وائل ، ووائل وواقف وخَطْمة إخوة ، من الأوس

قال ابن إسحق : فقال أبو قيس بن الأسْلَت ، (وكان يحب قريشا ، وكان لهم صِهْراً : كانت عنده أَرْنَبُ بنت أسَد بن عبد الْعُزَّى بن قُصَىّ ، وكان يقيم عندهم السِّنِينَ بامرأته) قصيدةً يعظّم فيها الحرمة ، وَيَنْهى قريشا فيها عن الحرب ، ويأمرهم بالكفّ بعضهم عن بعض ، ويذكر فَضْلَهم وأحْلامهم ، ويأمرهم بالْكَفّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويُذَكّرهم بَلاَءَ الله عندهم ، ودَفْعَه عنهم الفيل وكيدَهُ عنهم : فقال : —

يَارَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَاً مُغَلْغَلَةً عَنِّى لُؤَىَّ بْنَ غَالِبِ (٣)

---

(١) انظر (ص ٦٠ س ٧ وما بعده) من هذا الجزء

(٢) قال أبو ذر : « نعيلة : روى بالنون وبالثاء المثلثة النقط ، ونعيلة بالنون هو الصواب ، وكذلك قيده الدار قطنى ، وقال : هو مفرد لا نظير له » اه

(٣) مغلغلة : رسالة

رَسُولَ امْرِىءٍ قَدْ رَاعَهُ ذَاتُ بَيْنِكُمْ
عَلَى النَّأْىِ مَحْزُونٍ بِذَلِكَ نَاصِبِ (١)
وَقَدْ كَانَ عِنْدِى لِلْهُمُومِ مُعَرَّسٌ فَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَتِي وَمَآرِبِى
نُبِّئْتُكُمْ شَرْجَيْنِ كُلُّ قَبِيلَةٍ
لَهَا أَزْمَلٌ مِنْ بَيْنِ مُذْكٍ وَحَاطِبِ (٢)
أُعِيذُكُمُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ صُنْعِكُمْ وَشَرِّ تَبَاغِيكُمْ وَدَسِّ الْعَقَارِبِ
وَإِظْهَارِ أَخْلَاقٍ وَنَجْوَى سَقِيمَةٍ
كَوَخْزِ الْأَشَافِى وَقْعُهَا حَقٌّ صَائِبِ (٣)
فَذَكِّرْهُمُ بِاللهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ
وَإِحْلَالِ أَحْرَامِ الظِّبَاءِ الشَّوَازِبِ (٤)
وَقُلْ لَهُمُ وَاللهُ يَحْكُمُ حُكْمَهُ :
ذَرُوا الْحَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمُ فِي الْمَرَاحِبِ (٥)
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً
هِيَ الْغُولُ لِلْأَقْصَيْنَ أَوْ لِلْأَقَارِبِ (٦)

---

(١) ناصب : هو المتعب المعي

(٢) « شرجين » أى : نوعين ، والأزمل : الصوت ، والمذكى : الذى يوقد النار ، والحاطب : الذى يجمع لها الحطب

(٣) الوخز : الطعن ، والأشافى : جمع إشفى ، وهى حديدة يغرز بها الاسكاف

(٤) « أحرام الظباء » التى يحرم صيدها فى الحرم ، والشوازب : الضامرة البطون

(٥) المراحب : المواضع المتسعة

(٦) الغول : أراد بها المنية

تُقَطِّعُ أَرْحَامًا وَتُهْلِكُ أُمَّـةً
وَتَبْرِى السَّدِيفَ مِنْ سَنَامٍ وَغَارِبِ (١)
وَتَسْتَبْدِلُوا بِالْأَتْحَمِيَّةِ بَعْدَهَا
شَلِيلاً وَأَصْدَاءً ثِيَابَ الْمُحَارِبِ (٢)
وَبِالْمِسْكِ وَالْـكَافُورِ غُبْراً سَوَابِغاً كَأَنَّ قَتِـيرَيْهَا عُيُونُ الْجَنَادِبِ (٣)
فَإِيَّاكُمُ وَالْحَرْبَ لَاتَعْلَقَنَّـكُمْ
وَحَوْضاً وَخِيمَ الْمَاءِ مُرَّ الْمَشَارِبِ (٤)
تَزَيَّنُ لِلْأَقْوَامِ ثُمَّ يَرَوْنَهَا بِعَاقِبَةٍ إِذْ بَيَّنَتْ أُمَّ صَاحِبِ (٥)

(١) تبرى : تقطع ، والسديف : لحم الظهر ، والسنام : الظهر ، والغارب : أعلى الظهر

(٢) الأتحمية : ضرب من ثياب اليمن ، والشليل : ثياب تلبس تحت الدروع ، ويقال : هى الدروع بعينها ، والأصداء : الدروع المتغيرة بالصدأ

(٣) الغبر : جمع غبراء ، والسوابغ : جمع سابغة ، وأراد بها الدروع الكاملة ، والقتير : مسامير حلق الدروع ، والجنادب : جمع جندب ، وهو ذكر الجراد

(٤) وخيم : أى ثقيل

(٥) تزين : أى تتزين ، بعاقبة : أى فى آخر الأمر ، وبينت : ظهر أمرها واتضح ، وأم صاحب ، قال السهيلى : «أى عجوزا كأم صاحب لك ، إذ لايصحب الرجل إلا الرجل فى سنه ، وهذا كقول عمرو بن معد يكرب :

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَاتَـكُونُ فَتِيَّةً تَسْعَى بِبِزَّتِهَا لِـكُلِّ جَهُولِ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا
وَلَّتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا فَتَنَـكَّرَتْ
مَكْرُوهَةً بِالشَّمِّ وَالتَّقْبِيـــلِ

تُحَرِّقُ لاَ تُشْوِى ضَعِيفاً وَتَنْتَحِى
ذَوِى الْعِزِّ مِنْكُمْ بِالْحُتُوفِ الصَّوَائِبِ (١)
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِى حَرْبِ دَاحِسٍ
فَتَعْتَبِرُوا أَوْ كَانَ فِى حَرْبِ حَاطِبِ (٢)
وَكَمْ قَدْ أَصَابَتْ مِنْ شَرِيفٍ مُسَوَّدٍ
طَوِيلِ الْعِمَادِ ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبِ
عَظِيمِ رَمَادِ النَّارِ يُحْمَدُ أَمْرُهُ
وَذِى شِيمَةٍ مَحْضٍ كَرِيمِ الْمَضَارِبِ (٣)
وَمَاءٍ هُرِيقَ فِى الضَّلاَلِ كَأَنَّمَا
أَذَاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ (٤)
يُخَبِّرُكُمْ عَنْهَا امْرُؤٌ حَقٌّ عَالِمٌ
بِأَيَّامِهَا وَالْعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ

وفى جامع البخارى كانوا إذا وقعت الحرب يأمرون بحفظ أبيات عمرو هذه » اه كلامه

(١) تشوى : أى لاتخطىء ، وتنتحى: معناه تعتمد وتقصد، والصوائب : جمع صائب ، والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت

(٢) ستقف على بيان حرب داحس وحرب حاطب فى كلام المؤلف

(٣) محض : خالص ، كريم المضارب : أى السيوف ، ويروى « كريم الضرائب » أى الخلال

(٤) هريق : أريق ، أبدلت الهمزة هاء ، و « فى الضلال » يروى بالضاد معجمة ، وهو ضد الهدى ، ويروى « فى الصلال » بالصاد مهملة ، وهو جمع صلة ، وهى الأرض التى لاتمسك الماء ، يريد أنه بدد حيث لاينتفع به ، و « أذاعت به » بددته وفرقته ، و « الجنائب » جمع جنوب ، وهى ريح تقابل ريح الصبا

فَبيعُوا الحِرَابَ مِلْمُحَارِبِ وَاذْكُرُوا
حِسَابَكُمُ وَاللهُ خَيْرُ مُحَاسِبِ [١]

وَلِيّ امْرِئٍ فَاُخْتَارَ [٢] دِيناً ، فَلَا يَكُنْ
عَلَيْكُمْ رَقِيباً غَيْرُ رَبِّ الثَّوَاقِبِ [٣]

أَقِيمُوا لَنَا دِيناً حَنِيفاً فَأَنْتُمُ
لَنَا غَايَةٌ ، قَدْ يُهْتَدَى بِالذَّوَائِبِ

وَأَنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ نُورٌ وَعِصْمَةٌ
تُؤَمُّونَ وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

وَأَنْتُمْ — إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ — جَوْهَرٌ
لَكُمْ سُرَّةُ الْبَطْحَاءِ شُمُّ الْأَرَانِبِ [٤]

تَصُونُونَ أَجْسَاداً كِرَاماً عَتِيقَةً مُهَذَّبَةَ الْأَنْسَابِ غَيْرَ أَشَائِبِ [٥]

يَرَى طَالِبُ الْحَاجَاتِ نَحْوَ بُيُوتِكُمْ
عَصَائِبَ هَلْكَى تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

---

(١) ملمحارب : أى من المحارب

(٢) قال السهيلى « أى هو ولى امرىء اختار دينا ، والفاء زائدة على أصل أبى الحسن » اه

(٣) الثواقب : النجوم

(٤) سرة الشيء : خيره وأعلاه ، وشم : جمع أشم ، وهو العالى المرتفع ، والأرانب : جمع أرنبة ، وهى القصبة التى فيها ثقب الأنف

(٥) غير أشائب : يعنى أنها خالصة النسب

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ سَرَاتَكُمْ
عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُ أَهْلِ الْجَبَاجِبِ(١)
وَأَفْضَلُهُ رَأْياً وَأَعْلَاهُ سُنَّةً وَأَقْوَلُهُ لِلْحَقِّ وَسْطَ الْمَوَاكِبِ(٢)
فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا
بِأَرْكَانِ هَـٰذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ(٣)
فَعِنْدَكُمُ مِنْهُ بَلَاءٌ وَمَصْدَقٌ
غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ
كَتِيبَتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرَجْلُهُ عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ(٤)
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّهُمْ
جُنُودُ الْمَلِيكِ بَيْنَ سَافٍ وحَاصِبِ(٥)
فَوَلَّوْا سِرَاعاً هَارِبِينَ وَلَمْ يَؤُبْ
إِلَي أَهْلِهِ مِلْحِبْشِ غَيْرُ عَصَائِبِ
فَإِنْ تَهْلِكُوا نَهْلِكْ وَتَهْلِكْ مَوَاسِمٌ
يُعَاشُ بِهَا ، قَوْلُ امْرِىءٍ غَيْرِ كَاذِبِ

(١) الجباجب : جمع جبجبة ، وهى المنزل

(٢) المواكب : جمع موكب ، وهى الجماعة من الخيل

(٣) صلوا : أى ادعوا ، أو ما تراه عداه بنفسه ؟ والأخاشب : جمع أخشب ، وبمكة جبلان يقال لهما : الأخشبان ، وقد أرادهما بما حولهما فجمع ، وانظر لهذا البيت والأربعة بعده (ص ٦١) من هذا الجزء

(٤) القاذفات : أعالى الجبال ، والمناقب : جمع منقبة ، وهى الطريق فى أعلى الجبل

(٥) السافى : الذى أصابه الغبار ، والحاصب : الذى أصابه الحصباء ، وهى الحجارة ؛ وذلك على معنى النسب ، وقد يكون السافى الذى يثير الغبار ، والحاصب الذى يثير الحصباء ، أى ينقلها ، قاله أبو ذر .

قال ابن هشام : أنشدنى بيته « ومَاءِ هُرِيق » وبيتــه « فَبيعوا الحِراب » وقوله « وَلِىٌّ امرىء فاختار » وقوله « على القاذفات فى رءوس المناقب » أبو زيد الأنصارى وغيره

حرب داحس

قال ابن هشام : وأما قوله « ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس » فحدثنى أبو عبيدة النحوى ، أن داحِساً فَرَسٌ كان لقيس بن زُهَيْر بن جَذِيمة بن رَوَاحة بن ربيعة بن الْحرث بن مازن بن قُطَيْعَة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفَان ؛ أَجْرَاهُ مع فرس لُحذَيفَة بن بَدْر بن عَمْرو ابن زيد بن جُؤَيَّة بن لَوْذَان بن ثَعْلَبة بن عَدِى بن فَزَارة بن ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفَان يقال لها الْغَبْراء ؛ فَدَسَّ حُذَيفَةُ قوما ، وأمرهم أن يضربوا وَجْهَ داحسٍ إن رأوه قد جاء سابقا ، فجاء داحس سابقا ، فضربوا وجهه ؛ وجاءت الغبراء ، فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبر ، فوثب أخوه مالك بن زُهَير فلطم وَجْهَ الغبراء ، فقام حَمَلُ بن بَدْر فَلَطَم مالــكا ، ثم إن أبا الْجُنَيْدِب الْعَبْسِيَّ لقى عَوْف بن حُذَيفة فقتــله ، ثم لقى رجل من بنى فَزَارة مالــكا فقتله ، فقال حَمَلُ بن بدر أخو حُذَيفة بن بدر — :

قَتَلْنَا بِعَوْفٍ مَالِــكاً وَهْوَ ثَأْرُنَا
فَإِنْ تَطْلُبُوا مِنَّا سِوَى الْحَقِّ تَنْدَمُوا

وهذا البيت فى أبيات له

وقال الربيع بن زياد العبسى : —

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ (١)

---

(١) الأطهار : جمع طهر ، وهو النقاء من الحيض ، وعروض البيت يشتمل على الاقواء ، وهو ههنا حذف حرف من الوتد ، ولهذا ضبطه جماعة بزنة تصغير زهير ؛ وللاقواء معنى آخر ليس مرادا ههنا .

وهذا البيت فى قصيدة له

فوقعت الحرب بين عَبْس وفَزَارَة ، فقتل حُذَيفة بن بدر وأخوه حَمَل ابن بدر ، فقال قيس بن زُهَير بن جَذيمة يرثى حُذَيفَة وَجزِع عليه : —

كَمْ فَارِسٍ يُدْعَي وَلَيْسَ بِفَارِسٍ وَعَلَى الْهَبَاءَةِ فَارِسٌ ذُو مَصْدَقِ (١)
فَأُبْكُوا حُذَيْفَةَ لَنْ تُرَثُّوا مِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قَبَائِلٌ لَمْ تُخْلَقِ (٢)

وهذان البيتان فى أبيات له

وقال قيس زهير : —

عَلَى أَنَّ الْفَتَى حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ بَغَى ، وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ (٣)

وهذا البيت فى أبيات له

وقال الحرث بن زهير أخو قيس بن زهير : —

---

(١) الهباءة : اسم موضع ، قال ياقوت : «هى الأرض التى فى بلاد غطفان ، قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان ، قتلهما قيس بن زهير ، وجفر الهباءة : مستنقع فى هذه الأرض» اﻫ كلامه

(٢) قال أبو ذر : «ترثوا ـ بالثاء المثلثة ـ من الرثاء ؛ ومن رواه يربوا ـ بالباء الموحدة وتاء مضمومة ـ فهو بمعنى التربية ، ومن رواه تربوا ـ بفتح التاء ـ فمعناه تصيرونه رباعليكم ، أى : أميراً ، وتبيد : أى تهلك» اﻫ كلامه

(٣) قبل هذا البيت قوله : ـ

تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتٌ
عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءَةِ لَا يَرِيمُ
وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي
عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ

وبعده البيت ، وبعده قوله : ـ

أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ

تَرَكْتُ عَلَى الْهَبَاءَةِ غَيْرَ فَخْرٍ   حُذَيْفَةَ عِنْدَهُ قِصَدُ الْعَوَالِى(١)

وهذا البيت فى أبيات له

قال ابن هشام: ويقال: أرسل قيس داحساً والغبراء، وأرسل حذيفة الخطّار والحَنْفاء، والأول أصح الحديثين، وهو حديث طويل منعنى من استقصائه قَطْعُه حديثَ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

حرب حاطب

قال ابن هشام: وأما قوله «حرب حاطب» فيعنى حاطبَ بن الحرث بن قيْس بن هَيْشَةَ بن الحرث بن أُمية بن مُعاوية بن مالك بن عَوْف بن عمرو ابن عَوْف بن مالك بن الأوس، كان قتل يهوديا جارا للخزرج، فخرج إليه يزيدُ بن الحرث بن قَيْس بن مالك بن أَحْمَرَ بن حارثة بن ثَعْلبة بن كَعْب ابن الْخَزْرج بن الحرث بن الخزرج وهو الذى يقال له ابن فُسْحُم وفُسْحُمْ أمه، وهى امرأة من الْقَيْن بن جَسْر — ليلاً فى نفرٍ من بنى الحرث بن الخزرج فقتلوه، فوقعت الحربُ بين الأوس والخزرج، فاقتتلوا قتالا شديدا، فكان الظَّفَرُ للخزرج على الأوس، وقتل يومئذ سوَيد بن صامت بن خالد ابن عَطِيَّة بن حَوْط بن حَبيب(٢) بن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس، قتله الُمجَذّر بن ذَيَّاد الْبلوى، واسمه عبد الله [بن ذَيَّاد البلوى]، حليف بنى عَوْف بن الخزرج، فلما كان يوم أُحُد خرج الُمجَذّر بن ذَيَّاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج معه الحرث بن سُوَيد بن صامت

---

(١) قصد ـ بكسر القاف وفتح الصاد ـ جمع قصدة ـ بكسر فسكون ـ وهى القطعة المتكسرة، والعوالى: الرماح

(٢) قال أبو ذر: «وقع هنا حبيب (بفتح أوله وكسر ثانيه) وحبيب (بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الياء) والصواب فيه حبيب بفتح الحاء وكسر الباء» اه كلامه

فوجد الحرث بن سُوَيد غِرَّةً (١) من المُجَذّر ، فقتله بأبيه ، وسأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله تعالى

ثم كانت بينهم حروب منعني من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ماذكرت في حديث حرب داحس

حكيم بن أمية يعاتب قومه في عداوتهم النبي

قال ابن إسحق : وقال حكيم بن أميـة بن حارثة بن الأوْقص السلمى ، حليفُ بنى أمية ، وقد أسلم ، يُوَرِّع قومه (٢) عما أجمعوا عليه من عَدَاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفا مُطَاعاً : —

هَلْ قَائِلٌ قَوْلاً مِنَ الْحَقِّ قَاعِدٌ
عَلَيْهِ ؟ وَهَلْ غَضْبَانُ لِلرُّشْدِ سَامِعُ (٣)
وَهَلْ سَيِّدٌ تَرْجُو الْعَشِيرَةُ نَفْعَهُ
لِأَقْصَى الْمَوَالِي والْأقَارِبِ جَامِعُ ؟
تَبَرَّأْتُ إلاَّ وَجْهَ مَنْ يَمْلِكُ الصَّبَا
وَأَهْجُرُكُمْ مَا دَامَ مُدْلٍ وَنَازِعُ (٤)
وَأُسْلِمُ وَجْهِي لِلْإِلٰـهِ وَمَنْطِقِي
وَلَوْ رَاعَنِي مِنَ الصَّدِيقِ رَوَائِعُ

ذكر بعض مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

قال ابن إسحق : ثم إن قريشا اشتدّ أمرهم للشقاء الذى أصابهم في عَدَاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغْرَوْا برسول

(١) غرة : أى غفلة

(٢) يورع قومه عما اجمعوا عليه : أى يصرفهم ويكفهم عنه

(٣) فى بعض النسخ « هل قائل قولا هو الحق قاعد» وفى ثالثة « هل قائل قولا هو الحق عاقد » ولعل هذه الثالثة خيرها جميعا

(٤) مدل : هو مرسل الدلو فى البئر ، ونازع : هو الذى يجذبها من البئر

الله صلى الله عليه وسلم سُفَهَـاءهم ؛ فكذبوه ، وآذَوْه ، وَرَمَوْه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرٌ لأمر الله ، لا يستخفى به ، مُبَادٍ لهم بمـا يكرهون : من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم

قال ابن إسحق : فحدثنى يحيى بن عُرْوة بن الزبير ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟ قال : حَضَرْتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط : سَفَّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفَرَّقَ جماعتنا ، وَسَبَّ آلهتنا ؛ لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا ، فبيناهم فى ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مَرَّ بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غَمَزُوه (١) ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم مضى ، فلما مَرَّ بهم الثانية غَمَزُوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مَرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : « أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ » قال : فأخذت القومَ كلمتُه ، حتَّى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وَصَاة (٢) قبل ذلك لَيَرْفَؤُه (٣) بأحْسَن ما يجد من القول ،

(١) غمزوه : أى طعنوا فيه بالقول
(٢) الوصاة : الوصية ، يعنى الذين كانوا يحرضون عليه ويوصون بايذائه
(٣) يرفؤه : يهدئه ويسكنه

حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جَهُولاً ، قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبيناهم فى ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وَثْبَةَ رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عَيْب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ أَنَا الَّذِى أَقُولُ ذَلِكَ » قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بَمَجْمَع ردائه ، قال : فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه وهو يبكى ، ويقول : أتقتلون رجلا أنْ يَقُولَ ربى الله ، ثم انصرفوا عنه ، فان ذلك لأشد ما رأيت قريشاً نالوا منه قط

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض آل أم كلثوم ابنة أبى بكر أنها قالت : رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صَدَعُوا فَرْقَ رأسه مما جَبَذُوه بلحيته[1] ، وكان رجلا كثير الشعر

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن أشد ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً ، فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حُرٌّ ولا عبدٌ ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله فتَدَثَّر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه (٧٤ : ١ ـ ٢) (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ)

---

(١) صدعوا : أى شقوا ، وفرق رأسه : المكان الذى يفرق منه الشعر ، وهو منتصف الرأس من الأمام ، وجبذوه : أى جذبوه ، مقلوب منه

إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : حدثنى رجل من أسلم ، كان واعية ، أن أبا جَهْلٍ مَرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا ، فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَمَوْلاَةٌ لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سَعْد ابن تَيْم بن مُرَّة فى مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعمد إلى نادٍ من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم ، فلم يَلْبَثْ حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ (١) راجعا من قَنَصَ (٢) له ، وكان صاحب قَنَص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصِهِ لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يَمُرَّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسَلَّمَ وتحدث معهم ، وكان أَعَزَّ فَتًى فى قريش ، وأشد شكيمةً ، فلما مَرَّ بالمَوْلاَة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيت مالقى ابنُ أخيك محمد آنفاً من أبى الحكم ابن هشام !! وجده ههنا جالساً فآذاه وسبَّهُ وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ، ولم يقف على أحد ، مُعدًّا لأبى جهل — إذا لقيه — أن يوقع به ؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً فى القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضربه بها فَشَجَّهُ شَجَّةً

---

(١) متوشحا قوسه : أى يتقلده كما يتقلد السيف

(٢) القنص : الصيد

منكرة ، ثم قال : أتشتمه ؟ فأنا على دينه أقول مايقول ، فَرُدَّ ذلك علىّ إن استطعت ، فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دَعُوا أبا عُمارة فانى والله قد سَبَبْتُ ابن أخيه سَبًّا قبيحا وتم حمزة رضى الله عنه على إسلامه وعلى ماتابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله

فلما أسلم حمزةُ عرفت قريشٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَزَّ وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه

عتبة بن ربيعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيدبن زياد ، عن محمد بن كعب الْقُرَظىّ قال : حُدِّثت أن عُتْبة بن ربيعة ، وكان سيدا ، قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده : يامعشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرضَ عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكفّ عنا ، وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى ياأبا الوليد ، قم إليه فكلمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياابن أخى ، إنك منّا حَيْثُ قد علمت : من السِّطَةِ[1] فى العشيرة والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم فَرَّقْتَ به جماعتهم وسَفَّهت به أحلامهم ، وعِبْتَ به آلهتهم ودينهم ، وكَفَّرْتَ به مَنْ مَضَى من آبائهم ، فاسمع منى أَعْرِضْ عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُلْ ياأَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ » قال : ياابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تريد به شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ علينا حتى لانَقْطَعَ أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلْكا

(١) السطة ـ بكسر السين وفتح الطاء مخففة ـ المنزلة الرفيعة

مَلَكْنَاكَ علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه لاتستطيع رَدَّهُ عن نفسك طلبنا لك الطبَّ وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبْرِئك منه ، فانه ربما غلب التابعُ على الرجل حتى يداوى منه ، أوكما قال له ، حتى إذافرغ عتبة ورسولالله صلى الله عليهوسلم يستمعمنهقال : « أَقَدْ فَرَغْتَ ياأَبَا الْوَلِيد»؟ قال : نعم ، قال : «فاستَمِعْ مِنّى» قال : أفعل ، فقال (٤١ : ١ — ٥) : (بسم الله الرحمن الرحيم ، حٰمٓ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عُتْبَةَ أَنْصَتَ لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ، ثمقال : « قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ ، فَأَنْتَ وَذَاكَ » فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نَحْلِفُ بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى سمعت قولاً والله ماسمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولابالسحر ، ولا بالكهانة ، يامعشرقريش أطيعونى ، واجعلوها بى ، وخَلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونَنَّ لقوله الذى سمعت منه نبأٌعظيم : فان تُصِبْهُ العرب فقد كُفِيتُمُوهُ بغيركم ، وإنيَظْهَرْ عَلَى العرب فمُلْكه ملككم وعِزُّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سَحَرَكَ والله ياأبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيى فيه ، فاصنعوا ما بدالكم .

وصف عتبة للقرآن ومشورته على قريش

حديث زعماء قريش مع النبى صلىالله عليه وسلم

قال ابن إسحق : ثم إن الاسلام جعل يَفْشُو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء ، وقريشٌ تحبس من قَدَرَت على حبسه ، وَتَفْتِنُ من

استطاعت فتنته من المسلمين ، ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة — كما حدثنى بعض أهل العلم ، عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما — قال : اجتمع عتبةُ بن رَبيعة ، وَشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سُفْيان بن حرب ، والنَّضْر بن الحرث بن كلدة أخو بنى عبد الدار ، وأبو البَخْتَرىّ بن هشام ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وَزَمْعَةُ بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام [لعنه الله] وعبد الله بن أبى أمية ، والعاصُ بن وائل ، وَنُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج السهميان ، وأُمَيَّة بن خلف ، أو من اجتمع منهم ، قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تُعْذِرُوا فيه ، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأْتِهم ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلَّمهم فيه بَدَاء ، وكان عليهم حريصاً : يُحِبُّ رُشْدَهم ، وَيَعِزُّ عليه عَنَتُهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا له : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نَعْلَمُ رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ؛ لقد شتمت الآباء ، وعِبْت الدين ، وَشَتَمْت الآلهة ، وسَفَّهْت الأحلام ، وَفَرَّقْتَ الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك ، أو كما قالوا له ؛ فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نُسَوِّدُكَ علينا ، وإن كنت تريد به مُلْكا مَلَّكْناك علينا ؛ وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه قد غَلَب عليك — وكانوا يسمون التابع من الجن رَئِيًّا — فربما كان ذلك بَذَلْنا لك أموالَنا فى طلب الطب لك حتى نُبرئك منه أو نُعْذر فيك ، فقال لهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « مَابِى مَا تَقُولُونَ ، مَاجِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوالَكُمْ وَلاَ الشَّرَفَ فِيكُمْ ، وَلاَ الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِى إِلَيْكُمْ رَسُولاً ، وَأَنْزَلَ عَلَىَّ كِتَاباً ، وَأَمَرَنِى أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيراً وَنَذِيراً ، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّى مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَىَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ » أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يامحمد ، فان كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فانك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحد أضيقُ بلداً ، ولا أقلّ ماء ، ولا أشدُّ عَيْشاً ؛ منّا ، فسل لنا رَبَّكَ الذى بعثك بما بعثك به فَلْيُسَيِّرْ عنا هذه الجبال التى قد ضَيَّقَتْ علينا ، ولْيَبْسُطْ لنا بلادنا ، ولْيُفَجِّر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، ولْيَبْعَثْ لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَىّ بن كلاب فانه كان شيخَ صِدْقٍ ، فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل : فان صدقوك وصنعت ما سألناك صَدَّقْنَاكَ وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا كما تقول ؛ فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه « مَا بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللهِ بِمَا بَعَثَنِى بِهِ ، وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَىَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ » قالوا : فاذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك ، سَلْ ربك أن يبعث معك مَلَكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وسَلْه فَلْيَجْعَلْ لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فانك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ؛ حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن

كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، وَمَا أَنَا بِالَّذِى يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا ، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِى بَشِيراً وَنَذِيراً » أو كما قال « فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وانْ تَرُدُّوهُ عَلَىَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ » قالوا : فأسقط السماء علينا كِسَفاً كما زعمت أن ربك لو شاء فعل : فانا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذَلِكَ إلى اللهِ إِنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ فَعَلَ » قالوا : يا محمد . أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك مانطلب فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ماجئتنا به ؟ إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن ؛ وإنّا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً . فقد أعذرنا إليك يامحمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغتَ منا حتى نهلكك أو تهلكنا ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهى بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا ، فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وهو ابن عمته ؛ فهو لعاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا محمد ، عَرَضَ عليك قومُك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك مايعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوّفهم به من العذاب فلم تفعل ، أو كما قال له ؛ فوالله لاأومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سُلَّما ثم ترقى فيه وأنا

عبدالله بن أبى أمية ورسول الله

أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله أنْ لَوْ فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزيناً آسفاً مما فاته ، مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْهُ ، ولما رأى من مباعدتهم إياه

فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل لعنه الله : يامعشر قريش ، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجْلِسَنّ له غدا بحَجَر ما أطيق حمله ، أو كما قال : فاذا سجد فى صلاته فَضَخْتُ به رأسه ، فأسْلِمُونِى عند ذلك أو امنعونى ؛ فليصنع بعد ذلك بنو عبد منف ما بدالهم ، قالوا : والله مَا نُسْلِمُكَ لشىء أبداً ، فامض لما تريد

أبو جهل يبيت قتل رسول الله والله يحفظه

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وغَدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وَقِبْلَتُهُ إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليمانى والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ماأبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزما مُنْتَقَعًا لونُهُ (١) مَرْعُوباً ، قد

(١) منتقعا لونه : أى متغيرا ، يقال بالنون والميم على زنة اسم المفعول ، والفعل انتقع وامتقع مبنيا للمجهول

يَبِسَتْ يداه على حَجَره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش ، فقالوا له : مالك ياأبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى دونه فَحْلٌ من الابل ، لا والله مارأيت مثل هامته ولامثل قَصَرتِهِ (١) ولا أنيابه لفحل قطٌّ ؛ فَهَمَّ بى أن يأكلنى

قال ابن إسحق : فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ذَلِكَ جِبْرِيلُ عليه السلام ، لَوْ دَنَا لَأَخَذَه »

فلما قال لهم ذلك أبو جهل قام النَّضْر بن الحرث بن كَلَدَة بن عَلْقَمَة ابن عَبْد مَنَاف بن عبد الدار بن قصي

قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحرث بن عَلْقَمَة بن كَلَدَة بن عبد مناف

النضر بن الحرث يذكر لقريش رأيه فى النبى ويسفههم لتكذيبه

قال ابن إسحق : فقال : يامعشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أَتَيْتُمْ له بحيلة بعدُ ، قد كان محمد فيكم غلاماً حَدَثاً أرْضاكُمْ فيكم ، وأصْدَقَكم حديثاً ، وأعظمكم أمانةً ، حتى إذا رأيتم فى صُدْغَيْه الشيبَ وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر ، لا والله ، ما هو بساحر ، لقد رأينا السَّحَرَة وَنَفْثَهُمْ وعَقْدَهم ، وقلتم : كاهن ، لاوالله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكَهَنَة وتَخَالُجُهُمْ ، وسمعنا سَجْعَهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشِّعْر وسمعنا أصنافه كلها هَزَجَه ورَجَزه ؛ وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ؛ لقد رأينا الجنون فما هو بخَنْقه ولا وَسْوَسته ولا تَخْليطه ، يامعشر قريش ؛ فانظروا فى شأنكم ؛ فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم ؛

(١) القصرة : أهل العنق

وكان النضر بن الحرث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينْصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار [(١)] ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكر فيه بالله وحَذَّر قومه ماأصاب مَنْ قبلهم من الأمم من نِقْمَة الله خَلَفَه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يامعشر قريش أَحْسَن حديثاً منه ، فهلم إلى فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس و رستم واسفنديار [(١)] ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا منى

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأنزل مثل ما أنزل الله

قال ابن إسحق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول الله عز وجل (٦٨ : ١٥) : (إِذَا تُتْـلَي عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن

قريش ترسل النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط الى يهود المدينة يسألانهم عن النبى

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحرث بعثوه و بعثوا معه عُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سَلاَهُمْ عن محمد ، وصِفَا لَهَمْ صفته ، وأخبراهم بقوله ، فانهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار

(١) فى شرح السيرة لأبى ذر « اسبنديار » وقال : هما حكيمان من حكماء الفرس

يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووَصَفَاهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهلُ التَّوْراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهما أحبار يهود : سَلُوه عن ثلاث نأمركم بهنّ ؛ فان أخبركم بهنّ فهو نبيٌّ مُرْسَل وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّل فَرَوْا فيه رأيكم : سلوه عن فِتْيَةٍ ذهبوا فى الدهر الأول ، ما كان أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجلٍ طَوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نَبَؤُه ؟ وسلوه عن الروح ماهى ؟ فان أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبى ، وإن لم يفعل فهو رجل مُتَقَوِّل فاصنعوا فى أمره مابدا لكم

النضر وصاحبه يعودان الى قريش فيذكران لهم حديث الأحبار

فأقبل النضر بن الحرث وعُقْبة بن أبى مُعَيْط بن أبى عَمْرو بن أُمَيَّة ابن عَبْد شمس بن عَبْد مَنَاف بن قصى ، حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يامعشر قريش ، قد جئناكم بفَصْل مابينكم و بين محمد صلى الله عليه وسلم ، قد أخْبَرَنا أحبارُ يهود أن نسأله عن أشياء أَمَرُونا بها : فان أخبركم عنها فهو نبى ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّل فَرَوْا فيه رأيكم

قريش تسأل النبى عما أوعز به أحبار يهود

فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصة عَجَبٌ ، وعن رجل كان طَوَّافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ماهى ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُخْبِرُكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا » ولم يستثن ، فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لايحدث الله إليه فى ذلك وحْيا ولايأتيه جبريل ، حتى أَرْجَفَ أهل مكة ، وقالوا : وعدَنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لايخبرنا بشىء مما سألناه عنه ، وحتَّى أحْزَنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مُكْثُ الوحى عنه ، وشقَّ عليه مايتكلم به أهل مكة ،

ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف : فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبرُ ماسألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطوّاف والروح

قال ابن إسحق : فذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه : « لَقَدِ احْتَبَسْتَ عَنِّى يَاجِبْرِيلُ حَتَّى سُؤْتُ ظَنًّا » فقال له جبريل (١٩ : ٦٤) : (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبكَ نَسِيًّا) فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده ، وذكر نبوة رسوله ، لما أنكروا عليه من ذلك ، فقال (١٨ : ١ ـ ٢٦) : (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، إنك رسولٌ منى : أى تحقيق لما سألوا عنه من نبوتك (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا) أى : معتدلا لااختلاف فيه (لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ) أى : عاجل عقوبته فى الدنيا وعذابا أليما فى الآخرة من عند ربك الذى بعثك رسولا (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) أى : دار الخلد لايموتون فيها ، الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال (وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا) يعنى قريشا فى قولهم : إنا نعبد الملائكة وهى بنات الله (مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لِآبَائِهِمْ) الذين أعظَمُوا فراقهم وعَيْبَ دينهم (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) أى لقولهم : إن الملائكة بنات الله (إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ) يامحمد (عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) أى : لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى : لاتفعل

قال ابن هشام : باخع نفسك : أى مهلك نفسك ، فيما حدثنى أبو عبيدة ، قال ذو الرمة : ـ

أَلاَ أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدِ نَفْسَهُ لِشَىْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ(١)

وهذا البيت فى قصيدة له

وجمعه باخعون وبَخَعَة ، وتقول العرب : قد بخعت له نصحى ونفسى أى : جهدت له

(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)

قال ابن إسحق : أى : أيهم أتبع لأمرى وأعمل بطاعتى (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزًا) أى : الأرض ، وإن ماعليها لفان وزائل ، وإن المرجع إلىَّ فأجزى كُلاًّ بعمله ، فَلاَ تَأْسَ ولايحزنك ما تسمع وترى فيها .

---

(١) تقول : بخع نفسه يبخعها بخعا ـ مثل فتح يفتح فتحا ـ إذا قتلها غيظا أو غما . وفى حديث عائشة : « بخع الأرض فقاءت أكلها » أى : قهر أهلها وأذلهم واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك ، وتقول : بخعت الأرض بالزراعة ، إذا أنهكتها وتابعت حراثتها ولم تجمها عاما ، وتقول : بخع الوجد نفسه ، إذا أنهكها وأذلها ، وهذا البيت يروى بخفض الوجد ونصب نفسه ، على أنه أضاف اسم الفاعل إلى فاعله ثم نصب به مفعوله ، وذلك هو الأصل ؛ ويروى برفع الوجد وخفض نفسه ، على أنه أضاف اسم الفاعل إلى مفعوله وفصل بين المضاف والمضاف إليه بفاعل المضاف ، ومثل هذا فى الفصل بالفاعل بين المضاف العامل والمضاف إليه المعمول قول الراجز . ـ

مَا إِنْ رَأَيْنَا لِلْهَوَى مِنْ طِبِّ وَلاَ عَدِمْنَا قَهْرَ وَجْدٌ صَبِّ

وقول ذى الرمة « نحته » أى : أبعدته ، والمقادر : جمع مقدار ، وكان حقه أن يقول المقادير ؛ فحذف الياء تخفيفا

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه صعد ، قال ذو الرمة يصف ظبيا صغيرا :—

كَأَنَّهُ بِالضُّحَى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ
دَبَّابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومُ(١)

وهذا البيت فى قصيدة له

والصعيد أيضا : الطريق ، وقد جاء فى الحديث « إِيَّاكُمْ وَالْقُعُودَ عَلَى الصُّعُدَاتِ » يريد الطريق ، والْجُرُز : الأرض التي لا تنبت شيئا ، وجمعها أجراز ويقال : سَنَةٌ جُرُز ، وسنون أجراز، وهى التى لا يكون فيها مطر وتكون فيها جدوبة ويبس وشدة ، قال ذو الرمة يصف إبلا :—

طَوَى النَّحْزُ وَالْأَجْرازُ مَا فِي بُطُونِهَا
فَمَا بَقِيَتْ إِلاَّ الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية

---

(١) الصعيد : الأرض ، وأصله التراب كما فى قوله تعالى : (فتيمموا صعيدا طيبا) و« ترمى الصعيد به » أصله كأنه شارب ترميه على الصعيد الخ ، ودبابة : هى الخمر ، لأنها تدب فى رأس شاربها ، والخرطوم : من أسماء الخمر أيضا ، قال السهيلى : « أى كأنه من نشاطه دبت الخمر فى رأسه » اه

(٢) النحز : النخس والدق ، والأجراز : جمع جرز ، وقد فسره ابن هشام ، والضلوع : جمع ضلع ، والجراشع : جمع جرشع — بزنة قنفذ — وهو المنتفخ المتسع ، قال السهيلى : « فمعناه إذا فى البيت أن الضلوع من الهزال قد نتأت وبرزت كالصدر البارز » اه ، يصف ذو الرمة إبلا قد أضعفها طول السير بها فى الأرض المجدبة اليابسة وكثرة ما نخسها راكبها ، فيقول : قد طال بها ذلك حتى طواها وأنضاها فلم يبق منها إلا ضلوعها البارزة الناتئة

فقال : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْـكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً)أى : قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حججى ماهو أعجب من ذلك

قال ابن هشام : والرقيم: الـكتاب [1] الذى رقم فيه بخبرهم ، وجمعه رُقُم ، قال العجاج : —

*وَمُسْتَقَرِّ الْمُصْحَفِ الْمُرَقَّمِ *

وهذا البيت فى أرجوزة له [2]

قال ابن إسحق : ثم قال تعالى : (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْـكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْـكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً) ثم قال تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) أى : بصدق الخبرعنهم (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ

---

(١) قال السهيلى : « وعن أنس أن الرقيم الكلب ؛ وعن كعب أنه اسم القرية التى خرجوا منها ، وقيل : هو اسم الوادى ؛ وقيل : هو صخرة وقيل : هو لوح كتب فيه أسماؤهم ودينهم وقصتهم ، وقال ابن عباس : كل القرآن أعلم ، إلا الرقيم والغسلين وحنانا والأواه» اه

(٢) هى أرجوزة طويلة ثابتة فى ديوان رجزه (ص ٥٨ - ٦٢) وفيها هذا البيت ؛ وقبله قوله :—

ثُمَّ رَأَى أَهْلَ الدَّسِيعِ الْأَعْظَمِ خِنْدِفَ وَالْجِدِّ الْخِضَمِّ الْمِخْضَمِ
وَذِرْوَةِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْحُـكَّمِ وَمُسْتَقَرَّ . . . . الخ

مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطاً) أى : لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم

قال ابن هشام : والشطط : الغُلُوُّ ومجاوزة الحق ، قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة : —

لاَيَنْتَهُونَ وَلاَ يَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ
كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ والْفُتُلُ(١)

وهذا البيت فى قصيدة له

(هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَـذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) قال ابن إسحق : أى بحجة بالغة (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ)

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزور ، وقال امرؤ القيس بن حُجْر : —

وَإِنِّى زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكاً بِسَيْرٍ تَرَى مِنْهُ الْفُرَانِقَ أَزْوَرَا(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

وقال أبو الزحف الكليبى يصف بلدا : —

---

(١) الشطط : الجور وتجاوز الحد ، و« يذهب فيه » هذه رواية الخطيب ، ويروى « يهلك فيه » والمعنى لا ينهى ذوى الجور مثل طعن جائف لو وضع فى مكانه الزيت والفتل لغابت ولم تظهر ، وهذا البيت مما استشهد به النحاة على أن الكاف تأتى اسما بمعنى مثل ، وجعلوا الكاف فى قوله « كالطعن » فاعلا لينهى

(٢) الفرانق : الذى يسير بالكتب على رجليه ؛ وهو الفيج أيضا ، وكلاهما أعجمى ؛ وأزور : أى مائلا

جَأْبُ الْمُنَدَّى عَنْ هَوَانَا أَزْوَرُ
يُنْضِى الْمَطَايَا خِمْسُهُ الْعَشَنْزَرُ (١)

وهذان البيتان فى أرجوزة له

وتقرضهم ذات الشمال : تجاوزهم وتتركهم عن شمالها ، قال ذوالرمة :ـ

إِلَى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَقْوَازَ مُشْرِفٍ
شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

والفجوة : السَّعة ، وجمعها الفِجاء ، قال الشاعر : —

أَلْبَسْتَ قَوْمَكَ مَخْزَاةً وَمَنْقَصَةً
حَتَّى أُبِيحُوا وَخَلَّوْا فَجْوَةَ الدَّارِ (٣)

(ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ) أى : فى الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ، ممن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم ، فى صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم (مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ)

---

(١) الجأب : الغليظ الجافى ، ويروى «جدب» بالدال المهملة ، وهو من الجدوبة بمعنى القحط ، والمندى : مرعى الابل إذا امتنعت عن شرب الماء ، وينضى : يهزل ، وخمسه : هو أن ترد الابل الماء عن خمسة أيام ، والعشنزر : الشديد ، قاله أبوذر

(٢) الظعن : الابل التى عليها الهوادج ، وأقواز : جمع قوز ، وهوالجبل من الرمل ، ويروى أجواز ـ بالجيم ـ وهو جمع جوز ، وجوز كل شىء وسطه ، ومشرف : اسم موضع ، والفوارس هنا : رمال بعينها

(٣) مخزاة : مفعلة من الخزى ، أى : صنعت صنيعا قبيحا فعاد منه على قومك الخزى والعار حتى تركوا منازلهم وهاجروا

قال ابن هشام : الوصيد : الباب ، قال العبسى (واسمه عُبَيْد بن وهب) : —

بِأَرْضٍ فَلَاةٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا ‏ عَلَيَّ وَمَعْرُوفِى بِهَا غَيْرُ مُنْكَرِ (١)

وهذا البيت فى أبيات له

والوصيد أيضا : الفناء ، وجمعه وَصَائد ووُصُد ووُصْدَان، وأُصُد وأُصْدَان

(لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً) إلى قوله : (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ) أهل السلطان والملك منهم (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا سَيَقُولُونَ) يعنى أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم (ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ) أى : لا علم لهم (وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) أى : لاتكابرهم (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) فانهم لاعلم لهم بهم (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) أى : ولاتقولن لشىء سألوك عنه كما قلت فى هذا إنى مخبركم غدا ، واستثن مشيئة الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل: عسى أن يهدين ربى لخير مما سألتمونى عنه رشدا ؛ فانك لاتدرى ما أنا صانع فى ذلك (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) أى : سيقولون ذلك (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ

---

(١) « لايسد وصيدها » إذ ليس لها وصيد حتى يسد على

أَحَدًا) أى : لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه

وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف (١٨ : ٨٣ — ٨٥) :
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا) حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

خبر ذى القرنين

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى مالم يؤت أحد غيره ، فمُدَّت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطأ أرضا إلا سُلِّط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ماليس وراءه شيء من الخلق .

قال ابن إسحق : حدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم — فيما توارثوا من علمه — أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مَرْزَبان [1] بن مرذبة اليونانى ؛ من ولد يونان بن يافث بن نوح

قال ابن هشام : واسمه الاسكندر ، وهو الذى بنى الاسكندرية فنسبت إليه .

قال ابن إسحق : وقد حدثنى ثَوْرُ بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدان الكَلَاعى ، وكان رجلا قد أدرك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال : « مَلِكٌ مسح الأرض من تحتها بالأسباب »

وقال خالد : سمع عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول : ياذا القرنين ، فقال عمر : اللَّهُمَّ غَفْرًا ، مارضيتم أن تَسَمَّوْا بالأنبياء ، حتى تسميتم بالملائكة .

---

(١) فى السهيلى « اسمه مرزبى بن مرذبه بذال مفتوحة فى اسم أبيه ، وزاى فى اسمه » ثم ذكر خلافا طويلا فى اسمه فانظره (ج ١ ص ١٩٥)

قال ابن إسحق : والله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا [فان كان قاله ف] الحق ما قال

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح (١٧ : ٨٥) : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)

قال ابن إسحق: وحدثت عن ابن عباس أنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قالت أحبار يهود : يا محمد ، أرأيت قولَكَ (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) إيانا تريد أم قومك ؟ قال : كلا ، قالوا: فانك تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهَا فِى عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ وَعِنْدَكُمْ فِى ذٰلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ لَوْ أَقَمْتُمُوهُ » قال : فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك (٢٦ — ٢٧) :(وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) أى : إن التوراة فى هذا من علم الله قليل

قال : وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبعْث من مضى من آبائهم من الموتى (١٣ : ٣١) : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلّٰهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً) أى : لا أصنع من ذلك إلا ما شئت

وأنزل عليه فى قولهم : خذ لنفسك ، ما سألوه أن يأخذ لنفسه أن يجعل له جنانا وقصورا و كنوزا ويبعث معه مَلَكاً يصدقه بما يقول ويرد عنه (٢٥ : ٧ — ١٠) : (وَقَالُوا مَا لِهٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الْأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ

يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذٰلِكَ) أى : من أن تمشى فى الأسواق وتلتمس المعاش (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً)

وأنزل عليه فى ذلك من قولهم (٢٥ : ٢٠) : (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً) أى : جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يُخَالَفُوا لفعلت

وأنزل الله عليه فيما قال عبدالله بن أبى أمية : (١٧ : ٩٠ — ٩٣) : (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِى السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلاّ بَشَرًا رَسُولاً)

قال ابن هشام : الينبوع : ما نبع من الماء من الأرض وغيرها ، وجمعه ينابيع . قال ابن هرْمة (واسمه إبراهيم بن عبد الله[1] الفهرى) : —

وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَبْرَةً نُزِفَ الشُّؤْنُ وَدَمْعُكَ الْيَنْبُوعُ[2]

---

(١) هو ابراهيم بن على

(٢) عبرة : دمعة، وروى «لكل واد عبرة» وقوله نزف: ذهب ونضب والشؤون : مجارى الدموع ، وأراد نضب دمع عينك

وهذا البيت فى قصيدة له

والـكِسَفُ : القطع من العذاب، وواحدته كِسْفَة ، مثل سِدْرة وسِدر ، وهى أيضا واحدة : الـكِسْف ، والقبيل : يكون مُقَابلةً ومُعَاينةً ، وهو كقوله تعالى (١٨ : ٥٥) : (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) أى : عيانا ، وأنشدنى أبو عبيدة لأعشى بنى قيس بن ثعلبة : —

أُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا
كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبِيلُهَا (١)

يعنى القابلة لأنها تقابلها وتقبل ولدها ، وهذا البيت فى قصيدة له

ويقال: القبيل جمعه قُبُل ، وهى الجماعات ،وفى كتاب الله تعالى(٦ : ١١١): (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا) فقبل : جمع قبيل ، مثل سُبُل جمع سبيل ، وسُرُر جمع سرير ، وقُمُص جمع قميص ، والقبيل أيضاً فى مثل من الأمثال ، وهو قولهم : « مايعرف قبيلا من دَبِير» أى: لايعرف ما أقبل مما أدبر ، قال الـكُمَيْتُ بن زيد : —

تَفَرَّقَتِ الْأُمُورُ بِوِجْهَتَيْهِمْ فَمَا عَرَفُوا الدَّبِيرَ مِنَ الْقَبِيلِ

وهذا البيت فى قصيدة له

ويقال : إنما أريد بهذا الفتل ؛ فما فتل إلى الذراع فهو القَبيل ، وما فتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير ، وهو من الاقبال والادبار الذى ذكرت ، ويقال : فتل المِغْزَل : فاذا فتل إلى الركبة فهو القبيل ، و إذافتل إلى الورك

(١) تبوءوا بمثلها: أى ترجعوا وقد نالكم مثلها ، وصرخة حبلى: صيحتها واستغاثتها ، ومثلها قول الشاعر :

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصُّرَاخَ رَأَيْتَهُمْ مَا بَيْنَ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ

فالصراخ فيه الاستغاثة ، والسافع : الآخذ بالناصية ، وسيأتى هذا البيت قريبا فى كلام ابن هشام

فهو الدبير ، والقبيل أيضا : قوم الرجل ، والزُّخْرُف : الذهب ، والمزخرف : المزين بالذهب ، قال العَجَّاج : —

مِنْ طَلَلٍ أَمْسَى تَخَالُ الْمُصْحَفَا رُسُومَهُ وَالْمُذْهَبَ الْمُزَخْرَفَا

وهذان البيتان فى أرجوزة له

ويقال أيضا لكل مزين : مزخرف

قال ابن إسحق : وأنزل عليه فى قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما يُعَلِّمك رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن، ولن نؤمن به أبدا (١٣ : ٣٠) : (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ)

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام [لعنه الله] وما همَّ به (٩٦ : ٩ـ١٩) : (أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)

قال ابن هشام : لنسفعًا : لنجْذِبَن ولنأخذن ، قال الشاعر : —

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصُّرَاخَ رَأَيْتَهُمْ
مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ (١)

والنادى : المجلس الذى يجتمع فيه القوم ويقضُّون فيه أمورهم ، وفى كتاب الله تعالى (٢٩ : ٢٩) : (وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) وهو النَّدِىّ

قال عَبيدُ بن الأبرص : —

إِذْهَبْ إِلَيْكَ فَإِنِّى مِنْ بَنِى أَسَدٍ أَهْلِ النَّدِىِّ وَأَهْلِ الْجُرْدِ وَالنَّادِى (٢)

---

(١) سبق قريبا هذا البيت فى كلامنا

(٢) سقط هـذا البيت من بعض النسخ . والجرد : الخيل العتاق أو

وفى كتاب الله تعالى (١٩ : ٧٣) : (وَأَحْسَنَ نَدِيًّا) وجمعه أندية ، يقول : فلْيَدْعُ أهل ناديه، كما قال تعالى(١٢ : ٨٢) : (وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ) يريد أهل القرية ، قال سَلامة بن جَنْدل أحد بنى سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميم : —

يَوْمَانِ يَوْمُ مقامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ ... وَيَوْمُ سَيْرٍ إلَي الْأعْدَاءِ تَأْوِيب (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

وقال الكميت بن زيد :

لاَ مَهَاذِيرِ فِى النديِّ مَكَاثِيـ ... ـرِ وَلاَ مُصمِتِينِ بِالْإِفْحَامِ (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

ويقال : النادى : الجلساء ، والزبانية : الغلاظ الشداد ، وهم فى هذا الموضع خزنة النار ، والزبانية أيضا فى الدنيا : أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه ، والواحد زِبْنِيَةٌ ، قال ابن الزِّبَعْرَى فى ذلك : —

مَطَاعِيمُ فِى الْمَقْرَى مَطَاعِينُ فِى الْوَغَى
زَبَانِيَةٌ غُلْبٌ عِظَامٌ حُلُومُهَا (٣)

يقول : شداد ، وهذا البيت فى أبيات له

القصيرات الشعر ، وقيل : هى التى تنجرد عن الخيل التى معها فى الحلبة ؛ أى تسبقها وتتقدمها وواحدها أجرد ؛ ويروى فى مكانه والجود بالواو – وهو الكرم

(١) التأويب : السير النهار كله

(٢) المهاذير : جمع مهذار ، وهو الذى يكثر الكلام من غير فائدة ، والمكاثير : جمع مكثار، ومصمتين من أصمت : أى سكت ، والافحام : انقطاع الرجل عن الكلام عيا أو غلبة .

(٣) «المقرى » مأخوذ من القرى ، وهو الضيافة ، ومطاعين : من الطعن والوغى : الحرب ، وقد فسر المؤلف الزبانية ، وغلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الشديد ، والحلوم : العقول

وقال صَخْرُ بن عبد الله الْهُذَلى ، وهو صخر الْغَىِّ : —

وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرٌ زَبَانِيَهْ (١)

وهذا البيت فى أبيات له

قال ابن إسحق : وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم . (٤٧:٣٤): (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ)

إنما كفر قريش عنادا وبغيا

فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حَدَّث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب — حين سألوه عما سألوا عنه — حالَ الحسدُ منهم له بينهم و بين اتِّباعه وتصديقه، فَعَتَوْا على الله ، وتركوا أمره عياناً ، وَلَجُّوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم (٤١:٢٦): (لاَ تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) أى : اجعلوه لغوا و باطلا ، واتخذوه هُزُوًا لعلكم تغلبونه بذلك ، فانكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم

---

(١) بعد هذا البيت قوله : —

لَوْ أَنَّ أَصْحَابِى بَنُو مُعَاوِيَهْ ... مَا تَرَكُونِى لِلذِّئَابِ الْعَادِيَهْ

وَلاَ لِبِرْذَوْنٍ أَغَرِّ النَّاصِيَهْ

و «كبير» فى بيت الكتاب المراد به قبيلة من هذيل ، قاله أبو ذر ، وفى بعض النسخ «كثير» ولعله تحريف، قال السهيلى : «وجدت فى حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت : كبير حى من هذيل ، وفى أسد أيضا كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، ومن ذريته بنو جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة ابن كبير ، ولعل الراجز أراد هؤلاء فانهم أشهر ، وبنو كبير أيضا بطن من بنى غامد وهم من الأزد ، والذى تقدم ذكره من هذيل هو كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل» اه كلامه مع إصلاح ما وقع فيه من تحريف الأعلام

مقالة لأبي جهل يوما نزل فيها من القرآن

فقال أبو جهل يوما وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يامعشر قريش ، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة ؛ فيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ، فانزل الله تعالى عليه فى ذلك من قوله (٧٤: ٣١) : (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) إلى آخر القصة

فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو يصلى يتفرقون عنه ، ويأبَوْن أن يستمعوا له ، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ ما يتلو من القرآن وهو يصلى استرق السمع دونهم فَرَقًا منهم ؛ فان رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذَهَبَ خَشْيَةَ أذاهم ، فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذى يستمع أنهم لايستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه

قال ابن إسحق : حدثنى داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان ، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم ، أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم ، إنما أنزلت هذه الآية (١٧: ١١٠) : (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) من أجل أولئك النفر ؛ يقول : لاتجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ، ولاتخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به

أول من جهر بالقراءة فى مكة من أصحاب النبى

قال ابن إسحق : وحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : اجتمع يوما أصحابُ رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعونى فان الله سيمنعنى ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى ، وقريشٌ فى أنديتها ، حتى قام عند المقام ، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) رافعا بها صوته : (٥٥ : ١ — ٢) : (الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ) قال : ثم استقبلها يقرؤها ، قال : وتأملوه ، فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ماجاء به محمد [صلى الله عليه وسلم] ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ماشاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا فى وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله أهون علىَّ منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادِيَنَّهم بمثلها غدا ، قالوا : لا ، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون

بعض المشركين يخرج ليلا ليستمع القرآن

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، أنه حُدِّث ، أن أباسفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شَرِيق ابن عمرو بن وهب الثقفى حليف بنى زهرة ؛ خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكلٌّ لايعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لاتعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ماقالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل

رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لانبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا ؛ فلما أصبح الأخنس بن شَرِيق أخذ عَصَاه ثم خرج حتى أتى أباسفيان فى بيته ، فقال : أخبرنى ياأبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : ياأبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ماعرفت معناها ولا ما يراد بها ، قال الأخنس : وأنا والذى حلفت به كذلك ، قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال : ياأبا الحكم ، مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطْعَمُوا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطَوْافأعطَيْنَا ، حتى إذا تجاذينا على الركب وكنا كفَرَسَيْ رِهان قالوا : منانبي يأتيه الوحى من السماء ، فمتى نُدْرِك مثل هذه ؟ والله لانؤمن به أبداً ، ولا نصدقه ، قال : فقام عنه الأخنس وتركه

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذاتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله قالوا يهزؤن به : قلوبنا فى أَكِنَّةٍ مماتدعونا إليه لا نَفْقَهُ ماتقول ، وفى آذاننا وقر لا نسمع ما تقول ، ومن بيننا و بينك حجاب قد حال بيننا و بينك ، فاعمل بما أنت عليه إننا عاملون بما نحن عليه ، إنا لا نفقه عنك شيئاً ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قولهم (١٧ : ٤٥-٥١) : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً) إلى قوله (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً) أى : كيف فهموا توحيدك ربك إن كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكنة وفى آذانهم وقرا و بينك و بينهم حجابا بزعمهم ، أى : إنى لم أفعل ذلك (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ

نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا) أى : ذلك ماتواصَوْا به من ترك مابعثتك به إليهم (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) أى : أخطؤا المثل الذى ضربوا لك فلا يصيبون به هدى ، ولا يعتدل لهم فيه قولٌ (وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيداً) أى : قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا ، وذلك مالا يكون (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى : الذى خلقكم مما تعرفون فليس خلقكم من تراب بأعزَّ من ذلك عليه

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : سألته عن قول الله تعالى (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) ما الذى أراد الله به ؟ فقال : الموت

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحق : إنهم عَدَوْا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ؛ فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ويَعْصمه الله منهم ، وكان بِلَالٌ مولى أبى بكر رضى الله عنهما لبعض بنى جُمَح مُوَلَّداً من مولديهم . (وهو بلال بن رَبَاح ، وكان اسم أُمه حَمَامة) وكان صادق الاسلام ، طاهر القلب ، وكان أُمَيَّةُ بن خَلَف بن وهب بن حذافة

صنوف من تعذيب الكفار للمستضعفين من المسلمين

بلال بن رباح وصبره على التعذيب

ابن جُمَح يُخْرِجه ـ إذا حميت الظَّهِيرةَ فَيطْرَحه على ظَهْره فى بطحاء مكة ثم يأمر بالصَّخرة العظيمة فتُوضَع على صدره ، ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت أو تـكفر بمحمد وتعبد اللاَّتَ والْعُزَّى ، فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحَدٌ أحَدٌ

قال ابن إسحق : وحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : كان وَرَقَة بن نَوْفل يَمُرُّ به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أحَدٌ أحد ، فيقول : أحدٌ أحد والله يابلال ، ثم يُقْبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بنى جمح ؛ فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حَنَانا (١) حتى مَرَّ به أبو بكر الصديق رضى الله عنه يوما وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دار أبى بكر فى بنى جُمَح ، فقال لأمية بن خلف : ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت الذى أفْسَدْته ، فأنْقِذْهُ مما ترى ، فقال أبو بكر : أفْعَلُ ، عندى غلام أسود أجْلَدُ منه ، وأقوى على دينك ، أُعْطِيكه به ، قال : قد قبلت ، قال : هو لك ، فأعطاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه غلامه ذلك ، وأخذه فأعتقه

عتق أبى بكر رضى الله عنه

ثم أعتق معه على الاسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ستَّ رقاب ، بلالٌ سابعهم : عامر بن فُهَيْرَة ، شهد بدرا وأحُدا وقتل يوم بئر مَعُونه شهيدا وأم عُبَيس (٢) وزِنِّيرَة ، وأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قريش :

---

(١) « لأتخذنه حنانا » أراد لأجعلنَّ قبره موضع حنان ؛ أى: مظنة رحمة ، فأستمطر عنده رحمة الله وأتبرك به ، وألوذ بجواره

(٢) « أم عبيس » بعين فباء موحدة فياء مثناة ـ هكذا وقع فى نسخ السيرة ، وفى شرحها ، ووقع فى المواهب «أم عنيس» بعين مهملة فنون ، على وزن التصغير أيضا ، وذكر الزرقانى أنه اختلف فى ضبطها على هذين الوجهين

(٣) « زنيرة » بزاى فنون فياء مثناة ـ هكذا وقع فى نسخ السيرة ؛ وفى شرحها ، وقال أبو ذر : «وهكذا ضبطه الدارقطنى ، ومن رواه زبيرة (بالباء الموحدة) فهو من زبره : ى منعه » اه

ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت : كذبوا و بيت الله ما تضرُّ اللاتُ والعزى ، وماتنفعان ، فردالله بصرها ؛ وأعتق النَّهْدِيَّةَ و بنتها ، وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار ، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهى تقول : والله لاأعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : حِلٌّ ياأم فلان (١) ، فقالت : حِلٌّ أنت أفسدتهما فأعْتِقْهُما ، قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : قدأخذتهما وهماحُرَّتَان ، أرْجِعَا إليها طحينها ، قالت : أو نفرغ منه ياأبا بكرثم نرده إليها ؟ قال : ذلك إن شئتما

ومر بجارية بنى مؤمل — حى من بنى عدى بن كعب — وكانت مسلمة ، وكان عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام ، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها ، حتى إذا مَلَّ قال : إنى أعتذر إليك ، إنى لم أتركك إلا مَلاَلَةً ، فتقول : كذلك فعل الله بك ، فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عتيق ، عن عامر ابن عبد الله بن الزبير ، عن بعض أهله ، قال : قال أُبو قُحَافة لأبى بكر : يا بُنَيَّ إِنى أراك تُعْتِقِ رِقَاباً ضعافا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رِجَالاً جُلْداً يمنعونك ويقومون دونك ، قال : فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبتِ ، إنى إنما أريد ما أريد لله ، قال : فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال له أبوه (٩٢ : ٥ — ٢١) (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) إلى قوله تعالى . (وَمَا لِأَحَدٍ

---

(١) «حل يا أم فلان» قال أبو ذر : « معناه تحللى من يمينك واستثنى فيها ، وأكثر ماتقوله العرب بالنصب ، وقد روى بالوجهين هنا : بالرفع ، والنصب» اه كلامه

عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى)

عمار بن ياسر وأبوه وأمه يعذبون فى سبيل الله

قال ابن إسحق : وكانت بنو مخزوم يَخْرجون بعَمَّار بن ياسر وبأبيه وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حَمِيَت الظهيرة يُعَذِّبونهم برَمْضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فيما بلغنى « صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ » فأَما أُمه فقتلوها وهى تأْبى إلا الاسلام .

وكان أَبو جهل الفاسق الذى يُغْرى بهم فى رجال من قريش ، إذا سمع بالرجل قد أَسلم له شَرَفٌ ومَنَعة أنّبه وخَزَّاه ، وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لَنُسَفِّهَنَّ حلمك ، [(١)] وَلَنُفَيِّلَنَّ رأيك ، وَلَنَضَعَنَّ شرفك ، وإن كان تاجراً قال : والله لنُكْسِدَنّ تجارتك ، ولَنُهْلِكَنَّ مالك ، وإن كان ضعيفاً ضَرَبَه وأغْرَى به

قال ابن إسحق: حدثنى حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : أَكان المشركون يَبْلغون من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعْذَرون به فى ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ؛ إن كانوا لَيَضْرِبون أحدَهم ويُجيعونه ويعطشونه حتى ما يَقْدِرُ على أن يستوى جالساً من شدة الضر الذى نزل به ، حتى يعطيهم ماسأَلوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللات والعزى إلـهكَ من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الْجُعَلَ لَيَمُرُّ بهم فيقولون له : هذا الجعل إلٰهُكَ من دون الله فيقول : نعم ، افتداءً منهم مما يبلغون من جَهْده

مشركو مكة يحاولون ايذاء جماعة ممن اسلموا فيدفعهم الله عنهم

قال ابن إسحق : وحدثنى الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبى أحمد ، أنه حُدِّث ، أن رجالا من بنى مخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد — حين أسلم

(١) قوله لنفيلن رأيك اى لنقبحنه ونخطئنه كما فى القاموس

أخوه الوليد بن الوليد بن المغيرة — وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتيةً منهم كانوا قد أسلموا : منهم سلمة بن هشام ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة ، قال : فقالوا له وخَشُوا شَرَّه : إنا قد أردنا أن نُعَاتِبَ هؤلاء الفتيةَ على هذا الدين الذى أحدثوا ؛ فانا نأمن بذلك فى غيرهم ، قال : هذا فعليكم به فعاتبوه ، وإياكم ونفسه ، ثم قال : —

أَلاَ لاَيُقْتَلَنَّ أَخِى عُيَيْسٌ ... فَيَبْـقَى بَيْنَنَا أَبَدًا تَلاَحِى

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلا ، قال : فقالوا : اللهم العنه ، من يغرر بهذا الحديث ، فوالله لو أصيب فى أيدينا لقتل أشرفنا رجلا ، فتركوه ونزعوا عنه ، قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البَـكَّائى ، عن محمد بن إسحق الْمطَّلبى ، قال : سبب الهجرة الى الحبشة

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ؛ لمكانه من الله ، ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : « لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَي أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِـكاً لاَ يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَـكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ » فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة ؛ مخافة الفتنة ، وفرارا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت فى الاسلام

المهاجرون الاولون الى ارض الحبشة وقبائلهم

وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر: عثمانُ بن عفّان ابن أبى العاص بن أمية ، معه امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة ابن عبد شمس ، معه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل بن عَمْرو ، أحد بنى عامر بن لؤى ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حذيفة

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزُّبَيْرُ بن الْعوّام بن خُوَيْلد ابن أسد

ومن بنى عبد الدار بن قصي : مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار

ومن بنى زُهْرة بن كلاب : عَبْدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف ابن عبد بن الحرث بن زهرة

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظَة بن مرة : أبو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال ابن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم ، معه امرأته أم سَلَمَة بنت أبى أمية بن المغيرة ابن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب : عُثْمان بن مَظْعون ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح

ومن بنى عدىّ بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل (قال ابن هشام : ويقال : من عنزة بن أسد بن ربيعة) ، مع امرأته لَيْلى بنت أبى حَثْمة بن حذافة بن غانم بن عبد الله ابن عَوْف [1] بن عبيد بن عُوَيج بن عدى بن كعب

---

(١) قال أبو ذر : «كذا وقع ، وإنما هو غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج ، وكذا قال فيه أبو عمر» اه كلامه ، يريد أن المؤلف

ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سَبْره بن أبى رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل ابن عامر ؛ ويقال : هو كان أول من قدمها

ومن بنى الحرث بن فهر : سُهَيْل بن بَيْضَاء (وهو سُهَيل بن وَهْب ابن رَبيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحرث)

فكان هؤلاء العشرةُ أولَ من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمانُ بن مَظْعون — فيما ذكر لى بعض أهل العلم

قال ابن إسحق : ثم خرج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهلَ له معه

المهاجرون من بنى هاشم الى الحبشة

من بنى هاشم بن عبد مناف بن قُصَى بن كلاب بن مرة بن كَعْب ابن لؤى بن غالب بن فهر : جعفرُ بن أبى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم ، معه امرأته أسماء بنت عُمَيس بن النُّعْمان بن كَعْب بن مالك بن قُحَافة بن خَثْعم ، ولدت له بأرض الحبشة عَبْدَ الله بن جعفر ، رجلٌ

المهاجرون من بنى أمية الى الحبشة

ومن بنى أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمانُ بن عَفَّان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته رُقَيَّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته فاطمة بنت

أسقط عامر بين غانم وعبد الله ، وزاد عوفا بين عبد الله وعبيد ؛ فتدبر ذلك .

صَفْوَان بن أمية بن محرث [1] بن شق بن رَقَبة بن مُخْدج الكِنَانىّ ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته أُمَيْنَة بنتُ خاف ابن أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن يثيع [2] بن جعثمة بن سَعْدبن مُلَيح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : و يقال هُمَيْنَة بنت خلف

قال ابن إسحق : ولدت له بأرض الحبشة سعيدَ بن خالد ، وأمة بنت خالد ؛ وتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام فولدت له عمرو بن الزبير وخالد ابن الزبير .

المهاجرون الى الحبشة من بنى أسد بن خزيمة

ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمة : عبدُ الله بن جَحْش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبِرة بن مُرَّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد ، وأخوه عُبَيْدالله بن جحش ، معه امرأته أمُّ حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية ، وقَيْسُ بن عَبْد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمة ، معه امرأته بَرَكَة بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب بن أمية ، ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة ، وهؤلاء آلُ سعيد بن العاص ، سبعة نفر

قال ابن هشام : مُعَيْقيب من دَوْس

المهاجرون الى الحبشة من بنى عبد شمس

قال ابن إسحق : ومن بنى عبد شَمْس بن عبد مناف : أبو حُذَيْفة بن عُتْبة ابن رَبيعة بن عبد شمس ؛ وأبو موسى الأشعرى ، واسمه عبدالله بن قَيْس حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلان .

المهاجرون من بنى نوفل

ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف :عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وَهْب بن نَسيب بن مالك بن الْحرث بن مازن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان ، حليف لهم ، رجل

(١) فى نسختين «محرق» بالقاف فى مكان الثاء ، وفى بعضها «محرث بن خمل بن شق»

(٢) سبق ذكر التصويب فى هذا العلم (ص ٢٧٣) من هذا الجزء

ومن بنى أَسَد بن عبد الْعُزَّى بن قصى : الزُّبَيْربن الْعَوَّام بن خُوَيلد بن أسد ، والأسْوَدُ بن نوفل بن خُوَيلد بن أسد ، ويَزيد بن زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، وعَمْرو بن أمية بن الحرث بن أسد ، أربعةُ نفر .

المهاجرون من بنى أسد بن عبدالعزى

ومن بنى عبد بن قصى : طُلَيْب بن عُمَير بن وَهْب بن أبى كَبير (١) بن عَبْد [بن قصى (٢)] رجل.

المهاجرون من بنى عبد بن قصى

ومن بنى عبد الدّار بن قصى : مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وسويبط بن سَعْد بن حَرْمَلَة بن مالك بن عُمَيلة ابن السَّبّاق بن عبد الدار ، وجَهْم بن قَيْس بن عبد شُرحْبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار ، معه امرأته أمُّ حَرْمَلة بنت عبد الأسود ابن جُذَيمة بن أقيش بن عامر بن بَيَاضة بن يثيع بن جعثمة بن سَعْد ابن مُلَيْح بن عَمْرو ، من خزاعة ، وابناه : عمرو بن جَهْم ، وخزيمة بن جَهْم ، وأبو الروم بن عُمَير بن هَاشم بن عَبْد مَنَاف بن عَبْد الدار ، وفِرَاس ابن النَّضر بن الْحرث بن كَلَدَة بن عَلْقَمة بن عَبْد مَنَاف بن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بنى عبد الدار بن قصى

ومن بنى زهرة بن كلاب : عَبْدُ الرحمن بن عَوْف بن عَبْد عوف ابن عَبْد بن الْحرث بن زهرة ، وعامر بن أبى وَقَّاص ، وأبو وقاص : مالكُ ابن أُهَيْب بن عبد مناف بن زُهْرة ، والمطّلب بن أزهر بن عَبْد عَوْف ابن عَبْد بن الْحرث بن زهرة ، معه امرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن ضبيرة

المهاجرون من بنى زهرة بن كلاب

(١) فى بعض النسخ كثير ، بالثاء المثلثة ،

(١) زاده أبو ذر ، وهو مذكور فى صدر كلام ابن إسحاق فالخطب فيه هين ، وقال أبو ذر : « وليس وهب بابن أبى كبير ، بل هو أخوه » اه

ابن سُعَيْد بن سعد بن سَهْم ، ولدت له بأرض الحبشة عبدَ الله بن المطلب

المهاجرون من هذيل

ومن حلفائهم من هذيل : عبدُ الله بن مَسْعود بن الْحرث بن شمخ ابن مَخْزوم بن صَاهلة بن كَاهل بن الْحرث بن تميم بن سَعْد بن هذيل ، وأخوه عُتْبَة بن مسعود

المهاجرون من بهراء

ومن بهراء : الِمقْدَاد بن عَمْرو بن ثَعْلَبة بن مالك بن رَبيعة ابن ثُمامة بن مَطْرود بن عَمْرو بن سَعْد بن زُهَير بن ثور [1] بن ثعْلبة ابن مالك بن الشّريد بن هزل بن فائش [2] بن دُرَيم بن الْقَيْن بن أهود ابن بَهْراء ابن عمرو بن إلحاف بن قضاعة

قال ابن هشام : ويقال : هزل بن فاس بن ذر ودَهير [3] ابن ثَوْر .

قال ابن إسحق : وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يَغُوث ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وذلك أنه كان تَبَنّاه فى الجاهلية وحالفه ، ستة نفر .

المهاجرون من بنى تيم بن مرة

ومن بنى تَيْم بن مُرَّة : الحرثُ بن خَالد بن صَخْر بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سَعْد بن تَيْم ، معه امرأته رَيْطة بنت الْحرث بن جَبَلة ابن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحرث ، وعائشة بنت الحرث ، وزينب بنت الحرث ، وفاطمة

---

(١) قال أبو ذر : «هكذا وقع ، وصوابه زهير بن لؤى» اه

(٢) قال أبو ذر : «هكذا وقع بن هزل بن قائش ، وصوابه ابن أبى أهوز ابن أبى فائش» اه

(٣) قال أبو ذر : « ويقال أيضا دهير (بالتصغير) ويقال أيضا دهبر بالباء بواحدة مفتوحة ، والصواب فيه بفتح الدال وكسر الهاء ، وكذا قيده الدارقطنى رحمه الله » اه

بنت الحرث ، وعَمْرُو بن عثمان بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تيم ، رجـلان .

المهاجرون من بنى مخزوم وحلفائهم

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة : أبو سَلَمة بن عبد الأسد ابن هِلال بن عَبْد الله بن عُمَر بن مَخْزوم ، معه امرأته أمُّ سَلَمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينبَ بنت أبى سلمة ، واسم أبى سلمة عبد الله ، واسم أم سلمة هند ، وشَمَّاسُ بن عثمانَ [بن عَبْد] بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْمِى بن عامر ابن مَخْزوم

قال ابن هشام : اسم شماس عثمان ، وإنما سمى شماساً لأن شَمَّاساً من الشمامسة [1] قدم مكة فى الجاهلية ، وكان جميلا ، فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة وكان خال شَمَّاس : فأنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان ، فسمى شماسا ، فيما ذكر ابن شهاب وغيره

قال ابن إسحق : وهَبَّار بن سُفْيان بن عَبْد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبى حُذَيفة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وسَلَمة بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

ومن حلفائهم : مُعَتِّب بن عَوْف بن عامر بن الْفَضْل بن عَفِيف بن كُلَيب بن حَبَشية بن سَلُول بن كَعْب بن عمرو ، من خزاعة ، وهو الذى يقال له عَيْهَامة ، ثمانية نفر

---

(١) الشمامسة : هم الرهبان ، لأنهم يشمسون أنفسهم ، يريدون تعذيب النفوس بذلك

قال ابن هشام : ويقال حُبْشِية بن سلول ، وهو الذى يقال له مُعَتَّب ابن حمراء

المهاجرون من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب : عثمانُ بن مَظْعون ابن حَبيب بن وَهْب بن حذافه بن جُمَح ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخواه : قُدامة بن مَظْعون ، وعبد الله بن مظعون ، وحاطب بن الحْرِث ابن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، معه امرأته فاطمة بنت المُجَلّل بن عبد الله بن أبى قَيْس بن عَبْدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وابناه : محمد بن حاطب ، والحرث بن حاطب ، وهما لبنت المُجَلّل ، وأخوه حَطَّاب بن الحْرث ، معه امرأته فُكَيهة بنت يسار ، وسُفْيان بن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، معه ابناه : جابر بن سفيان ، وجُنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حَسنة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما شُرَحبيل بن حَسنة ، أحد الغوث

قال ابن هشام : شُرَحبيل : ابنُ عبد الله أحد الغوث بن مُرّ أخى تميم بن مُرّ

قال ابن إسحق : وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وَهْب بن حُذافة ابن جُمَح ، أحد عشر رجلا

المهاجرون من بنى سهم بن عمرو

ومن بنى سَهْم بن عمْرو بن هُصَيص بن كعب: خُنَيس بن حُذافة ابن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد (١) بن سَهْم ، وعَبْدُ الله بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم ، وهشام بن الْعَاص بن وائل بن سَعْد ابن سهم

(١) قد قدمنا أن ابن إسحق يذكر حيث وقع فى كتابه «سعيد بن سهم» وذكرنا عن السهيلى وأبى ذر أن صوابه سعد بن سهم

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سَعْد بن سهم

قال ابن إسحق: وقَيْسُ بن حُذَافة بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد ابن سهم، وأبو قيس بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد ابن سَهْم، وعبدُ الله بن حُذافة بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم، والحْرثُ بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم، ومَعْمَر بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم، وبِشْر بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم، وأخٌ له من أمه من بنى تميم يقال له سَعيد بن عَمْرو، وسَعيد بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم، والسائب بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم، وعُمَيْر بن رئاب بن حُذَيفة بن مُهَشّم بن سعد سَهْم، ومَحْمِية بن الجزاء[١]، حليف لهم من بنى زُبَيد، أربعة عشر رجلا

المهاجرون من بنى عدى بن كعب

ومن بنى عدىّ بن كعب: مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة بن عبد الْعُزَّى ابن حُرْثان بن عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عَدِىّ، وعُرْوَة بن عبد الْعُزَّى بن حُرْثان بن عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيْج بن عَدِى، وعَدِىّ ابن نَضْلة بن عبد الْعُزَّى بن حُرْثان بن عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عَدِى، وابنه النُّعْمان بن عدى، وعامر بن رَبِيعة، حليف لآل الخطاب من عَنْز بن وائل، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم، خمسة نفر

المهاجرون من بنى عامر بن لؤى

ومن بنى عامر بن لؤى: أبو سَبْرة[٢] بن أبى رُهْم بن عَبْد الْعُزَّى بن أبى قيس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مَالك بن حسل بن عامر، معه امرأته أمّ كلثوم بنت سُهَيل بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن

(١) فى بعض النسخ «الجزء» بدون ألف؛ وقال أبو ذر: «ومحمية بن الجزاء، ويروى أيضا ابن الجز بفتح الجيم وكسرها وبالزاى مشددا، والصواب فيه الجز والله أعلم» اه كلامه

(٢) ذكره المؤلف مرة قبل هذه (ص ٣٤٥)

حسْل بن عامر ، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزَّى بن أبى قَيْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ،وعبد الله بن سُهَيْل بن عَمْرو ابن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وسَليط ابن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وأخوه السَّكران بن عمرو ، معه امرأته سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قَيْس بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، ومالكُ ابن زَمْعَة (١) بن قيس بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معه امرأته عَمْرة بنت السَّعْدى بن وَقْدَان بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وأبو حاطب بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل ابن عامر ، وسعد بن خَوْلة ، حليفٌ لهم ، ثمانية نفر

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن

المهاجرون من بنى الحارث بن فهر

قال ابن إسحق : ومن بنى الحرث بن فهر : أبو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاح وهو عامر بن عبد الله بن الجَرَّاح بن هِلال بن أهيب بن ضَبَّةَ بن الحرث ، وسُهَيْل ابن بَيْضَاء ، وهو سُهَيل بن وَهْب بن رَبيعة بن هِلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحرث ، ولكن أمه غلبت على نسبه، فهو ينسب إليها ، وهى دعد بنت جَحْدَم ابن أُمَيَّة بن ظَرِب بن الحرث بن فِهْر ، وكانت تدعى بيضاء ، وعَمْرو ابن أبى سَرْح بن رَبيعة بن هِلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحرث، وعِياضُ ابن زُهَير بن أبى شَدَّاد بن ربيعة بن هِلال بن أُهَيب بن ضَبَّة بن الحَرْث ويقال : بل ربيعة ابن هلال بن مالك بن ضَبَّة ، وعَمْرو بن الحْرث بن زُهَيْر ابن أبى شَدَّاد بن ربيعة بن هِلال بن مالك بن ضَبة بن الحرث ، وعَمْرو ابن عَبْد غَنْم بن زُهَير بن أبى شَدَّاد بن ربيعة بن هِلال بن مالك بن ضَبَّة بن

(١) فى نسخة « ومالك بن ربيعة »

بن الحرث ، وسَعْدُ بن عَبْد قَيْس بن لَقيط بن عامر بن أُمَيَّة بن ظَرِب ابن الحرث ، والحرثُ بن عَبْد قَيْس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظَرِب ابن الحرث بن فهر ، ثمانية نفر

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين — سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها — ثلاثةً وثمانين رجلا ، إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه

وكان مما قيل من الشعر فى الحبشة أن عبد الله بن الحرث بن قَيْس ابن عَدِى بن سَعْد بن سَهْم ، حين أمنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جوار النَّجَاشى ، وعَبَدوا الله لا يخافون على ذلك أحدا ، وقد أحسن النجاشى جِوارهم حين نزلوا به ، قال : —

شعر عبد الله بن الحارث فى هجرة الحبشة

يَارَاكِبًا بَلِّغًا عَنِّى مُغَلْغَلَةً ... مَنْ كَانَ يَرْجُو بَلَاغَ اللهِ وَالدِّينِ (١)
كُلَّ امْرِىءٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ مُضْطَهَدٍ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ مَقْهُورٍ ومَفْتُونِ (٢)
أَنَّا وَجَدنا بِلَادَ اللهِ وَاسِعَةً ... تُنْجِى مِنَ الذُّلِّ وَالْمَخزَاةِ وَالْهُونِ
فَلَا تُقِيمُوا عَلَى ذُلِّ الْحَيَاةِ وَخِزْ ... ىٍ فِى الْمَمَاتِ وَعَيْبٍ غَيْرِ مَأْمُونِ
إِنَّا تَبِعْنَا رَسُولَ اللهِ واطَّرَحُوا ... قَوْلَ النَّبِىِّ وَعَالُوا فِى الْمَوَازِينِ (٣)
فَاجْعَلْ عَذَابَكَ فِى الْقَوْمِ الَّذِينَ بَغَوْا ... وَعَائِذٌ بِكَ أَنْ يَعْلُوا فَيُطْغُونِى

وقال عبد الله بن الحرث أيضا ، يذكر نَفْىَ قريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعض قومه فى ذلك : —

أَبَتْ كَبِدِى لَا أَكْذِبَنْكَ قِتَالَهُمْ ... عَلَىَّ وَتَأْبَاهُ عَلَىَّ أَنَامِلِى

---

(١) المغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد
(٢) المضطهد : المغلوب على أمره الذى لا يزال يؤذى ، وهو الذليل
(٣) عالوا : جاروا وظلموا

وَكَيْفَ قِتَالِي مَعْشَراً أَدَّبُوكُمُ عَلَى الْحَقِّ أَنْ لاَ تَأْشِبُوهُ بِبَاطِلِ (١)

نَفَتْهُمْ عِبَادُ الْجِنِّ مِنْ حُرِّ أَرْضِهِمْ
فَأَضْحَوْا عَلَى أَمْرٍ شَدِيدِ الْبَلاَبِلِ (٢)

فَإِنْ تَكُ كَانَتْ فِي عَدِيٍّ أَمَانَةٌ
عَدِيِّ بْنِ سَعْدٍ عَنْ تُقًى أَوْ تَوَاصُلِ

فَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ ذَلِكَ فِيكُمُ
بِحَمْدِ الَّذِي لاَ يُطَّبَى بِالْجَعَائِلِ (٣)

وَبُدِّلْتُ شِبْلاً شِبْلَ كُلِّ خَبِيثَةٍ بِذِي فَجَرٍ مَأْوَى الضِّعَافِ الْأَرَامِلِ (٤)

وقال عبد الله بن الحرث أيضاً : —

تِلْكَ قُرَيْشٌ تَجْحَدُ اللهَ حَقَّهُ كَمَا جَحَدَتْ عَادٌ وَمَدْيَنُ وَالْحِجْرُ (٥)

فَإِنْ أَنَا لَمْ أُبْرِقْ فَلاَ يَسَعَنَّنِي
مِنَ الْأَرْضِ بَرٌّ ذُو فَضَاءٍ وَلاَ بَحْرُ (٦)

بِأَرْضٍ بِهَا عَبْدُ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ أُبَيِّنُ مَا فِي النَّفْسِ إِذْ بَلَغَ النَّقْرُ (٧)

---

(١) تأشبوه : تخالطوه

(٢) حر أرضهم : هي الأرض الكريمة ، والبلابل : وساوس الأحزان

(٣) لا يطبي : أي لا يستمال ولا يستدعي ، والجعائل قال أبو ذر : «جمع جعل» ولا نوافقه ، بل هو جمع جعيلة ، فعيلة بمعنى مفعولة ، أو جمع جعالة ومعناهما ومعنى الجعل واحد ،

(٤) الفجر : العطاء الكثير

(٥) الحجر : سكنى ثمود ، وهو قوم صالح صلى الله عليه وسلم

(٦) أبرق : أهدد وأتوعد

(٧) النقر : يروى بالقاف المثناة ، وهو البحث عن الشيء ، ويروى بالفاء

فسمى عبد الله بن الحرث يرحمه الله لبيته الذى قال « الْمُبرِق »

عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف

وقال عثمان بن مَظْعون يعاتب أميَّةَ بن خَلَف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح ، وهو ابن عمه ، وكان يؤذيه فى إسلامه ، وكان أمية شريفاً فى قومه فى زمانه ذلك : —

أَتَيمَ بْنَ عَمْرٍ ، لِلَّذِي جَاءَ بِغْضَةً
وَمِنْ دُونِهِ الشَّرْمَانِ وَالْبَرْكُ أَكْتَعُ (١)

أَأَخْرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ آمناً   وَأَسْكَنْتَنِي فِي صَرْحٍ بَيْضَاءَ تُقْذِعُ (٢)

تَرِيشُ نِبَالاً لَايُوَاتِيكَ رَيْشُهَا   وَتَبْرِي نِبَالاً رِيشُهَا لَكَ أَجْمَعُ (٣)

وَحَارَبْتَ أَقْوَامًا كِرَامًا أَعِزَّةً
وَأَهْلَكْتَ أَقْوَامًا بِهِمْ كُنْتَ تَفْزَعُ (٤)

---

(١) الشرمان : يروى برفع النون على أنه مفرد كسلمان ، وهو اسم موضع ، ويروى بكسر النون على أنه مثنى شرم ، وهو لجة البحر ، وأراد منه هنا البحر من باب إطلاق اسم الجزء على الكل ، وأراد بالشرمين البحر الملح والبحر العذب ، والبرك : قيل : هو جماعة الابل الباركة ، وقيل : هو اسم موضع ، قال أبوذر : وهو أشبه ، وفى قوله « أكتع » غرابة ؛ لأنه إنما يؤكد بهذا اللفظ بعد ذكر أجمع

(٢) الصرح : العالى المرتفع من الأبنية ، وتقذع : يروى بالذال المعجمة وبالدال المهملة ؛ فمن رواه بالمعجمة فمعناه تذم ، ومن رواه بالمهملة فمعناه تكف وتنهى ، والمعنى على أنه يكف ساكنها ، يريد أنه ألجأه إلى سكنى مكان لاتستريح فيه النفس ، وهو يمثل حب العرب لوطنهم ، وأراد الحبشة

(٣) « تريش » هو مضارع راش السهم يريشه ، إذا قواه بالريش ، ويستعمل ذلك فى معنى جبره ونفعه وأصلح شأنه ، تقول : راش فلان فلانا بهذا المعنى ، وقوله « ريشها » يروى بفتح الراء وسكون الياء ، على أنه مصدر هذا الفعل ، ويروى بكسر الراء على أنه جمع ريشة

(٤) « تفزع » يروى بالفاء على معنى أنك كنت بهؤلاء تغيث من استغاث بك وتنصر من استنصرك ، ويروى بالقاف ، ومعناه تضارب

سَتَعْلَمُ إنْ نَابَتْكَ يَوْمًا مُلِمَّةٌ
وَأَسْلَمَكَ الأَوْبَاشُ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ (١)

وتيم بن عمرو الذى يدعو عثمان : جمح ، كان اسمه تيما

قريش تبعث الى الحبشة ليردوا عليهم المهاجرين

قال ابن إسحق : فلما رأت قريش أن أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ؛ ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين إلى النجاشى فيردهم عليهم ؛ ليفتنوهم فى دينهم ، ويخرجوهم من دارهم التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعةَ وعَمْرو بن العاص ابن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته (٢) ثم بعثوهما إليه فيهم ، فقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوا بهما فيه أبياتاً للنجاشى يحضه على حُسْن جوارهم والدَّفْع عنهم : —

أبو طالب يحرض الجاشى على الدفع عن المهاجرين

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى كَيْفَ فِى النَّأْى جعفَرٌ
وَعَمْرٌو وَأَعداءُ الْعَدُوِّ الْأَقَارِبُ
فَهَلْ نَالَ أَفعَالُ النَّجَاشِىِّ جعفَراً وَأَصْحَابَهُ أَوْ عَاقَ ذَلكَ شَاغِبُ (٣)
تَعَلَّمْ أَبَيْتَ اللَّعنَ أَنَّكَ مَاجِدٌ كَرِيمٌ فَلاَ يَشْقَى لَدَيْكَ الْمُجَانِبُ (٤)

---

(١) الأوباش : الضعفاء الداخلون فى القوم وليسوا منهم

(٢) البطارقة : فسره أبو ذر بالوزراء ،

(٣) عاق : منع ، وشاغب يروى بالغين معجمة من الشغب ، ويروى بالعين مهملة ، ومعناه المفرق ومنه سميت المنية شعوب ؛ فعول بمعنى فاعل ؛ لأنها تفرق بين المحبين وتصدع شملهم

(٤) أبيت اللعن : هذه تحية العرب فى الجاهلية للملوك ؛ يريدون أبيت أن تأتى من الأمور ما يكون سببا فى اللعن ، والمجانب : أراد به الداخل فى حماه ، يقال لمن انضوى إلى جانبك ولاذ بجوارك : مجانب ، ولا يصح أن يكون من المجانبة

تَعلَمْ بِأَنَّ اللهَ زَادَكَ بَسْطَةً ... وَأَسْبَابَ خَيْرٍ كُلُّهَا بِكَ لَازِبُ (١)

وَأَنَّكَ فَيْضٌ ذُو سِجَالٍ غَزِيرَةٍ ... يَنَالُ الْأَعَادِى نَفعَهَا وَالْأَقَارِبُ (٢)

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، عن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى ، عن أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت : لما نزلنا أرضَ الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشىّ ، أمنَّا على ديننا ، وعَبَدْنا الله تعالى لا نُؤْذَى ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجلين منهم جليدين ، وأن يُهْدُوا للنجاشى هدايا مما يُسْتَطْرف من مَتَاع مكة ، وكان من أعجب مايأتيه منها الأَدَم ، فجمعوا له أدَماً كثيرا ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهْدَوْا له هديةً ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبى ربيعة وعَمْرو بن العاص ، فأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تُكَلِّما النجاشى فيهم ، ثم قدِّمَا إلى النجاشى هداياه ، ثم سَلَاه أن يُسْلمهم إليكما قبل أن يكلمهم ، قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشى ، ونحن عنده بخير دار عند خيرجار ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى ، وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضَوَى (٣) إلى بلد الملك منا غِلْمَانٌ سُفَهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مُبْتَدَع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعَثَنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردَّهم

---

(١) لازب : لاصق ولازم

(٢) فيض : أرادبه أنه كريم ، وسجال : فى الأصل جمع سجل ، وهو الدلو إذا امتلأت ، وأراد منه ههنا العطية

(٣) ضوى : أى أوى ولجأ ولصق

إليهم ، فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ، ولا يكلمهم ؛ فان قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم ، ثم إنهما قدَّمَا هداياهما إلى النجاشى ، فقبلها منهما ، ثم كلماه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضَوَى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثَنَا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، قالت : ولم يكن شىء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامَهُم النجاشي ، قالت : فقالت بطارقته حوله : صدَقَا أيها الملك ، قَوْمُهُم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأَسْلِمْهُمْ إليهما فَلْيَرُدَّاهم إلى بلادهم وقومهم ، قالت : فغضب النجاشى ، ثم قال : لاَهَا اللهِ ، إذاً لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم : فان كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاورونى ، قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم ، فلما جاءهم رسولُه اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ماتقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أَمرَنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا — وقد دعا النجاشى أساقفته (١) فنشروا مصاحفهم حوله — سألهم فقال لهم : "ماهذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟" قالت : فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له : أيها الملك ، كنَّا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى

عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة فى حضرة النجاشى

---

(١) الأساقفة : جمع أسقف ، وهو العالم فى النصرانية

الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القويُّ منا الضعيف ، فكُنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونَخْلَعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بِصدْق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرَّحِم ، وحُسْن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقَذْف المُحْصَنة ، وأمَرَنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قالت : فعدَّدَ عليه أمور الاسلام ، فصدقناه وآمنا به واتَّبَعْنَاه على ما جاء به من الله ؛ فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحَرَّمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فَعَدَا علينا قومُنَا فعذَّبونا وفَتَنُونا عن ديننا ؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلمَّا قَهَرونا وظلمونا وضَيَّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا أن لا نُظْلَمَ عندك أيها الملك ، قالت : فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأه علىّ ، قالت : فقرأ عليه صدرا من (كهيعص) قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخْضَلَّتْ [1] لحيته ؛ وبكت أساقفته حتى أخْضَلوا مصاحِفَهُمْ حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى لَيَخْرُجُ من

جواب المسلمين فى الدفاع عن أنفسهم

---

(١) اخضلت : ابتلت . وفى بعض النسخ «أخضل لحيته» كما هو كذلك فى النهاية ، فأخضل على هذا مثل أكرم ، ومعناه بلها ، ولحيته على هذا مفعول ، مثل قوله « أخضلوا مصاحفهم » تقول : أخضل المطر الأرض ، إذا بلها

مشْــكاة[1] واحدة ، انطلقا فــلا و الله لا أسلمهم إليــكما ، ولا يــكادون ، قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل بهخَضْرَاءهم[2] ، قالت : فقال له عبدالله بن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا : لا تفعل ؛ فان لهم أرحاما و إن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد ، قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قَوْلاً عظيما ، فأرسِلْ إليهم فَسَلْهُم عمَّا يقولون فيه ، قالت : فأرسل إليهم ليسألهم عنه ، قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط ، فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ماقال الله وما جاءنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن ، قالت : فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم الْعَذْراء الْبَتُول ، قالت : فضرب النجاشى بيده إلى الأرض فأخذ منهــا عودا ثم قال : والله ماعدَا عيسى ابنُ مريم ما قلت هذا[3] العودَ ، قالت : فتناخرت بطارقَتُه حَوْلَه حــين قال ماقال ، فقال : وإن نخرتم والله ، واذهبوا فأنتم شيوم بأرضى (والشيوم : الآمنون) من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ما أحب أن لى دَبْراً من ذهب (قال ابن هشام : ويقال : دِبْرًا من ذهب ، ويقال :

عمرو بن العاص يوقع بالمسلمين عند النجاشى

(١) المشكاة : الثقب الذى يوضع فيه الفتيل والمصباح ، وهى الكوة غير النافذة .

(٢) « أستأصل به خضراءهم » يعنى جماعتهم ومعظمهم

(٣) قال أبو ذر : « تقديره ماجاوز مقدار هــــذا العود أو قدر هذا العود » اه

فأنتم سيوم) وأنى آذيت رجلا منكم (والدبر بلسان الحبشة : الجبل) رُدُّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ الله منى الرِّشْوَةَ حين رَدَّ على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناسَ فىَّ فأطيعهم فيه ، قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ماجاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار

رجل من الحبشة ينازع النجاشى الملك فينصره الله عليه

قالت : فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه ، قالت : فوالله ما علمتُنَا حَزِنَّا حُزْنًا قط كان أشد من حزن حَزِنَّاه عند ذلك ؛ تخوُّفًا أن يَظْهَرَ ذلك الرجل على النجاشى ، فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه

قالت : وسار إليه النجاشى وبينهما عرض النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ رَجُلٌ يخرج حتى يحضُرَ وقيعة القوم ، ثم يأتينا بالخبر ، قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا ، فقالوا : فأنت ، وكان من أحدث القوم سنا ، قالت : فَنَفَخُوا له قربة ، فجعلها فى صدره ، ثم سَبَحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلْتَقَى القوم ، ثم انطلق حتى حضَرَهم ، قالت: فَدَعَوْنا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له فى بلاده ، قالت : فوالله إنَّا لَعَلى ذلك متوقِّعون لما هو كائن إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمع بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا فقد ظفر النجاشى ، وأهلك الله عدوه ، ومكن له فى بلاده ، قالت : فوالله ما علمتُنَا فَرِحْنَا فَرْحَةً قطُّ مثلها ، قالت : ورَجَعَ النجاشى وقد أهلك الله عدوه ، ومكن له فى بلاده ، واستوثق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده فى خير مَنْزل ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة

أهل الحبشة يقتلون ابا النجاشى ويملكون عمه ثم يبيعون النجاشى فيرد الله إليه ملكه

قال ابن إسحق : قال الزهرى : فحدثت عروة بن الزبير حديث أبى بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدرى ما قوله « ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وماأطاع الناس فىَّ فأطيع الناس فيه » قال : قلت : لا ، قال : فان عائشة أم المؤمنين حدثتنى أن أباه كان ملك قومه ، ولم يكن له ولد إلا النجاشى ، وكان للنجاشى عم له من صلبه اثنا عشر رجلا ، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لوأنا قتلنا أبا النجاشى وملَّكنا أخاه ، فانه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثْنَىْ عَشَرَ رجلاً فتوارثوا ملكه من بعده ؛ بقيت الحبشة بعده دهراً ، فَعَدَوْا على أبى النجاشى ، فقتلوه ، وملكوا أخاه ؛ فمكثوا على ذلك حينا ، ونشأ النجاشى مع عمه ، وكان لبيبا حازما من الرجال ، فغلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منزلة ؛ فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه ، وإنا لنتخوف أن يُمَلِّكه علينا ، وإن مَلَّكه علينا لَيَقْتُلَنَّا أجمعين ، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه ، فمشوا إلى عمه ، فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإنا قد خِفْنَاه على أنفسنا ، قال : ويلكم ! ! قتلت أباه بالأمس وأقتله اليوم ؟ بل أخرجه من بلادكم ، قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم ، فقذفه فى سفينة ، فانطلق به حتى إذا كان العشىُّ من ذلك اليوم هاجت سحابةٌ من سحائب الخريف ، فخرج عمه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة فقتلته ، قالت : ففزعت الحبشة إلى ولده ، فاذا هو

مُحْمِقٌ (١) ليس فى ولده خير ، فَمَرَجَ (٢) على الحبشة أمرهم فلما ضاق عليهم ماهم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض: تَعَلَّمُوا والله إن مَلِككم الذى لا يُقيم أمْرَكم غيرُه لَلَّذى بِعْتُمْ غُدْوَةً، فان كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه ، قالت : فخرجوا فى طلبه وطلب الرجل الذى باعوه منه ، حتى أدركوه فأخذوه منه ، ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج ، وأقعدوه على سرير الملك فملكوه ، فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه ، فقال : إما أن تعطونى مالى ، وإما أن أكلمه فى ذلك ، قالوا : لا نعطيك شيئاً ، قال : إذاً والله أكلمه ، قالوا : فدونك وإياه ، قالت : فجاءه ، فجلس بين يديه ، فقال : أيُّها الملك ، ابتعتُ غلاماً من قوم بالسوق بستمائة درهم ، فأسلموا إلى غلامى وأخذوا دراهمى ، حتى إذا سِرْتُ بغلامى أدركونى فأخذوا غلامى ومنعونى دراهمى ، قالت : فقال لهم النجاشى : لَتُعْطُنَّهُ دراهمه أو لَيَضَعَنَّ غلامه يده فى يده فَلَيَذْهَبَنَّ به حيث شاء ، قالوا : بل نعطيه دراهمه ، قالت : فلذلك يقول : « ما أخذ الله منى رشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه . وما أطاع الناس فىَّ فأطيع الناس فيه » قالت : وكان ذلك أول ما خبر من صلابته فى دينه وعدله فى حكمه

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما مات النجاشىُّ كان يُتَحَدَّث أنه لا يزال يُرَى على قبره نور

أهل الحبشة يحاولون خلع النجاشى فيكيد لهم

قال ابن إسحق : وحدثنى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه ، قال :

---

(١) « محمق » المحمق : هو الذى يلد الحمق

(٢) « مرج » معناه قلق واضطرب

فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيأ لهم سفنا ؛ وقال : اركبوا فيها ، وكونوا كما أنتم ، فان هُزِمْتُ فامْضُوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظَفِرْتُ فاثبتوا ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة وصفُّوا له ، فقال : يامعشر الحبشة ، ألست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى ، قال: فكيف رأيتم سيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ، قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد ، قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نقول : هو ابن الله ، فقال النجاشى — ووضع يده على صدره على قبائه — : هو يشهد أن عيسى ابن مريم لم يزد على هذا شيئاً ، وإنما يعنى ما كتب ، فرَضُوا ، وانصرفوا ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشى صلى عليه واستغفر له

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

اسلام عمر بن الخطاب

قال ابن إسحق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ماطلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وردَّهم النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلا ذا شكيمة لا يُرَامُ ما وراء ظهره ، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عَازُّوا[1] قريشا ، وكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما

(١) « عازوا قريشا » غلبوهم ، وفى التنزيل : (وعزنى فى الخطاب) فسروه بهذا المعنى .

أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة

المسلمون يعتزون بإسلام عمر

قال البكائى : قال : حدثنى مِسْعَرُ بن كِدام ، عن سَعْد بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا مانصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عَيَّاش بن أبى ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبى حَثْمة ، قالت : والله إنا لنترحَّل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر فى بعض حاجاتنا ، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علىَّ ، وهو على شركه ، قالت : وكنا نَلْقَي منه البلاء أذًى لنا وشدّةً علينا ، قالت : فقال : إنَّه الانْطِلاَقُ ياأمَّ عبد الله ، قالت : فقلت : نعم والله لنخرجَنَّ فى أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا مخرجا ، قالت : فقال : صَحِبَكم الله ، ورأيت له رِقَّةً لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه ــ فيما أرى ــ خروجُنا ، قالت: فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له: ياأبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقَّتَهُ وحزنه علينا ، قال : أطَمِعْتِ فى إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ، قال : فلا يسلم الذى رأيتِ حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت : يأساً منه لما كان يرى من غِلْظته وقَسْوته عن الاسلام

سبب إسلام عمر

قال ابن إسحق : وكان إسلام عمر ــ فيما بلغنى ــ أن أخته فاطمة بنت الخطاب ــ وكانت عند سعيد بن زَيْد بن عَمْرو بن نفيل ، وكانت قد

أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان باسلامهما من عمر ، وكان نُعَيْمُ بن عبد الله النَّحَّام — رجلٌ من قومه من بنى عدى بن كعب — قد أسلم وكان أيضا يستخفى باسلامه فَرَقًا من قومه ، وكان خَبَّابُ بن الأرتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يُقْرِئها القرآن ، فخرج عُمَرُ يوما متوشِّحًا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمُّه حمزةُ بن عبدالمطلب وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقيه نُعَيْم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد ياعمر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابىء الذى فَرَّقَ أمْرَ قريش وسَفَّه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرَّتْكَ نفسُكَ من نفسك ياعمر ، أترى بنى عبد مَنَافٍ تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فَتُقِيم أمرهم !!! قال : وأى أهل بيتى ؟ قال : خَتَنُكَ وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وخَتَنه ، وعندهما خَبَّاب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يُقْرِئُهُمَا إياها ، فلما سمعوا احسّ عمر تَغَيَّب خَبَّاب فى مُخْدَع (١) لهم أوفى بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصَّحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خَبَّاب

(١) المخدع — بضم الميم أو فتحها — البيت يكون فى جوف البيت

عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الْهَيْنَمَةُ (١) التى سمعت ؟ قالا له : ماسمعت شيئا ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبَطَش بخَتَنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتَكُفَّهُ عن زوجها ، فضربها فشجَّها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله و رسوله ، فاصنع مابدالك ، فلما رأى عمر مابأُخْتِهِ من الدم ندم على ماصنع ، فارعوى ، وقال لأخته : أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرؤن آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك قالت له أخته : إنَّا نخشاك عليها ، قال: لاتخافى ، وحاف لها بآلهته لَيَرُدَّنَّها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه ، فقالت له : ياأخى ، إنك نَجَسٌ على شركك ، و إنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها طهٰ فقرأها ، فلما قرأ منها صَدْراً قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !! فلما سمع ذلك خَبَّاب خرج إليه ؛ فقال له : ياعمر والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خَصَّك بدعوة نبيه ، فإنى سمعته أمس وهو يقول: «اللَّهُمَّ أَيِّدِ الإِسْلاَمَ بأبى الحكم بن هشام أو بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» فالله الله يا عمر ، فقال له عند ذلك عمر : فدُلّنى يَاخَبَّابُ على محمد حتى آتيه فأسلم ، فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشَّحه ، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خَلَلِ الباب فرآه متوشّحاً السيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فَزِعٌ ، فقال : يارسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ، فقال حمزة

(١) الهينمة : الصوت الذى لايسمع والكلام الذى لايفهم

ابن عبد المطلب : فأْذَنْ له ، فان كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ائْذَنْ لَهُ » فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة ، فأخذ بحُجْزَته ، أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه جَبْذَةً شديدة ، وقال « مَا جَاءَ بِكَ يَاابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَاللهِ مَاأَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزِلَ اللهُ بِكَ قَارِعَةً » فقال عمر : يارسول الله ، جئتك لأومن بالله و برسوله و بما جاء من عند الله ، قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرفَ أهلُ البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم ، فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقَدْ عَزُّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و ينتصفون بهما من عدوهم ، فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم

رواية أخرى فى سبب اسلام عمر

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكيُّ ، عن أصحابه عطاء ومجاهد ، أو عمن روى ذلك ، أن إسلام عمر — فيما تحدثوا به عنه — أنه كان يقول : كنت للاسلام مُبَاعدا ، وكنت صاحب خَمْرٍ فى الجاهلية أحبها وأشربها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالْحَزْوَرَةِ [1] عند دورآل عُمَر بن عَبْد بن عِمْران المخزومى ، قال : فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فى مجلسهم ذلك ، قال : فجئتهم ، فلم أجد فيه منهم أحدا ، قال : فقلت : لو أنى جئت فلاناً الخمار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلى أجد عنده خمراً فأَشْرَبَ منها ، قال : فخرجت فجئته ، فلم أجده ، قال :

---

(١) الحزورة : هى الآن قطعة من المسجد فى مكة ، وكانت من قبل سوقا من أسواق مكة .

فقلت : لو أنى جئت الكعبة فطفْتَ بها سبعا أو سبعين ، قال : فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشأم وجعل الكعبة بينه وبين الشأم ، وكان مُصَلَّاه بين الركنين : الركن الأسود والركن اليمانى ، قال : فقلت حين رأيته : والله لو أنى استمعت من محمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت : لئن دنوت منه أستمع منه لأرَوِّعَنَّه ، فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها ، فجعلت أمشى رُوَيْدًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة ، قال : فلما سمعت القرآن رَقَّ له قلبي ، فبكيت ودخلنى الاسلام ، فلم أزل قائما فى مكانى ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حُسَين ، وكانت طريقه، حتى يَجْزَعَ (١) الْمَسْعَى ، ثم يَسْلك بين دار عباس بن [عبد] المطلب وبين دار ابن أزهر بن عَبْد عَوْف الزُّهْرى ، ثم على دار الأخنس بن شَرِيق ، حتى يدخل بيته ، وكان مسكنه صلى الله عليه وسلم فى الدار الرقطاء التى كانت بيدى معاوية بن أبى سفيان ، قال عمر رضى الله عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسّى عرفنى ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى إنما اتبعته لأوذيه ، فنَهَمَنى (٢) ثم قال : « مَاجَاءَ بِكَ يَاابْنَ الْخَطَّابِ هٰذِهِ السَّاعة » قال : قلت : جئت لأومن بالله

(١) « يجزع المسعى » يقطعه ، تقول : جزعت الوادى ، إذا جزته وقطعته سيرا ، وفى بعض النسخ « حتى يجيز على المسعى » وهو تصحيف

(٢) « نهمنى » زجرنى

وبرسوله وبما جاء من عند الله ، قال : فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « قَدْ هَدَاكَ اللهُ يَا عُمَرُ » ثم مسح صدرى ، ودعالى بالثبات ، ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته

قال ابن إسحق : والله أعلم أى ذلك كان

عمر يذيع اسلامه فى قريش

قال ابن إسحق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : لما أسلم أبى عمر قال : أىُّ قريشٍ أنْقَلُ للحديث ؟ قال : قيل له : جميل بن مَعْمر الْجُمَحى ، قال : فغدا عليه ، قال عبد الله بن عمر : وغدوت أتبعُ أَثَرَه وأنظر مايفعل ، وأنا غلام أعقل كُلَّ مارأيت ؛ حتى جاءه ، فقال له : أعلمتَ يا جميلُ أنى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد ؟ قال : فوالله ماراجعه حتى قام يجر رِدَاءه ، واتَّبعه عمر ، واتبعت أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صَرَخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، وهُمْ فى أنديتهم حول باب الكعبه ؛ ألا إن عمر بن الخطاب قد صَبَأ ، قال : ويقول عمر من خلفه : كذب ، ولكنى [قد] أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم ، قال : وطَلَح (١) فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لَوْقَدْ كُنَّا ثلاثمائة رجلٍ لتركناها لكم ، أو لتركتموها لنا ؛ قال : فبينما همْ على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلَّةٌ حِبَرَةٌ (٢) وقميص مُوَشًّى حتى وقف

(١) أى : أعيا ، ومنه البعير الطليح ، ومنه قالوا : راكب الناقة طليحان أى : هو والناقة طليحان ، أى : متعبان قد جهدهما السير وأعياهما

(٢) حبرة : هى ضرب من برود اليمن

عليهم ، فقال : ماشأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر ، فقال : فمه ؟ رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خَلوا عن الرجل ؛ قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كُشِطَ (١) عنه ، قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ فقال : ذلك أىْ بُنَىَّ الْعَاص بن وائل السَّهْمِىُّ

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أنه قال : يا أبت ، مَنِ الرجل الذى زَجَر القوم عنك يوم أسلمت وهم يقاتلونك جزاه الله خيراً ؟ قال : يابنى ، ذاك العاص بن وائل ، لاجزاه الله خيراً

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الرحمن بن الحرث ، عن بعض آل عمر ، أو بعض أهله ، قال : قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة تذكَّرْتُ أى أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوةً حتى آتيه فأخبره أنى قد أسلمت ، قال : قلت : أبو جهل ، وكان عمر لِحَنْتَمَةَ بنت هِشام ابن الْمُغيرة ، قال : فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه ، قال : فخرج إلىّ أبو جهل ، فقال : مَرْحَباً وأهلا بابن أختى ، ماجاء بك ؟ قال : قلت : جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد ، وصدَّقْت بما جاء به ، قال : فضرب الباب فى وجهى ، وقال : قَبَّحَكَ الله ، وَقَبَّحَ ما جئت به

خبر الصحيفة

قال ابن إسحق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بَلداً أصابوا به أمْناً وقَرَاراً ، وأن النجاشى قد مَنَعَ من

(١) كشط عنه : نزع عنه

تآمر المشركين على بنى هاشم

لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل الاسلام يفشو فى القبائل ؛ اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب : على أن لا ينْكحوا إليهم ، ولا يُنْكحوهم ، ولا يَبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة فى جَوْف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منْصُور بن عِكْرِمَةَ بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قُصَىّ (قال ابن هشام : ويقال النَّضْرَ بن الحارث[1]) فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَشَلَّ بَعْضُ أصابعه

قال ابن إسحق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه فى شِعبه ، فاجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لَهَب عبدُ العُزّى بن عبد المطلب إلى قريش ، فظاهرهم[2]

أبو لهب يخرج على اخوته بنى عبد المطلب ويظاهر قريشا ويفخر بذلك

قال ابن إسحق : حدثنى حسين بن عبد الله ، أن أبا لهب لقى هِنْد بنتَ عُتْبَة بن ربيعة — حين فارق قومه ، وظاهر[1] عليهم قريشا — فقال : يا بنت عتبة ، هل نَصَرْتُ اللاتَ وَالْعُزّى، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة

قال ابن إسحق : وَحُدِّثتُ أنه كان يقول فى بعض مايقول : يَعِدنى محمد أشياء لا أراها : يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع فى يدى بعد ذلك ؟ ثم ينفخ فى يديه ، ويقول : تبًّا لكما ما أرى فيكما شيئاً مما

---

(١) انظر (ص ٣٩٩ من هذا الجزء)
(٢) ظاهرهم : أعانهم وكان معهم فى تحالفهم ضد إخوته وبنى أخوته

يقول محمد ، فأنزل[١] الله تعالى فيه (١١١ : ١) : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)

قال ابن هشام : تبت : خسرت ، والتبابُ : الخسار ، وقال حَبيبُ ابن[٢] خُدْرة الخارجي أحدُ بنى هلال بن عامر بن صَعْصَعَةَ : —

يَا طيب إنَّا فِي مَعْشَرٍ ذَهَبَتْ مَسْعَاتُهُمْ فِي التَّبَارِ وَالتَّبَبِ[٣]

وهذا البيت في قصيدة له

شعر أبى طالب فى مقاطعة قريش بنى هاشم

قال ابن إسحق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذى صنعوا قال أبو طالب : —

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا لُؤَيًّا وَخُصًّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّداً نَبِيًّا كَمُوسَى خُطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتْبِ

وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةً وَلاَ خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللهُ بِالْحُبِّ[٤]

---

(١) ويقال : نزلت هذه السورة حين قال لرسول الله يوم أمره الله تعالى بانذار عشيرته ، وقيل : حين أمره الله تعالى بالجهر بالدعوة ، فلما جمع قريشا وذكر لهم ذلك قال له أبو لهب : تبا لك ! ! ألهذا جمعتنا ؟

(٢) « حبيب بن خدرة » قال أبو ذر : «وقع هنا على وجوه ؛ فروى جدرة بالجيم والدال المفتوحتين ؛ وروى أيضا خدرة بخاء معجمة مضمومة ودال ساكنة ، وهكذا قيده الدارقطنى » اه كلامه

(٣) التبار : الهلاك ؛ تقول : تبره الله : أى أهلكه ، والتبب كالتباب وفسره ابن هشام

(٤) « ولا خير » أصله ولا خيرا ممن خصه الله بالحب موجود ، فحذف الخبر ؛ وحذف تنوين الاسم تخفيفا

وَأَنَّ الذِى أَلْصَقْتُمُ مِنْ كِتَابِكُمْ
لَـكُمْ كَائِنٌ نَحْساً كَرَاغِيَةِ السَّقْبِ (١)
أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى
وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْباً كَذِى الذَّنْبِ
وَلاَ تَتْبَعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقْطَعُوا أَوَاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ (٢)
وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْباً عَوَاناً وَرُبَّمَا
أَمَرَّ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلَبُ الْحَرْبِ (٣)
فَلَسْنَا وَرَبِّ الْبَيْتِ نُسْلِمُ أَحْمَداً
لِعَزَّاءَ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلاَ كَرْبِ (٤)
وَلَمَّا تَبِنْ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفٌ
وَأَيْدٍ أُتِرَّتْ بِالْقُسَاسِيَّةِ الشُّهْبِ (٥)

---

(١) « كراغية السقب » الراغية : من الرغاء — بضم أوله — وهو أصوات الابل ، والسقب : ولد الناقة هنا ، وأراد به ولد ناقة صالح عليه السلام .

(٢) الأواصر : جمع آصرة ، وهى سبب القرابة والمودة

(٣) « حربا عوانا » هى التى قوتل فيها مرة بعدمرة ، والبكر : التى لم يقاتل فيها قبل مرتهم .

(٤) العزاء : هى السنة الشديدة ، وعض الزمان : شدته وكلبه

(٥) تبن : تنفصل ، والسوالف : صفحات الأعناق ، وأترت : معناه قطعت ، والقساسية سيوف منسوبة إلى معدن بأرمينية يقال له : القساس كغراب ، كما فى القاموس ، وقيل : منسوبة إلى قساس ، وهوجبل فيه معدن الحديد ، والشهب : جمع أشهب

بِمُعْتَرَكٍ ضَيْقٍ تَرَى كِسَرَ الْقَنَا
بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْكُفْنَ كَالشَّرْبِ(١)
كَأَنَّ مُجَالَ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِه
وَمَعْمَعَةَ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةُ الْحَرْبِ(٢)
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَزْرَهُ
وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطِّعَانِ وَبِالضَّرْبِ
وَلَسْنَا نَمَلُّ الْحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَا
وَلَا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنُوبُ مِنَ النَّكْبِ
وَلَكِنَّنَا أَهْلُ الْحَفَائِظِ وَالنُّهَى
إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُمَاةِ مِنَ الرُّعْبِ(٣)

حكيم بن حزام يصل بنى هاشم فيراه أبو جهل

فأقاموا على ذلك سنتين أوثلاثا ، حتى جهدوا ، لا يصل إليهم شيء إلا سرا ، مستخفيا [به] من أراد صلتهم من قريش ، وقد كان أبو جهل ابن هشام — فيما يذكرون — لقي حكيم بن حزام بن خُوَيلد بن أسد معه غلام يحمل قَمْحًا يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول

(١) المعترك : موضع الحرب ، وضنك وضيق : بمعنى واحد ، والطخم: جمع أطخم ، وهو الذي في لونه سواد ، ويعكفن : يقمن ويلازمن ، والشرب : الجماعة من القوم يشربون

(٢) مجال — بضم الجيم — أي إجالة الفرسان إياها ، والحجرات : النواحي ، والمعمعة : الصوت

(٣) الحفائظ : جمع حفيظة ، وهي الغضب في الحرب ، والنهى : جمع نهية ، وهي العقل ، والكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع ، قيل له ذلك لأنه يتكمى في سلاحه ، أي : يستتر فيه ، والرعب : الفزع

الله صلى الله عليه وسلم ومعه في الشعب ، فتعلّق به ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاءه أبو البَخْتَرِى بن هشام بن الحرث بن أسد ، فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بنى هاشم ، فقال أبو البخترى : طعام كان لعمته عنده بعثت إليه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خَلِّ سبيل الرجل ، قال : فأبى أبو جهل ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخترى لَحْيَ بعير فضربه به ، فشجَّه ، ووطئه وطئًا شديدا ، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشمتوا بهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا ، وسرا وجهارا ، مباديا بأمر الله ، لا يتقى فيه أحدا من الناس

فجعلت قريش — حين منعه الله منها ، وقام عمه وقومه من بنى هاشم وبنى المطلب دونه ، وحالوا بينه وبين ما أرادوا من البطش به — يهمزونه ويستهزئون به ، ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل فى قريش بأحداثهم وفيمن نصب لعداوته منهم ، فمنهم من سُمِّي لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامة من ذكر الله من الكفار

فكان ممن سُمِّي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب ابن عبد المطلب ، وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب ، وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب ؛ لأنها كانت — فيما بلغنى — تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما (١١١ : ١ — ٥) : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبْ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَد)

قال ابن هشام : الجيد : العنق ، قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة : —

يَوْمَ تُبْدِى لَنَا قتيلةُ عَنْ جِيـــدٍ أَسِيلٍ تَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ (١)

(١) الأسيل : الذى فيه طول . والأطواق : جمع طوق ، وهو فى هذا الموضع القلادة ، وأصله مايحيط بالعنق ، قال السهيلى : تزينه : أى تزيده حسنا ، وهذا من القصد فى الكلام ، وقد أبى المولدون إلا الغلو فى هذا المعنى وأن يقلبوه ، فقال فى الحماسة الحسين بن مطير : —

مُبَتَّلَةُ الْأَطْرَافِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا

وقال خالد القسرى لعمر بن عبد العزيز : من تكن الخلافة زينته فأنت زينتها ، ومن تكن الخلافة شرفته فأنت شرفتها ، وأنت كما قال : —

وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطِّيبِ طِيباً إِنْ تَمَسِّيهِ ، أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا ؟

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكِ زَيْنَا

فقال عمر : إن صاحبكم أعطى مقولا ، ولم يعط معقولا ، قلت : وإنما لم يحسن هذا من خالد لما قصد به التملق ، وإلا فقد صدر مثل هذا المعنى عن الصديق ، فحسن لما عضده من التحقيق والتحرى للحق والبعد عن الملق والخلابة ، وذلك حين عهد إلى عمر بالخلافة ودفع إليه عهده مختوما وهو لايعرف مافيه ، فلما عرف مافيه رجع إليه حزينا كهيئة الثكلى يقول : حملتنى عبئا لاأضطلع به ، وأوردتنى موردا لاأدرى كيف الصدر عنه ، فقال له الصديق : ماآثرتك بها ولكنى آثرتها بك ، وما قصدت مساءتك ولكنى رجوت إدخال السرور على المؤمنين بك ، ومن هنا أخذ الحطيئة قوله : —

مَا آثَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا
لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِهَا الْأُثَرُ

اه كلامه بحروفه

وهذا البيت فى قصيدة له (١)

وجمعه أجياد ، والمَسَد : شجر يدق كما يدق الكتان فيفتل منه حبال ، قال النابغة الذبيانى (واسمه زياد بن عمرو بن معاوية) : —

مَقْذُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُهَا
لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

وواحدته : مَسَدَة

أم جميل حمالة الحطب تحاول إيذاء رسول الله فيكفها الله عنه

قال ابن إسحق : فذكر لى أن أمَّ جميل حَمَّالَةَ الحطب — حين سمعت ما نزل فيها وفى زوجها من القرآن — أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق ، وفى يدها فِهْرٌ (٣) من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : ياأبا بكر ،

---

(١) وبعد هذا البيت قوله : —

وَشَتِيتٍ كَالْأُقْحُوانِ جَلَاهُ الـ ـطَّلُّ فِيهِ عُذُوبَةٌ وَاتِّسَاقُ
وَأَثِيثٍ جَثْلِ النَّبَاتِ تُرَوِّيـ ـهِ لَعُوبٌ غَرِيرَةٌ مِفْتَاقُ
حُرَّةٌ طَفْلَةُ الْأَنَامِلِ كَالدُّمْـ ـيَةِ لَا عَانِسٌ وَلَا مِهْزَاقُ

(٢) الدخيس : اللحم الكثير ، والنحض : اللحم ، وبازلها : أى البازل منها وهو الذى فطر نابه ، وذلك فى تسع سنين من عمره ، والصريف : الصوت ، والقعو : الذى تدور فيه البكرة إن كان من خشب ، فان كان من حديد فهو خطاف . يصف إبلا بالسمن والامتلاء

(٣) الفهر — بكسر فسكون — حجر على مقدار ملء الكف ، قال السهيلى : « المعروف فى الفهر التأنيث ، وتصغيره فهيرة ، ووقع هنا مذكرا » اه

أين صاحبك ؟ قد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربتُ بهذا الفِهْرِ فَاهُ ، أما والله إنى لشاعرة ، ثم قالت : —

مُذَمَّماً عَصَيْنَا وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا
وَدِينَهُ قَلَيْنَا (١)

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يارسولَ الله ، أما تراها رأتك؟ فقال : ما رأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عنى

قال ابن هشام : قولها « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وكانت قريش إنما تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُذَمَّما ، ثم يَسُبُّونه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَلاَ تَعْجَبُونَ لِمَاصَرَفَ اللهُ عَنِّى مِنْ أَذَى قُرَيْشٍ ، يَسُبُّونَ ويهجون مُذَمَّماً وَأَنَا مُحَمَّد »

إيذا أمية بن خلف للنبي وما نزل فيه من القرآن

وأمية بن خلف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح ، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ ، فأنزل الله تعالى فيه (١٠٤ : ١ ـ ٩) (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الذى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ)

قال ابن هشام : والْهُمَزَة : الذى يشتم الرجل علانية ، ويكسر عينه عليه ، ويغمز به ، قال حسان بن ثابت : —

هَمَزْتُكَ فَاخْتَضَعْتَ لِذُلِّ نَفْسٍ بِقَافِيَةٍ تَأَجَّجُ كَالشُّوَاظِ (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له .

---

(١) قلينا : أبغضنا

(٢) اختضعت : تذللت ، وتأجج : أصله تتأجج ، فحذف إحدى التاءين ، ومعناه تتوقد ، والشواظ : لهب النار

وجمعه هُمَزات ، واللُّمَزَة : الذى يعيب الناس سرا و يؤذيهم ، قال رؤبة بن العجاج : —

فِى ظِلِّ عَصْرِى بَاطِلِى وَلَمْزِى

وهذا البيت فى أرجوزة له

وجمعه : لمزات

مقالة العاص بن وائل السهمى وما نزل فيها من القرآن

قال ابن إسحق : والعاص بن وائل السَّهْمِيُّ ، كان خَبَّابُ بن الأَرَتِّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قَيْناً [1] بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سُيُوفاً عملها له ، حتى إذا كان له عليه مال ، فجاء يتقاضاه ، فقال له : ياخَبَّاب ، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابْتَغَى أهْلُهَا من ذهب أو فضة أو ثياب أوخدم ؟ قال خباب : بلى ، قال : فأَنْظِرْنى إلى يوم القيامة ياخَبَّاب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك ، فوالله لاتكون أنت وأصحابك [2] ، ياخَبَّابُ ، آثَرَ عند الله منى ، ولا أعظم حظا فى ذلك ، فأنزل الله تعالى فيه (١٩ : ٧٧ — ٨٠) : (أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً أَطَّلَعَ الْغَيْبَ) إلى قوله تعالى : (وَنَرِثُهُ مَايَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا)

مقالة أبى جهل وما نزل فيها من القرآن

ولقى أبو جهل بن هشام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، فقال له : والله يامحمد لَتَتْرُكَنَّ سبَّ آلهتنا أو لَنَسُبَّنَّ إلهك الذى تعبد ، فأنزل الله تعالى عليه فيه (٦ : ١٠٨) : (وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ) فذكر لى أن رسول الله

---

(١) القين — بفتح فسكون — الحداد

(٢) فى نسخة « أنت وصاحبك »

صلى الله عليه وسلم كَفَّ عن سَبِّ آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله

النضر بن الحارث وما نزل فيه من القرآن

والنَّضْر بن الحرث بن كَلَدة بن (١) عَلْقَمة بن عَبْد مَنَاف بن عبد الدار بن قصى ، كان إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى ، وتلا فيه القرآن ، وحَذَّر قريشا ما أصاب الأمم الخالية ، خَلَفَهُ فى مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رستم السِّنديذ (٢) وعن اسفنديار وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأَحْسَنَ حديثاً منى ، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكْتَتَبْهَا كما اكْتَتَبْهَا ، فأنزل الله فيه (٢٥ : ٥ ـ ٦) : (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) ونزل فيه (٦٨ : ١٥) : (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ونزل فيه (٤٥ : ٧ ـ ٨) : (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

قال ابن هشام : الأَفَّاك : الكذاب ، وفى كتاب الله تعالى (٣٧ : ١٥١ ـ ١٥٢) : (أَلاَ إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وقال رؤبة :ـ

مَا لِامْرِىءٍ أَفَّكَ قَوْلاً إِفْكَا

---

(١) قال أبو ذر : « قوله فى نسب النضر بن الحارث : بن كلدة بن علقمة ، كذا وقع ؛ والصواب : ابن علقمة بن كلدة » اهـ كلامه

(٢) « السنديذ » قال أبو ذر : « السنديذ بلغة فارس طلوع الشمس ، وهم ينسبون إليه كل جميل ، وهو بذال معجمة » اهـ ، ووقع فى أصول الكتاب : « رستم الشديد »

وهذا البيت فى أرجوزة له (١)

قال ابن إسحق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوما فيما بلغنى ، مع الوليد بن المغيرة فى المسجد ؛ فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم فى المجلس ، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحرث ، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ؛ ثم تلا عليه وعليهم (٢١ : ٩٨ ـ ١٠٠) : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ)

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل ما أوقدت به ، قال أبو ذؤيب الهذلى (واسمه خُوَيْلد بن خالد) : —

فَأَطْفِىءْ وَلَا تُوقِدْ وَلَا تَكُ مُحْصِبًا لِنَارِ الْعُدَاةِ أَنْ تَطِيرَ شَكَاتُهَا (٢)

وهذا البيت فى أبيات له

ويروى « ولاتك مِحْضَأً (٣) » قال الشاعر : —

---

(١) هى أرجوزة طويلة ثابتة فى ديوان رجزه (ص ١١٩ — ١٢٠) وقبل هذا البيت قوله : —

كَيْفَ إِذَا مَوْلَاكَ لَمْ يَصِلْكَا وَقَطَعَ الْأَرْحَامَ قَطْعًا بَشْكَا

يَبْرِى مَعَ الْبَارِى وَلَمْ يَرِشْكَا وَالْأَرْضُ لَوْ تَمْلِكُ لَمْ تَسَعْكَا

وَلَا تَهَيَّبْهُ وَلَمْ يَهَبْكَا

(٢) شكاتها : شدتها .

(٣) المحضأ — بكسر الميم وسكون الحاء المهملة بعدها ضاد مفتوحة —

حَضَأْتُ لَهُ نَارِى فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا
وَمَا كَانَ لَوْلاَ حَضْأَةُ النَّارِ يَهْتَدِى

قال ابن إسحق : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِىُّ حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله ابن الزِّبَعْرَى : والله ما قام النَّضْرُ بن الحرث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنم ؛ فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى : أما والله لو وجدته لَخَصَمْتُه ؛ فَسَلُوا محمداً أكلُّ ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ؛ واليهود تعبد عُزَيْراً ، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم ، فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، ورأوا أنه قد احْتَجَّ وخاصم ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزِّبَعْرَى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مَنْ دُونِ اللهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرَتْهُمْ بِعِبَادَتِهِ »

فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك (٢١ : ١٠١ـ ١٠٢) (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) أى : عيسى ابن مريم وعزير ومن عبدوا من الأحبار والرهبان الذين مَضَوْا على طاعة الله فاتخذهم من يَعْبُدهم من أهل الضلالة أرْبَاباً من دون الله

العود الذى تحرك به النار وتلتهب ، وتقول : حضأت النار أحضؤها ، إذا ألهبتها ، ومنه البيت الذى أنشده ابن هشام ، ومنه قول الشاعر : —

وَنَارٍ قَدْ حَضَأْتُ بُعَيْدَ وَهْنٍ بِدَارٍ مَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامَهْ

ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : (٢١ : ٢٦ — ٢٩) : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) إلى قوله (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى ابن مريم أنه يُعْبَد من دون الله وعَجَب الوليد ومن حضره من حُجّته وخصومته (٤٣ : ٥٧) : (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) أى : يصدون عن أمرك بذلك من قولهم ، ثم ذكر عيسى ابن مريم فقال : (٤٣ : ٥٩ ـ ٦١) (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) أى : ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : فلا تمترن بها (وَاتَّبِعُونِ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)

الأخنس بن شريق وما نزل فيه من القرآن

والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفى ، حليفُ بنى زهرة ، وكان من أشراف القوم ، وممن يُسْتَمَع منه ، فكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : (٦٨ : ١٠ ـ ١٣) (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) إلى قوله تعالى : (زَنِيمٍ) ولم يقل (زَنِيمٍ) لعيب فى نسبه ؛ لأن الله لا يعيب أحداً بنسب ، ولكنه حقق بذلك نعته ليعرف ، والزنيم : العديد[1] للقوم ، وقد قال الخطيمُ التميمىُّ فى الجاهلية : ـ

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً
كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ

(١) العديد : الذى يعد فى الناس وليس منهم ، فعيل بمعنى مفعول .

مقالة الوليد بن المغيرة وما نزل فيها من القرآن

والوليد بن المغيرة ، قال : أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ؟ ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سَيِّدُ ثقيف ؟ فنحن عظيما القريتين ، فأنزل الله تعالى فيه فيما بلغنى (٤٣ : ٣١ — ٣٢) : (وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) إلى قوله تعالى : (مِمَّا يَجْمَعُونَ)

أبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط

وأُبَىُّ بن خلف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح ، وعقبة بن أبى معيط ، وكانا متصافيين ، حَسَنًا ما بينهما ، فكان عُقْبَةُ قد جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع منه ، فبلغ ذلك أبيًّا ، فأتى عقبةَ ، فقال له : أَلَمْ يبلغنى أنك جالست محمداً وسمعت منه ؟ ثم قال : وَجْهِى من وجْهكَ حَرَامٌ أنْ أكلمك ، واسْتَغْلَظَ [له] من اليمين ، إن أنت جَلَسْتَ إليه أو سمعت منه ، أو لم تأته فتتفل فى وجهه ، ففعل ذلك عدوُّ الله عقبة ابن أبى مُعَيْط [1] ، لعنه الله ، فأنزل الله تعالى فيهما (٢٥ : ٢٧ — ٢٩) : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) إلى قوله تعالى : (لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً)

ومشى أُبَىُّ بن خَلَف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعَظْمٍ بالٍ قد ارْفَتَّ [2] فقال : يامحمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ماأَرَمَّ [3] ثم فَتَّه بيده ، ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، يَبْعَثُهُ اللهُ وَإِيَّاكَ بَعْدَ مَا تَكُونَانِ هٰكَذَا ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ اللهُ النَّارَ »

---

(١) قال أبو ذر : « قال النقاش فى كتابه : ذكر أنه رجع بعد ماخرج من فيه إلى وجهه فعاد فيه برصا » اه .

(٢) ارفت — بتشديد آخره ، بوزن احمر — أى : تحطم وتكسر

(٣) أرم — بفتح الهمزة والراء وتشديد الميم — بلى

فأنزل الله تعالى فيه (٣٦ : ٧٨ ـ ٨٠) : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)

الأسود والوليد وأمية والعاص

واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة ، فيما بلغني ، الأسودُ بن المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى ، والوليدُ بن المغيرة ، وأُمَيَّةُ بن خلف ، والعاصُ بن وائل السَّهْمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ؛ فقالوا : يامحمد ، هَلُمَّ فلْنَعْبُدْ ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر : فان كان الذى تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه ، فأنزل الله تعالى فيهم (١٠٩ : ١ ـ ٦) : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) السورةَ كلَّها ، أى : إن كنتم لاتعبدون الله إلا أن أعبد ما تعبدون فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم دينكم جميعا ولى دين .

أبو جهل بن هشام يفسر شجرة الزقوم

وأبو جهل بن هشام ، لما ذكر الله شَجَرَةَ الزَّقُّوم تخويفاً بها لهم قال : يامعشر قريش ، هل تَدْرُون ماشجرة الزقوم التى يخوِّفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ، قال : عَجْوَة يَثْرِبَ (١) بالزُّبْد ، والله لئن استمكنَّا منها لَنَتَزَقَّمَنَّهَا (٢) تَزَقُّماً ، فأنزل الله تعالى فيه (٤٤ : ٤٣ ـ ٤٨) : (إِنَّ

---

(١) « عجوة يثرب » العجوة : ضرب من التمر ؛ ويثرب : مدينة طيبة التى هاجر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى مشهورة بالتمر

(٢) « نتزقمنها تزقما » نبتلعها ابتلاعا

شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ)
أى : ليس كما يقول

قال ابن هشام : الْمُهْلُ : كل شيء أَذَبْتَهَ من نحاس أو رَصاص ، أو ما أشبه ذلك ، فيما أخبرنى أبو عبيدة

وبلغنا عن الحسن بن أبي الحسن ، أنه قال : كان عبد الله بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوما بفضَّةٍ فأُذيبت ، فجعلت تَلَوَّنُ ألوانا ؛ فقال : هل بالباب من أحدٍ ؟ قالوا : نعم ، قال : فأَدْخِلُوهُمْ ، فأُدخلوا ، فقال : إنَّ أَدْنَى ما أنتم راءون شَبَهاً بالْمُهْلِ لَهٰذَا ، وقال الشاعر : —

يَسْقِيهِ رَبِّى حَمِيمَ الْمُهْلِ يَجْرَعُهُ
يَشْوِى الْوُجُوهَ فَهُوَ فِى بَطْنِهِ صَهِرُ[1]

[وقال عبد الله بن الزَّبِير الأسدى : —
فَمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ عَاشَ عَبْداً وَإِنْ يَمُتْ
فَفِى النَّارِ يُسْقَى مُهْلَهَا وَصَدِيدَهَا
وهذا البيت فى قصيدة له]

ويقال : إن المهل صديدُ الجسد

بلغنا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما حُضِرَ أمر بثوبين لَبيسَين[2] يُغسَلان فَيُكفن فيهما ، فقالت له عائشة : قد أغناك الله ياأبَتِ عنهما ، فَاشْتَرِ كَفَناً ، فقال : إنما هى ساعةٌ حتى يصير إلى المهل ، قال الشاعر : —

---

(١) صهر : أى ذائب
(٢) لبيسين : هو فعيل بمعنى مفعول ، أى : ملبوسين

شَابَ بِالْمَاءِ مِنْهُ مُهلاً كَرِيماً ثُمَّ عَلَّ الْمُتُونَ بعد النِّهَالِ[1]

قال ابن إسحق : فأنزل الله تعالى فيه (١٧ : ٦٠) : (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً)

ابن أم مكتوم يعرض للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الوليد بن المغيرة للاسلام

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وقد طمع فى إسلامه ، فبينا هو فى ذلك إذ مَرَّ به ابن أمّ مَكْتُومٍ الأعمى ، فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن ، فَشَقَّ ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أَضْجَرَهُ ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه فأنزل الله تعالى فيه (٨٠ : ١ ـ ١٤) : (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) إلى قوله تعالى (فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ) أى : إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخص بك أحدا دون أحد ، فلا تمنعه مِمَّن ابتغاه ؛ ولا تَتَصَدَّ به لمن لا يريده

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم : أحد بنى عامر بن لؤى، واسمه عبد الله، ويقال : عمرو

ذكر من عاد من أهل الحبشة لما بلغهم اسلام أهل مكة

قال ابن إسحق : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلامُ أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ؛ حتى إذا دَنَوْا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجِوَارٍ أو مُسْتَخْفِياً ، فكان ممن

---

(١) شاب : خلط ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، والمتون : جمع متن وهو الظهر ، والنهال : جمع نهل وهو الشرب الأول

قدم عليه مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بدرا ، ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ، ومن مات بمكة

منهم من بنى عَبْد شَمْس بن عبدمَنَاف بن قُصَىّ : عُثْمَان بن عَفَّان بن أبى العاص بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمس ، معه امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حُذَيْفَةَ بن عُتْبَة بن رَبيعة بن عَبْد شَمْس ، معه امرأته سهلة بنت سهيل

ومن حلفائهم : عبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب

ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف : عُتْبَة بن غَزْوان ، حليفٌ لهم من قيس عَيْلان

ومن بنى أَسَد بن عَبْد الْعُزَّى بن قُصَىّ : الزُّبَيْرُ بن الْعَوَّام بن خُوَيلد ابن أسَد

ومن بنى عبد الدار بن قصى : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عَبْد مَنَاف ، وسُوَيبط بن سعد بن حَرْمَلة (١)

ومن بنى عَبْد بن قُصَى : طُلَيْب بن عُمَير بن وَهْب بن أبِى (٢) كَبِير بن عَبْد

ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عَوْف بن عَبْد عَوْف بن عَبْد بن الحرث بن زُهْرة ؛ والمِقْدَادُ بن عَمْرو حليف لهم ؛ وعبدُ الله بن مَسْعود حليف لهم

---

(١) فى نسخة « حريملة » بالتصغير

(٢) قال أبو ذر « ليس وهب هنا با بن أبى كبير ، بل هو أخوه ، وهما ويحي أخوهما : بنو عبد بن قصى ، قاله ابن الدباغ » اه ، هذا وفى بعض النسخ « بن أبى كثير » بالثاء تحريفا وانظر (ص٣٤٧)

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظَة : أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هِلال بن عَبْد الله بن عُمَر بن مَخْزوم ، معه امرأته أمُّ سلمة بنتُ أبى أمَيَّة بن الْمُغِيرة ، وشَمَّاس بن عُثْمَان بن الشَّريد بن سويد بن هَرْمى بن عامر بن مخزوم ، وسَلَمَة بن هِشام بن الْمُغِيرة ، حَبَسَه عَمُّه بمكة فلم يَقْدَمْ إلا بعد بَدْر وأحد والخندق ؛ وعيَّاش بن أبى ربيعة بن المغيرة ، هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل بن هشام ، والحرث بن هشام ، فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق

ومن حلفائهم : عَمَّار بْنُ ياسر ، يَشُكُّ فيه ، أكان خرج إلى الحبشة أم لا ؛ ومُعَتِّب بن عَوْف بن عامر من خُزَاعة

ومن بنى جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْب : عُثْمان بن مَظْعون ابن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح ؛ وابْنُه السَّائب بن عثمان ، وقُدامة ابن مَظْعون ، وعبدُ الله بن مظعون

ومن بنى سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب : خُنَيْس بن حُذافة ابن قَيْس بن عَدِى ؛ وهِشَام بنُ الْعاص بن وائل ؛ حُبِس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق

ومن بنى عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَى : عَامِرُ بن ربيعة حليف لهم ، معه امرأته لَيْلَى بنتُ أبى حَثْمة بن غانم

ومن بنى عامر بن لؤى : عبدُ الله بن مَخْرَمَة بن عبد الْعُزَّى بن أبى قَيْس ؛ وعبد الله بن سُهَيْل بن عَمْرو ، وكان حُبِس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بدر ، فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد معه بدرا ؛ وأبو سَبْرة

ابن أبى رُهْم بن عبد العُزَّى ، معه امرأته أم كلثوم بنت سُهَيل بن عَمْرو ، والسَّكْرَان بن عَمْرو بن عبد شَمْس ، معه امرأته سَوْدة بنت زَمْعة بن قَيْس ، مات بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، تَخَلَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سَوْدة بنت زَمْعة

ومن حلفائهم : سعدُ بن خَوْلة

ومن بنى الحرث بن فِهْر : أبو عُبَيْدة بن الجَرَّاح ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجراح ، وعَمْرو بن الحرث بن زُهَير بن أبى شَدَّاد ، وسُهَيل ابن بَيْضاء ، وهو سهيل بن وَهْب بن ربيعة بن هلال ، وعَمْرُو بن أبى سَرْح ابن رَبيعة بن هِلال

فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثةٌ وثلاثون رجلا .

وكان مَنْ دَخَلَ منهم بجِوَارٍ ، فيمن سُمِّىَ لنا : عثمانُ بن مَظْعون ابن حَبيب الجُمَحِىّ ، دخل بجوار من الْوَليد بن المغيرة ، وأبو سَلَمة ابن عبد الأسَد بن هِلال المَخْزومى ، دخل بجوار من أبى طالب ابن عبد المطلب ، وكان خالَه ، وأمُّ أبى سلمة بَرَّة بنت عبد المطلب

قصة عثمان بن مظعون فى رد جوار الوليد

قال ابن إسحق : فأما عثمان بن مَظْعون فان صالح بن إبراهيم ابن عَبْد الرحمن بن عَوْف حدثنى ، عمن حدثه عن عثمان قال : لما رأى عثمانُ بن مَظْعون ما فيه أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الْبَلاَء ، وهو يَغْدو ويَرُوح فى أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غُدُوِّى ورَوَاحى آمناً بجوار رَجُل من أهل الشرك وأصحابى وأهلُ دينى يَلْقَوْنَ من البلاء والأذى فى الله ما لا يصيبنى لنَقْصٌ كبير فى نفسى ، فمَشَى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : ياأبا عبد شمس ، وَفَتْ ذِمّتُكَ ، وقد

رَدَدْتُ إليك جوارك ، قال له : لِمَ يا ابن أخى ؟ لعله آذاك أحدٌ من قومى قال : لا ، ولكنى أرْضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره ، قال: فانْطَلِقْ إلى المسجد فَارْدُدْ علىَّ جوارى علانيةً كما أجَرْتُكَ علانيةً ، قال : فانطلقا ، فخرجا حتى أتيَا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمانُ قد جاء يَرُدُّ علىَّ جوارى ، قال : صَدَق ، قد وجدته وَفِيًّا كريمَ الجْوار ، ولكنى قد أَحْبَبْتُ ألاّ أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره ؛ ثم انصرف عثمان (١) ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب فى مَجْلس من قريش يُنْشِدُهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد : —

* أَلاَ كُلُّ شَىْءٍ ماخَلاَ اللهَ بَاطِلُ *

قال عثمان : صدقت ، قال : —

* وَكُلُّ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ *

قال عثمان : كذبتَ ، نعيمُ الجنة لايزول ، قال لبيدُ بن ربيعة : يامعشر قريش ، والله ما كان يُؤْذَى جليسكم ، فمتى حَدَث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيهٌ فى سُفَهَاء مَعَهُ قد فارقوا ديننا ، فلا تَجِدَنّ فى نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شَرِىَ أمْرُهُما (٢) فقام إليه ذلك الرجل فَلَطَمَ عينه فَخَضَرَها ، والوليدُ بن المغيرة قريبٌ يَرَى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله ياابْنَ أخى إنْ كانت عَيْنُكَ عَمَّا أصابها لَغَنِيّةً ، لقد كنت فى ذِمّة مَنيعة ، قال : يقول عثمان : بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب

---

(١) فى نسخة « ثم انصرف وعثمان ولبيد بن ربيعة الخ » وظاهر أن هذه الواو مقحمة

(٢) شرى : أى زاد وعظم وتفاقم

أختها فى الله ؛ وإنى والله افى جِوار مَنْ هو أعزُّ منك وأقدر ياأبا عبد شمس ؛ فقال له الوليد : هَلُمّ يا ابن أخى إن شئتَ إلى جوارك فَعُدْ : فقال : لا

قصة أبى سلمة فى جواره

قال ابن إسحق : وأما أبو سَلمة بن عبد الأسد ، فحدثنى أبى إسحقُ ابن يَسَار ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سَلَمة ، أنه حدثه ، أن أبا سلمة لما استجار بأبى طالب مشي إليه رجالُ بنى مَخْزوم ، فقالوا : ياأبا طالب ، [ما] هذا ؟ مَنَعْتَ منَّا ابنَ أخيك محمدا ، فمالك ولصاحبنا تمنعه منَّا ؟ قال : إنه استجار بى ، وهو ابن أختى ، وإنْ أنا لم أمنع ابنَ أختى لم أمنع ابن أخى ، فقام أبو لهب فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تَتَواثَبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لَتَنْتَهُنَّ عنه أَوْ لَنَقُومَنَّ معه فى كل ماقام فيه حتى يبلغ ماأراد ، قال : فقالوا : بل ننصرف عَمَّا تكره ياأبا عتبة ، وكان لهم وليًّا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابقوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول مايقول ، ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو طالب يُحَرِّضُ أبا لَهَبٍ على نُصْرته ونُصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

إِنَّ امْرَأً أَبُو عُتَيْبَةَ عَمُّهُ
لَفِي رَوْضَةٍ مَا إِنْ يُسَامُ الْمَظَالِمَا (١)
أَقُولُ لَهُ وَأَيْنَ مِنْهُ نَصِيحَتِي أَبَا مُعْتِبٍ ثَبِّتْ سَوادَكَ قَائِمَا (٢)

(١) يسام : يكلف ، والمظالم : جمع مظلمة . أى : من كنت عمه (يريد النبى صلى الله عليه وسلم) يعتز ويفلج

(٢) « ثبت سوادك » يريد كثر قومك ولا تقللهم بتفرقك ، والسواد : الشخص

فَلاَ تَقبَلَنَّ الدَّهْرَ مَاعِشْتَ خُطّةً ... تُسَبُّ بِهَا إِمَّا هَبَطْتَ الْمَوَاسِمَا (١)
وَوَلِّ سَبِيلَ الْعَجْزِ غَيْرَكَ مِنهُمُ ... فإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ عَلَى الْعَجْزِ لاَزِمَا
وَحَارِبْ فإِنَّ الْحَرْبَ نصفٌ وَلَنْ ترَى ... أَخَا الْحَرْبِ يُعْطِي الْخَسفَ حَتَّى يُسَالِمَا (٢)
وَكَيْفَ وَلَمْ يَجْنُوا عَلَيْكَ عَظِيمَةً ... وَلَمْ يَخْذُلُوكَ غَانِماً أَوْ مُغَارِماَ
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً ... وَتَيْماً وَمَخْزُوماً عُقُوقاً وَمَأْثَمَا
بِتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وَأُلْفَةٍ ... جَمَاعَتَنَا كَيْمَا يَنَالُوا الْمَحَارِمَا
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا ... وَلَمَّا تَرَوْا يوماً لَدَى الشِّعْبِ قَاتِمَا (٣)

قال ابن هشام : نُبْزَى : نُسْلَب

قال ابن هشام : بقى منها بيت تركناه

دخول أبى بكر فى جوار ابن الدغنة ورد جواره عليه

قال ابن إسحق : وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، رضى الله عنها ،

---

(١) المواسم : جمع موسم ، وهو الاجتماع فى مواطن الحج المشهورة . وقد تكون المواسم الاجتماع فى أسواقهم المشهورة التى يجتمعون فيها كل عام كذى المجاز وعكاظ

(٢) « الحرب نصف » أى : أنها سبب لانتصاف الانسان من أعدائه ، و« الخسف » الذل ، يقول : من وطن نفسه على الحرب لم يخضع ولم يذل إلا أن يسالمه الناس فلا يعتدى عليهم

(٣) « نبزى محمدا » نسلبه ونغلب عليه ونقهر دونه ، و« قاتما » مسودا من كثرة الغبار ، يريد أنه يثير الحرب فى الدفاع عنه حتى يعلو غبارها ، وفى بعض النسخ « قائما » وهو تحريف

حين ضاقت عليه مكة ، وأصابه فيها الأذى، ورأى من تَظَاهُر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى ؛ استأذَنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فأذن له ، فخرج أبو بكر مُهَاجِراً معه [١] ، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن [٢] الدغنة أخو بنى الحرث ابن بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش [٣]

قال ابن إسحق : والأحابيش [٣] : بنو الحرثِ بن عبد مناة بن كنانة والْهُونِ بن خُزَيمة بن مدركة و بنو الْمُصْطَلَق من خزاعة

قال ابن هشام : تحالفوا جميعاً ، فسمُّوا الأحابيش [٣] [لأنهم تحالفوا بواد يقال له الأحابيش بأسفل مكة] [٤] للحِلْف ، ويقال : ابن الدغينة

قال ابن إسحق : وحدثنى الزُّهْرى ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قالت : فقال ابن الدُّغُنَّة : أين ياأبا بكر ؟ قال : أخْرَجَنى قومى ، وآذَوْنى ، وضَيَّقُوا علىَّ ، قال : ولِمَ ؟ فوالله إنك لَتَزِينُ الْعَشِيرة ، وتُعِينُ على النَّوائِب ، وتَفْعَل المعروف ، وتَكْسِبُ الْمَعْدوم [٥] ارْجِعْ وأنت فى

---

(١) كلمة معه ثابتة فى جميع نسخ الكتاب ، ولا يظهر لنا وجه لبقائها

(٢) «ابن الدغنة» ضبطه القسطلانى بفتح الدال وكسر الغين وفتح النون مخففة وبضم الدال والغين وفتح النون مشددة ، وفى القاموس : «أو بضم فسكون كحزمة» وقال السهيلى : «والدغنة : اسم امرأة عرف بها الرجل ، والدغن : الغيم يبقى بعد المطر» اه

(٣) «الأحابيش» هم أحياء من القارة انضموا إلى بنى ليث ، والتحبش : التجمع ، وقيل : حالفوا قريشا تحت جبل يسمى حبشيا بأسفل مكة فسموا بذلك

(٤) زيادة فى بعض نسخ الكتاب

(٥) فى بعض النسخ «المعدم» ولعله تحريف ، وقال السهيلى : «يقال : كسبت الرجل مالا ، فتعديه إلى مفعولين ، هذا قول الأصمعى ، وحكى غيره

جوارى ؛ فرجع معه ؛ حتى إذا دخل مكة قام ابن الدُّغُنَّة فقال : يامعشر قريش ؛ إنى قد أجَرْت ابن أبى قُحافة ؛ فلا يَعرِضَنَّ له أحد إلا بخير ؛ قالت : فكَفُّوا عنه ؛ قالت : وكان لأبى بكرٍ مسجدٌ عند باب داره فى بنى جُمَح ، فكان يُصَلى فيه ؛ وكان رجلاً رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى ، قالت : فيقفُ عليه الصبيان والعبيد والنساء يُعْجَبُون لما يَرَوْن من هيئته ، قالت : فَمَشَى رجالٌ من قريش إلى ابن الدُّغُنَّة فقالوا : ياابن الدُّغُنَّة ، إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ليؤذِينَا ؛ إنه رجل إذا صلى وقرأ ماجاء به محمد يَرِقُّ ويبكى ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نَتَخَوَّف على صبياننا ونسائنا وضَعَفَتنا أن يفتنهم ؛ فأْتِهِ فَمُرْه أن يَدْخل بيته فَلْيَصْنع فيه ماشاء ؛ قالت : فمشى ابن الدُّغُنَّة إليه ؛ فقال له : ياأبا بكر ، إنى لم أجِرْك لتؤذِىَ قومك ، إنهم قد كرهوا مكانك الذى أنت به وتأذَّوْا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت ، قال : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ، قال : فارْدُدْ علىَّ جوارى ، قال : قد رددته عليك ، قال : فقام ابن الدُّغُنَّة فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أبى قُحَافة قد رَدَّ علىَّ جوارى ، فشأنَكُم بصاحبكم

قال ابن إسحق : وحدثنى عبدُ الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد ، قال : لقيه سفيهٌ من سُفَهاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فَحَثَا على رأسه ترابا ، قال : فمرَّ بأبى بكر الوليدُ بن المغيرة ، أو العاصُ ابن وائل ، قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى مايصنع هذا السفيه ؟ قال : أنتَ فعلت ذلك بنفسك ، قال : وهو يقول : أى رَبِّ ، أىْ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ ، أىْ رَبِّ مَاأَحْلَمَكَ ، أىْ رَبِّ مَاأحْلَمَك

أكسبته مالا ، فمعنى تكسب المعدوم : أى تكسب غيرك ماهو معدوم عنده» اه ، وقال أبو ذر : «المعدوم هنا النفيس» اه

حديث نقض الصحيفة

موالاة هشام بن عمرو لبني هاشم

قال ابن إسحق : وبنو هاشم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوا ، ثم إنه قام في نَقْض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نَفَرٌ من قريش ، ولم يُبْلِ فيها أحدٌ أحْسَنَ من بلاء هشام بن عَمْرو (١) بن ربيعة ابن الحرث بن حُبيب (٢) بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَى، وذلك أنه كان ابن أخي نَضْلة بن هاشم بن عبد مَنَاف لأمِّه ، وكان هشام لبني هاشم واصلا ، وكان ذا شرفٍ في قومه ، فكان — فيما بلغني — يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشِّعب ليلاً قد أَوْقَرَهُ (٣) طعاما ، حتى إذا أقبل به فَمَ الشِّعب خَلَعَ خِطَامه (٤) من رأسه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ، ثم يأتي به قد أوقره بُرًّا (٥) فيفعل به مثل ذلك

هشام بن عمرو يحرض زهير بن أبي أمية على نقض الصحيفة

قال ابن إسحق : ثم إنه مشى إلى زُهَيْر بن أبي أمية بن المغيرة ابن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم ، وكانت أمُّه عاتكةَ بنت عبد المطلب ، فقال : يازهير ، أقد رضيت أن تأكل الطعامَ وتَلْبَس الثياب وتَنْكِح

---

(١) في بعض النسخ «هاشم بن عمرو» والذي أثبتناه موافق لما في بعض النسخ، وما في الطبري والسهيلي

(٢) في بعض النسخ «خبيب» بالخاء المعجمة

(٣) أوقره : حمله

(٤) «خطامه» : الخطام حبل يشد على مقدم أنف البعير

(٥) قال السهيلي : «بزا — بالزاي المعجمة ، وفي غير نسخة الشيخ أبي بحر: برا ، وفي رواية يونس : بزا أو برا ، على الشك من الراوي» اه

النساء وأخوالُكَ حيث قدعلمت لايُبَاعُون وَلَا يُبْتَاعَ منهم ، ولا يَنْـكحون ولا يُنْـكح إليهم ، أما إنى أحلف بالله أنْ لَوْ كانوا أخوال أبى الحكم ابن هشام ثم دَعَوْتَهُ إلى [مثل] مادعاكَ إليه منهم ماأجابك إليه أبداً ، قال : ويحك ياهشام ! ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله أنْ لَوْ كان معى رجلٌ آخر لَقُمْتُ فى نَقْضها حتى أنقضها ؛ قال : قد وجدتَ رجلاً ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : أبغنا رجلا ثالثاً

هشام يحرض المطعم بن عدى

فذهب إلى الْمُطْعِم بن عدى ، فقال له : يامطعم ، أَقَدْ رضيتَ أن يهلك بَطْنَان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ؟ أما والله لَئِنْ أمْكَنْتُمُوهم من هذه لَتَجِدُنَّهَا إليها منكم سِرَاعا ، قال : ويحك ! ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدتَ ثانيا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : أبغنا ثالثا ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زُهَيْر بن أبى أمية ، قال : أبغنا رابعا

هشام يحرض أبا البخترى ابن هشام

فذهب إلى أبى الْبَخْتَرى بن هشام ، فقال له نحوا مما قال لمُطْعِم بن عَدِى ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زُهير بن أبى أمَيَّة والْمُطْعِم بن عدى وأنا معك ، قال : أبغنا خامسا

هشام يحرض زمعة بن الأسود ابن المطلب

فذهب إلى زَمْعَة بن الأسود بن الْمُطَّلب بن أسد ، فكلمه ، وذكر له قرابتهم وحَقَّهم ، فقال له : وهل على هـذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمى له القوم ، فاتَّعَدُوا خَطْمَ الْحَجُونِ (١) ليلاً بأعلى مكة

---

(١) « خطم الحجون » اسم مكان بمكة ، ووقع فى بعض النسخ « حطم » بالحاء مهملة ، وهو تصحيف

اجتماع الخمسة واتفاقهم على المجاهرة بنقض الصحيفة

فاجتمعوا هنالك، فأجمعوا أمرهم، وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم

فلما أصبحوا غدَوْا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبى أميَّة عليه حُلَّة، فطاف بالبيت سبعا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام وَنَلْبَس الثِّياب وبنو هاشم هَلْكى لا يُباعون ولا يُبْتَاع منهم، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، قال أبو جهل وكان فى ناحية المسجد: كذبتَ والله لا تُشَق، قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابَهَا حيث كُتبت، قال أبو البَخْتَرى: صدق زَمْعة، لا نرضَى ما كتب والله فيها ولا نُقِرُّ به، قال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها، وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك، قال أبو جهل: هذا أمر قُضِىَ بلَيْلٍ تُشُوِرَ فيه بغير هذا المكان، وأبو طالب جالسٌ فى ناحية المسجد، فقام المُطْعِمُ إلى الصحيفة ليَشُقَّها، فوجد الأَرَضَة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم» وكان كاتب الصحيفة منصورَ(١) بن عِكْرِمة، فشَلَّتْ يَدُه، فيما يزعمون

قال ابن هشام: وقد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب: ياعَمِّ، إنَّ الله قد سَلَّطَ الأَرَضَة على صحيفة قريش، فلم تَدَعْ فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظُّلم والقَطيعة والْبُهْتان، فقال: أرَبُّك أخْبَرَك بهذا؟ قال: نعم، قال: فوالله ما يدخل عليك أحد، ثم خرج إلى قريش فقال: يامعشر قريش؛ إن ابن أخى

---

(١) قال السهيلى: «للنساب من قريش فى كاتب الصحيفة قولان: أحدهما أن كاتب الصحيفة هو بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، والقول الثانى أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بنى عبد الدار

أخبرنى بكذا وكذا ، فهلُمَّ صحيفتكم : فان كانت كما قال ابن أخى فانْتَهُوا عن قطيعتنا ، وانزِلُوا عمَّا فيها ، وإن كان كاذبا دفعت إليكم ابن أخى ؛ فقال القوم : رضينا ، فتعاقَدُوا على ذلك ، ثم نظروا ؛ فاذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فزادهم ذلك شرا ؛ فعند ذلك صَنَعَ الرَّهْطُ من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا

قال ابن إسحق : فلما مُزِّقت الصحيفة وبَطَلَ ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك النَّفَر الذين قاموا فى نَقْضها يمدحهم : —

أَلاَ هَلْ أَتَى بَحْرِيَّنَا صُنْعُ رَبِّنَا عَلَى نَأْيِهِمْ واللهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ (١)
فَيُخْبِرَهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مُزِّقَتْ وَأَنْ كُلُّ مَالَمْ يَرْضَهُ اللهُ مُفْسَدُ
تَرَاوَحَهَا إِفْكٌ وَسِحْرٌ مُجَمَّعٌ
وَلَمْ يُلْفَ سِحْرٌ آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ
تَدَاعَى لَهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِقَرْقَرٍ فَطَائِرُهَا فِى رَأْسِهَا يَتَرَدَّدُ (٢)
وَكَانَتْ كِفَاءً وَقْعَةٌ بِأَثِيمَةٍ لِيُقْطَعَ مِنْهَا سَاعِدٌ وَمُقَلَّدُ (٣)

أيضا ، وهو خلاف قول ابن إسحق ، ولم يذكر الزبير فى كاتب الصحيفة غير هذين القولين ، والزبيريون أعلم بأنساب قومهم » اه بحروفه (وانظر ص ٣٧٢)

(١) « بحرينا » يريد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة فى البحر ، و «أرود» معناه أرفق

(٢) « بقرقر » قال أبو ذر : «القرقر : اللين السهل » اه وقال السهيلى : « من ليس فيها بقرقر : أى ليس بذليل ؛ لأن القرقر الأرض الموطوءة التى لاتمنع سالكها ، ويجوز أن يريد به من ليس بذى هزل ؛ لأن القرقرة الضحك ، وطائرها فى رأسها يتردد : أى حظها من الشؤم والشر ، وفى التنزيل : (ألزمناه طائره فى عنقه)» اه

(٣) المقلد : العنق ، وهو اسم مكان من التقليد ؛ وذلك لأنه الموضع الذى تلبس فيه القلائد ونحوها

وَيَظْعَنُ أَهْلُ الْمَكَّتَيْنِ فَيَهْرُبُوا
فَرَائِصُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الشَّرِّ تُرْعَدُ (١)
وَيُتْرَكُ حَرَّاثٌ يُقَلِّبُ أَمْرَهُ أَيُتْهِمُ فِيهَا عِنْدَ ذَاكَ وَيُنْجِدُ (٢)
وَتَصْعَدُ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ كَتِيبَةٌ لَهَا حُدُجٌ سَهْمٌ وَقَوْسٌ وَمِرْهَدُ (٣)

---

(١) يظعن : يرحل ، والفرائص : جمع فريصة ، وهى بضعة فى مرجع الكتف ترعد إذا فزع الانسان ، وترعد - بالبناء للمجهول - تضطرب ، وأصله من الرعدة

(٢) حراث : مكتسب، ويقلب أمره : يديره بأعمال الفكر فيه،ويتهم : يأتى تهامة ، وهى ما انخفض من أرض الحجاز ، وينجد : يأتى نجدا ، وهو ما ارتفع من أرض الحجاز

(٣) قال أبوذر : «الأخشبان : جبلان بمكة ، وكتيبة : جيش ، وحدج: كثرة ، وأصل الحدج صغار الحنظل والخشخاش ، فشبه كثرتهم به ، ومرهد : رمح لين ، ومن رواه فرهد فمعناه الرمح الذى إذا طعن به وسع الخرق ، ومن رواه مزهد - بالزاء - فهو ضعيف لا معنى له إلا أن يراد به الشدة ، على معنى الاشتقاق » اه كلامه ، وعلى هذا التفسير يضبط قوله «حدج» بفتح الحاء والدال جميعا ، وكأنه أخذ قوله «ومرهد» من الرهادة ، وهى النعمة ، ومنه قيل للشابة الرخصة الناعمة : رهيدة ، وقال السهيلى : «لعله حدج بضم الحاء والدال جمع حدج (بكسر فسكون) على ماحكى الفارسى ، ونظيره ستر وستر ، فيكون المعنى أن الذى يقوم لها مقام الحدج سهم وقوس ومرهد» اه ثم قال : « ومرهد فى الأصل بالراى وكسر الميم فيحتمل أن يكون مقلوبا من مهرد ، مفعل من هرد الثوب إذا مزقه ، ويعنى به رمحا أو سيفا ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرهيد : وهو الناعم ، أى : ينعم صاحبه بالظفر ، أو ينعم هو بالرى من الدم ، وفى بعض النسخ مزهد - بفتح الميم وبالزاى - فان صحت الرواية به فمعناه مزهد فى الحياة وحرص على الممات» اه كلامه

فَمَنْ يَنْشَ مِنْ حُضَّارِ مَكَّةَ عِزُّهُ فَعِزَّتُنَا فِي بَطْنِ مَكَّةَ أَتْلَدُ (١)

نَشَأْنَا بِهَا وَالنَّاسُ فِيهَا قَلَائِلٌ
فَلَمْ نَنْفَكِكْ نَزْدَادُ خَيْراً وَنُحْمَدُ (٢)

وَنُطْعِمُ حَتَّى يَتْرُكَ النَّاسُ فَضْلَهُمْ
إِذَا جَعَلَتْ أَيْدِي الْمُفِيضِينَ تُرْعَدُ (٣)

جَزَى اللهُ رَهْطاً بِالْحَجُونِ تَتَابَعُوا
عَلَى مَلَإٍ يَهْدِى لِحَزْمٍ وَيُرْشِدُ (٤)

---

(١) «ينش» هوهكذا فى شرح السيرة ؛ وفى بعض نسخ الأصل بالشين المعجمة ، وفى نسختين ينس ـ بالسين مهملة ـ قال أبو ذر : «ينش : أى ينشأ ، فحذف الهمزة» يعنى أنه سهل الهمزة بقلبها ألفا لسكونها بعد فتحة ، ثم حذف هذه الألف على غير قياس ؛ لأن سبيل الهمزة التى تقلب ألفا فى مثل هذه الحال أن تبقى ، وهذا أحد وجهين للنحاة فى تقدير مثل ذلك ، وقوله «أتلد» معناه أقدم ، يريد أنه ليس فى حاضرى مكة من هو مثلهم فى العز والمجد لأنه مامن مجد إلا مجدهم أعرق منه

(٢) «والناس فيها قلائل» هكذا هو فى بعض النسخ ، وفى نسختين «والناس فيها قليل» فضبطها قوم بضم القاف وفتح اللام وتشديد الياء المثناة ، وهو إغراق فى البعد ، والخير ـ بكسر الخاء ـ الكرم ـ وبفتحها اسم جامع للفضائل

(٣) المفيضين : هم الضاربون بقداح الميسر ، قال السهيلى : «وكان لا يفيض معهم فى الميسر إلا سخى ، ويسمون من لا يدخل معهم فى ذلك البرم (بالتحريك) وقالت امرأة لبعلها ـ وكان برما بخيلا ورأته يقرن بضعتين فى الأكل : أبرما قرونا ، ويسمونه أيضا الحصور ، يريد أبو طالب أنهم يطعمون إذا بخل الناس ، والميسر : هى الجزور التى تقسم ، يقال : يسرت ، إذا قسمت ، هكذا فسره القتبى ، وأنشد : ـ

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّى ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ

قال : ييسرونني : أى يقتسمون مالى» اه

(٤) الملأ : جماعة الناس وأشرافهم ، وقوله «تتابعوا» يروى فى مكانه

قُعُودًا لَدَى خَطْمِ الْحَجُونِ كَأَنَّهُمْ مَقَاوِلَةٌ بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَمْجَدُ (١)
أَعَانَ عَلَيْهَا كُلُّ صَقْرٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَامَشَى فِي رَفْرَفِ الدِّرْعِ أَحْرَدُ (٢)
جَرِيءٌ عَلَى جُلَّى الْخُطُوبِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بِكَفَّيْ قَابِسٍ يَتَوَقَّدُ (٣)
مِنَ الْأَكْرَمِينَ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ إِذَا سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ يَتَرَبَّدُ (٤)
طَوِيلُ النِّجَادِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ عَلَى وَجْهِهِ يُسْقَى الْغَمَامُ وَيُسْعَدُ (٥)
عَظِيمُ الرَّمَادِ سَيِّدٌ وَابْنُ سَيِّدٍ يَحُضُّ عَلَى مَقْرَى الضُّيُوفِ وَيَحْشُدُ (٦)
وَيَبْنِي لِأَبْنَاءِ الْعَشِيرَةِ صَالِحًا إِذَا نَحْنُ طُفْنَا فِي الْبِلَادِ وَيَمْهَدُ
أَلَظَّ بِهٰذَا الصُّلْحِ كُلُّ مُبَرَّأٍ عَظِيمِ اللِّوَاءِ أَمْرُهُ ثَمَّ يُحْمَدُ (٧)

« تبايعوا» ويعنى بهم الخمسة الذين تحالفوا على نقض الصحيفة ، وقد تقدم ذكرهم قريبا

(١) المقاولة : الملوك

(٢) « رفرف الدرع » ما فضل منها ، و «أحرد» بطيء المشى لثقل الدرع ، قال السهيلى : « والأحرد : الذى فى مشيه تثاقل ، وهو من الحرد ، وهو عيب فى الرجل » اه

(٣) « جلى » الجلى - بضم الجيم - الأمر العظيم ، والقابس : الذى يأخذ قبسا من النار ، أو الذى يشعلها

(٤) سيم - بالبناء للمجهول - كلف ، والخسف : الذل ، ويتربد : يتغير إلى السواد

(٥) النجاد - بكسر النون - حمائل السيف

(٦) « عظيم الرماد » هذه كناية عن الكرم ، و «مقرى الضيوف» قراهم ، وهو إكرامهم ، وقد يقال المقرى هو مايقدم للضيف من طعام

(٧) « ألظ بهذا الصلح » ألح ، ولزمه ، وفى الحديث : « ألظوا بيا ذا الجلال والاكرام »

قَضَوْا مَا قَضَوْا فِى لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا
عَلَى مَهَلٍ وَسَائِرُ النَّاسِ رُقَّدُ (١)
هُمُ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ رَاضِياً وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدُ (٢)
مَتَى شرك الْأَقْوام فِى جُلِّ أَمْرِنَا وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهَا نَتَوَدَّدُ
وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقِرُّ ظُلَامَــةً وَنُدْرِكُ مَاشِئْنَا وَلَا نَتَشَدَّدُ
فَيَالَ قُصَيٍّ هَلْ لَـكُمْ فِى نُفُوسِـكُمْ
وَهَلْ لَـكُمْ فِيمَا يَجِىءُ بِهِ غَدُ
فَإِنِّى وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ
لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَـكَلَّمْتَ أَسْوَدُ (٣)

وقال حَسّان بن ثابت يبكى المُطْعِم بن عَدِىّ حين مات ، ويذكر قيامه فى نَقْض الصحيفة : —

أَيَا عَيْنُ فَابْـكِى سَيِّدَ الْقَوْمِ وَاسْفَحِى
بِدَمعٍ وَإِنْ أَنْزَفْتِهِ فَاسْـكُبِى الدَّمَا (٤)

---

(١) « على مهل » كذا هو فى بعض نسخ الكتاب ، وفى نسختين « على مهمل » بزيادة ميم — ولعله تحريف

(٢) « سهل بن بيضاء » قال السهيلى : « سهل هذا هو ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث بن فهر ، يعرف بابن البيضاء ، وهى أمه ، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر » اه

(٣) « لو تكلمت أسود » قال أبوذر : « أسود هنا اسم رجل ، وأراد ياأسود ، وهو مثل يضرب للقادر على الشىء ولا يفعله » اه ; وهذا كلام غير صحيح ، والصواب ما قاله السهيلى : « أسود اسم جبل قتل فيه قتيل فلم يعرف قائله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة ، فذهبت مثلا » اه وفى معجم ياقوت ذكر كثير من الجبال بهذا الاسم

(٤) اسفحى : أى أسيلى ، وأنزفته : أى أنفدته

وَبَكَّى عَظِيمَ الْمَشْعَرَيْنِ كِلَيْهِمَا عَلَى النَّاسِ مَعْرُوفًا لَهُ مَا تَكَلَّمَا
فَلَوْ كَانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ الدَّهْرَ وَاحِدًا
مِنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الْيَوْمَ مُطْعِمَا (١)
أَجَرْتَ رَسُولَ اللهِ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا عَبِيدَكَ مَا لَبَّى مُهِلٌّ وَأَحْرَمَا
فَلَوْ سُئِلَتْ عَنْهُ مَعَدٌّ بِأَسْرِهَا وَقَحْطَانُ أَوْ بَاقِي بَقِيَّةِ جُرْهُمَا
لَقَالُوا هُوَ الْمُوفِي بِخُفْرَةِ جَارِهِ وَذِمَّتِهِ يَوْمًا إِذَا مَا تَذَمَّمَا (٢)
فَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ عَلَى مِثْلِهِ فِيهِمْ أَعَزَّ وَأَعْظَمَا
وَآبَى إِذَا يَأْبَى وَأَعْظَمَ شِيمَةً
وَأَنْوَمَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا (٣)

---

(١) قال السهيلي : « هذا البيت عند النحويين من أقبح الضرورة ؛ لأنه قدم الفاعل وهو مضاف إلى ضمير المفعول ، فصار فى الضرورة مثل قوله : —

* جزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ *

غير أنه فى هذا البيت أشبه قليلا ، لتقدم ذكر مطعم ، فكأنه قال : أبقى مجد هذا المتقدم ذكره مطعما ، ووضع الظاهر موضع المضمر ، ولا بأس بمثل هذا ، لاسيما إذا قصدت قصد التعظيم وتفخيم ذكر الممدوح ، كما قال الشاعر : —

وَمَا لِيَ أَنْ أَكُونَ أَعِيبُ يَحْيَى وَيَحْيَى طَاهِرُ الْأَثْوَابِ بَرٌّ

اهـ كلامه ، قال أبو رجاء : والذى ذكر أنه من أقبح الضرورات عند النحويين هو ما اختار جوازه كثير من حذاقهم وأصحاب الرأى المعتد به منهم ، وممن أجازه أبو الفتح ابن جنى ، وأبو عبد الله الطوال ، وقد وردت منه جملة صالحة من شواهد العربية ، فلا داعى لهذا التشنيع الفظيع

(٢) « خفرة جارة » الخفرة هنا : العهد ، و « تذمما » أى : طلب الذمة وهى العهد ، والضمير المستتر فيه يعود إلى الجار

(٣) « وأعظم شيمة » الشيمة الخلق والطبيعة ، ويروى « وألين شيمة » ويروى البيت هكذا : —

إِبَاءً إِذَا يَأْبَى وَأَكْرَمَ شِيمَةً وَأَنْوَمَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحق

قال ابن هشام : وأما قوله «أجرت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] منهم » فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونُصْرته صار إلى حراء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شَريق ليُجيره ، فقال : أنا حَليفٌ والحليفُ لا يجير ، فبعث إلى سهيل بن عَمْرو ، فقال : إن بنى عامر لا تجير على بنى كَعْب ، فبعث إلى المطعم بن عَدِىّ ، فأجابه إلى ذلك ، ثم تسلّح المطعم وأهلُ بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف إلى منزله ، فذلك الذى يعنى حسان بن ثابت

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضا يمدح هشام بن عَمْرو لقيامه فى الصَّحيفة : —

هل يُوفِيَنَّ بَنُو أُمَيَّةَ ذِمَّةً ... عَقْدًا كَمَا أَوْفَى جِوَارُ هِشَامِ (١)

مِنْ مَعْشَرٍ لاَ يَغْدِرُونَ بِجَارِهِمْ ... لِلْحَارِثِ بْنِ حُبَيِّبِ ابْنِ سُحَامِ (٢)

وَإِذَا بَنُو حِسْلٍ أَجَارُوا ذِمَّةً ... أَوْفَوْا وَأَدَّوْا جَارَهُمْ بِسَلاَمِ

---

(١) هشام بن عمرو هذا أسلم ، وهو معدود فى المؤلفة قلوبهم

(٢) حبيب : جاء به حسان على صيغة تصغير حبيب ، وإنما هو حبيب على صيغة تصغير حب ، قال السهيلى : « لما كان الحب والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما فى مكان الآخر ، وقوله ابن سحام هو اسم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه شحام بشين معجمة ، وأبو عبيدة النسابة وعوانة يقولون فيه سحام بسين وحاء مهملتين ، والذى فى الأصل من قول ابن هشام سخام بسين مهملة وخاء معجمة » اه كلامه ، قلت : فابن سحام : صفة للحارث

وكان هشام أخا سُحَام

قال ابن هشام : ويقال سخام

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على ما يرى من قومه ـ يَبْذُل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلي النجاة مِمَّا هُمْ فيه ، وجعلت قريش حين مَنَعَه الله منهم يُحَذِّرونَهُ النَّاسَ ومَنْ قَدِم عليهم من العرب

وكان الطفيل بن عَمْرو[1] الدَّوْسىُّ يُحَدِّث أنه قَدِم مكة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطُّفَيْلُ رجلاً شريفاً ، شاعراً ، لَبيباً ، فقالوا له : ياطُفَيْل ، إنك قدِمْتَ بلادَنَا ، وهـذا الرجلُ الذى بين أظْهُرِنَا قد أعْضَلَ[2] بنا ، وقد فَرَّقَ جماعتنا ، وشتَّت أمرنا ، وإنما قولُه كالسحر : يُفَرِّقُ بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نَخْشَى عليك وعلى قومك ما قد دَخَل علينا ، فلا تُكَلِّمْه ، ولا تَسْمَعَنَّ منه شيئا ، قال : فوالله مازالوا بى حتى أجمعت ألا أسمعَ منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت فى أُذُنَىَّ حين غَدَوْتُ إلى المسجد كُرْسُفاً[3] فَرَقًا من أن يبلغنى شىء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه ، قال : فَغَدَوْتُ إلى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يُصَلِّى عند الكعبة ، قال : فقمت

---

(١) هو الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاصى بن ثعلبة بن سليم بن جهم بن غنم بن دوس

(٢) « أعضل بنا » أى : اشتد أمره ، يقال : أعضل الأمر ، إذا اشتد ولم يوجد له وجه ، قاله أبو ذر

(٣) الكرسف ـ بضمتين بينهما سكون ـ القطن

منـه قريباً ، فأبى الله إلا أن يُسْمِعـنى بعضَ قوله ، قال : فسمعت كلاما حسنا ، قال : فقلت فى نفسى : وَاثُـكْلَ أمّى ، والله إنى لرجل لَبِيبٌ شاعر ما يَخْفى على الْحَسَنُ من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل مايقول؟ فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته ، قال : فمَـكَثْتُ حتى انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، فأتبعته حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه ، فقلت : يامحمد ، إن قومك قد قالوالى كذا وكذا ، للذى قالوا ، فو الله ما بَرِحُوا يُخَوِّفُوننى أمْرَكَ حتى سَدَدْتُ أذنى بكُرْسُفٍ لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك ، فسمعته قولا حسنا ، فاعْرِضْ علىَّ أمْرَكَ ، قال : فعرض علىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ، وتلا على القرآن ، فلا والله ماسمعت قولاً قَطُّ أحْسَنَ منه ، ولا أمرا أعدل منه ، قال : فأسلمت ، وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يانبىَّ الله ، إنى امرؤ مُطَاعٌ فى قومى ، وأنا راجع إليهم ، وداعيهم إلى الاسلام ، فادعُ الله أن يجعل لي آيةً تـكون لى عَوْنًا عليهم فيما أدعوهم إليه ، قال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيةً » قال : فخرجت إلي قومى ، حتى إذا كنت بِثَنِيَّةٍ (١) تُطْلعنى على الحاضر (٢) وقع نورٌ بين عَيْنَىَّ مثلُ المصباح ، قال : قلت : اللَّهُمَّ فى غير وجهى ، إنى أخشى أن يَظُنُّوا أنها مُثْلَةَ وقعت فى وجهى لفراق دينهم ، قال : فَتَحَوَّلَ فوقع فى رأس سَوْطى ، قال : فجعل الحاضرُ (٢) يَتَراءَوْنَ ذلك النور فى سَوْطى كالقنديل المعلّق ، وأنا أهبط إليهم من الثَّنِيّة (١) ، قال : حتى جئتهم ، فأصبحت فيهم ، قال : فلما نزلت أتانى أبى — وكان شيخا كبيرا — قال : فقلت : إلَيْكَ عَنِّى ياأبتِ ، فلستُ منك ولستَ

---

(١) الثنية : الفرجة بين الجبلين ، أوهى المكان المرتفع

(٢) الحاضر : القوم النازلون على الماء

منى ، قال : لِمَ يا بُنَىَّ ؟ قال : قلت : أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : أىْ بُنَىَّ فدينى دينك ، قال : فقلت : فاذهب فاغتسل وَطَهِّرْ ثيابك ثم تعال حتى أُعلِّمَكَ ما عُلِّمْتُ ، قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، قال : ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام فأسلم، ثم أتتنى صاحبتى ، فقلت: إليك عنى فلستُ منكِ ولستِ منى ، قالت : لِمَ بأَبى أنتَ وأمِّي ؟ قال : فَرَّقَ بينى وبينكِ الاسلام ، وتابعتُ دينَ محمد صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدينى دينك ، قال : قلت: فاذهبى إلى حِنَى (١) ذي الشرَي (قال ابن هشام : ويقال حِمَى ذِي الشرَي) فتطهَّري منه ،وكان ذُو الشَّرَي صَنماً لدَوْس وكان الحِمَى حِمًى حَمَوْهُ له ، به وَشَلٌ (٢) من ماء يَهْبِطُ من جبل ، قال : قالت : بأَبى أنت وأمى ، أَتخشى على الصِّبْيَه من ذى الشري شيئا ؟ قال : قلت : لا أناضامن لذلك ، قال : فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام ، فأسلمت، ثم دعوتُ دَوْسًا إلى الاسلام ، فأَبْطَؤُا علىَّ ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقلت له : يانبىَّ الله ، إنه قد غلبنى على دَوْسٍ الرنا (٣) فادْعُ الله عليهم ، فقال : « اللَّهُمَّ أُهْدِ دَوْسًا ، ارْجِعْ إلي قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ » قال : فلم أزل بأَرض دَوْس أدعوهم إلى الاسلام حَتَّي هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى

---

(١) قال السهيلى : « إن صحت رواية ابن إسحاق فالميم قد تبدل نونا ، كما قالوا : حلان ، وحلام ، للجدى ، ويجوز أن يكون من حنوت العود ، ومن محنية الوادى ، وهو ما انحنى منه » اه

(٢) الوشل : الماء القليل

(٣) قوله « الرنا » هو لهو مع شغل قلب وبصر وغلبة كما فى القاموس ، وفى نسخة « الزنا »

بدروأحدوالخندق ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معى من قومى ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخَيْبَرَ ، حتى نزلت المدينة بسبعين أوثمانين بيتا من دَوْس ، ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيْبَرَ فأَسْهَم لنا [(١)] مع المسلمين ، ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتَّى إذا فتح الله عليه مكة قلت : يارسولَ الله ، ابْعَثْنِي إلى ذي الْكَفين (صنمِ عمرو ابن حُمَمة) حتَّى أحرقه

قال ابن إسحق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول :

يَاذَا الْكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عِبَادِكَا
مِيلاَدُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلاَدِكَا [(٢)]
* إِنِّى حَشَوْتُ النَّارَ فِى فُؤَادِكَا *

قال : ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكان معه بالمدينة حتى قَبَضَ اللهُ رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلما ارْتَدَّتِ العرب خرج مع المسلمين ، فسار معهم حتى فَرَغوا من طُلَيْحة ، ومن أرض نجد كُلِّها ، ثم سار مع المسلمين إلي اليمامة ومعه ابنه عَمْرو بن الطُّفَيْل ، فرأى رؤيا

رؤيا طفيل وتعبيره إياها

(١) « فأسهم لنا » أى : جعل لنا من سهام الغنيمة نصيبا كالمحاربين

(٢) « ياذا الكفين » قال السهيلى : « بالتشديد ، خفف للضرورة ، وقيل : هو مخفف ؛ فان صح فهو محذوف اللام ، كأنه تثنية كف ء ، من كفأت الاناء ، أو كف ء (بفتح الكاف) بمعنى كف ء (بضمها) ثم سهلت الهمزة وألقيت حركتها على الفاء ، كما يقال الخَبْء والخب »اه والغرض أن « ذا الكفين » قد ورد فى أبيات طفيل بفتح الكاف والفاء وسكون الياء وأن العلماء قد اختلفوا فى ضبط اسم هذا الصنم الحقيقى ؛ فمنهم من ذكر أن ضبطه الحقيقى كما ورد فى أبيات طفيل ، والاختلاف بين هؤلاء إنما هو فى اشتقاق هذا الاسم ، ومن العلماء من ذكر أن ضبطه الحقيقى بفتح الكاف وتشديد الفاء فيكون طفيل قد خففه

وهو مُتَوَجِّه إلى اليمامة فقال لأصحابه : إِنِّى قد رأيت رؤيا فاعْبُرُوها لي :[١]
رأيت أنّ رأسى حُلِقَ ، وأنه خَرَجَ من فمى طائر ، وأنه لقِيَتْنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها ، وأرى ابنى يطلبنى طلبا حَثِيثاً ، ثم رأيته حُبِس عنى ، قالوا : خيرا ، قال : أما أنا والله فقد أَوَّلْتُها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أما حلق رأسى فوضعه ، وأما الطائر الذى خرج من فمى فرُوحى ، وأما المرأة التى أدخلتنى فرجها فالأرض تُحْفَر لي فأُغَيَّب فيها ، وأما طَلَبُ ابنى إياى ثم حبسه عنى فانى أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابنى ، فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ثم اسْتَبَلَّ منها [٢] ثم قتل عام الْيَرْمُوك فى زمن عمر رضي الله عنه شهيدا

أعشى بنى قيس يفد على مكة ليسلم فتصده قريش

قال ابن هشام : حدثنى خَلاَّد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسى وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم ، أن أعشى بنى قيس بن ثَعْلبة ابن عُكَابة بن صَعْب بن على بن بَكْر بن وائل خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام ، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا ... وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا [٣]

(١) عبر الرؤيا يعبرها ـ من باب نصر ـ فسرها ، وفى التنزيل : (إن كنتم للرؤيا تعبرون)

(٢) « استبل منها » يقال : بل ، وأبل ، واستبل المريض من مرضه ، إذا أفاق وبرىء

(٣) قال أبو ذر : « الأرمد : الذى يشتكى عينيه من الرمد ، والسليم : الملدوغ ، والمسهد : الذى منع النوم » اهـ وقال السهيلى : « لم ينصب ليلة على الظرف لأن ذلك يفسد معنى البيت ، ولكنه أراد المصدر فحذفه ، والمعنى اغتماض ليلة أرمد ، فحذف المصدر المضاف إلى الليلة وأقامها مقامه فصار

وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ ، وَإِنَّمَا
تَنَاسَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا (١)

وَلٰكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِى هُوَ خَائِنٌ
إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّاىَ عَادَ فَأَفْسَدَا

كُهُولاً وَشُبَّاناً فَقَدْتُ وَثَرْوَةً فَلِلَّهِ هٰذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

وَمَا زِلْتُ أَبْغِي الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ
وَلِيدًا وَكَهْلاً حِينَ شِبْتُ وَأَمْرَدَا (٢)

وَأَبْتَذِلُ الْعِيسَ الْمَرَاقِيلَ تَغْتَلِى
مَسَافَةَ مَا بَيْنَ النُّجَيْرِ فَصَرْخَدَا (٣)

أَلاَ أَيُّهٰذَا السَّائِلِى أَيْنَ يَمَّمَتْ فَانَّ لَهَا فِى أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا (٤)

إعرابها كاعرابه »اه بحروفه ، قال أبو رجاء : هذا الذى ذكره السهيلى مبنى على أن « أرمد » صفة معناها الذى أصاب عينه الرمد ، كما قاله أبو ذر ، والألف فيه ألف الاطلاق ، وعندى أن خيرا من هذا كله أن يكون قوله « أرمدا » فعلا ماضيا مسندا إلى ألف الاثنين التى تعود إلى قوله « عيناك » وعليه يكون ليلة منصوبا على الظرفية ، قال الفيومى فى المصباح « رمدت العين ، من باب تعب ، وأرمدت بالألف لغة » ، ويكون قد حذف تاء التأنيث من الفعل المسند إلى ضمير المثنى المؤنث

(١) الخلة : الصداقة ، ويروى فى مكانه « صحبة » وهى بمعناه ، ومهدد : اسم امرأة

(٢) اليافع : الذى قارب زمن الاحتلام

(٣) العيس : الأبل البيض يخالطها حمرة ، والمراقيل : مأخوذ من الارقال ، وهو السرعة فى السير ، و « تغتلى » يزيد بعضها على بعض فى السير ، والنجير : موضع فى حضر موت من اليمن ، وصرخد : موضع بالجزيرة

(٤) يممت : قصدت ، ويثرب : المدينة التى هاجر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا مشكل مع أن مجىء الأعشى إلى النبى كان فى مكة ، وهذه القصة التى يسوقها ابن إسحاق تدل تمام الدلالة على هذا

فَإنْ تَسْأَلِي عَنِّى فَيَارُبَّ سَائِلٍ
حَفِيٍّ عَنِ الأعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا (١)
أَجَدَّتْ بِرِجْلَيْهَا النَّجَاءَ وَرَاجَعَتْ يَدَاهَا خِنَافًا لَيِّنًا غَيْرَ أَحْرَدَا (٢)
وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ
إِذَا خِلْتَ حِرْبَاءَ الظَّهِيرَةِ أَصْيَدَا (٣)
وَآلَيْتُ لاَ آوِى لَهَا مِنْ كَلاَلَةٍ
وَلاَ مِنْ حَفًى حَتَّى تُلاَقِى مُحَمَّدَا (٤)
مَتَى مَا تُنَاخِى عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ
تُرَاحِي وَتَلْقَىْ مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى (٥)

---

(١) « حفى » مبالغ فى السؤال ، وأصعد : أى ذهب

(٢) الخناف ـ بكسر الخاء ـ أن تلوى يديها فى السير من النشاط ، وقال ثعلب : أبو عبيدة : خنافا هى التى كأنها حرداء لأن يديها ترجع من ورائها ، والحرد : جسوء يكون فى اليد . وقال أبو ذر : والأحرد : الذى لا ينبعث فى المشى ويعتقل

(٣) هجرت : مشت فى الهاجرة ، وهى وقت القائلة ؛ والعجرفية : تخليط فى غير استقامة ، والحرباء ـ بكسر فسكون ـ دويبة تكون فى أعلى الشجر وتستقبل الشمس بوجهها حيث دارت ، والأصيد : الذى لا يعطف عنقه إما من كبر وإما من داء أصابه

(٤) « لا آوى » هذه رواية السيرة وشرحها ، والمعنى لا أشفق عليها ولا أرحمها ، ويروى « لا أرثى » والمعنى واحد ، والكلالة : التعب ، ويروى البيت بتمامه هكذا :ـ

فَمَالَكِ عِنْدِي مُشْتَكًى مِنْ كَلاَلَةٍ
وَلاَ مِنْ حَفًى حَتَّى تُلاَقِى مُحَمَّدَا

(٥) « تراحى » يروى فى مكانه « تريحى » والفواضل : جمع فاضلة ، و « ندى » هو الجود ، ويروى « يدا » بالياء ، وهى النعمة

نَبِيٌّ يَرَى مَالَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِى فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا (١)
لَهُ صَدَقَاتٌ مَاتُغِبُّ وَنَائِلٌ وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعَهُ غَدَا (٢)
أَجِدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْإِلٰهِ حَيْثُ أَوْصَى وَأَشْهَدَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
وَلَاقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ
فَتُرْصِدَ لِلْمَوْتِ الَّذِى كَانَ أَرْصَدَا (٣)
فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَاتَقْرَبَنَّهَا وَلَا تَأْخُذًا سَهْماً حَدِيدًا لِتَفْصِدَا
وَلَا النُّصُبَ الْمَنْصُوبَ لَا تَنْسُكَنَّهُ
وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللهَ فَاعْبُدَا (٤)

---

(١) « نبى » يروى بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، ويروى « نبيا » على أنه منصوب بأمدح محذوفا ، وقوله « أغار لعمرى » معناه بلغ الغور ، وهو ماانخفض من الأرض ، و « أنجد » بلغ النجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، ويروى الشطر الثانى هكذا :ـ

* لَعَمْرِى غَارَ فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا *

(٢) « تغب » يروى بضم تاء المضارعة على أنه مضارع أغب ؛ وله مفعول محذوف ، ويروى بفتح تاء المضارعة على أن ماضيه غب ؛ ولا مفعول له لأنه لازم ؛ والنائل : العطاء

(٣) ترصد : تعد ، ويروى :ـ

* وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا *

(٤) النصب : حجارة كانوا يذبحون لها ، والنسك : الدم كانوا يعترون عند أصنامهم ثم يطلون رءوس الأصنام بدماء العتائر ، ويروى « وذا النصب المنصوب ـ الخ » ويروى « ولا تعبد الشيطان »

وَلاَ تَقْرَبَنَّ حُرَّةً كَانَ سِرُّهَا
عَلَيْكَ حَرَاماً فَانْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا [١]
وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى فَلاَ تَقْطَعَنَّهُ
لِعَاقِبَةٍ وَلاَ الْأَسِيرَ الْمُقَيَّدَا [٢]
وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى
وَلاَ تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاحْمَدَا
وَلاَ تَسْخَرًا مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ
وَلاَ تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلْمَرْءِ مُخْلِدَا [٣]

فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسْلِم ، فقال له : ياأبا بصير ، إنه يحرم الزِّنا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالي فيه من أَرَب ، فقال له : ياأبا بصير ، فانه يحرم الخمر ، فقال الأعشى :

---

(١) « ولا تقربن حرة » يروى فى مكانه « ولا تقربن جارة » ؛ والسر : النكاح ، والتأبد : التعزب والبعد عن النساء ، ومن هذا قيل للوحش أوابد

(٢) يروى صدر البيت هكذا : —

* وَلاَ السَّائِلَ الْمَحْرُومَ لاَ تَتْرُكَنَّهُ *

(٣) البائس : الفقير ، و « ذى ضرارة » أى : مضطر ، والضرارة والضرورة بمعنى ، ويروى « ذى ضرورة » كما يروى « ذى ضراعة » والضراعة : الذل ؛ والضارع : الذليل ، ويروى عجز هذا البيت هكذا : —

* وَلاَ تَحْسَبَنَ الْمَرْءَ يَوْماً مُخَلَّدَا *

هذا ، واعلم أن هذه القصيدة فى ديوان الأعشى فى أربعة وعشرين بيتا ، وأن ترتيب أبياتها يختلف كثيرا عن ترتيب رواية ابن إسحاق ؛ انظر الديوان (ص ١٠١ - ١٠٣)

أما هذه فوالله إن فى النفس منها لعلالات ، ولكنى مُنْصَرِف فأَتَرَوَّى منها عامى هذا ، ثم آتيه فأسلم ، فانصرف ، فمات فى عامه ذلك ، ولم يعد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبو جهل حينما يرى النبي يأخذه الرعب

قال ابن إسحق : وقد كان عدوُّ الله أبو جهل بن هشام ، لعنه الله ، مع عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبُغْضه إياه وشدته عليه ، يُذِلّه الله له إذا رآه

قال ابن إسحق : حدثنى عبدالملك بن عبد الله بن أبى سفيان الثقفى ، وكان واعية ، قال : قدم رجل من أراش (قال ابن هشام : ويقال أراشة) بابل له بمكة ، فابتاعها منه أبو جهل ، فمطله بأثمانها ، فأقبل الأراشى حتى وقف على نادٍ من قريش ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية المسجد جالس ، فقال : يامعشر قريش ، مَنْ رَجُلٌ يُؤْدِينى (١) على أبى الحكم ابن هشام فانى رجل غريبٌ ابنُ سبيل ، وقد غلبنى على حق ، قال : فقال له أهل ذلك المجلس : أترى ذلك الرجل الجالس ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يَهْزَؤن به لما يعلمون بينه وبين أبى جهل من العداوة ، اذْهَبْ إليه فانه يُؤْدِيكَ عليه ، قال : فأقبل الأراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياعبد الله ، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قِبَله ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألتُ هؤلاء

(١) « يؤدينى » قال أبو ذر : « معناه يعينى ، أى ينصفنى » اه ، وقال السهيلى : « أى يعيننى على أخذ الحق منه ، وهو من الأداة التى يتوصل الانسان بها إلى ما يريد كأداة الحرب وأداة الصانع ؛ فالحاكم يؤدى الخصم : أى يوصله إلى مطلبه ، وقد قيل : إن الهمزة بدل من عين ؛ ويؤدى ويعدى بمعنى واحد : أى يزيل العدوان ، وهو الظلم ، كما تقول : هو يشكيك : أى يزيل شكواك » اه

القوم عن رجل يُؤْدِينى عليه يأخذ لى حَقِّى منه ، فأشاروا لى إليك ، فخذْلى حق منه يرحمك الله ، قال : « انطلق إليه » ، فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمَّا رَأَوْهُ قام معه قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه انظر ماذا يصنع ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه ، فضرب عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ فقال : «محمدفاخْرُجْ إلىَّ» ، فخرج إليه وما فى وجهه من رائحة [1] ، قد انْتُقِـع لَوْنه[2] فقال : « أعْطِ هذا الرجل حقه» ، فقال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذى له ، قال : فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال للأراشي :«الحق بشأنك» ، فأقبل الأراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزَاهُ الله خيراً فقد والله أخذلى حق ، قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ! ماذا رأيت ؟ قال : عَجَباًمن العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه رُوحُه ، فقال له : أعط هذا حقه ، فقال : نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه ، قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا : ويلك ! مالك ! والله مارأينا مثل ماصنعت قَطّ ، قال : ويحكم !! والله ماهو إلا أن ضرب علىَّ بابى وسمعت صوته فَمُلِئْتُ منه رُعْباً ، ثم خرجت إليه وإنَّ فوق رأسه لَفَحْلاً من الابل ما رأيت مثل هامته ولا قَصَرَته[3] ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أَبَيْتُ لأكلنى

(١) « ومافى وجهه من رائحة » قال أبو ذر : «أى من قطرة دم»وقال السهيلى : «أى بقية روح »

(٢) « انتقع لونه » بالبناءللمجهول ـ أى تغير ، ويروى« امتقع لونه » بالميم ، وهو بمعناه

(٣) الهامة : الرأس ، والقصرة : أصل العنق

ركانة بن عبد يزيد والنبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسحق بن يَسَار ، قال : كان رُكَانة ابن عَبْد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشدَّ قُرَيش ، فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شِعَاب مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ياركانة ، ألا تَتَّقى اللهو تَقْبَلُ ما أدعوك إليه» ، قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حَقٌّ لا تبعتك ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفَرَأَيْتَ إنْ صَرَعْتُكَ أَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَقُولُ حَقٌّ » ؟ قال : نعم ، قال : « فَقُمْ حَتَّى أُصَارِعَكَ » قال : فقام ركانة إليه فصارعه ، فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئًا ، ثم قال : عُدْ يامحمد ، فعاد ، فصرعه ، ثم قال : يامحمد ، والله إن هذا لَلعَجَبُ ، أتصرعنى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُرِيكَهُ إِنِ اتَّقَيْتَ اللهَ واتَّبَعْتَ أَمْرِى » قال : ما هو ؟ قال : «أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى» ، قال : ادْعُها ، فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فقال لها : « ارْجِعِي إلَي مَكَانِكِ » قال : فرجعت إلى مكانها ، قال : فذهب ركانة إلى قومه فقال : يابنى عبد مناف ، سَاحِرُوا (١) بصاحبكم أهلَ الأرض ، فوالله ما رأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع

وفد نصارى الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقالة قريش لهم وردهم عليهم

قال ابن إسحق : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا ، أو قريب من ذلك ، من النصارى ، حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه فى المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجالٌ من

(١) أى : غالبوهم به فى السحر

قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضَتْ أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله وآمنوا به ، وصدقوه وعرفوا منه ما كان يُوصَف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبوجهل بن هشام فى نفرٍ من قريش ، فقالوا لهم : خَيَّبَكُمُ الله من رَكْبٍ ، بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم تَرْتَادُونَ لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تَطْمَئِنَّ مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ، مانعلم ركبا أحمق منكم ، أو كما قالوا لهم ، فقالوا لهم : سلامٌ عليكم ؛ لا نجاهلكم ، لنا مانحن عليه ولكم ماأنتم عليه ، لم نَأْلُ (١) أنفسنا خيرا ، ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم أى ذلك كان ، فيقال والله أعلم : فيهم نزلت هؤلاء الآيات (٢٨ : ٥٢ ـ ٥٥) (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) إلى قوله : (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)

قال ابن إسحق : وقد سألت ابن شهاب الزهرى عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت ، فقال لى : مازلت أسمع من علمائنا أنهن أنزلن فى النجاشى وأصحابه ، والآيات من المائدة قوله (٥ : ٨٢ ـ ٨٣) : (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَيَسْتَكْبِرُونَ) إلى قوله: (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)

---

(١) « لم نأل أنفسنا خيرا » قال أبو ذر : « أى لم نقصرها عن بلوغ الخير ، يقال : ما ألوت أفعل كذا وكذا ، أى ماقصرت » اه

مشركو قريش يزعمون أن اتباع الفقراء للنبي نقص في الدين

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المسجد فجلس إليه المستضعفون من أصحابه خَبَّابٌ وَعَمَّارٌ وأبو فُكَيْهَة يَسَار مولى صَفْوان بن أمية بن محرث (١) وصُهَيْبٌ وأشباههم من المسلمين هزأت بهم قريش ، فقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترَوْنَ ، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ؟ لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خَصَّهم الله به دوننا ، فأنزل الله تعالى فيهم (٦ : ٥٢ — ٥٤) (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاَءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

ويزعمون أنه يتعلم من غلام نصراني

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، كثيراً ما يجلس عند المَرْوَة إلى مَبِيعَة (٢) غُلاَمٍ نصراني يقال له جبر . عبدٌ لابن الحضرمي ، وكانوا يقولون : والله ما يُعَلِّمُ محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبرٌ النصرانيُّ غلامُ ابن الحضرمي ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم (١٦ : ١٠٣) : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)

---

(١) قوله « ابن محرث » في نسخة « ابن محرب »

(٢) قال السهيلي : « المبيعة مفعلة مثل المعيشة . وقد يجوز أن يكون مفعلة (بضم العين) وهو قول الأخفش ، وأما قولهم سلعة مبيعة فمفعولة حذفت الواو منها في قول سيبويه » اه

قال ابن هشام : يلحدون إليه : يميلون إليه ، والالحاد : الميل عن الحق ، قال رؤبة بن العجاج : —

* إذ تَبِعَ الضَّحَّاكَ كُلُّ مُلْحِدِ *

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن هشام : يعنى الضَّحَّاك الخارجى ، وهذا البيت فى أرجوزة له

قال ابن إسحق : وكان العاص بن وائل السَّهْمِيُّ ، فيما بلغنى ، إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دَعُوه فانما هو رجل أَبْتَرُ لا عقب له لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله فى ذلك من قوله (١٠٨ : ١ — ٣) (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) ما هو خير لك من الدنيا وما فيها ، والكوثر : العظيم

تفسير الكوثر

قال ابن إسحق : قال لبيد بن ربيعة الكلابى : —

وَصَاحِبِ مَلْحُوبٍ فُجِعْنَا بِيَوْمِهِ
وَعِنْدَ الرِّدَاعِ بَيْتُ آخَرَ كَوْثَرِ (١)

يقول : عظيم

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : وصاحب ملحوب : عَوْفُ بن الأخوص بن جعفر بن كلاب ، مات بملحوب ، وقوله « وعند الرداع بيت آخر كوثر » يعنى

---

(١) ملحوب والرداع : موضعان : أما ملحوب فمفعول من لحبت العود إذا قشرته : فكأن هذا الموضع سمى ملحوبا لأنه لا أكم فيه ولا شجر ، وفيه يقول عبيد بن الأبرص : —

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ   فَالْقُطَّبِيَّاتُ فَالْجنُوبُ

وأما الرداع فمن أرض اليمامة .

شُرَيْحَ [1] بن الأَحْوَص بن جَعْفَر بن كلاب ، مات بالرداع ، والكوثر : أراد الكثير ، ولفظه مشتق من لفظ الكثير

قال ابن هشام : قال الكميت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :—

وأَنْتَ كَثِيرٌ ياأَبْنَ مَرْوانَ طَيِّبٌ
وَكَانَ أَبُوكَ أَبْنَ ٱلْعَقَائِلِ كَوْثَرَا [2]

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : وقال أمية بن أبي عائذ الهذلي يصف حمارَ وَحْشٍ

وَيَحْمِي الْحَقِيقَ إِذَا مَا ٱحْتَدَمْـ
ـنَ حَمْحَمَ فِي كَوْثَرٍ كَالْجِلَالْ [3]

يعنى بالكوثر الغبار الكثير ، شبهه لكثرته عليه بالجلال ، وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : حدثنى جعفر بن عمرو (قال ابن هشام : هو جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمْرِى) عن عبد الله بن مسلم أخى محمد ابن مسلم بن شِهَاب الزُّهْرى ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل له : يارسول الله ، ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ قال « نَهْرٌ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى أيلة ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّماءِ تَرِدُهُ طَيْرٌ

---

(١) ويقال : صاحب الرداع هو حبان بن عتبة بن مالك بن جعفر بن كلاب

(٢) العقائل : جمع عقيلة ، وهى المرأة الكريمة

(٣) احتدمن : أسرعن الجرى فأكثرنه ، والجلال : جمع جل

لَهَا أَعْنَاقٌ كَأَعْنَاقِ الْإِبِلِ » قال : يقول عمر بن الخطاب : إنها يارسول الله لناعمة ، قال : « آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا »

قال ابن إسحق : وقد سمعنا فى هذا الحديث أو غيره أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ شَرِبَ مِنهُ لاَ يَظْمأ أَبدًا »

قال ابن إسحق : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه إلي الاسلام ، وكلمهم فأبلغ إليهم ، فقال له زَمْعَةُ بن الأسود ، والنَّضْر بن الحرث ، والأسود ابن عبد يَغُوث ، وأُبَىُّ بن خَلَف ، والعاص بن وائل : لوجعل معك يامحمد مَلَك يُحَدِّث عنك الناس ويرى معك ، فأنزل الله تعالي فى ذلك من قولهم (٦:٨-٩) (وَقَالُوا : لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ، وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ ، وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ)

قال ابن إسحق : ومَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، بالوليد ابن المغيرة وأمية بن خلف وبأبى جهل بن هشام ، فغمزوه وهمزوه واستهزؤا به ، فغاظه ذلك ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من أمرهم (٦ : ١٠) (وَلَقَدِ اُسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)

قد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، طبع الجزء الأول من كتاب « سيرة النبي صلى الله عليه وسلم » لأبى محمد عبد الملك بن هشام ؛ و يليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الثانى مفتتحاً بذكر الاسراء والمعراج ، والله تعالى المسئول أن يعين على إكماله ، بمنه وكرمه ؛ هو المعين وعليه التكلان

فهرست الموضوعات

الواردة فى الجزء الأول من كتاب



لأبى محمد عبد الملك بن هشام

45,46

تمت فهرست الموضوعات الواردة فى الجزء الأول من كتاب

« سيرة النبي صلى الله عليه وسلم »

لأبى محمد عبد الملك بن هشام

والحمد لله أولا وآخراً